فكري آل هير

جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب

في نقد نظرية كمال الصليبي وروادها الآخرين من الباحثين العرب

دراسة تحليلية - نقدية - تطبيقية

2018

فكري آل هير

جغرافية التوراة وحاخاماتها العرب

في نقد نظرية كمال الصليبي وروادها الآخرين من الباحثين العرب

دراسة تحليلية - نقدية – تطبيقية

2018

تنويه هام للغاية:

هذه الدراسة مسجلة وقيد الطباعة والنشر في الوقت الراهن، وأي انتحال لما جاء فيها، أو اقتباس منها دون الإشارة إليها كمصدر، يُعدّ من قبيل السرقة العلمية وانتهاكاً لحقوق الملكية الفكرية للباحث، ويترتب عنه قيام كافة المسؤولية القانونية على فاعله.

لذا، برجاء احترام أخلاقيات البحث العلمي، والالتزام بالأمانة والموضوعية عند النقل أو الاستفادة من الدراسة بأي شكل من الأشكال.

فكري آل هير
صنعاء
الجمهورية اليمنية

للتواصل مع الباحث:

E-Mail: fekri101@hotmail.com

**

https://www.facebook.com/Fekri101

**

https://twitter.com/fekriAM

صورة الغلاف من موقع مجلة المجتمع، على الرابط الالكتروني:
http://mugtama.com/ntellectual/item/57797-2017-07-16-13-23-42.html

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

لأمي اليمن.. ولأمي التي من مقاول المجد

من ذرا همدان

نعم الخؤولة، ونعم النسب.. وخير العتاد

والى روح والدي

ولذكراه التي استضيء بها الدرب صوب غاياتي العظام

**

الى سيدة نساء سبأ وحِميَر، التي بارك الرحمن خطو مسيرها من ذي رعين

مولاتي ومولاة قلبي، شريكتي في الدرب والعرش والمصير

ذات يَحصُب

الى صغاري الملوك، أبناء الملوك وأحفاد الملوك من ذي يزن، والرائشين من سبأ الكرام الأكرمين..

ريم ذات ريمان

والأيهم ذو عمد

وإن حِميَر في البشر كالبدر في الليلة الظلماء، يشاء الناس خفضهم ويأبى الله إلا أن يرفع شأنهم..!!

...

فكري..

كلمة لابد منها

أشكر إلهنا الرحمن، الذي أحاطني برعايته منذ اللحظة الأولى التي شرعت فيها بإعداد هذه الدراسة، إذ لم ولن أنسى أن كل سطر كتبته فيها، كتبته وكلي يقين بتوفيق الله سبحانه وتأييده ودعمه لي، لاسيما وقد علمت بأني غير معصوم من الزلات والأخطاء، فأخلصت النية في أن تكون غايتي هي خدمة الحقيقة واشعال جذوة نارها من حيث أراد البعض اطفائها، وبهذا استكان ضميري وطابت سريرة نفسي، فكان هذا اجتهادي...

ثم إنه كان لي شرف الحظوة بتشجيع قلة من الأساتذة والأخوة والأصدقاء، كانت كلماتهم تمنحني التأييد والتحفيز، ولولا أن ذكر البعض منهم هو عين الجحود بحق البعض الآخر لذكرتهم بالاسم، لكني سأكتفي بأن أتوجه إليهم بالشكر وجزيل الامتنان واحداً واحداً دون ذكر أسماء..

كما أشكر أيضاً جميع القراء..

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
▪ **الإهداء**	III
▪ **كلمة لابد منها**	IV
▪ **المحتويات**	V
▪ **مقدمة**	VII
القسم الأول: **تفكيك البناء المنطقي والمنهجي للنظرية**	
الفصل الأول: الجذور الاستشراقية– اليهودية للنظرية	1
[١]. نظرية واحدة أم نظريات متعددة ومختلفة	7
[٢]. المنطلقات العامة للنظرية، مقولاتها وفروضها	13
[٣]. الجذور الاستشراقية– اليهودي للنظرية	19
الفصل الثاني: من نقد التوراة الى إنقاذ التوراة	40
[١]. تناقضات ثلاثة وتساؤلات شائكة	41
[٢]. علم الآثار يقول: لا مصداقية للتوراة	50
[٣]. نظرية جديدة لإنقاذ التوراة	63
الفصل الثالث: المنهج الجهنمي وحقيقة التزوير	78
[١]. منهجٌ علمي أم شعوذة لغوية	81
[٢]. مشروع تهويد الجغرافية الفلسطينية "نموذج تطبيقي"	99
[٣]. تزويرٌ أم منهجٌ علميّ	107
الفصل الرابع: نهاية لعبة الأسماء والكلمات المتشابهة	119
[١]. ماذا يعني تشابه الأسماء الجغرافية؟	125
[٢]. ماذا عن جغرافية التوراة الكوردية في اليمن؟	137
[٣]. كيف تكشف أسماء الأماكن عن موطنها؟	149

القسم الثاني: نشيد أنشاد الجغرافيا وصلوات الخرائط	**157**
مدخل	**158**
الفصل الأول: فاضل الربيعي بين المطرقة والسندان	**163**
[١]. هكذا تحدث فاضل الربيعي	**167**
[٢]. هكذا تحدث الهمداني	**177**
[٣]. هكذا تحدث بطليموس	**185**
الفصل الثاني: بين شهادة الهمداني وحديث إفك الربيعي	**201**
[١]. أوهام وقعقعات مُتخيّلة	**206**
[٢]. زنبيل أوهام الربيعي	**222**
[٣]. فوضى الجغرافية المتُخَيَّلة	**236**
الفصل الثالث: هورشلم حوتس لآرتس؟!	**247**
[١]. هل ترجم الربيعي التوراة حقاً؟!	**250**
[٢]. أورشليم آرتس أم حوتس لآرتس؟!	**260**
[٣]. فوضى الربيعي المُتخيّلة	**288**
الفصل الرابع: أقواس الربيـ(.....)ـعي الفارغة	**295**
[١]. الطفرة المخيالية	**297**
[٢]. الأقواس الفـارغة	**315**
[٣]. الربيعي وخرائطه العمياء	**331**
▪ **الخاتمة**	**340**
▪ **المراجع والمصادر**	**342**

مقدمة

قبل سنوات طويلة، أعارني أحد الأصدقاء كتاب "التوراة جاءت من جزيرة العرب" لكمال الصليبي، ومن ثم سنحت لي فرص أخرى لقراءة "خفايا التوراة" و"حروب داود" أيضاً، ثم حصلت لاحقاً على كتاب "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود" لأحمد داود، وأيضاً كتاب "الحضور اليماني في تاريخ الشرق القديم" لـ فضل الجثام، كان ذلك في الفترة ما بين ٢٠٠٣- ٢٠٠٥.

مثل معظم القراء، كنت منبهراً جداً بالفكرة الرئيسية التي جمعت بين هذه الأعمال، ومدفوعاً بشكل جارف إليها، من حيث نال مني الإعجاب بها مبلغاً كبيراً لم يسبق لأي فكرة أخرى أن أوصلتني إليه. فقد رأيت آنذاك أن هذه الاتجاه يمكن أن يكون فتحاً معرفياً حقيقياً لإعادة قراءة تاريخ المنطقة العربية القديم بعيداً عن القوالب الاستشراقية الغربية، تماماً كما عبرت عن ذلك مقدمات هذه الأعمال ومضموناتها، ناهيك وأن هذا الفتح وفق ما تكون لدي في ذلك الوقت يمكن أن يساهم في إعادة الاعتبار لتاريخ اليمن القديم.

هكذا ظننت بالفعل..!!

فكنت من أشد المتحمسين لهذه النظرية والمدافعين عنها لسنوات أخرى طويلة، ولم يكن يخطر ببالي أبداً أني سأكون ذات يوم في مواجهة مباشرة مع هذه النظرية وروادها.

لسنوات عدة بعد ذلك، ظللت أتابع كل جديد بهذا الشأن، وأراقب عن كثب بين الحين والآخر كل ما يقال عن هذه النظرية مجدداً، تزامن ذلك مع قراءتي لأعمال أخرى تصب في فلك النظرية نفسها، لـ: أحمد عيد، وفرج الله صالح ديب، وزياد منى، وفاضل الربيعي، واصدارات جمعية التجديد البحرينية، كما قرأت ردود كل من فراس السواح وجورجي كنعان أيضاً، فضلاً عن كم هائل من المقالات ذات الصلة.

إلا إن تلك القراءات المتتابعة والمتجددة سرعان ما ساهمت في تكوين رؤية مشوشة لدي، إزاء النظرية التي صاغها الصليبي، وإزاء النماذج المنتحلة منها مما قام به الآخرون كذلك.

ثم إنه وبعد عشر سنوات من الحماس الشديد والدفاع الأشد عن نظرية الصليبي ورفاقه، تكوَّن لدي موقف مغاير تماماً، كان ذلك بعد أن قضيت الصيف كله من العام ٢٠١٣ في قراءة تلك الأعمال مرة أخرى رغم قراءاتي المتعددة لها من قبل، وأذكر جيداً أني في تلك الفترة توقفت كثيراً أمام أعمال فاضل الربيعي، وبدأت أسعى بقوة الى قراءة ما لم أقرأه بعد من أعمال فرج الله ديب، وأعمال أحمد الدبش، إلا إن قراءة أعمال هذان الأخيران لم تتحقق لي إلا بعد ذلك بعدة سنوات، ومع ذلك فقد كان ما توفر لدي حتى ذلك الوقت كافياً للتحول الى الطرف الآخر الرافض والمناهض للنظرية برمتها.

كان تحولاً ناتجاً ومتكوناً عن قراءات عميقة فاحصة وناقدة، أسفرت عن العديد من التساؤلات والمشكلات والملاحظات، التي تأكد لي منها أنني أقف أمام نظرية هشة ومتناقضة من الناحية المنهجية والمعرفية، فضلاً عن الأخطاء والتحريفات التي بدأت تتضح لي أكثر وأكثر كل يوم.

في هذا الاتجاه، بدأت أركز على المناقشات والحوارات التي تدور حول النظرية وأعمال روادها المتعددة والمتباينة في تفسيراتها للنص التوراتي حيثما أمكن لي رصدها وتتبعها، وذلك بغية التعرف عن كثب على الطرق التي يستخدمها رواد هذه النظرية وأنصارها في تقديم اطروحاتهم واستدلالاتهم للجمهور بشكل مباشر، والتعرف أيضاً على طبيعة المواقف والانتقادات والآراء المعارضة لها والمتحفظة بشأنها، الأمر الذي ساعدني كثيراً على ضبط صياغة دقيقة لتلك التساؤلات التي كانت قد تكونت لدي.

لاحقاً، بدأت تتخلق لدي أسباب ودوافع عديدة للتفكير في تطوير منهج وأدوات نقدية للتعامل مع هذه النظرية، إلا إن الأمر من هذه الناحية كان بحد ذاته منحصراً على الأغراض الذاتية والشخصية– أي تمكين نفسي من نقد النظرية– خاصة أنه لم تكن لدي حتى ذلك الوقت أي نية على الإطلاق في القيام بعمل بحثي ونقدي مماثل لهذا الذي نقدم له.

أتاحت لي مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكة الانترنت، أن أتعرف وأن تربطني معرفة واتصالات مباشرة ببعض رواد نظرية جغرافية التوراة، على نحو لم أحرص عليه إلا بدافع اهتمامي الشديد لطرح تساؤلاتي عليهم، وهذا ما حصل بالفعل، لكن الأمر أدى الى نتائج عجيبة وغير متوقعة، أقصد بذلك أن من عرفتهم منهم سلكوا مسلكاً واحداً وموحداً في التعامل مع ما كنت أطرحه عليهم من تساؤلات، فكان منهم من تهرَّب من المناقشة، ومنهم من امتنع نهائياً عن قول كلمة واحدة إزاءها، وبرغم إني تعمدت تكرار محاولاتي إلا إن النتيجة كانت نفسها، وهي: رفضهم الشديد والغامض لأي نقاش معهم.

أفضل جواب حصلت عليه من أحدهم في هذا الشأن، هو: اقرأ كتابي الفلاني وكتابي العلاني.. كل الأجوبة على أسئلتك تجدها في كتابي.. وعبارات من هذا القبيل.

ولطالما كنت أؤكد لهم على أن تساؤلاتي تلك ليست أولية يدفعها الفضول، بل هي نتاج قراءات عميقة في أعمالهم وأنهم هم الوحيدون من ينبغي أن تكون الأجوبة صادرة منهم، وأتذكر جيداً أني صرحت لأحدهم في حوار خاص جرى بيني وبينه، بأني قادر على أن أرد على نظريته، غير أن هذا لم يكن هدفي، وأن ما أهدف إليه فعلاً ليس إلا معرفة آرائه بشأن تساؤلاتي لا أكثر، لكنه وبشكل علني أظهر الرفض والامتناع عن أي نقاش، وأكد لي بصيغة أو بأخرى أن هذا الموقف قطعي تماماً، ثم سرعان ما تطور الأمر الى إعلان القطيعة معي من قبلهم، وإغلاق كل أبواب التواصل والحوار، ولشد ما أثارني أن هذا الموقف كان قاسماً مشتركاً بينهم، من حيث بدا لي غريباً ومثيراً للريبة والشك.

وفي يوم غير بعيد عن مجرى هذا كله، كنت في حوار مع صديق من العراق الحبيبية، كنا نخوض فيه بشأن هذه النظرية، حينها قال لي: ***"إن ما نحتاج إليه هو رد علمي عليها إن لم يفندها ويدحضها، فعلى الأقل يشكك بها ويزعزع مصداقيتها"***، فصدر الوعد مني له ولكل المهتمين بأني سأقوم بذلك، في محاولة لبناء جسور الحوار العلمي والعقلاني مع رواد النظرية ومن نحا نحوهم، وكان لابد من تصديق الوعد.

القراء الأعزاء..

إنه ليسعدني ويشرفني أن أقدم لكم ما أراه بحق: ***أول دراسة نقدية على أساس علمي ومنهجي وتطبيقي لنظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب كما جرى التأسيس لها في أعمال ثمانية من الباحثين العرب***. من حيث لم يسبقها أي دراسة مماثلة تعرضت لأعمال هذه النظرية بذلك الشمول والتخصيص الذي تنفرد به هذه الدراسة، بقدر ما تضمنته دراستنا هذه من نقد علمي فريد ومميز، وما قدمته من نتائج وكشفت عنه من حقائق، لم يسبق لأحد من الباحثين أن قدمها أو كشف عنها، علاوة على المنهج العلمي الجديد والمبتكر الذي اتبعناه فيها، والذي ابتكرناه وطورناه على مدى عامين كاملين لأغراض هذه الدراسة.

لقد تكامل ذلك كله من كل النواحي ليكون لي تصديق الذي قطعته على نفسي والتزمت به، فليس هذا العمل إلا تصديقاً ووفاءً بوعد..

وليس من بعد الوعد إلا الوفاء..

فكري آل هير

صنعاء- الجمهورية اليمنية

١٢ يوليو ٢٠١٨

القسم الأول

تفكيك البناء المنطقي والمنهجي للنظرية

الفصل الأول

الجذور الاستشراقية- اليهودية للنظرية

لا بأس.. فقد بدأ الأمر بكتاب صدر في العام ١٩٨٥ بعنوان "التوراة جاءت من جزيرة العرب" للبناني (كمال الصليبي) – المؤسس العربي الأول لنظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب– والذي وضح في مقدمته بأن وضح أن أساس كتابه هو:

"المقابلة اللغوية بين أسماء الأماكن المضبوطة بالحرف العبري، وأسماء أماكن تاريخية أو حالية في جنوب الحجاز وفي بلاد عسير مأخوذة إما عن قدامى الجغرافيين العرب ومنهم (الحسن الهمداني) صاحب كتاب "صفة جزيرة العرب"، و(ياقوت الحموي) صاحب "معجم البلدان"[١]*.*

وقد كتب الصليبي في مقدمة كتابه ما الذي حدث معه ودفعه الى تأليف كتابه ذاك، فقال:

"لقد كان الأمر عبارة عن اكتشاف تم بالصدفة، كنت أبحث عن أسماء الأمكنة ذات الأصول غير العربية في غرب شبه الجزيرة العربية، عندما فوجئت بوجود أرض التوراة كلها هناك، وذلك في منطقة بطول يصل الى حوالي ٦٠٠ كلم وبعرض يبلغ حوالي ٢٠٠ كلم، وبالتحديد في "عسير وجنوب الحجاز". وكان أول ما تنبهت إليه أن في هذه المنطقة أسماء أمكنة كثيرة تشبه أسماء الأمكنة في التوراة، وسرعان ما تبين لي أن جميع أسماء الأمكنة التوراتية [العالقة في ذهني]، أو جلها، مازال موجوداً فيها"[٢]*.*

---

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، الطبعة السادسة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٧. ص ١٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ٢٧.

إثر الضجة التي أثارها كتاب الصليبي، بدأ باحثون آخرون بتسلق الشجرة التي بدت مثمرة وسائبة، ففي العام ١٩٩١ صدر كتاب "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود" للسوري (أحمد داوود)، والذي قام على حد قوله بدراسة التوراة دراسة تاريخية وجغرافية ولغوية وسكانية ومنطقية، حتى توصل الى أن جغرافية التوراة ليست في فلسطين، بل في غامد من منطقة عسير غرب الجزيرة العربية، وذلك بناء على حزمة من الوسائل الاستدلالية أهمها طبعاً دراسة الجذور اللغوية للأسماء الواردة في التوراة[١]. وبالطبع فإن أحمد داود أنكر تماماً أي صلة لما توصل إليه في كتابه بطروحات كمال الصليبي.

جاء الباحث اللبناني (فرج الله صالح ديب) بكتابه الذي صدر سنة ١٩٩٤ بعنوان "التوراة العربية واورشليم اليمنية"[٢]، منطلقاً من نفس الأساس الذي أقامه الصليبي، ، وبالاستناد الى أن العلماء لم يجدوا أي آثار في فلسطين تدلّ على الاحداث التاريخية في التوراة، وهذا بدوره دفع الى التساؤل: هل نبحث في المكان الخطأ؟- نعم، إن دراسة الأسماء الجغرافية في التوراة ومطابقتها مع أسماء المناطق اليمنية، يكشف على نحو وثيق بأن مسرح التوراة كان في اليمن، وليس في عسير كما قال الصليبي ولا في غامد كما قال أحمد داوود.

لاحقاً سوف ينطلق فرج الله صالح ديب، من افتراض أن البحث في الجذور اللغوية لأسماء القرى والبلدان والمناطق والجبال والأنهار اللبنانية، فضلاً عن مفردات اللهجات اللبنانية لابد وأن تعكس المراحل التاريخية التي سادت في لبنان ومحيطه، وبعد فحص تلك الأسماء ومقارنتها بالأسماء ومفردات اللهجات اليمنية، توصل الى أن اليمن هي الأصل[٣].

في نفس العام الذي صدر فيه كتاب فرج الله صالح ديب- أي عام ١٩٩٤- صدر كتاب آخر للباحث اللبناني (زياد منى) بعنوان "جغرافية التوراة مصر وبنو اسرائيل في عسير". والحقيقة أن زياد منى لم يتجاوز حدود ما جاء به الصليبي من قبل، إلا بشيء يسير

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، الطبعة الأولى، ١٩٩١. ص ١٢.

[٢]. فرج الله صالح ديب: التوراة العربية واورشليم اليمنية، دار نوفل، بيروت، ١٩٩٤.

[٣]. فرج الله صالح ديب: اليمن هي الأصل- الجذور العربية للأسماء، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨. ص ٦.

لا يجعل كتابه مختلفاً. وذلك وفق ما قاله هو بأن كتابه يرتكز على كتاب الصليبي وأن اسهامه يندرج فحسب في إطار التهذيب العلمي لما جاء فيه[١]. كما أشار زياد منى الى اعتماده المنهج اللغوي الذي يعتمد على البحث في الجذور المشتركة للألفاظ العربية والعبرية من خلال ملاحظة ظواهر قلب الحروف واستبدالها، للتعرف على أصل الأسماء التوراتية وردها الى منطقتها الجغرافية الصحيحة.

في عام ١٩٩٦ أصدر الباحث المصري الأستاذ (أحمد عيد) كتابه بعنوان "جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة"[٢]، والذي انطلق في اتجاه الرد على كل المحاولات الصهيونية الرامية الى إثبات أن خروج بني اسرائيل كان من مصر الى فلسطين (المحتلة)، وهي المحاولات التي هدفت بالأساس الى إثبات شرعية الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وذلك من خلال إثبات أن جزيرة العرب كانت جزء لا يتجزأ من مصر الفرعونية القديمة، وأن الأحداث التوراتية حدثت في جنوب الجزيرة العربية– وبالتحديد في اليمن.

في عام ١٩٩٩، أصدر الباحث اليمني فضل الجثام (اليافعي) كتابه الموسوم بـ "الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى: سبر في التاريخ القديم"– وقد أكد الباحث من أول سطر في كتابه بأنه معني بالكشف عن حقيقة التزييف التي مورست بحق جغرافية التوراة، وجعلها في البلاد الواقعة ما بين نهر النيل والفرات، واثبات أن شبه جزيرة العرب وبالذات إقليمها الكبير اليمن، هو موطن ومسرح أحداث التوراة. كما أكد الجثام بأن معالجته تأتي في إطار ما طرحه كمال الصليبي وزياد منى وفرج الله صالح ديب وسيد القمني وغيرهم[٣].

---

[١]. زياد منى: جغرافية التوراة مصر وبنو اسرائيل في عسير، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٤. ص ١٦.

[٢]. أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، الطبعة الأولى، مركز المحروسة للبحوث والنشر والتدريب، القاهرة، ١٩٩٦.

[٣]. فضل الجثام اليافعي: الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى– سبر في التاريخ القديم، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩. ص ٩.

في عام ٢٠٠٦ أصدرت جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية البحرينية كتاباً بعنوان "نداء السراة: اختطاف جغرافيا الأنبياء"[١]، والتي تفند الأقاويل التي يرددها علماء التوراة بشأن جغرافية الموطن التوراتي – جغرافية الأنبياء- بأنها في مصر وفلسطين وسوريا والعراق، وتثبت أن تلك الجغرافية ليست إلا في منطقة السراة غرب الجزيرة العربية، وهو نفس الطرح الذي صاغه كمال صليبي وأحمد داود وزياد منى، ولكن بصبغة دينية أكثر منها تاريخية وعلمية.

منذ العام ٢٠٠٤ بدأ الباحث الفلسطيني- المقيم في القاهرة- الأستاذ (أحمد الدبش) اصدار سلسلة كتب بلغ عددها حتى عام ٢٠١٣ ثمانية كُتب، تدور جميعها في فلك من سبقوه، وترتكز حول نقطة جوهرية هي إثبات أن جغرافية التوراة ليست في فلسطين، بل في اليمن، وذلك بالاعتماد على نفس المنهج اللغوي الذي يطابق بين أسماء المناطق في التوارة وأسماء المناطق اليمنية، والتي تكشف عن تطابق متين، يؤكد ذلك الاستنتاج بأن اليمن هي مسرح أحداث التوراة، في اتجاه مناهض لاتجاه من ظل يصفهم على طول خط طرحه بـ "حراس الفكر الآسن ممن يرددون ما تلقنوه في صالون المتحف ويشترون الزيف على حساب الحقيقة بثمن بخس"[٢].

في عام ٢٠٠٨ صدر لأول مرة، كتاب الباحث العراقي المفكر العربي (فاضل الربيعي) بعنوان "فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم"، والذي توالت بعده سلسلة كتب أخرى للربيعي نفسه تصب في نفس الموضوع. ففي سفره الثقيل "فلسطين المتخيلة-

---

[١]. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: نداء السراة: اختطاف جغرافيا الأنبياء، سلسلة عندما نطق السراة، الطبعة الثانية، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المنامة – البحرين، ٢٠٠٦.

[٢]. أحمد الدبش: اختطاف أورشليم، محاكاة للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٣. ص ٢٧. بالإضافة الى أعمال الدبش الأخرى، وأهمها:

- أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، الطبعة الثانية، دار خطوات للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.
- أحمد الدبش: كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، دار خطوات للنشر، ٢٠٠٥.
- أحمد الدبش: عورة نوح ولعنة الفراعنة وتلفيق الأصول، الطبعة الأولى، دار خطوات للنشر، دمشق، ٢٠٠٦.

أرض التوراة في اليمن القديم"، ينطلق المفكر العربي فاضل الربيعي من عنوان عريض وضعه لمقدمة كتابه "الهمداني يصف أرض التوراة في السراة اليمنية"، ومن أول سطر يجزم مفكرنا جزماً قاطعاً بأن السبي البابلي لليهود لم يحدث في فلسطين، وأن كل أحداث التوراة لم تحدث في فلسطين.. الى أن يعود لذكر الهمداني قائلاً:

"وفي ضوء اكتشاف الهمداني الذي أعرضه هنا- فإن الحقيقة التي لا مناص من التمعن فيها اليوم هي أن القبائل اليهودية العائدة من الأسر البابلي، هي التي أعادت بناء الهيكل في "السراة" اليمنية وليس في فلسطين، بدليل أن اليمنيين يسمون- حتى اليوم- كل آثار الأبنية القديمة (هياكل)"- على حد تعبيره[١].

توصل الربيعي الى اكتشاف أن الهمداني وصف في كتابه "صفة جزيرة العرب" الأرض نفسها التي وصفتها التوراة. فوصف الأمر قائلاً:

"بدأت حكاية الاكتشاف المثير هذا، عندما كنت أعيد قراءة كتابي الهمداني (صفة جزيرة العرب، الإكليل) بعد وصولي بقليل الى هولندا، وأشد ما أثار دهشتي، أنني وجدت الهمداني يسرد أمامي أسماء الجبال والوديان والهضاب وعيون الماء في اليمن، كما لو أنه يسرد الأسماء نفسها الواردة في التوراة، والتي أكاد [أحفظها عن ظهر قلب]، وهي ذاتها وتماماً كما في نصوص التوراة دون أدنى تلاعب، ومع ذلك بدت لي نصوص الهمداني كما لو أنني قرأتها من قبل، أو كأنها تكرر الأسماء نفسها في التوراة"[٢].

عجباً، ألم نقرأ هذه القصة قبل قليل؟!- إنها نفس القصة التي رواها لنا الصليبي.

بالنسبة لي، لا أعتقد أن ثلاثة وعشرين عاماً من صدور كتاب الصليبي فترة كافية لتبرير انتحال الربيعي لقصة اكتشافه لهذه النظرية من كتاب الصليبي حرفياً ونسبتها لنفسه،

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر، دمشق، ٢٠٠٨. ص ١٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٤.

بحياة الصليبي وحضوره وبحياة كل رواد النظرية الآخرين الذين جاء الربيعي من بعدهم كلهم، إذ لا يمكن تسمية هذا الانتحال بأنه تناص أو توارد خواطر أو تخاطر بارا – سيكولوجي، فجميعنا يعلم أن الربيعي هو آخر العنقود في سلسلة من تسلقوا شجرة نظرية الصليبي، بفارق عنهم جميعاً أن الربيعي قرر أن (يكّوش) على النظرية كلها وكأنه خالقها الأول.

على كل حال، تلتقي جميع الطروحات المشار إليها آنفاً عند دراسة النص التوراتي، لإثبات أن جغرافية أحداث التوارة كانت في جزيرة العرب، واختلفوا فقط في تحديد المنطقة: بين من قال في أنها كانت في عسير وغامد والسراة، ومن قال بأنها كانت في اليمن. وبالطبع فإن مغزى هذه النظرية ودافعها الأول يتمثل بشكل واضح وصريح في دحض ما تصفه جميعها بـ "افتراءات علماء التوراة وادعاءاتهم بالحق التاريخي لليهود في فلسطين"، وذلك من خلال إثبات أن مسرح أحداث التوارة ونطاقها الجغرافي كان في جزيرة العرب واليمن.

والجميع يستندون بشكل جوهري الى ما يصفونه بـ "التحليل اللغوي للجذور المشتركة بين اللغات القديمة"، وملاحظة ظواهر قلب الحروف واستبدالها للتعرف على الأسماء التوراتية في صيغتها العربية وتحديد جغرافيتها الحقيقية، والبعض منهم تحاشى تلك الظواهر واكتفى بالاعتماد على التشابه اللفظي السليم دون الدخول في متاهات قواعد القلب والاستبدال اللغوية، وإن كان البعض منهم قد لجأ الى استخدام نفس الآلية المنهجية في التعامل مع الأسماء والألفاظ الواردة في النقوش الأثرية، وذلك لإكساب طروحاتهم بعض الملامح العلمية.

والآن، هل نقف أمام نظرية واحدة أم عدة نظريات؟ وما هي المنطلقات العامة والمقولات والفروض المشتركة والمؤسسة لهذه النظرية؟

[1]

نظرية واحدة أم نظريات متعددة ومختلفة

تبدو نظرية جغرافية التوراة في اليمن وجزيرة العرب الى حدما نظرية واحدة، ولكن التمعن في أعمال ومساهمات روادها من الباحثين العرب، سرعان ما يكشف عن عدة نظريات تتفق في الفروض الرئيسية وبعض المقولات المؤسسة لها، كما تتفق من الناحية المنهجية في الاعتماد على الأدوات اللغوية، لكنها جميعاً تختلف في تحديد المسرح الجغرافي الذي يفترض حسب توجه هذه النظرية أن وقائع تاريخ التوراة قد حدثت فيه.

يحدد كمال الصليبي المسرح الجغرافي الذي وقعت فيه جميع أحداث التوراة بحسب رؤيته ونتائج بحثه، *"في منطقة بطول يصل الى حوالي ٦٠٠ كلم وبعرض يبلغ حوالي ٢٠٠ كلم، وبالتحديد في "عسير وجنوب الحجاز "*[١]. ومع نفس هذا التحديد تتفق أطروحة زياد منى الذي لا تخرج جغرافية التوراة فيها عن نطاق منطقة عسير.

أما أحمد داوود، فقد أكد على *أن حقيقة أحداث التوراة بأشخاصها ومواقعها، تتحدث عن عشائر بدوية آرامية، تتحرك بين مراعيها بأغنامها في بقعة ضيقة من برية شبه جزيرة العرب*[٢]. وبالتحديد *في غامد من منطقة عسير غرب الجزيرة العربية*[٣].

مع الصليبي، اتفق زياد منى وداوود على وضع جغرافية التوراة، في نطاق ضيق من غرب جزيرة العرب، مع تباينات دقيقة في تحديداتهم المكانية للأماكن الواردة أسمائها في التوراة، تبعاً لتباين وتعدد واختلاف طرائق استخدام وتطبيق أدواتهم اللغوية، القائمة على مقابلة الأسماء التوراتية بما يشابها أو يماثلها بطريقة أو بأخرى في هذه المناطق التي خضعت لدراساتهم.

---

[١]. المرجع السابق، ص ٢٧.

[٢]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ١٤.

[٣]. المرجع السابق، ص ١٢.

بيد أننا نجد تحديداً آخر مختلفاً عن التحديد السابق، يبدو أنه ظهر بشكل جلي عند فرج الله صالح ديب، الذي نقل مسرح أحداث التوراة من فلسطين وحواليها الى اليمن- أجزاء من اليمن، وهو التحديد الذي تبناه ودعمه كل من الباحث المصري أحمد عيد والباحث اليمني فضل الجثام، مع الأخذ بعين الاعتبار أن كل من هؤلاء له رؤيته المغايرة تماماً عن رؤية غيره.

أقام فرج الله صالح ديب نظريته على عدة أسس أهمها أن اليمن شهدت في إحدى مراحل تاريخها القديم قيام دولة تعتنق الديانة اليهودية بشكل رسمي، يقصد بذلك الدولة الحميرية في عهد (ذو نواس) والصراع مع الأحباش في القرن السادس الميلادي، وقبلها قصة اللقاء الشهير بين ملكة سبأ والنبي سليمان التي وردت في التوراة والقرآن، كما يحيلنا ديب الى أدلة قديمة أو موغلة في القدم أبرزها تسمية النبي (هود)، باعتبارها الجذر الأقدم للديانة اليهودية، وطبعاً فإن هذا الاستدلال الأخير قائم فقط على المقابلة اللغوية (التشابه) بين (هود، يهود)[١].

يأتي اسهام الباحث اليمني فضل الجثام في نطاق الضجة التي أثارتها هذه النظرية واقترابها الشديد من خلال جهود الصليبي ومنى وداوود من جغرافية اليمن وتاريخه، ربما مدفوعاً بالإحساس العميق بالتهميش الذي تعرض له تاريخ اليمن في مقابل تاريخ العراق ومصر وسوريا، حيث وجد في هذه النظرية ضالته، ليكشف عن أبعاد دفينة بشأن تأثير الحضارة اليمنية في ثقافات ومعتقدات شعوب وحضارات الشرق الأدنى (مصر، سوريا، العراق) وصولاً الى اليونان، بطريقة دفعته الى وضع بعض الأحداث والشخصيات التوراتية الكبرى وعلى رأسها النبي إبراهيم وبالتالي جغرافية حركة ارتحاله – قصة العبور التوراتية-

[١]. دوناً عن جميع رواد النظرية المذكورين في هذه الدراسة والذين اطلعت على أعمالهم، أنوه الى أني لم أطلع على جهود الأستاذ فرج الله صالح ديب ولم يتسنى لي بعد الحصول على كتبه المتعلقة بهذا الموضوع، وما أورده في هذا العمل ناتج عن قراءاتي ومتابعاتي لبعض ما كُتب ونُشر عن نظريته، ويأتي تعرضي له هنا دون الاستناد الى كتبه للضرورة الأخلاقية، إذ لم يكن من الجائز تجاهل مساهمته في هذه النظرية، وهو من أهم روادها بالفعل، ومن ثم فإني احتمل مسؤولية ما أورده وأنسبه إليه إذا لم يكن صحيحاً، ولا مسؤولية على الأستاذ فرج الله صالح ديب في كل الأحوال. (الباحث)

في نطاق الجغرافية اليمنية، جاعلاً من منطقة يافع – المنطقة التي ينتمي إليها الجثام– بمثابة مركز لكل الأحداث والأساطير التي ضمنها عمله، وهذا بدوره لا يضعنا أمام عمل مختص بجغرافية التوراة، بل أمام محاولة لتقديم تاريخ المنطقة بما فيه تاريخ التوراة من الناحية التي يكون فيها تاريخ اليمن في المركز الذي تدور حوله وفي فلكه تواريخ الحضارات الأخرى القديمة، إذ يبدو أن الجثام كان حين قام بدراسته هذه واقعاً تحت تأثير مزدوج لنظرية الصليبي بالنسبة لنقل جغرافية التوراة الى جزيرة العرب من جهة، وتأثير نظرية أحمد داوود بشأن سوريا الكبرى – سوريا المركز، والتي انطلق منها هذا الأخير نحو تعريب كل شيء على حد وصف البعض، وذلك من جهة أخرى.

والحقيقة، أننا نجد في عمل الجثام بخلاف الجوانب المتعلقة بجغرافية التوراة، الكثير من الملاحظات والاستنتاجات المثيرة للانتباه، لو أنها فقط تحررت من تلك المؤثرات التي سيطرت عليها.

حينما نقف أمام عمل الباحث المصري أحمد عيد، فإننا نجد نظرية أخرى تتجاذب بعض جوانبها نظرية جغرافية التوراة للصليبي، خاصة فيما يتعلق بذلك الجانب الذي تتحدث فيه عن مصر أخرى في جزيرة العرب، وعلاقة مصر النيل ببلاد بونت، وغيرها من المسائل التاريخية التي كوّنت لدى أحمد عيد انطباعات عديدة، جعلته يتعامل مع جزيرة العرب باعتبارها امتداداً للجغرافية المصرية الفرعونية، فالقطران اللذان وحدهما مؤسس الدولة القديمة (مينا) هما (مصر النيل ومصر جزيرة العرب)، في الوقت نفسه الذي اعتبر الباحث أن قداسة جزيرة العرب وبشكل خاص اليمن بالنسبة للمصريين القدماء ثابتة، باعتبارها الموطن الأم لحضارة مصر النيل أو ما شابه ذلك. وبناءً عليه فإن وقوع أحداث التوراة في جزيرة العرب لا يخرجها من الدائرة المصرية، وقصة التواجد الاسرائيلي/ اليهودي في مصر لعدة قرون وخروجهم منها مع موسى تظل جزءً من تاريخ مصر الكبرى بقطريها[١]. وبلا أدنى

[١]. أنظر مثلاً كيف عالج أحمد عيد مسألة (مصر الأعلى عند أورسيوس): أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، مرجع سابق، ص ٢٦.

شك، فإن مثل هذا الطرح لابد وأن يدعم مصداقية القصة التوراتية ولو كان ذلك بإعطائها تفسيراً جديداً.

يبدو واضحاً تأثير فكرة المركز التي عبر عنها داوود والجثام على نظرية أحمد عيد، التي تحل فيها مصر محل سوريا واليمن، لذا فإن كثيراً من الأسماء التي وردت في الآثار المصرية سوف تحال في كتابه للبحث عنها في نطاق جغرافية اليمن والجزيرة العربية، ولكن على أساس مركزية مصر النيل.

في أعمال الباحث الفلسطيني أحمد الدبش، تصبح اليمن كاملة بمثابة مسرح أحداث التوراة على نحو كامل من التخصيص ودون أي استثناء، فحيثما أمكن إيجاد أسماء مناطق تقع في اليمن ومشابهة لأسماء المناطق التي وردت في التوراة، اعتبر الدبش أن هذا كافياً لتقرير واثبات أن اليمن هي مسرح أحداث التوراة.

هناك أمر مثير للتعجب في أعمال الدبش، يتمثل في أنه يتعامل مع التوراة من الناحية التي تكون فيها فلسطين هي مسرح أحداثها، باعتبارها كومة من الأباطيل والتلفيقات التي لا سند لها ولا دليل عليها، لكنه في الوقت نفسه يجد أن تلك الكومة من الأباطيل والتلفيقات يصح لها من وجهة نظره –أو بالأحرى وفق قناعته– أن تنطبق كأحداث تاريخية على الجغرافية اليمنية..؟!!– وهو أيضاً حينما يصر على أن فلسطين لم تكن مسرحاً لأحداث التوراة، يصفها بقوله (بلادنا فلسطين) ويصف مملكة اسرائيل التوراتية بـ "اسرائيل المزعومة"، ثم سرعان ما يحيل القارئ الى قناعته بأن اليمن ومحيطها هي المنطقة التي احتضنت تجربة بني اسرائيل، وأن فلشتيم (الفلسطينيين الذين ورد ذكرهم في التوراة) ليسوا هم الفلسطينيين الذين استوطنوا فلسطين وسميت باسمهم، والذين تصفهم كتابات المستشرقين التوراتيين ومعهم أصحاب الفكر الآسن من الباحثين العرب– على حد تعبيره– بأنهم من (شعوب البحر) الذين جاءوا غزاة واستوطنوا فلسطين، بل أن فلشتيم التوراة لابد وأن تكون قرية أو قبيلة ما هنا أو هناك في جغرافية اليمن ربما ذكرها الهمداني أو اليعقوبي أو الحموي أو لم يذكرها أحد اطلاقاً، لكنها موجودة بلا شك في اليمن وفق قناعات الدبش. وحينما يقع

الدبش في مأزق تحديد هوية أولئك الفلسطينيين القدماء الذين سكنوا فلسطين، فإنه يعود مجدداً ويبحث لهم عن أصول يمنية (معينية، فينيقية)[١].

على كل حال، فإن نظرية الدبش عن جغرافية التوراة في اليمن، تختلف على ما يبدو عن نظرية فرج الله صالح ديب وغيره، في تحديد مواقع المناطق التوراتية، نظراً لتكرار الكثير من الأسماء الجغرافية في اليمن من خلال وجود أكثر من مكان يحمل نفس الاسم في أغلب الحالات إن لم يكن جميعها.

نأتي الى نظرية المفكر العربي فاضل الربيعي، ونقول بأنها من الناحية العامة هي نفسها نظرية فرج الله ديب ونظرية أحمد الدبش، بفارق التباينات في تحديد المناطق ومسارات الأحداث التوراتية، وفي النهاية فإن الربيعي يأخذ خريطة اليمن المعاصرة لمرحلة التشطير أو خريطة ما قبل اعادة توحيد اليمن عام ١٩٩٠، والتي يظهر اليمن فيها منقسماً الى شطرين جنوبي وشمالي، فيضع مملكة اسرائيل في الشطر الشمالي من اليمن، ويضع مملكة يهوذا في الشطر الجنوبي، هكذا بكل بساطة، لكنه مع ذلك نسي أن يسمي (بحر العرب) بـ "بحر اليهود" أو ما شابه- **[أنظر خريطة الربيعي في الصورة رقم (١) أدناه].**

بيد أن حرص الربيعي على تقديم نظرية متكاملة، جعله يبذل المزيد من الجهود، فقرر تطبيق نفس الأسلوب المتعلق بالتشابهات اللفظية والذي طبقه على الأسماء التوراتية، على الأسماء التي ترد في النقوش الآشورية، وبذلك أكسب نظريته – حسبما يعتقد- طابعاً علمياً من حيث أنها استعانت بالنقوش الأثرية، فضلاً عن تأثير النزعة المركزية على نظرية الربيعي، والذي يتضح من خلال تقديم تاريخ آخر لليمن ليس على أنها هي جغرافية التوراة فحسب، بل وعلى أنها كانت دائماً تحت مطرقة التأديب العسكري الآشوري[٢]، ضارباً بآلاف النقوش الأثرية اليمنية عرض الحائط، وكأنها لا تعني له شيئاً، ومتجاهلاً كل التشابكات

[١]. أنظر مثلاً: أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ص ٢٣، ٥١، ٦٤.

[٢]. للتحقق من هذه المسألة، راجع: فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي- الحملات الأشورية على الجزيرة العربية واليمن، الطبعة الثانية، جداول للنشر والترجمة، الكويت، ٢٠١٣.

والتداخلات التاريخية والجغرافية والحضارية لدول وحضارات وشعوب المنطقة في التاريخ القديم، والجهود الغزيرة التي بذلت في دراسة آثار وتاريخ المنطقة وكُرّست لأجلها المئات بل والألوف من البحوث العلمية والأكاديمية.

صورة رقم (١): جغرافية التوراة كما تحددها نظرية فاضل الربيعي[١].

خلاصة الأمر في هذا الشأن، أننا نقف أمام نظريات متعددة ومختلفة بل ومتصادمة، بشأن جغرافية التوارة في اليمن والجزيرة العربية، وليس أمام نظرية واحدة، وبالتالي فإذا أخذنا بكل الاحتمالات التي تضعها هذه النظريات بغض النظر عن النظرية الأصلية التي تقدمها التوراة، فإننا سنجد أن هناك أربعة أو خمسة مسارح جغرافية مختلفة، وكل من هؤلاء يرى أن أحداث التوراة قد جرت فيها، ولا نعرف بأي نظرية منها نأخذ..؟!

[١]. الخريطة من: فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد (١)، مرجع سابق، ص ٥٤٨ بترقيم الملف الالكتروني للكتاب.

[2]

المنطلقات العامة للنظرية، مقولاتها وفروضها

بعد أن تعرفنا على مسار نظرية جغرافية التوراة كما قدمها روادها العرب، وعلى مساهمات أولئك الرواد وأعمالهم، وعن أهم الفروق العامة بين طروحاتهم أيضاً، يبقى أن نقترب أكثر من منطلقات هذه النظرية والمقولات (الفروض) الرئيسية المؤسسة لها والمتفق عليها من جميع رواد النظرية، تمهيداً لإخضاعها للاختبار الموضوعي، والتحقق من مدى قدرتها على منح النظرية ما تحتاج إليه من التماسك والقدرة على الصمود في وجه أعمال المراجعة والنقد والتحقيق.

يُعَرِّف الصليبي كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، بأنه:

"بحث في جغرافيا التوراة على أسس جديدة. وخلاصته أن البيئة التاريخية للتوراة لم تكن في فلسطين بل في غرب شبه الجزيرة العربية بمحاذاة البحر الأحمر، وتحديداً في بلاد السراة بين الطائف ومشارف اليمن. وبالتالي، فإن بني اسرائيل من شعوب العرب البائدة، أي من شعوب الجاهلية الأولى. وقد نشأت الديانة اليهودية بين ظهرانيهم، ثم انتشرت من موطنها الأصلي، ومنذ وقت مبكر، الى العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد العالم القديم"[1].

ثم يخبرنا الصليبي عن الغرض من كتابه، بأنه يسعى الى ما وصفه بـ:

توضيح غوامض التاريخ التوراتي عن طريق إعادة النظر في خريطة التوراة. ***وايصال القارئ الى استنتاج بأن يهود اليوم لا حقوق تاريخية لهم في أرض فلسطين.*** *والصحيح أن الحقوق التاريخية للشعوب تزول بزوالها. فيهود اليوم ليسوا استمراراً تاريخياً لبني اسرائيل ليكون لهم شيء يسمى حقوق بني اسرائيل، وذلك سواء*

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١١.

كانت أرض بني اسرائيل في فلسطين أو في غيرها. وهذا قصد علمي بحت، ولا يمت الى واقع العصر الراهن بصلة، إلا بقدر ما في المقولة بطبيعة حالها من دحض للمفهوم الصهيوني المغلوط للتوراة، وهو مفهوم تتبناه فئة كبيرة من اليهود، ويتبعهم في ذلك الكثيرون من جهلة المسيحيين في الغرب"[١].

وعلى أساس ما نهضت إليه جهود الصليبي، يصف لنا الباحث اللبناني زياد منى، الهدف من كتابه "جغرافية التوراة– مصر وبنو اسرائيل في عسير"، قائلاً:

"اسهامي هذا يندرج في إطار التهذيب العلمي لجغرافية التوراة، مرتكزاً في المقام الأول على موضوعة الأستاذ الصليبي، فهذا البحث يعتبر إذكاء للنقاش حول هذا الموضوع وإضافة لأعمال الصليبي. لكني عملت قدر الإمكان على حصر بحثي ضمن إطار الجغرافيا، باحثاً من خلالها على بعض الجوانب المجهولة من تاريخ جزيرة العرب، أو التي غرقت في السيان، وليس أكثر من هذا"[٢].

أما "أحمد داوود"، فنفهم من مقدمة كتابه "العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود"، أن جهده في هذا الكتاب يأتي مكملاً لجهوده السابقة، والتي تكَّشفَت له فيها:

".. حقيقة الأحداث التوراتية بأشخاصها ومواقعها، فهي تتحدث عن عشائر بدوية عربية آرامية، تتحرك بين مراعيها بأغنامها في بقعة ضيقة جداً، من برية شبه الجزيرة العربية، وليس ليهود العالم اليوم أي ما من شأنه أن يمت الى أولئك الآباء العرب بأية صلة.

لقد تكشفت حقيقة التزوير الصهيوني في تفسير أحداث التوراة وجغرافيتها، وسقطت المقولات الاستعمارية الصهيونية الحديثة حول ما يدعى بـ "الشعب العبري"

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٣.

[٢]. زياد منى: جغرافية التوراة– مصر وبنو اسرائيل في عسير، مرجع سابق، ص ١٦.

أو "اللغة العبرية" أو "الدولة العبرية" في تاريخنا العربي القديم، وصار لزاماً علينا أن نبدأ بتصحيح تاريخنا مستخدمين كل امكاناتنا الفكرية والمؤسساتية"[١].

على نفس الطريق، قرر الباحث المصري "أحمد عيد" أن يجعل مقدمة كتابه تحية موجهة لأستاذ علم الآثار (توماس. ل. طومسون)، على ما قدمه هذا الأخير من جهود في كشف حقائق التزوير التوراتي للتاريخ، قائلاً:

"تتضح خطورة المهمة التي تصدى لها طومسون[٢] في إنكارها صحة المبررات الأساسية لإيجاد دولة اسرائيل القائمة على الادعاء بعودة اليهود الى الأرض الموعودة التي نزحوا منها قبل أكثر من ألفين سنة.

لقد كشفت دراسات طومسون على أن جميع قصص التوراة تقريباً من صنع الخيال وأنها كتبت في القرن الخامس قبل الميلاد، بعد مرور (١٥٠٠) سنة من وقوع الأحداث التي ترويها، ولم يتم العثور على أي أثر لقيام مملكة اسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد أو على وجود مستوطنات سكنية في القدس والضفة الغربية التي يصر الإسرائيليون على تسميتها يهوذا والسامرة[٣].

تأثراً بهذا الاتجاه، عمد الباحث اليمني "فضل الجثام" الى تقديم مساهمته هو أيضاً بوصفها:

"معالجة لجغرافية التوراة وتاريخيتها ودراسة ميثولوجيتها بالمقارنة مع معطيات الكشوف الآثارية لا في البلاد الواقعة ما بين النيل والفرات فحسب، بل وما تقدمه الكشوف الآثارية في شبه جزيرة العرب وبالذات في إقليمها الكبير المعروف بـ (اليمن)، واضعين نصب أعيننا ما عني به أساطين هذا الحقل: كمال الصليبي، زياد

---

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ١٤.

[٢]. سيكون لنا وقفة خاصة على جهود طومسون، نظراً لاحتفاء رواد نظرية جغرافية التوراة في اليمن والجزيرة العربية به، واشادتهم المتكررة بجهوده ومواقفه العلمية.

[٣]. أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، مرجع سابق، ص ١١- ١٢.

منى، فرج الله صالح ديب، سيد محمود القمني" وغيرهم ممن عنوا بدراسة جغرافية التوراة– تاريخها، ميثولوجيتها ولغتها.. الخ"[1].

أما الباحث الفلسطيني أحمد الدبش، فيصف كتابه "موسى وفرعون في جزيرة العرب"، قائلاً:

" .. هذا الكتاب ردٌ على أباطيل كثيرة [يقصد الأباطيل الصهيونية طبعاً] تبناها، للأسف الشديد، كثير من الأكاديميين والباحثين العرب، الذين دافعوا بعناد عن جغرافية التوراة، واعتبروا أن مصر وداي النيل هي مسرح خروج موسى وقومه.. [في حين] ظلت الآثار المصرية على صمتها تجاه هذا الأمر.

وأتساءل هنا، لماذا لا نوجه الأنظار الى شبه الجزيرة العربية؟ لاسيما وقد تعذر حتى الآن إيجاد الدليل المادي في وادي النيل، وفلسطين والعراق، على الأحداث التوراتية؟ قد يفهم البعض أن هذا القول معناه اعطاء الشرعية لليهود للسيطرة على شبه الجزيرة العربية، ولكن هذا فهم خاطئ للتاريخ، واقحام للسياسة في الموضوع"[2].

وفي كتابه "اختطاف أورشليم" يوضح الدبش الأسباب التي أدت الى انتشار وشيوع الادعاءات الصهيونية بشأن فلسطين، قائلاً:

"أعتقد بأن أحد الأسباب الرئيسية هو أن الادعاء الصهيوني، يجري تدعيمه من خلال أساطير الكتاب المقدس، وكتابات بعض مؤرخينا من أصحاب وحراس الفكر الآسن العربي""[3].

---

[1]. فضل الجثام اليافعي: الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى– سبر في التاريخ القديم، مرجع سابق، ص ٩.

[2]. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٧.

[3]. أحمد الدبش: اختطاف أورشليم، مرجع سابق، ص ٩.

نفس التأطير نجده لدى "فاضل الربيعي" بقوله:

"لقد سعى المخيال الاستشراقي الأوروبي في قراءته للتوراة، نحو بناء سردية جديدة خيالية توضع في خدمتها مكتشفات علم الآثار، وتتوافق مع عصر الفتوحات الاستعمارية، وهي سردية وجد فيها الغرب امكانية مدهشة للعثور على حاضنة أولى وقديمة للحضارة الأوروبية مدفونة في رمال الشرق، فعثر في الرواية عن بني اسرائيل طفولته البعيدة تلك في الشرق الغامض والملتبس، يوم كان لداود مملكة مترامية الأطراف. ولسوف يمهد هذا الانتساب المفاجئ الطريق أمام أوروبا لكي تعيد إدراج التراث اليهودي- المسيحي والحضارة الغربية في سياق استمرارية تاريخية كانت مفتقدة، فلم تعد أوروبا وريثة لأثينا وحسب، بل هي استطراد لمملكة اسرائيل. وها هو تاريخ بني اسرائيل الملفق يكتشف على نحو قابل لأن يرى الغرب فيه تاريخاً خاصاً به، ضائعاً وتائهاً في شرق منسي، وقد أمكن استرداده بفضل إعادة الرواية [التوراتية] وترويجها. على أوسع نطاق وبالتلازم مع الاستيلاء على الأرض"[١].

بشكل مبسط يمكن تحديد المقولات أو الفروض العامة المشتركة بين جميع رواد هذه النظرية، على نحو ما هو آتي:

- *تم تحريف وتزوير التاريخ التوراتي لتدعيم الادعاءات والمبررات الصهيونية بشأن الموطن الأصلي لليهود، وأرض الميعاد.. بهدف تبرير احتلال فلسطين.*
- *أثبتت البحوث والتنقيبات الأثرية على مدى أكثر من قرن من الزمان تم فيها تمشيط المنطقة الواقعة بين نهر النيل والفرات في سبيل إيجاد أدلة أثرية مادية تؤيد الرواية التوراتية والادعاءات الصهيونية، أن: "لا شيء على الأرض".*

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٢٧.

- *هناك تطابق كبير ومدهش بين أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية التي ترد في التوراة وبين أسماء المناطق والمواقع الجغرافية في جزيرة العرب: (عسير، غامد والسراة، اليمن).*

السؤال الذي يلح عليّ في هذه اللحظة، هو الى أي مدى يمكن اختبار هذه المقولات بصيغتها العامة هذه، والى أي مدى يمكن لهذه الفروض والمقولات أن تصمد أمام الاختبار النقدي؟!- فنحن بحاجة فعلاً الى اختبار وقياس مدى تماسك هذه النظرية، بناءً على مقولاتها وفروضها الرئيسية.

بيد أني سأركز في المرحلة الحالية على التحقيق في مدى صدق وثبات منطلقات النظرية التي يرددها على الدوام روادها، وبالتحديد بشأن ما إذا كانت هذه النظرية تمثل اتجاهاً تحررياً وثورياً مناهضاً لهيمنة التيار الاستشراقي- اليهودي على التاريخ والمعرفة التاريخية، أم أنها جزءٌ من ذلك التيار؟!

[3]

الجذور الاستشراقية- اليهودي للنظرية

الأكيد حسب ما صرّح به رواد هذه النظرية، هو أن جهودهم تصب في اتجاه تصحيح التاريخ العربي وتنظيفه من الشوائب التي دسها فيه علماء التاريخ والآثار التوراتيين، وتحريره من زيف التاريخ الاستشراقي الغربي الذي يخدم اليهود والغرب. فالمنطلق الرئيسي الذي أكد عليه جميع رواد نظرية جغرافية التوراة في اليمن والجزيرة العربية، هو أنه جرى تحريف وتزوير التاريخ بناء على القصة التوراتية، والتي استخدمت لتدعيم الادعاءات الصهيونية بشأن الموطن الأصلي لليهود، وأرض الميعاد.. الأمر الذي انتهى دائماً الى تبرير احتلال فلسطين.

تستوقفني هنا عبارة للأستاذ أحمد الدبش، حينما قال: "*قد يفهم البعض أن هذا القول معناه اعطاء الشرعية لليهود للسيطرة على شبه الجزيرة العربية، ولكن هذا فهم خاطئ للتاريخ، واقحام للسياسة في الموضوع*"[1]. فبعد كل تلك التصريحات التي صرح بها جميع رواد النظرية- بما فيهم الدبش نفسه- والتي تثبت أن محرك النظرية ودافعها الأول هو السياسة وليس التاريخ، نراه يتحدث عما وصفه بأنه "اقحام للسياسة في التاريخ"..؟!!- ونحن نتساءل ترى ما الذي يدفع دارساً متخصصاً في القانون الى ترك القانون والتفرغ للكتابة والتأليف في التاريخ ما لم يكن ذلك دفاعاً عن أرضه المحتلة من قبل الصهاينة ويهود العصر، الذين لا صلة لهم بأبناء عمومتنا من اليهود القدماء كما صرح بذلك الصليبي ومنى وديب وداوود والربيعي؟!

لكي يكون الأمر واضحاً منذ البداية، ينبغي أن نلقي أولاً نظرة سريعة على ما الذي يمكن أن يعنيه بالضبط تعبير (الادعاءات الصهيونية)، وليكن ذلك من خلال ما كتبه أحد الباحثين الفلسطينيين:

---

[١]. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٧.

"لقد دأب قادة الكيان الصهيوني السياسيون والدينيون على القول بأن أرض فلسطين هي أرض إسرائيل التاريخية، أرض آبائهم وأجدادهم، وأن هذه الأرض أرض بلا شعب لشعب بلا أرض وهي ليست لشعب من الشعوب سواهم، فهم أصحابها الشرعيون، وما عداهم غرباء لا حق لهم فيها. ويستند هذا الادعاء على مجموعة من الروايات التوراتية، بدءً بما جاء في سفر التكوين (١٥: ١٨): "في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا. لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات". وأيضاً: "ظهر الرب - أي لإبراهيم- وقال له: إنّ نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم". وبناءً على مثل هذه النصوص التوراتية قام قادة الصهيونية يجمعون يهود العالم في هذه الأرض بناءً على تلك الأساطير، وأخذوا يزيفون التاريخ ويزعمون أنّ لهم حقاً تاريخياً في أرض فلسطين[١].

ندرك من خلال هذه الصيغة، أن أي ادعاء يمكن للصهيونية أن تتبناه، لابد وأن يكون له أساساً في التوراة، **وعليه فإن المواجهة التي يُفترض أننا نخوض غمارها هي مواجهة مع التوراة نفسها**، ذلك أن أي تزوير يمكن أن يقوم به المستشرقون لخدمة المشروع الصهيوني لابد وأن يتجه صوب تدعيم النص التوراتي وليس الى نقضه. فالتوراة وما جاء فيها هو الأساس الوحيد الذي يعتمد عليه هؤلاء الصهاينة في تبرير احتلالهم للأرض العربية، **علماً بأن احتلالهم للأرض جرى بمنطق القوة السياسية والعسكرية التي كانت تملكها أوروبا في مقابل الضعف والتخلف والانقسام العربي في مواجهة هذا المشروع، وهذا ما أدى الى أن يصبح مشروع احتلال فلسطين واقعاً فعلياً منذ عام ١٩٤٨.**

ثم، هل يحتاج المُحتَّل لأرض الغير بالقوة لمسوغات ومبررات تاريخية وأثرية لتبرير احتلاله؟!

[١]. أنظر: عدنان عياش: دحض ادعاءات اليهود بأحقيتهم في أرض فلسطين، المؤتمر الدولي الثالث عشر لمركز جيل البحث العلمي "فلسطين قضية وحق"، طرابلس- لبنان ٢- ٣ ديسمبر ٢٠١٦.

ومع ذلك، فإني أعترف بأن هناك تزويراً وتحريفاً قامت وتقوم به المدارس التاريخية والأثرية الغربية بالفعل منذ أكثر من قرن من الزمان لصالح الرواية التوراتية[١]، وفي المقابل نجد أن جميع رواد نظرية جغرافية التوراة في اليمن والجزيرة العربية، لم يبّينوا لنا على نحو دقيق وواضح كيف جرى هذا التزوير على أسماء المناطق الجغرافية، باستثناء المحاولة التي ضمّنها الباحث الفلسطيني أحمد الدبش مقدمة كتابه "كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب"[٢]. والتي أعاد سردها كما هي مرة أخرى، كتوطئة لكتابه الآخر الموسوم بـ "اختطاف أورشليم"[٣]. علماً بأني سأتعرض لمحاولة الدبش هذه بعد عدة صفحات من هنا.

أقول، لو أن رواد هذه النظرية بيّنوا لنا كيف جرى هذا التزوير ومتى، والى أي مدى أفضى اكتشافهم لحقيقة هذا التزوير الى قولهم بأن أحداث التوراة لم تجري في فلسطين وحواليها، وبالتالي الى افتراض أنها ربما جرت في مسرح جغرافي آخر، هم بأنفسهم من قاموا بالبحث عنه حتى وجدوه من خلال رصد وتتبع التشابهات اللفظية لأسماء المناطق التي ترد في التوراة. لو أنهم فعلوا ذلك لكان أجزى في إكساب النظرية طابعاً منهجياً آخر. لكنهم لم يكونوا ليقوموا بذلك أصلاً لسبب وجيه، وهو أن نظريتهم كما بيّن الصليبي وأيضاً الربيعي ولدت بالصدفة المزعومة على هامش اهتمامات أخرى لا علاقة لها بالموضوع، بمعنى أنها لم تولد في سياق جهود سابقة عنت بدراسة تاريخ التوراة ناهيك عن جغرافيتها، ومن ثم فإن حقيقة تزوير التاريخ من قبل المستشرقين والمؤرخين التوراتيين بناءً على الرواية التاريخية للتوراة، لم تكن طرفاً أصيلاً في الموضوع، وإنما تم توظيفها لاحقاً لتدعيم النظرية أو بالأصح لتسويغها، لاسيما وأن ملاحظة التشابهات اللفظية للأسماء والتي أقاموا عليها نظريتهم لا تعدو أن تكون في معرض البحث العلمي الجاد أكثر من مجرد قرينة لا ترقى الى مستوى الدليل الأثري المادي إطلاقاً.

---

[١]. سنناقش هذه المسألة في الفصول القادمة من هذه الدراسة، ونبين طبيعة التزوير الذي تمارسه المدارس الاستشراقية- اليهودية على التاريخ.

[٢]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٧- ٢١.

[٣]. أحمد الدبش: مرجع سابق، ص ١٣- ٢٧.

لكن، إذا ما أخذنا بحقيقة التزوير الاستشراقي- الصهيوني، كأساس نقيم عليه افتراضاً بأن عملية التزوير هذه قد امتدت لتشمل تزوير جغرافيا التوراة، من خلال عملية واسعة أو ضيقة أو ما شابه قام فيها المستشرقون والصهاينة بتغيير أسماء المناطق والقرى والمدن والجبال والتلال والقفار الفلسطينية لتصبح مطابقة لما يرد في التوراة، فإننا سنجد هذا الافتراض ممتنعاً عن النهوض لأسباب عديدة، أولها أننا سنتساءل بشأن هذا التزوير علاما وقع بالضبط، على الأرض أم على النص التوراتي؟!

الأسهل والمعقول هو القول أن التزوير قد جرى على النص التوراتي، بمعنى أنه تم اقحام أسماء المناطق الفلسطينية في النص التوراتي، بينما كانت ترد في النص الأصلي للتوراة أسماء مناطق أخرى تقع في مكان ما غير فلسطين على وجه هذا الكوكب، ولكن هذا الاحتمال لا ينهض لأن التوراة مكتوبة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، أو على الأقل معروفة بصيغتها الحالية – أو صيغها المتعددة الحالية- منذ أكثر من ألف سنة على أقل تقدير، وهي تنطق بأسماء تلك المناطق نفسها.

هناك افتراض ثالث، وهو أن يكون التزوير قد جرى على النص والأرض معاً، ولكن هذا الافتراض أيضاً والاحتمالات التي يمكن يحملها معه، بأنه قد جرى بطريقة ما اسقاط أحداث التاريخ التوراتي على جغرافية فلسطين زوراً، أو تغيير أسماء المناطق الفلسطينية على الأرض وفي الخريطة وفي عقول الناس لتتفق مع ما تم تزويره في التوراة، جميعها لا تنهض ولا تقوم اطلاقاً لعدم معقوليتها أولاً، ولعدم وجود ما يدل عليها أو يثبتها ثانياً.

منطق الحكمة والعقل يقول، إذا كنا نتحدث عن تزوير مسّ أسماء المناطق التي ترد في جغرافية التوراة أو جغرافية فلسطين الواقعية، فلابد أن نعرف متى حدث هذا التزوير وكيف حدث، ومن الذي قام به وكيف قام به، وكيف جرى تثبيته وكيف يمكننا اثبات وقوعه، واثبات آثاره واستعادة الحقيقة بناءً على ذلك كله[١].

---

[١]. وجهت هذا السؤال بشكل شخصي مباشر لبعض رواد النظرية: متى حدث تزوير أسماء المناطق الجغرافية في فلسطين أو في التوراة، هل بعد احتلال اليهود لفلسطين أم قبل ذلك؟- فكان جواب أحدهم أن

لقد جرى استخدام وتوظيف فكرة التزوير الاستشراقي لجغرافية التوراة والادعاءات الصهيونية في سياق الواقع الذي تخضع فيه اليوم فلسطين العربية للاحتلال الصهيوني، لتسويغ النظرية التي تبناها هؤلاء الرواد، وهي النظرية التي ولدت أساساً نتيجة للصدفة– على حد تعبير الصليبي والربيعي– التي أدت الى ملاحظة وجود تشابهات لفظية– ولا أقول لغوية– بين أسماء مناطق التوراة وأسماء المناطق التي تقع في نطاقات جغرافية قائمة بالفعل.

وبدلاً من أن تقود تلك الصدفة المزعومة الى خلق اتجاه منهجي للبحث عن تفسيرات علمية وموضوعية لدلالة هذه التشابهات، والبحث عما يمكن أن تساعدنا به في سبيل معرفة أكثر بتاريخ وتراث المنطقة العربية، جرى تأسيس نظرية تنقل أحداث التوراة المروية منذ ألفين سنة على الأقل من جغرافيتها المنصوص عليها الى جغرافية أخرى يدعيها رواد هذه النظرية، بل والبعض منهم يجزمون بها جزماً مطلقاً ولا يتركون أي مجال لإمكانية أن يكونوا مخطئين بشكل أو بآخر[١]، وعند أي اعتراض من أي نوع يُعرض عليهم، يكون جوابهم بأنه اعتراض يهدف الى تسييس الموضوع أو اقحام للسياسة في التاريخ، أو بأنه دفاع عن المشروع الاستشراقي– الصهيوني.

لم يكن هناك خيار أمام رواد نظرية جغرافية التوراة في اليمن وجزيرة العرب، سوى الالتصاق بفكرة التزوير الذي يقوم به المستشرقين ومؤرخي التوراة الغرب واليهود، لتسويغ نظريتهم وجعلها في موضع القبول، ولكي تكون كذلك فلابد أن تكون هذه النظرية من وجهة

عملية التزوير هذه بدأت منذ الفين سنة..!!!– لم أنبس ببنت شفة، أخذت جوابه ومضيت في حال سبيلي، محاولاً إعادة حاجباي الى مكانهما الصحيح بعد أن رفعتهما الدهشة ثلاثة أمتار فوق مستوى سطح رأسي. (الباحث)

[١]. الثابت هو أن علم التاريخ يظل معرض أقوال وآراء ونظريات وليس معرض حقائق مهما توفرت الأدلة المادية، إذ أن علماء التاريخ وعلماء الآثار يتعاملون مع نصوص ومواد أثرية صنعتها وكتبتها أيادي بشرية تحت املاءات وظروف خاصة بحيث لا يمكن تبرأة مضموناتها من الانحياز للذات والتطرف لها، كما أن المؤرخ والباحث الأثري نفسه يطلق آرائه وقناعاته دون الجزم بها احتراماً لحقيقة تعدد الآراء وتنوعها في المسألة الواحدة، ولإفساح المجال للآخرين ليدلوا بدلوهم، ولكون الدراسات التاريخية عموماً واقعة دائماً تحت تأثير تنازعات وتناقضات الذاتية والموضوعية التي يقع فيها المؤرخ. (الباحث).

نظرهم بمثابة توجه حقيقي لكشف الزيف وتحرير عقولنا وتاريخنا من الادعاءات الصهيونية القائمة على الرواية التوراتية، وهذا ما قالوه بالفعل، كما سبق وأن عرضت ذلك آنفاً عند الحديث عن منطلقات النظرية.

أصل الى جوهر الموضوع، وأتساءل الى أي مدى يمكن اعتبار هذه النظرية نتاجاً حراً ومستقلاً عن أي جهد استشراقي- غربي- يهودي- توراتي؟

لابد أن نبحث عن الجذور التاريخية والمعرفية لهذه النظرية، إذ لا يعقل أن تكون الصدفة هي السبب فيما نحن مشغولون به الآن على هذا النحو، فلا شيء يحدث بالصدفة ولا شيء يمكن اعتبار أن حدوثه قد جرى عبثاً.

أحد رواد نظريتنا هذه وفّر علي القيام ببحث جانبي في هذا الشأن، وقدم لنا الحقيقة على طبق من فضة، إذ ينبغي لهذه المعلومة بالذات أن تحظى بمصداقيتها لدى قُرَّائي على أساس: "**وشهد شاهد من أهلها**".

قام بذلك، الباحث الفلسطيني أحمد الدبش، وبيّن الجذور الاستشراقية- اليهودية لنظرية جغرافية التوراة في اليمن والجزيرة العربية، قائلاً:

"ومن الجدير بالانتباه أن أطروحات الباحثين التي تعد عسير، أو اليمن، أو الجزيرة العربية عموماً، هي مكان قصة موسى مع إلهه يهوه، وموضع خروج اليهود من مصر العربية، ليست بجديدة، فقد سبق إليها العديد من الباحثين المستشرقين الثقات. ففي عام ١٩٠٧، بدأت أكاديمية فيينا، بإصدار مؤلف المستشرق النمساوي (Alois Musil) بعنوان "Arabia Petraea" في أربعة أجزاء، وقد كتبه أثناء زيارتهِ لمواقعِ التاريخ التوراتي، أملاً في أن يفهمَ التوراة من خلالِ الطبيعةِ التي وُلِدَت فيها، وأدرك (Alois Musil) في حينهِ، وقبل غيرهِ، أن سيناء التوراتية ليست هي سيناء الحالية، وأن الآراء الشائعة حول موسى، وحول الديانة اليهودية ليست صحيحة"[1].

---

[١]. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٢.

يتابع أحمد الدبش، توضيح الجذور الاستشراقية– اليهودية لهذه النظرية، ما أنقله على طوله من كتابه نقلاً حرفياً، قائلاً:

"وعلى هذا المنوال، ذهب المستشرق "مرجليوث" الى أن الوطن الأصلي لبني اسرائيل لم يكن في شبه جزيرة سيناء، بل كان ببلاد اليمن التي خرجت منها أمم كثيرة منذ أقدم الأزمنة التاريخية، ويستدل على رأيه هذا ببضعة أدلة منها أن عادات بني اسرائيل وأخلاقهم الاجتماعية في عصورهم الأولى، كانت قريبة من أخلاق العرب في الجاهلية، فهناك شبهاً عظيماً بين بعض العادات الاجتماعية والأخلاق الدينية عند أهل سبأ وبني اسرائيل. ومنها أيضاً وجود ألفاظ مشتركة بين اللغتين السبئية والعبرية، وزيادة على المادة اللغوية العبرية التي تشبه العربية شبهاً، نجد كثيراً من أسماء الأعلام العبرية القديمة شائعة الاستعمال عند العرب في الجاهلية. وكانت بطون كلب اليهودية، من أعظم البطون اليهودية التي تسكن في جنوب فلسطين، وكذلك نجد بين القبائل العربية من يلقب بهذا اللقب، مثل القبائل الكلبية العربية في شمال جزيرة العرب، والتي نسبت الى العصبية اليمنية. ثم انظر الى أسماء الأعلام الأخرى التي تدل على قوة الشبه بين اللغتين، وعظم التقارب في الميول والعقلية بين الشعبين، فمن هذه الأعلام ما يأتي: حفني، علي، عبد الله، حموال، الغادي، السعد، عفراء، ويوجد كثير من هذه الأعلام في النقوش السبئية والثمودية.

وقد ألَّفَ المستشرقُ الألماني "هوغو ونكلر" (Hugo Winckler) رسالتهُ المثيرةِ للجدلِ التي أسماها "مصري وملوخا ومعين"، وبين فيها أن (مصري) هي أرض عربية شمالية، وأن مصر المذكورة في التوراة هي في بلاد العرب، لا في أفريقية. وأن عبارة "هاكرهم مصريت" (Hagar Ham- Misrith) بمعنى "هاجر المصرية"، لا يعني "هاجر" من مصر المعروفة، بل من مصر العربية، أي من هذه المقاطعة التي نتحدث عنها "معن مصرن" وأن القصص الواردة في التوراة عن "مصر" وعن "فرعون"، هو قصص يخص هذه المقاطعة العربية، وملكها العربي.

ويذكر القصاص العالمي "هـ. ج. ويلز" تعليقاً على قصة خروج موسى وقومه من مصر، أنه: "... في الإمكان ألا تكون مصر هي أرض الأسر – واسمها في العبرانية مصرايم، وإنما مسريم في شمال بلاد العرب، على الجانب المقابل من البحر الأحمر"[١].

إذن، فنظرية جغرافية التوراة في اليمن وجزيرة العرب–بإقرار أحد روادها العرب– لها جذورها العريقة في التراث الاستشراقي ومن المستشرقين اليهود أنفسهم، وليس أنها نظرية ثورية خارجة عن نطاق ما قدّمه الاستشراق، وهذا بحد ذاته ما يتناقض مع المنطلق والهدف الرئيسي من هذه النظرية، من حيث قال لنا روادها جميعاً بأنها تتجه الى تحرير التاريخ العربي من سيطرة الفكر الاستشراقي.

ما يدلنا على هذا التناقض هو أن "الدبش" عندما نوه الى أن هذه النظرية ليست جديدة، وأن هناك من المستشرقين من تبناها من قبل، وصف هؤلاء المستشرقون بـ "الثقات"..!!– وهو توصيف يُحذرنا من الخلط بين نوعين من المستشرقين: ثقات وغير ثقات.

لنتوقف عند هذه الرؤية التصنيفية للمستشرقين، والتي تدفعنا بجد الى التعرف على حقيقة المستشرقين الذين استشهد "الدبش" بأقوالهم ووصفهم بأنهم ثقات، لعلنا نكتشف معياره في التمييز بين الثقات وغير الثقات من المستشرقين، مع أني أؤكد مسبقاً على أنه لا يوجد مستشرق على الإطلاق يمكن اعتباره ثقة تحت أي معيار، طالما والجميع يخضعون لمعايير النقد العلمية على حد سواء.

الاستشهاد الأول كان برأي منسوب للمستشرق التشيكي– النمساوي "الويس موسيل" (Alois Musil) (١٨٦٨– ١٩٤٤)[٢].

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٢– ١٣.

[٢]. جاء استشهاد أحمد الدبش بهذا المستشرق نقلاً من كتاب توفيق سليمان "نقد النظرية السامية– أسطورة النظرية السامية"، وهذا الكتاب لم يتوفر لدي للتحقق من سياق الاقتباس.

يعطينا أحد الباحثين العرب ترجمة كافية لهذا المستشرق:

"ألويس موسيل، أحد مستشرقي الإمبراطورية النمساوية المجرية، أستاذ جامعي وأحد مشاهير الرحالة الأوربيين الذين قاموا بزيارة الجزيرة العربية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وهو من اكتشف في عام ١٨٩٨ قصور بني أمية الصحراوية، تلقى تعليمه وتخصص في اللاهوت، وكان على اطلاع كبير باللغة العبرية. كانت أهداف وجهود "موسيل" تصب في سد النقص الكبير في المعلومات المتعلقة بـ "العهد القديم- التوراة"، وهذا بدوره ما دفعه للقيام برحلات في مناطق "جغرافية التوراة": فلسطين وبلاد الشام وشمال جزيرة العرب. وقد تزامنت اهتمامات "موسيل" بالمنطقة العربية مع بروز تطلعات الدول الأوروبية الاستعمارية في المنطقة العربية، فكان جزءً كبيراً من أعماله مكرساً لخدمة مصالح الامبراطورية النمساوية وأهدافها الاستعمارية في المنطقة، وبفضل جهوده تم رسم واحدة من أهم الخرائط التفصيلية لجغرافية التوراة، في الوقت الذي كانت بريطانيا تحرص بشدة على متابعة نتائج دراسات ورحلات "موسيل"، والذي بدوره كان يرسل التقارير الى وزارة الخارجية البريطانية التي كان عليها آنذاك "إدوارد جري". كانت جهود "موسيل" ترصد الجغرافيا والآثار والسكان والقبائل والعادات والتقاليد والأزياء والأصول والأنساب، وكل شيء يتعلق بالمنطقة التي جرت فيها رحلاته – أي منطقة جغرافية التوراة"[١].

وبحسب الترجمة التي اعتمدت عليها في التعريف بـ "ألويس موسيل"، فقد سجَّل هذا المستشرق مواقفاً جريئة ضد السياسات الأوروبية في المنطقة بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن هذا لا يلغي حقيقة أن جهوده كلها كانت مكرسة لخدمة التيار التوراتي بتوجهاته الرئيسية الثلاثة: اللاهوتي، التاريخي- الجغرافي، الامبريالي.

[١]. سعيد السعيد: ألويس موسيل، حياة بين العلم والسياسة، ورقة عمل مقدمة للندوة العلمية عن الرحالة التشيكي "ألويس موسيل"، جامعة تشارلز، براغ، يونيو ٢٠٠٨.

الاستشهاد الثاني الذي قدمه لنا أحمد الدبش، كان بما ذهب إليه المستشرق "مرجليوث""[١]، باعتباره من المستشرقين الثقات على حد وصفه.

بيد أن الثابت هنا، هو أصول "مرجليوث" اليهودية، بفارق أن أسرته تحولت الى المسيحية الأنغليكانية، وهو نفسه عمل قساً في كنيستها. وكمستشرق، اشتهر "مرجليوث" بمنهجه التشكيكي الذي طبقه في معظم دراساته وأبحاثه التي خصصها في التاريخ العربي. فعلى سبيل المثال، فهو من أوائل من أثار مسألة الشك في الشعر الجاهلي في العصر الحديث، من خلال البحث الذي نشره في مجلة (الجامعة الآسيوية الملكية) الإنجليزية بعنوان: (The Original Arabic Poetry)، والمترجم في كتاب "أصول الشعر الجاهلي"، وفيه يعتقد أن ما وصل إليه في بحثه "كاف لوضع كل ما يُقال إنه شعر جاهلي وبما فيه أيضا كل الشعر السابق على العهد الأموي موضع الشك"[٢].

الجدير بالذكر، أن الأستاذ الدبش قد اقتبس رأي "مرجليوث" من كتاب "**تاريخ اللغات السامية**" **للمستشرق اليهودي الشهير** "**اسرائيل ولفنسون**"، الذي تعّرض في كتابه لرأي مرجليوث بشأن أن بني اسرائيل نزحوا من اليمن، واعتبره مما لا يستند الى أي دليل، إذ يقول "ولفنسون":

---

[١]. ديفيد صموئيل مرجليوث (1858 – 1940) (David Samuel Margoliouth)، مستشرق انجليزي، بدت عنايته بالدراسات العربية والسامية بعد أن عُيِّن أستاذاً في جامعة أكسفورد سنة ١٨٨٩، كتب بحثا عن أوراق البردي العربية في مكتبة بودلي بأوكسفورد ١٨٩٣، وترجم قِسما كبيرا من تفسير البيضاوي إلى الإنجليزية سنة ١٨٩٤م كما نشر رسائل أبي العلاء المعري سنة ١٨٩٨. وفي سنة ١٩٠٥ بدأ بنشر دراساته عن الإسلام، وذلك بكتاب (محمد ونشأة الإسلام) ثم كتاب (الإسلام) سنة ١٩١١، ثم نشر محاضرات كان قد ألقاها عن تطوُّر الإسلام في بدايته سنة ١٩١٤، والعلاقات بين العرب واليهود سنة ١٩٢٤، كما نشر مجموعة من الكتب التراثية المتنوعة، وقد اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضوا مراسلا عند نشأته في سنة ١٩٢٠. ومعظم كتاباته اتسمت بالتعصب والتحيز والبعد الشديد عن الموضوعية. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، الطبعة الثالثة "منقحة ومزيدة"، دار العلم للملايين، بيروت– لبنان، ١٩٩٣. ص ٥٧٦.

[٢]. ديفيد صمويل مرجليوث: أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة: إبراهيم عوض، دار الفردوس، أسيوط– مصر، ٢٠٠٦. ص ١٠٧.

"وليس في الأدلة التي ذكرها مرجليوث لتأييد رأيه دليل تاريخي واحد يمكن أن يعول عليه، بل هي أدلة تخيلية تصيدها تصيداً، وهي مع ذك لا تجديه نفعاً لأنها لا تنطبق على بني اسرائيل والسبئيين وحدهم، بل تشمل جميع الأمم السامية.. فهناك تشابه بين لغة بني اسرائيل وعاداتهم وأخلاقهم وبين لغة بابل وعاداتها وأخلاقها، فهل نقول بأن بني اسرائيل من أصل بابلي؟!- هذا ينقض نظرية مرجليوث بالنظرية نفسها. وبالتالي فإن ترجيح أن بني اسرائيل نزحوا من اليمن أمر لا يمكن الاطمئنان إليه، لأن الشعوب العبرية لم توجد في كل العصور التاريخية إلا في شمال الجزيرة العربية على أطراف فلسطين"[١].

يبدو واضحاً أن معارضة "ولفنسون" لرأي "مرجليوث"، هو المعيار الذي اعتمده أحمد الدبش في اعتبار هذا الأخير من المستشرقين الثقات.

أما الاستشهاد الثالث، فكان- نقلاً عن "جواد علي"- بـ المستشرقُ الألماني "هوغو ونكلر"، ويكفي أن هذا المستشرق ينتمي الى حركة الاستشراق الألمانية، التي وصفها أحمد الدبش نفسه، بقوله:

"لقد لعب الاستشراق الألماني دوراً مهماً وبارزاً في التركيز على فلسطين، واكتشاف آثارها ومقارنة تلك الآثار بما ورد في التوراة، ومن أشهر المستشرقين الألمان في هذا المجال المدعو "كارستن نيبور" و"أولريش زيتسن" و"لودفيغ موركهارت". ولعلها من أخطر حركات الاستشراق الغربية عموماً لأن الجامعات الألمانية لا تدرس إلا علم الآثار التوراتي، الذي يتطلب دراسة اللغة العبرية لمدة عشر سنوات"[٢].

---

[١]. اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٩.

[٢]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٣- ١٤.

الاستشهاد الرابع، اقتبسه الدبش من كتاب "**معالم تاريخ الانسانية" لـ "هـ. ج. ويلز**"، ويكفي أن نقرأ في نفس الصفحة التي وقع منها اقتباس الدبش، ما يلي:

"ومهما تكن التفاصيل الدقيقة لغزو العبرانيين أرض كنعان، فمما لا ريب فيه أن ذلك القطر – يقصد فلسطين– الذي فتحوه تغير تغيراً عظيماً منذ أيام أسطورة "الميعاد" الذي وعد به ابراهيم قبل ذلك بقرون"[١].

رأي "ويلز" هذا يشير بوضوح الى أنه ينتمي الى تيار المؤرخين التوراتيين الذين تبنوا نظرية "الغزو" كأساس لوصول بني اسرائيل الى فلسطين، وهي رواية العهد القديم (التوراة) بالطبع، وقد تزّعم هذا التيار – كما أوضح الدبش– المستشرق اليهودي "وليم اولبرايت""[٢]. والمعروف عن هذا الأخير أنه من أكثر المستشرقين تعصباً للتوراة، فضلاً عن كونه مؤسس الفرع الاسرائيلي لقسم دراسات التاريخ التوراتي في المنطقة.

وهكذا، فإن المستشرقين الذين استشهد بهم الدبش، يظلون على كل حال من رموز الاستشراق التوراتي، ومعظم أعمالهم تقوم على اثبات الرواية التوراتية، ويؤمنون بأن مملكة اسرائيل قامت في فلسطين، ومن ثم فتوصيف الدبش لهم بأنهم من "المستشرقين الثقات" لا أساس له ولا معيار، سوى أنه وجد في اقتصاص آرائهم من سياقاتها ما يدعم به نظريته، ودفاعه عنهم ليس إلا دفاعاً عن نظريتهم التي يتبناها هو والصليبي وداوود ومنى وديب وعيد وغيرهم.

وهكذا، فإن نظرية جغرافية التوراة في اليمن والجزيرة العربية في الأصل والأساس، ولدت ونشأت في حضن الاستشراق التوراتي– اليهودي، وهذا بحد ذاته يجعلنا نعيد النظر في امكانية تصديق ما رواه لنا كل من الصليبي والربيعي بشأن الصدفة التي كانت السبب

[١]. هـ. ج. ويلز : معالم تاريخ الانسانية، المجلد الثاني– في تاريخ الإغريق والرومان ومن عاصروهما، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٣. ص ١٣.
[٢]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٣.

الرئيسي في اكتشاف وملاحظة التشابهات اللفظية بين أسماء المناطق التوراتية ومناطق اليمن والجزيرة العربية التي حددوها لنا.

لو حاولنا تصديق وقوع الأمر بالصدفة، سنجد أمامنا عقبة تحول دون ذلك، أقصد بذلك أن حفظ أسماء المناطق الجغرافية الواردة في التوراة عن ظهر قلب كما صرح بذلك الصليبي والربيعي لن يكون هو الآخر نتاجاً للصدفة، لأن هذه النظرية بحد ذاتها كانت قد ولدت ونمت وتغذت وشبت في عقول وأعمال وجهود المستشرقين التوراتيين– كما تبين آنفاً.

بيد أن الأمر كما تكَّشف لي لم يقتصر على مجرد ولادة هذه النظرية كفكرة في حضن مدرسة الاستشراق التوراتية فحسب، بل اتضح بشكل أكيد أن المنهج نفسه والأدوات نفسها المتعلقة بدراسة الألفاظ والأسماء الجغرافية وتشابهاتها وتحولاتها اللغوية، قد استخدمت بالفعل من قبل المستشرقين التوراتيين عندما بدأوا بالبحث عن المناطق الواردة أسمائها في التوراة على الأرض الفلسطينية بشكل عملي، في نطاق العملية التي قاموا فيها بتزوير الجغرافية التوراتية وإلصاقها زوراً وبهتاناً على أرض فلسطين– كما يدعي أصحابنا رواد هذه النظرية من الباحثين العرب.

لنتوقف قليلاً عند المحاولة التي قام بها الباحث الفلسطيني أحمد الدبش، لتوضيح كيف جرت عملية تزوير أسماء المناطق الفلسطينية لتصبح مطابقة لما هي في التوراة. فقد بدأت هذه العملية قبل (١٨٠٠) سنة، يقول الدبش:

"في وقت مبكر يعود إلى القرن الثاني الميلادي بدأ الحجاج المسيحيون الأوائل القادمون من مختلف أجزاء الإمبراطورية الرومانية يصلون فلسطين ليعاودوا تعقب خطوات يسوع وحوارييه. وفي أثناء طوافهم في أرجاء البلاد بمجموعات صغيرة كان هؤلاء يتوقفون للصلاة والتأمل في الأماكن التي كان سكانها المحليون يرشدونهم إليها على أنها مواقع نشاط يسوع وآلامه. ولكن الحج المسيحي بدأ، مع حلول القرن الثاني، يأخذ بالضرورة طابع التنقيب الأثري لأن المشهد كان قد بات شديد الاختلاف عما ورد في العهد القديم والجديد.

كانت النتيجة نوعاً جديداً من الحج معادياً لأهل البلاد ومسوغاً لاستعمارها وتحويلها إلى أرض التوراة".. كانت فلسطين تتعرض لعملية نقل وتحويل زمانية تفضي إلى جعل الماضي التوراتي حقيقة، إلا أن التوجه المنظم والهادف والمرتبط بالدوائر الاستعمارية والتوجهات اليهودية راح يتشكل في القرون السابقة الأخيرة وخاصة بعد انتهاء الحروب الصليبية والتقلبات التي حدثت في أوروبا"[1].

يفترض الدبش أن التزوير الذي وقع على أرض فلسطين قد بدأ مع بداية انتشار العقيدة المسيحية في القرن الثاني للميلاد، وهذا أمر في الحقيقة لم أستطع تفسيره، أو أن أجد له تفسيراً.

الثابت لدينا، هو أن المسيحية أصلاً نشأت هنا في منطقتنا العربية وبالتحديد في فلسطين وبلاد الشام ومصر، وجميع معتنقيها في ذلك الوقت من شعوب المنطقة، وكانت الأغلبية المسيحية في العالم القديم آنذاك هي شعوب المنطقة، والمسيحية بحد ذاتها تستند من الناحية المرجعية الى العهد القديم (التوراة) بالإضافة الى العهد الجديد (الانجيل)، فكيف ننسب الى الحجاج القادمين من أطراف الامبراطورية الرومانية- أو لنقل من أوروبا- أنهم قاموا بعملية التزوير تلك، أي تغيير أسماء مناطق فلسطين على غير ما هي واردة عليه في العهد القديم، أو على نحو ما هي واردة عليه أصلاً. فإذا كان أهل المنطقة وشعوبها قد رأوا في تلك الأسماء الواردة في التوراة خلافاً لما هو ثابت عندهم على الأرض لبحثوا عن موطن التوراة أو لعلموا به أساساً وأخبرونا، لأن عقيدتهم قائمة بالأساس على شرط الايمان بما جاء في التوراة التي كانت قد كُتبت قبل ذلك العهد بحوالي سبعة قرون، والايمان المسيحي قائم بالأساس على اعتبار فلسطين بمثابة الأرض المقدسة كما أخبرهم بذلك العهد الجديد (الانجيل). فبغض النظر عن مدى ايمانهم أو اطلاعهم على التوراة، فما هو منصوص عليه في العهد الجديد كافي بالنسبة لهم لتحل فلسطين في نفوسهم هذا المحل، كأرض مقدسة.

---

[١]. المرجع السابق، ص ٧- ٨.

في الحقيقة أن هذه النظرية- نظرية الصليبي ورفاقه- تطلب منا أن نتبنى واحداً من أسخف الافتراضات، وهو أن الملايين من اليهود والمسيحيين على مدى ألفين عام وحتى اليوم، عاشوا وآمنوا وهم يجهلون بحقيقة أين تقع أرضهم المقدسة؟!

يبدو أن عملية التزوير الذي أراد أن يبينها لنا أحمد الدبش، لم تحظ باتصال زمني يكسبها طابع الاستمرارية، إذ سرعان ما ينقلنا الدبش من القرن الثاني الميلادي الى القرن التاسع عشر الميلادي، ليعرض لنا الحلقة الأهم والأكبر من حلقات تزوير جغرافية التوراة وتلفيقها على أرض فلسطين زوراً وبهتاناً، من حيث لم يجد أي مجال لمعرفة كيف جرت تلك العملية وكيف استمرت والى أين آلت خلال سبعة عشر قرناً من التاريخ، وهي الفترة التي لم يكن فيها لأي اسرائيل أو أي صهيونية وجود يذكر على الإطلاق.

يقول الأستاذ أحمد الدبش:

*"شهد القرن التاسع عشر أكبر الحملات الاستشراقية الآثارية.. فقد أخذت تقنيات هذه الجغرافيا الكتابية الحديثة شكلها مع الأعمال الاستكشافية التي قام بها في عام ١٨٣٨ كل من "ادوارد روبنسون وإيلي سميث"، فخلال رحلة من السويس إلى بيروت دامت ثلاثة أشهر، **اهتدى "روبنسون وسميث" إلى العشرات من المواقع الكتابية التي كانت مغلفة ومتناثرة في أرجاء المسرح القديم للبلاد، وقد وصفا التحولات اللغوية التي أفضت، باعتقادهما، إلى قلب أسماء الأماكن العبرية القديمة إلى أسماء عربية حديثة"***[1].

هذا الكلام خطير للغاية، وخصوصاً الجزء الأخير منه، والذي تعمدت تضليله ليبدو واضحاً، إذ نفهم من هذا النص المميز والصريح، أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن المستشرقين بحثوا بطرق عملية، أي نزلوا الى الأرض وتجولوا فيها وبحثوا ونقبوا بشكل فعلي بحثاً عن المواقع الجغرافية التي ترد في التوراة، وبالتحديد في المنطقة الممتدة من السويس في مصر الى بيروت في لبنان، بمعنى أن المنطقة المدروسة

[١]. المرجع السابق، ص ٨.

شملت كامل أرض فلسطين، واهتدوا إلى العشرات من المواقع الكتابية- التوراتية- التي كانت مغلفة ومتناثرة في أرجاء المسرح القديم للتوراة.

الأمر الثاني: يتعلق بالكيفية التي اهتدى بها هؤلاء المستشرقين الى تلك المواقع التوراتية التي اكتشفوها، وهي ما وصفوه بـ **[التحولات اللغوية]**، التي أدت الى **[قلب أسماء الأماكن العبرية القديمة إلى أسماء عربية حديثة]..!!**

يجب أن نراجع ما قاله الصليبي وجميع رواد نظرية جغرافية التوراة في اليمن وجزيرة العرب، بشأن منهجهم اللغوي، أو الكيفية التي طبقوها لتعيين جغرافية التوراة على أساس التشابهات اللفظية، لأني على ثقة كاملة، بأنهم تبنوا نفس هذه الفكرة، فكرة التحولات اللغوية وقلب الأسماء والحروف وما الى ذلك.

أكد كمال الصليبي على أن أساس كتابه هو "**المقابلة اللغوية بين أسماء الأماكن المضبوطة في التوراة بالحرف العبري، وأسماء أماكن أخرى تاريخية أو حالية**"[١] تنتمي الى دائرة اللغة العربية بالطبع لأنها مأخوذة من المعاجم العربية.

كما عبر الصليبي عن فكرة **[التحولات اللغوية]** الاستشراقية تلك، بوضوح جلي وكأنه كان يشرح لنا الأساس الذي عمل عليه المستشرقان "ادوارد روبنسون وإيلي سميث" في الاهتداء الى المناطق التوراتية في فلسطين، أثناء رحلتهما البحثية التي جرت سنة ١٨٣٨، وذلك "**عندما تبين للصليبي بما لا يقبل الشك وجود معظم الأسماء التوراتية بشكلها الأصلي، أو بشكل معرّب، في بلاد السراة وما يليها من جبال تهامة ووهادها غرباً.. الخ**"[٢].

وهذا مفاده، أن الصليبي يفترض حدوث التحولات اللغوية التي أشار إليها هذان المستشرقان، فالأسماء كانت عبرية وبسبب عوامل التاريخ وخلافه تعرضت للتعريب، أي تم

---

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٨.

تحويلها الى صياغات لفظية عربية، مع الاحتفاظ بشيء من أصلها العبري، وهذا لأن العبرية والعربية من مجموعة لغوية واحدة.

والأهم من ذلك، هو أن الصليبي استخدم في التعبير عن منهجه نفس المصطلح **[التحولات]**، تلك التي تجري على الكلمات بين لغتين من أصل مشترك، ويشرحه لنا في معرض شرحه للعلاقة بين العربية والعبرية التوراتية، قائلاً:

*"هناك جذور كثيرة مشتركة بين العبرية التوراتية والعربية، وذلك دون تغّير في الأحرف في بعض الأحيان، ومع **(تحول)** في الأحرف في أحيان أخرى. و**[التحولات]** في الأحرف التي يقرها علماء اللغات السامية بين اللغتين هي الآتية:..."*[١].

يُبيّن لنا تلميذ الصليبي ومواطنه "زياد منى" طبيعة تلك **[التحولات اللغوية]**، في سياق تأكيده على ***"إن إدراك مدى ورود ظاهرة القلب والاستبدال بين اللغتين العربية والعبرية يعتبر أحد الأسس التي ارتكزت عليها دراسته في موضوع جغرافية التوراة التي نطق بها الصليبي"***[٢].

أما فرج الله صالح ديب، فتتمثل منهجيته بـ ***"المقابلة اللغوية وتطويع أحرف التصويت في الأسماء للوصول إلى جذر أو صيغة لفظية يمكن إقرانها بأحد المواقع الجغرافية في اليمن"***[٣].

وبالمثل، يبين لنا الأستاذ "أحمد داوود" أنه يمكن الاستفادة من هذه المنهجية – منهجية التحولات اللغوية– التي جرت على أسماء المناطق الجغرافية التوراتية، ولكن فيما بين اللغة الكلدانية واللغة العربية، أي بعيداً عن العبرية، قائلاً:

---

[١]. المرجع السابق، ص ٢١.

[٢]. زياد منى: جغرافية التوراة– مصر وبنو اسرائيل في عسير، مرجع سابق، ص ٣١.

[٣]. صقر أبو فخر: التوراة العربية وأورشليم اليمنية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد (٧)، العدد (٢٧)، صيف ١٩٩٦. ص ٢٣٥.

"أما من الناحية اللغوية العربية القديمة فقد اعتمدنا فيها القاموس الكلداني للمطران يعقوب أوجيه منا، لأن الكلدانية – وهي نفسها السريانية- هي العربية القديمة، التي تكلم بها ابراهيم الخليل وبنوه والسيد المسيح في المنطقة التي وجدوا وعاشوا فيها قرب بابلون الكلدان على وادي الفرات شرق جبال غامد من شبه جزيرة العرب... فأسماء مثل "وادي طوى" و"طور سيناء" و"موسى" و"يهوه" و"جبل حريب" و"رفيديم" و"أورشليم".. لا يمكن فهم مدلولاتها من خلال تتبع افتراضات المستشرقين الأجانب، بل بالعودة الى اللغة العربية القديمة التي كشفت لنا حقيقة الأشياء ومسمياتها كما هي بعيداً عن أي تخمين أو تزوير فرض على لغتنا من الخارج"[١].

على نفس المنوال، وبطريقته الخاصة يعبر "أحمد الدبش" عن منهجه اللغوي لفك طلاسم الأسماء التوراتية، قائلاً:

"وقد عمدت الى إجراء مقارنة وتقاطعات بين النصوص التوراتية والقرآنية، حول المقصود بـ "مصر"، "مدين"، "دور سينين"، "الوادي المقدس/ طوى".. وغيرها من المفاهيم، حيث لا يمكن فهم مدلولاتها إلا بالعودة الى اللغة العربية والمعاجم العربية"[٢].

في نفس الشأن، وحول منهجه في فك طلاسم ذلك التشابه بين الأسماء التوراتية والأسماء الواقعة في الجغرافية اليمنية، يقول فاضل الربيعي:

"لقد عكفت على دراسة وتعلم اللغة العبرية ليتسنى لي قراءة النصوص الأصلية – لا الاستشراقية. ثم كرست سنواتاً من عمري للبحث عن جذورها

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ١٣.

[٢]. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٦.

الحقيقية، وللتعرف على ذلك التماثل المثير حتى في أشكال رسم الأسماء في اللهجات اليمنية القديمة والعبرية"[1].

بالعودة الى محاولة "أحمد الدبش" لتوضيح عملية التزوير التي قام بها المستشرقون على أسماء المناطق في فلسطين بهدف جعلها مطابقة لما في التوراة، يمكن أن نتعرف على نوعية النتائج التي يمكن التوصل إليها من خلال تطبيق هذه الأدوات اللفظية أو اللغوية، ولكن في السياق الذي تتضح فيه بعض النتائج التي توصل إليها المستشرقان "ادوارد روبنسون وإيلي سميث"، والتي يصفها الدبش بأنها كانت ضمن عملية تزوير، إذ يقول:

"زوّر "روبنسون" عشرات المواقع القديمة بمساعدة "سميث" الذي وضع أثناء عمله مبشراً قائمة بالأسماء العربية لقرى فلسطين. ***فقرية (عناتا)، لم تكن فيما يبدو، إلا (عنتوت) الكتابية (التوراتية)، مسقط رأس النبي إرميا، و(جباع) كانت هي (جبعة) إحدى مدن بنيامين، و(مخماس) بدت مناسبة تماماً لساحة معركة شاؤول في (مخماس)؛ و(بيتن) كانت (بيت إيل) محطة توقف إبراهيم وموقع حلم يعقوب الشهير؛ وممَّا لا شك فيه أن (الجب) كانت هي (جبعون) الكتابية حيث قام يوشع بتجميد الشمس في مكانها.***

وبحسب كلام روبنسون فيما بعد، فقد قادتهم هذه المنهجية عبر مشاهد مرتبطة بالعديد من الأسماء والأحداث والأفعال التاريخية مثل إبراهيم ويعقوب، وسليمان وشاؤول، ويونان، وداود، وصموئيل ومكنتهم من تحديد الأماكن التي عاشوا ونشطوا فيها، واستطاعوا أن يتعقبوا ما يمكن اعتباره خطواتهم ذاتها"[2].

بالإضافة الى كوننا عرفنا الآن من أين جاءت هذه النظرية وما هو أصلها وفصلها، فإننا يجب أن نتساءل:

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٨- ١٩.

[٢]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٨- ٩.

أليست النتائج التي توصل إليها روبنسون وسميث من حيث الأساس والمنهج والأدوات، تشبه النتائج نفسها التي توصل إليها الصليبي وديب ومنى وعيد وداوود والدبش والربيعي؟- إذا كان الأمر كذلك، فكيف توصف نتائج روبنسون وسميث على أنها تزوير فيما يصف كل هؤلاء نتائجهم المماثلة بأنها حقائق وتصحيح للتاريخ؟!

من أجل أن نتبين الأمر، يجب أن ننظر الى الفارق بين ما قام به روبنسون وسميث عام ١٨٣٨، وبين ما قام به الصليبي ومن جاء بعده في العصر الراهن. فقد قام روبنسون وسميث بدراسة أساسها أن التوراة تحدد بالضبط جغرافيتها وهي فلسطين، وأن التوراة ذكرت الكثير من أسماء القرى والتلال والجبال والمعالم الجغرافية ولربما حددت مواقعها بشكل أو بآخر، سواء بالنسبة لبعضها البعض أو بالنسبة للأحداث التي جرت فيها، وقاما بالنزول الى الأرض والتجول فيها والتحقق من أسماء المناطق ومدى تطابقها في زمن إجراء الدراسة مع الأسماء التي ترد في التوراة.

بناءً على ذلك، فقد وجد "روبنسون وسميث" أن قرية اسمها "عناتا" تقع في نفس الموضع الذي يرد في التوراة قرية اسمها "عنتوت"، وكذلك وجدوا قرية "جباع" في موضع تسميه التوراة "جبعة"، ووجدوا في فلسطين قرية اسمها "مخماس في موضع يحمل نفس الاسم في التوراة "مخماس"، ثم وجدوا بيسان" التي هي "باشان"، وغزة التي هي غزة، وأريحا التي هي أريحا وعسقلان التي هي عشقلون ونهر الأردن الذي هو نهر الأردن.. الخ، وفي المحيط الجغرافي نفسه وجدوا صور وصيدا ولبنان ودمشق وعمان وحماة.. الخ، من المدن والمناطق التي تذكرها التوراة.

فكيف يُعَّد هذا بحق الله تزويراً؟!

بيد أن ما قام به الصليبي ورواد نظريته، هو أنهم أخذوا الفكرة من المستشرقين والمنهج من المستشرقين، وطبقوها في مكاتبهم التي تطل نوافذها على بيروت ودمشق **وكوبنهاجن وامستردام** والقاهرة، وهم يبحلقون في المعاجم والقواميس، دون أن يعرفوا شيئاً

عن الأماكن التي يتحدثون عنها، ولم يقوموا بأي جهد منهجي عملي وتطبيقي، وأكاد أجزم أن ما من أحد منهم قادر على رسم خريطة لأي مكان على ورقة بيضاء فوق مكتبه..

فكيف بحق الله لا يُعَّد ما فعلوه تزويراً؟!

أترك الحكم لكم اعزائي القراء..

الفصل الثاني

من نقد التوراة الى إنقاذ التوراة

كنت قد حددت في الفصل السابق المقولات أو الفروض الرئيسية المشتركة التي أكد عليها وانطلق منها جميع رواد هذه النظرية، بثلاث مقولات، هي:

المقولة الأولى: أنه تم تحريف وتزوير التاريخ التوراتي لتدعيم الادعاءات والمبررات الصهيونية بشأن الموطن الأصلي لليهود، وأرض الميعاد.. بهدف تبرير احتلال فلسطين.

المقولة الثانية: أن البحوث والتنقيبات الأثرية على مدى أكثر من قرن من الزمان تم فيها تمشيط المنطقة الواقعة بين نهري النيل والفرات في سبيل إيجاد أدلة أثرية مادية تؤيد الرواية التوراتية والادعاءات الصهيونية، أثبتت أن لا شيء على الأرض.

المقولة الثالثة: أن هناك تطابقاً كبيراً ومدهشاً بين أسماء الأماكن والمواقع الجغرافية التي ترد في التوراة وبين أسماء المناطق والمواقع الجغرافية في جزيرة العرب: (عسير، غامد والسراة، اليمن).

سبق وأن ناقشنا الأمر بخصوص المقولة الأولى في الفصل الأول، ورأينا كيف عبّر رواد النظرية عنها، بحيث اتضحت لنا الجذور الاستشراقية– اليهودية لنظرية الصليبي ورفاقه، والآن نحن بحاجة الى التعرف على أبعاد المقولة الثانية في سياق اختبار البناء المنطقي للنظرية ومدى تماسكها وقدرتها على مواجهة التساؤلات التي بوسعنا طرحها إزاء ما تعنيه وما تدل عليه، وما هو بالأصل هدفها الذي تؤدي إليه. ***فإذا كان سؤالنا في الفصل السابق عن جذور نظرية جغرافية التوراة التي تبناها بعض الباحثين العرب، فإن سؤالنا في هذا الفصل سوف يتجه الى البحث عن الهدف الحقيقي من هذه النظرية.***

[1]

تناقضات ثلاثة وتساؤلات شائكة

تشير المقولة الثانية من مقولات نظرية جغرافية التوراة للباحثين العرب الى الاستدلال الرئيسي من نتائج علم الآثار، والذي عبَّر عنه مؤسس النظرية الأستاذ "كمال الصليبي"، بقوله:

"والحقيقة الساطعة هي أن الأراضي الشمالية للشرق الأدنى قد مسحت وحفرت من قبل أجيال متوالية من علماء الآثار، من أقصاها الى أقصاها، وأن بقايا العديد من الحضارات المنسية قد نبشت من تحت الأرض ودرست وأرخت، في حين أنه لم يعثر في أي مكان كان على أثر واحد يمكنه أن يصنف جدياً على أنه يتعلق مباشرة الى أي حد بالتاريخ التوراتي"[١].

على نفس الاتجاه، يتبنى الباحث اللبناني "زياد منى"، مقولة أستاذه، ويُمعن في تبيين حيثياتها والنطاق الذي يمكن أن يرد فيه مثل هذا الاستدلال، لاسيما من الناحية التي يمكن النظر منها الى جهود علماء التوراة في نقد النص التوراتي، قائلاً:

*"لقد تناول الكثير من العلماء وفي مقدمتهم رجال دين مسيحيون ورعون، محتويات كتبهم المقدسة بالنقد، وضمن إطار تهذيب "نقد العهد القديم". ومن ذلك جغرافيتها وتاريخيتها، كما أنهم طرحوا العديد من الآراء المثيرة بشأن الأصول الأولية لديانة بني اسرائيل.. لكن المسألة المركزية لكتاباتهم هي الانطلاق من بديهية صحة النظرة الجغرافية التقليدية. **هذه المنهجية جعلت الكثير من العلماء في حيرة من أمرهم، لأنه بعد أكثر من قرن من التنقيب الأثري المبرمج الذي قلب أرض فلسطين رأساً على عقب، لم يعثر على أي لقى أثرية ثابتة تدعم آرائهم"[٢].***

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٠ – ٥١.

[٢]. زياد منى: جغرافية التوراة: مصر وبنو اسرائيل في عسير، مرجع سابق، ص ١٦.

نفس التصريح، نجده لدى الباحث السوري الأستاذ "أحمد داوود"، عندما قال:

"أما من حيث المكتشفات الآثارية، فقد أجمعت كل الجهات الآثارية العربية والأجنبية أن أحداث التوراة لا وجود لها آثارياً سواءً في فلسطين أو في خارجها"[١].

كذلك، الباحث اليمني "فضل الجثام" الذي يأتي تصريحه مؤيداً بقول للصليبي:

" هكذا، فنتائج الكشوف الآثارية أتت بثمرات مرة لا تؤيد الجغرافيا التاريخية للتوراة. ورغم الجهود المكثفة والمضنية من قبل علماء الآثار في مصر وبلاد الشام والعراق، فإنه كما يقول الصليبي: لم يعثر إطلاقاً على آثار لأصول العبران في العراق ولا هجرتهم المفترضة الى فلسطين عبر شمال الشام و مسألة الأسر في مصر والخروج منها"[٢].

وأيضاً في التصريح اليتيم الذي أدلى به الباحث المصري الأستاذ "أحمد عيد":

"لقد كشفت دراسات طومسون على أن جميع قصص التوراة تقريباً من صنع الخيال وأنها كتبت في القرن الخامس قبل الميلاد، بعد مرور (١٥٠٠) سنة من وقوع الأحداث التي ترويها، ولم يتم العثور على أي أثر لقيام مملكة اسرائيل في القرن العاشر قبل الميلاد أو على وجود مستوطنات سكنية في القدس والضفة الغربية التي يصر الإسرائيليون على تسميتها يهوذا والسامرة"[٣].

نفس الفكرة والمقولة نجدها لدى الباحث الفلسطيني الأستاذ "أحمد الدبش":

"إن الأبحاث الأثرية التي مسحت وادي النيل، منذ عشرات السنين، وحتى الآن لم تعثر على أقل دليل يؤكد الأحداث التوراتية"[٤].

---

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ١٢.

[٢]. فضل الجثام اليافعي: الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى– سبر في التاريخ القديم، مرجع سابق، ص ٤٥– ٤٦.

[٣]. أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، مرجع سابق، ص ١١– ١٢.

[٤]. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٣.

وفي كتاب آخر للدبش، نجد أيضاً قوله:

"وانطلاقاً من حقيقة غياب أي لقى آثارية واضحة تحسم بأن فلسطين احتضنت تجربة بني اسرائيل، فقد رأينا أن حركة التاريخ التوراتي لا تنسجم مع جغرافية المنطقة من العراق الى الشام والى مصر، وأن الخطاب الكتابي لفق جغرافية التوراة، وبالتالي فإن موجز أطروحتي في موضوع جغرافية التوراة هو أن مسرحها كان في اليمن ومحيطه"[١].

لقد كان هذا الاستدلال، أساساً لكل الافتراضات التي تبناها رواد النظرية، وتعاملوا مع ما تؤدي إليه من استنتاجات على نحو جازم باعتبارها هي الحقيقة التي خضعت دوماً لعمليات التغييب والتزييف، وعلى الرغم من أن علم التاريخ برمته يظل بعيداً عن دائرة اعتباره مجال حقائق، بقدر ما هو في جوهره وأساسه حقل نظريات ومقولات وآراء متعددة ومتباينة. فمهما يكن من قوة الاستدلالات التي نمتلكها إزاء مسألة ما، فهناك أيضاً آراء أخرى مغايرة تجاه نفس المسألة ولها من الأدلة والحجج ما تستند إليه، وبالتالي فلا مجال للجزم بأي نتائج أو آراء في مجال الدراسات التاريخية، ولا مجال اطلاقاً لاعتبار نتائج معينة بأنها حقائق، وهذا في المحصلة النهائية يُعّد واحداً من أهم المبادئ المنهجية في علم التاريخ.

ومع ذلك، نجد أن أكثر ما يلفت انتباه القارئ في معظم كتب ومؤلفات رواد نظرية جغرافية التوراة في الجزيرة العربية واليمن، هي تلك العبارات الجازمة والقاطعة، التي تقابلنا. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإننا نجد هذه العبارات الجازمة في أول سطر من كل كتاب للمفكر العربي "فاضل الربيعي"، هكذا:

*"**لم يحدث السبي البابلي لليهود في فلسطين**، كما أن المصريين والأشوريين **لم يشتبكوا فوق أرضها قط**، وسفن سليمان **لم تمخر عباب المتوسط**، ولم ترس في أي وقت من الأوقات في موانئ صور اللبنانية"[٢].*

---

[١]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٠.

[٢]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد (١)، مرجع سابق، ص ١٣.

*"**لم يحدث السبي البابلي في فلسطين قط، ولم تعرف أرضها ولا تاريخها مثل هذا الحدث (الضخم)**. وكل ما كتب عن هذا الحدث في المؤلفات التاريخية الأجنبية والعربية، بوصفه واقعة جرت فوق أرض فلسطين، وضمن تاريخها القديم، هو من تلفيق القراءة الاستشراقية للتوراة، ويتكشف عن كونه تزييفاً وتلاعباً متعمدين بالتاريخ الحقيقي لفلسطين"[1]، إذ لا يوجد أي دليل مهما كان بسيطاً- أو يلمح مجرد تلميح- الى أنه وقع هناك، أو أن اليهود وحدهم كانوا ضحاياه، وهذا ما يثيره الكتاب ويجادل فيه"[2].*

أرى أنه من المناسب أن أعيد سرد النظرية بالطريقة التي بنيت بها من قبل روادها، وعبرت عنها مقولاتهم الرئيسية الثلاث، كالآتي:

بدأ الأمر حينما قام كتبة التوراة أو مفسروها أو أشخاصاً ما في زمن ما غير معلوم بالضبط، وعلى نحو مفاجئ ولأسباب غامضة أو ربما معلومة، بعملية تزوير وتحريف لحقيقة جغرافية التوراة، من خلال التلاعب بأسماء الأماكن التي وقعت فيها أحداثها واسقاطها من بعد على جغرافية فلسطين، أو ربما أنه وعلى مدى قرون طويلة جرى تغيير أسماء المناطق في فلسطين لتكون مطابقة لما هو في التوراة. ثم جاء علم الآثار وأثبت زيف الادعاءات التوراتية، وبأن لا آثار تدل على أن فلسطين هي مسرح تلك الأحداث التوراتية. ومن بعد جاءت الصدفة العجيبة فكشفت عن ذلك التشابه المدهش بين أسماء المواقع الجغرافية في التوراة وأسماء المواقع في بعض المناطق في عسير وغامد غرب الجزيرة العربية، وفي اليمن.

وبناءً على ذلك كله، فإن الخلل أو التزوير الذي وقع، قد وقع على النص التوراتي من خلال تحريف حقيقة مسرحه الجغرافي، وعلى الخريطة الفلسطينية من خلال تغيير أسماء مناطقها، وهذا هو سبب كل تلك التناقضات التي حيرت المؤرخين

[1]. لم يعنى فاضل الربيعي أو أي من رواد نظريته بأي تاريخ حقيقي لفلسطين، ولا نجد في كل أعمالهم أي شيء عن هذا التاريخ الحقيقي الذي يدافعون عنه ويسعون الى تحريره، فكل ما تقدمه كتبهم ليس إلا تفريغاً لفلسطين من التاريخ.. سنناقش هذه المسألة لاحقاً.

[2]. فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي، مرجع سابق، ص ٧.

والمستشرقين وعلماء الآثار، لأنهم كانوا يبحثون عن تاريخ أحداث وقعت بالفعل، ولكن في المكان الخطأ.

وهذا ما تعنيه بالضبط أقوالهم بأن النظرية تقوم على التسليم بصحة الرواية التوراتية كتاريخ ونقضها كجغرافيا، والتي سنناقشها في نهاية الفصل.

في الحقيقة أن بناء النظرية بهذا الشكل تعتريه العديد من التناقضات، وبيان تناقضاتها كفيل بأن يُظهر لنا مدى اختلال أسسها المنطقية. وبدون إسهاب في هذا الشأن يمكنني إبراز ثلاثة من هذه التناقضات، والتي من المؤكد أن إدراكها يساعد على إعادة النظر في امكانية بناء موقف آخر لدى المتحمسين للنظرية والمدافعين عنها، سواء كانوا من روادها المساهمين فيها أو من القراء والمهتمين بها.

لنتعرف بشكل سريع وموجز على هذه التناقضات الثلاثة، ولننطلق من بعد في استكشاف الأهداف الخفية من وراء اقامة هذه النظرية والحشد لها.

التناقض الأول:

لو أمعنا النظر في المقولتين الأولى والثانية، واللتان تعبران عن وجهة نظر رواد النظرية، فسنجد أنهما متناقضتان ومتصادمتان بشكل كلي، فالمقولة الثانية بشأن نتائج الكشوفات الأثرية التي صرح بها علماء الآثار، تتناقض وتتصادم مع المقولة الأولى بشأن التزوير الذي جرى لجعل نتائج الاكتشافات الأثرية في فلسطين متطابقة مع الرواية التوراتية للتاريخ، ***لأنه لو حدث هذا التزوير فعلاً وأمكن تمريره دون أن يكتشف أمره***، لما اضطر علماء الآثار الى الإقرار بأن نتائج البحوث والمسوح الأثرية تقول بأن لا شيء على الأرض يدل على حدوث ما تسرده التوراة، بل لكان لهم تصريحاً آخر يعلنون فيه عن العثور على أدلة أثرية، تؤكد بدورها على أن أحداث التاريخ التوراتي قد وقعت بالفعل كما هي في النصوص التناخية والمقرائية– أي نصوص التوراة والأسفار الأخرى التي تدور في فلك المعتقد اليهودي.

هذا التناقض بين المقولتين يفضي الى القول بأن إحداهما لا أساس لها من الصحة أو ربما كلاهما، لأن قيامهما معاً غير ممكن إطلاقاً، فكل منهما تنقض الأخرى وتنسفها تماماً. فكيف نتهم علماء الآثار بالتزوير في حين أنهم يعترفون لنا بوضوح أن لا شيء توصلوا إليه أساساً ليزوروه؟!- مع التنويه للقارئ العزيز بضرورة الانتباه الى إننا هنا إنما نختبر مقولات وافتراضات نظرية جغرافية التوراة كما صاغها روادها من الباحثين العرب.

السؤال الأصعب من ذلك، هو كيف لم يتنبه هؤلاء الباحثين لهذا التناقض بين أهم المقولات الرئيسية التي أقاموا عليها نظريتهم؟!

ثم كيف يتوقع أحدٌ أن تؤدي جهودهم الى تثبيت قواعد هذه النظرية بإثبات صحة هذين الفرضين معاً، طالما وأن هذا من الناحية المنطقية يكاد يكون أمراً مستحيلاً.

التناقض الثاني:

ثمة تناقض آخر وقع فيه رواد هذه النظرية، عندما أكدوا على أن جهودهم من خلال هذه النظرية تصب في اتجاه تصحيح التاريخ العربي، وتحريره من زيف التاريخ الاستشراقي الغربي الذي يخدم اليهود والغرب، من خلال إثبات زيف وتلفيقات الادعاءات الصهيونية القائمة على الرواية التوراتية. فلو وضعنا هذا الهدف في مقابل مقولتهم بأن البحوث والتنقيبات الأثرية على مدى أكثر من قرن من الزمان تم فيها تمشيط المنطقة الواقعة بين نهري النيل والفرات في سبيل إيجاد أدلة أثرية مادية تؤيد الرواية التوراتية والادعاءات الصهيونية، أثبتت أن لا شيء على الأرض، فسوف نجد أن هذا الهدف متحقق أصلاً بما أثبته علم الآثار، ومن ثم فإن هذه الفكرة برمتها وعلى هذا النحو الذي بنيت عليه يعترضها سؤال استنكاري، غايته التمحيص فيما إذا كانت هذه النظرية وكل الجهود التي بذلت من قبل روادها تقف عند حدود تحقيق الهدف المعلن عنه، والمتحقق سلفاً، أم أنها تتجاوزه صوب هدف آخر.

لكي تتضح فكرة هذا التناقض، لابد من صياغة ذلك السؤال الاستنكاري على النحو الآتي:

إذا كانت نتائج الكشوفات والمسوح الأثرية في فلسطين وحواليها، قد أفحمت التاريخ التوراتي وأثبتت أنه لم يتم العثور على أدنى دليل يثبت أن شيئاً من أحداثه قد حدث فعلاً، فما الداعي الى اثبات صحة الرواية التوراتية بإسقاطها على منطقة أخرى- أياً كانت هذه المنطقة الأخرى؟!

إنه سؤال عن الهدف من المضي قدماً والاستماتة في الدفاع عن هذه النظرية وتدعيمها بشكل مكثف ومستمر، بالرغم من أن علم الآثار قد تكفل بالمهمة وأثبت بلغة العلم زيف الادعاءات الصهيونية القائمة على مرويات التوراة، وبالتالي فإن تحقيق هذا الهدف لا يحتاج الى جهود إضافية لأنه هدف متحقق فعلاً. لذا نحن مضطرون للبحث عن جواب لهذا التساؤل البالغ الأهمية، ومن يدري، لعل الإجابة عنه تكشف عن أبعاد أخرى لم يشأ أياً من رواد النظرية أن يخبرنا عنها، أو ربما أنهم تعمدوا اخفائها عنا.

سبق وأن طرحت هذا السؤال على بعض رواد النظرية بشكل مباشر، ولاحظت من خلال ردة فعل من طرحته عليهم أنه لم يكن في حسبانهم أبداً سؤال من هذا النوع سواءً إزاء ما يعنيه بالضبط أو ما يقود إليه. فقد امتنع البعض منهم عن الإجابة، بل ورفض بشكل نهائي مناقشة الأمر، فيما قدّم البعض الآخر تفسيرات أقل ما يمكن وصفها به هو أنها "سطحية"..!

للوصول الى إجابة على هذا السؤال، لابد من الوقوف عند المقولة الرئيسية الثانية نفسها، بحيث تتجه وقفتنا المطلوبة نحو تقصي حقيقة أمرين اثنين:

الأمر الأول: الدلالة الكلية للمقولة وكشف المُضمر والمسكوت عنه فيها.

الأمر الثاني: التحقق من مدى صحة ودقة المقولة في التعبير عن الواقع الفعلي.

التناقض الثالث:

بالإضافة الى ما تقدم، فإننا نلمح تناقضاً ثالثاً في التكوين الأساسي لهذه النظرية، يتعلق بانعدام الدليل الأثري المادي في فلسطين على وقوع الأحداث التوراتية فيها، والذي جرى التعامل معه باعتباره مسوغاً جوهرياً للقول بأن أحداث التوراة جرت في مسرح جغرافي آخر.

في الحقيقة، أن هذا الفرض مما كان يمكن القبول به لو أنه طُرح بدون تحديد مكان بعينه باعتباره المسرح الحقيقي للقصص التوراتية على الأقل في ظل غياب الدليل الأثري، لكن المشكلة تكمن في أن رواد النظرية قاموا بتعيين الأماكن التي يعتقدون أنها هي مسرح أحداث التوراة وجغرافيتها– اليمن وجزيرة العرب بدون أن يكون لديهم أي أدلة أثرية.

بصيغة أوضح، فالتناقض الذي أشير إليه هنا ناتج عن أن مسوغ تعيين المناطق الجديدة لجغرافية التوراة هو تشابه الأسماء، وهذا يدعوا الى التساؤل، بشأن الى أي مدى يمكن أن تحل التشابهات اللفظية بين الأسماء محل الدليل الأثري المادي، وعما إذا كان غياب الأدلة الأثرية على وقوع أحداث التوراة في فلسطين، يُلزم بأن يكون نقل أحداث التوراة الى اليمن وجزيرة العرب قائماً على وجود أدلة أثرية مادية أم لا؟!– لأن تشابه الأسماء لا يُعد ولا يمكن التعامل معه على أنه دليل بحد ذاته، ولا يمكن اعتباره أيضاً من القرائن الأثرية أو مما يقع في نطاق علم الآثار. فهو على كل حال مجرد قرينة قائمة على التماثل والتشابه بين ألفاظ ومسميات، أثبت جميع رواد النظرية أنه يمكن أن يقع على أكثر من نحو، وأن نلتمسه في أكثر من نطاق جغرافي، بدليل تعدد الأماكن التي عيّنها كل منهم كمسرح لتلك الأحداث التوراتية.

يمكن التعبير عن هذا التناقض بتوجيه سؤال لرواد النظرية، كالآتي:

كيف تنقلون جغرافية التوراة من فلسطين بسبب انعدام الدليل الأثري، وفي الوقت نفسه تُسقطون أحداثها على مكان آخر دون أن يكون لديكم ذلك الدليل الأثري؟!

كان الباحث السوري "فراس السواح" – وهو من أوائل من قدموا جهوداً مميزة ومثمرة في نقد هذه النظرية، والكشف عن سوءاتها– قد أكد على هذه المشكلة، قائلاً:

"والتسليم بتاريخية التوراة عند الصليبي، هو نتيجة منطقية لنقله جغرافيتها ومسرح أحداثها الى غرب العربية، حيث نفتقد الى أي محك موضوعي يمكن اختبار روايات

التوراة إزاءه، فالمنطقة لم تستكشف آثارياً حتى الآن، ولم يأتنا عنها بنبأ واضح أي شعب من شعوب الشرق القديم"[1].

خلاصة الأمر، نحن بحاجة الى التعرف على الأسباب والدوافع الحقيقية الكامنة وراء هذا التعلق الشديد- الى درجة الهوس- بتحويل ملاحظة ناتجة عن الصدفة، الى نظرية من شأنها أن تقلب كل مفاهيمنا ومعارفنا التاريخية والجغرافية رأساً على عقب- كما أخبرنا بذلك رائد النظرية الأول كمال الصليبي.

تُرى، ما الذي حدث واستجد ودعا الى البحث بشكل مباشر في جغرافية التوراة، ومن ثم الخروج بنظرية جديدة تقول لنا بأن جغرافية أحداث التوراة الحقيقية لم تكن يوماً في فلسطين وحواليها بل كانت في جزيرة العرب؟!

إنه سؤال عن الموقف الذي كان قائماً بين علماء الآثار التوراتيين ونتائج الكشوفات الأثرية في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، وهو يدفعنا الى دراسة وتحليل السياق الذي ولدت فيه هذه النظرية، والتعرف على ملامح الخلفية التي كانت قائمة عندما قام الدكتور كمال الصليبي في منتصف ثمانينيات القرن العشرين بتكوينها، وهو الوقت الذي يفترض أن علماء الآثار كانوا قد وصلوا فيه الى حقائق بشأن وقوع أحداث التوراة في فلسطين أو غيرها.

إن هدفي من دراسة موقف التوراة في تلك الفترة، هو التحقق من كون نظرية الصليبي قد ولدت في السياق الذي توفرت فيه الأسباب الوجيهة لاستخدام هذه النظرية في فضح الادعاءات الصهيونية التوراتية بشأن فلسطين، أم أن ولادتها كانت في سياق مختلف استدعى أن تتجه النظرية نحو تحقيق هدف آخر، وما عساه يكون ذلك الهدف بالضبط؟!

---

[١]. فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب- نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، الطبعة الثالثة، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٧. ص ١٩٣- ١٩٤.

[2]

علم الآثار يقول: لا مصداقية للتوراة

هيمن التاريخ التوراتي على العقلية العلمية في أوروبا منذ قرون عديدة، فكان هو الأساس المرجعي الأول الذي يؤسس لأي فهم لمسار تاريخ المنطقة لدى المؤرخين والمستشرقين في الغرب، وهو الفهم الذي جعل من فكرة اسرائيل التاريخية – وفق القصة التي تسردها التوراة– مركزاً للدائرة كلها، وكل أحداث ووقائع التاريخ لابد وأن تدور حول هذا المركز، وكان أساس هذه الهيمنة ناتجاً عن الهالة التي أحيطت بها التوراة بمنحها صفة المصداقية المطلقة، ليس باعتبارها نصاً دينياً يعتقد من يؤمنون به بأنها جاءت وحياً من عند الله فحسب، بل وباعتبارها من أهم الوثائق التاريخية وأقدمها طُراً على كل حال.

لقد جرى التعامل مع النص التوراتي من الناحية التاريخية، على نحو يصدق معه كثيراً قول كمال الصليبي:

"يبدو أن بني اسرائيل كانوا وحدهم المالكين لإحساس مرهف بالتاريخ. أو هم على الأقل الوحيدون الذي فهموا أنفسهم تاريخياً وعبروا عن ذلك بطريقة واضحة منسجمة مكتملة. وتقدم كتبهم المقدسة رسماً ذاتياً حياً ومفصلاً، وهو رسم فريد من نوعه بالنسبة الى عصره"[1].

ثم قامت الحركة الصهيونية، وسعت مباشرة الى تأسيس ذلك الفهم الاستشراقي الذي تكون في العصر الامبريالي، وترسخ في القناعات الغربية إزاء ما يمكن أن يكون عليه التاريخ بالنسبة الى ما ورد في التوراة.

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٣.

"فعندما قامت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر، طُرح مشروع العودة الى أرض الميعاد (فلسطين) لإقامة دولة يهودية عليها على أساس المرويات التوراتية نفسها، الأمر الذي وافق الاتجاه السائد آنذاك والذي فرض حتى على الباحثين العرب، حيث كان يعرض تاريخ فلسطين القديم في إطار من الالتزام بما هو وارد في أسفار العهد القديم وفقاً للترتيب التاريخي الذي دون في هذه الأسفار، باعتبار أن الالتزام بهذا هو جزء من الايمان بكامل ما ورد في الكتاب المقدس الذي لا يجوز إعمال التمحيص أو التأمل أو المراجعة، لما ورد فيه"[١].

في نفس الوقت، شهد مطلع القرن التاسع عشر ظهور تيار يتبنى اتجاهاً نقدياً إزاء النصوص الكتابية- نصوص الكتاب المقدس- يرمي الى نزع صبغة الصحة والمصداقية المطلقة عنها، وإخضاعها للنقد المنهجي العلمي، ومن ثم الحكم عليها حكماً يقوم أساساً على العلم لا على الظن فحسب، وقد ساهمت المناهج النقدية مع بعض العلوم الانسانية الأخرى في إعطاء أحكام هذا التيار على التوراة طابعاً كبيراً من الصحة العلمية، وأبرزها علم التاريخ وفقه اللغة المقارن (الفيلولوجيا) وعلم الآثار (الأركيولوجيا)، وأيضاً علم اللغات القديمة[٢]- وهو التيار أو الاتجاه الذي عُرف بتيار "النقد التوراتي أو تيار "نقد التوراة".

في تلك الأثناء ولعدة عقود أخرى لاحقة، كان علم الآثار في قبضة اتجاه أحادي من المستشرقين وعلماء التاريخ والآثار، الذين سعوا بشكل مباشر الى إخضاع نتائج البحوث والمسوح الأثرية في المنطقة العربية وتكييفها لتكون بمثابة أدلة علمية على مصداقية التوراة، وهو ما دفعهم الى التعسف كثيراً لصالح الراوية التوراتية، وتزييف نتائج البحوث العلمية والأثرية، إلا أن تلك المساعي والجهود التي بذلت فيها سرعان ما أثارت مشكلات جمة فيما

[١]. ابراهام مالمات، حييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتقديم: رشاد عبد الله الشامي، سلسلة اليهود وإسرائيل- الجزء (٢)، الطبعة الأولى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة، ٢٠٠١. مقدمة المترجم ص ٢٣.

[٢]. يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين اشكالية التقنين والتقديس- دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، الطبعة الأولى، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩. ص ٢٩.

بعد، والتي برزت نتيجة للتناقضات الشديدة التي بدت مكشوفة ومن الصعب القبول بها. فظهر اتجاه آخر من علماء الآثار التوراتيين سعى الى التوفيق بين الرواية التوراتية من جهة والكشوفات الأثرية من جهة أخرى، وهو الاتجاه الذي خفف قليلاً من حدة الممارسات التعسفية التي قام بها التيار السابق.

"فقد أدى تراكم المعطيات الأركيولوجية (الأثرية) والتزايد الكبير في الاكتشافات الهامة في الشرق الأدنى القديم، إضافة الى البحث النقدي المتراكم، الى تحول العنصر التاريخي في الدراسات التوراتية. فبعد أن كان الاعتماد كلياً على المرويات التوراتية، بدأ النقد يطال البنية الداخلية لهذه المرويات، وحاول البعض التوفيق بين المرويات التوراتية هذه وبين المكتشفات الأثرية"[1].

إلا أنه ولمرة أخرى بعد عدة عقود، وبالتحديد منذ مطلع النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تظهر تناقضات أخرى لا يمكن معالجتها، بل ويستحيل معها أي توفيق بين الرواية التوراتية من جهة، والحقائق الأثرية من جهة أخرى. ***وهو ما أدى الى ظهور ما يسمى بـ "المشكلة التوراتية"، أي استعصاء هذا التوفيق كلما تقدمت التقنيات الأثرية وتزايدت الهوة الواسعة بين تاريخ فلسطين المستمد من آثارها والتاريخ التوراتي"[2].***

برزت المشكلة التوراتية وتطورت، نتيجة للجهود الكبيرة التي بذلها تيار نقد التوراة. *فقد "ألقت تلك الدراسات النقدية ظلالاً من الشك العميق في إمكانية كتابة تاريخ لـ "إسرائيل" استناداً إلى روايات التوراة، ووصل بعض المؤرخين إلى حد التشكيك من حيث المبدأ، بإمكانية كتابة تاريخ من هذا النوع. فالبحث عن تاريخ "إسرائيل" مازال غامضاً كما كان دوماً. وأي محاولة للتوفيق بين البينات التوراتية وغير التوراتية إثباتاً لتاريخانية*

[1]. يوسف كفروني: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي: نقض تاريخانية التوراة، من مقدمة كتاب: توماس ل. طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح على سوداح، الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥. ص (ب).

[2]. محمد الأسعد: مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ، الطبعة الأولى، دار مسعى، الدار العربية للعلوم– ناشرون، بيروت، ٢٠١٠. ص ٣٣.

إسرائيل، سرعان ما دخلت مرحلة الانهيار، وهي الأزمة التي ما زالت قائمة ومستمرة حتى اليوم""[1].

ومع التقدم في البحوث الأثرية في فلسطين وحواليها طوال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، تضاعفت النقمة الشديدة لدى نقاد التوراة على الرواية التوراتية، وفي الوقت نفسه انقسم هذا التيار الى اتجاهين:

الاتجاه الأول: ذهب أصحابه من علماء الآثار الاسرائيليين والغربيين الى أن علم الآثار أدى الى تصحيح الكثير من المغالطات والمبالغات التوراتية، من حيث أثبتت الأدلة الأثرية أحداثاً أو شخصيات ذُكرت بالفعل في التوراة، ولكن ليس كما تصفه التوراة بل وفق سيناريوهات مغايرة تماماً لها، وبالتالي فقد احتفظ هذا الاتجاه بالتوراة كمصدر ضمن منهجية بحث ثلاثية المصادر تتصدرها نتائج الكشوفات الأثرية، ثم السجلات التاريخية، ثم النص التوراتي.

الاتجاه الثاني: تبنى أصحابه موقفاً بلغ مبلغاً شديداً من التطرف إزاء أي قبول بالنص التوراتي كتاريخ، فرفضوا رفضاً قاطعاً أي ربط بين التوراة ونتائج علم الآثار، واعتبروا أن أي شيء من قبيل هذا لن يكون إلا تحريفاً وتزويراً للحقائق العلمية، وأن ما جادت به الكشوفات الأثرية لا ينبغي أن يفسر على أنه متصل من قريب أو بعيد بما جاء في التوراة، حتى لو ظهر أن هناك في التوراة شيئاً مما أظهرته تلك الكشوفات، إلا أن هذا الاتجاه تم تعطيله.

الجدير بالذكر، أن الاتجاه الأخير هو الذي سحر ألباب الباحثين العرب، فانحازوا إليه انحيازاً تاماً، ورفضوا معه النظر الى بقية الآراء النقدية التي تبناها الاتجاه الأول.

"على كل حال، فإنه ويوماً بعد يوم، صارت الأبحاث والتقنيات الأثرية الحديثة تقوض الرواية الشعبية الشائعة عن "استعباد الاسرائيليين" في مصر، وخروجهم الى سيناء، ثم التفافهم حول "فلسطين" وغزوها من الشرق، وتحطيم أسوار أريحا، وانشاء مملكة مزدهرة، ثم انقسام هذه المملكة واضمحلال شظاياها بفعل الغزوات، آشورية وبابلية

---

[١]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٥.

وفرعونية. والسبب هو أنه بعد أن مُسحت أرض فلسطين وبقية أراضي الدول المجاورة طوال أكثر من قرن وأبرزت الحضارات القديمة في هذه المنطقة آثارها ونصوصها وسجلاتها، تكوّن لدى علماء الآثار "سيناريو" قائم على أدلة ملموسة لا يتخلله حدث من أحداث الروايات التوراتية، بل أن بعضهم مضى الى القول أن مملكة اسرائيل ليست إلا مملكة على الورق"[١].

بغض النظر عن موقف الباحثين العرب، فإن جميع اتجاهات وآراء تيار نقد التوراة من المستشرقين وعلماء الآثار الغربيين- وأغلبهم من اليهود، كانت ومازالت على إجماع على أن نتائج علم الآثار أثبتت مدى ما يتخلل الرواية التوراتية من المبالغات والتهويل والتحريف والأخطاء، التي يصعب معها القبول بالتوراة كمصدر للتاريخ، بما يعني أن التوراة قد فقدت مصداقيتها المطلقة تلك، وأصبحت محط شكوك وارتياب الكثيرين بل وفي محل رفض البعض منهم تماماً، وبهذا اكتملت الطبيعة العامة لأزمة مصداقية التوراة أمام الحقائق التي كشفها علم الآثار.

*"فبعد أن كانت الجهود في البداية متجهة نحو فك خطوط تلك النصوص والتغلغل داخلها، لعلها تجد خيطاً يعطي لرواية العهد القديم (التوراة) المصداقية، جاءت نتائج هذه الأبحاث فزادت من أزمة الثقة وفقدان تلك المصداقية، مما حدا بكثير من العلماء الى اعتبار روايات العهد القديم مجرد وثائق مقتبسة من الأدب التاريخي والتشريعي لحضارة مصر وبابل وما خلفته الشعوب السابقة، بل وجدنا من النقاد من نعتها بالتوراة الكنعانية.. **وهكذا أجهز علم الآثار على تاريخ الحدث التوراتي، وفك ارتباطه بالأرض المزعومة داخل الروايات التوراتية"**[٢].*

---

[١]. محمد الأسعد: مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ، مرجع سابق، ص ٣٣.

[٢]. مصطفى زرهار: مقاربات في دراسة النص التوراتي- سفر راعوت أنموذجاً، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢. ص ٣٦٦..

أترك المجال للباحث الفلسطيني "أحمد الدبش" ليروي لنا جزءً مهماً من القصة، إذ يقول:

"منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين ومطلع ثمانينياته، بدأ جيل جديد من علماء الآثار باستخدام وتطوير أسلوب مستحدث في التنقيب هو أسلوب المسح الميداني الكامل لمناطق جغرافية معينة (Regional Survey)، بدلاً من الحفر في مواقع متباعدة ومنعزلة عن بعضها. وقد قامت "جامعة تل أبيب" بتجهيز فرق تنقيب متنوعة مزودة بعلماء من شتي الاختصاصات لمساعدة علم الآثار، قام أفرادها سيراً على الأقدام بمسح كل متر من مناطق الهضاب الفلسطينية، وعملت خلال العشرين سنة الماضية على جمع معلومات غزيرة أحدثت ثورة في علم آثار فلسطين. وكلما كانت المعلومات الأركيولوجية تتراكم ويتم الربط بينها وتحليلها تبين للمؤرخين والآثاريين صعوبة ملاءمة هذه المعلومات مع الرواية التوراتية عن أصول "إسرائيل" في كنعان/فلسطين، وعن نشوء ما يدعى بالمملكة الموحدة ومملكتي "السامرة ويهوذا". وهذا ما دفع واحداً من ألمع علماء الآثار في "إسرائيل" وهو "إ. فنكلشتاين" (Israel Finkelstien) إلى الدعوة لتحرير علم الآثار "الإسرائيلي" من سطوة النص التوراتي. ففي ندوة عقدتها جامعة بن غوريون عام ١٩٩٨م وموضوعها أصول "إسرائيل" قال "فنكلشتاين" بأن المصدر التوراتي الذي تحكّم بماضي البحث في أصول "إسرائيل" قد تراجعت أهميته في الوقت الحاضر، ولم يعد من المصادر الرئيسية المباشرة. فأسفار التوراة التي دونت بعد وقت طويل من الأحداث التي تتصدى لرواياتها، تحمل طابعاً لاهوتياً يجعلها منحازة، الأمر الذي يجعل من البحث عن بذور تاريخية في المرويات التوراتية عملية بالغة الصعوبة، هذا إذا كانت ممكنة من حيث الأصل. من هنا يرى "فنكلشتاين" ضرورة استقراء الوقائع الأركيولوجية استقراء موضوعياً وحراً، بمعزل عن الرواية التوراتية"[1].

لابد من التأكيد هنا، على أن الموقف الرافض للاستمرار في إقحام النص التوراتي في شؤون علم الآثار، **لم يكن ناتجاً عن عدم الوصول الى أدلة آثارية تتصل بتاريخ التوراة**

[١]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٥- ١٦.

وتاريخ المنطقة بشكل أو بآخر، بل على العكس من ذلك، كان ناتجاً عن اكتشاف آثار كشفت عن عدم تطابق بينها وبين ما تسرده الرواية التوراتية. فلم تقدم الكشوفات الأثرية أي دليل أثري على الأحداث والشخصيات الكبرى التي في التوراة، كالعبور الابراهيمي، والخروج من مصر، ولا عن المملكة الاسرائيلية الكبرى الموحدة بذلك التهويل الذي يرد عنها في التوراة، ولا عن شخصيات يعقوب ويوسف وموسى وغيرهم من الآباء الكبار، فهذه الأحداث وهذه الشخصيات لا دليل عليها حتى الآن. في حين تم التوصل الى بعض الأدلة الأثرية التي كشفت عن جوانب مهمة في تاريخ المنطقة، لم يرد لها أو عنها أي ذكر في التوراة، والتوصل أيضاً الى أدلة أخرى صححت بعض التناقضات المحيرة مما اكتظت به مساحة النص التوراتي[١].

في كل الأحوال، فإن علم الآثار قدم أدلة على الوجود الضئيل والمحدود للغاية لذلك الكيان الذي يمكن أن يطلق عليه اسم "إسرائيل" في تاريخ فلسطين الواسع والكبير والثري، فقد أثبتت الأدلة الأثرية أن فلسطين لم تكن موطن قومية بعينها أو ثقافة بعينها، بل كانت منطقة اختلاط تداولت عليها أقوام وحضارات وأعراق وثقافات كثيرة، انصهرت بعضها في بوتقة ثقافة مشتركة أو ما شابه، واستطاعت أن تخلق لها وجوداً مميزاً على سبيل العموم، وأفنت الفوارق بين كياناتها على نحو يصعب الحديث معه عن أي أعراق كنعانية أو فلسطينية أو اسرائيلية أو آرامية أو آمورية في تاريخها القديم، فكانت فلسطين طوال معظم عصورها مساحة لكل ذلك التنوع الفريد ومسرحاً لإذابة كتل الفروق والتمايزات بين سكانها، وأي وجود لإسرائيل ليس إلا وجود لحظي قصير وضئيل القامة والأثر.

هكذا، فمنذ ثمانينيات القرن العشرين وحتى بداية القرن الجاري، كانت مصداقية التوراة قد أصبحت على محك أقوى وأعنف أزمة في تاريخها، وهذا ما صرّح به عدد غير قليل من علماء

[١]. سنتعرض ونناقش مسألة الأدلة الأثرية على وجود اسرائيل في تاريخ فلسطين القديم، في فصل لاحق، فليس هذا مقام الحديث والتفصيل بشأنها، نظراً لحاجة الباحث الى التركيز على هدف بعينه في كل فصل من فصول هذه الدراسة.

الآثار الاسرائيليين، وعلى رأسهم عالم الآثار "**زئيف هيرتسوغ**"[١] (**Zeew Herzog**)، الذي قال:

"رويداً، رويداً بدأت تتبلور الثقوب في الصورة وبشكل متناقض نشأ وضع بدأت فيه المكتشفات الكثيرة تزعزع المصداقية التاريخية للوصف التوراتي بدلاً من تعزيزها.

وبدأت مرحلة الأزمة وهي مرحلة لا تنجح فيها النظريات في حل عدد كبير ومتزايد من الأمور المجهولة وتأخذ في إيراد تأويلات غير ملائمة تماماً، وبذلك يلف الغموض لوحة البازلت التي تبنيها المكتشفات الأثرية ليتضح أنها غير قابلة للاستكمال"[٢].

لا مجال للتفصيل في هذه المسألة، لكني أحيل القارئ للتحقق من الأمر من كافة أبعاده ومن مختلف وجهات النظر العلمية لعلماء الآثار اليهود المعاصرين، الى ثلاثة أعمال مهمة، كان لها الأثر القوي في تحطيم اسطورة الصدق المطلق للنص التوراتي، وبالتالي تحطيم ونقض مصداقيتها:

العمل الأول: للبروفسور "**توماس ل. طومسون**":

*"أستاذ علم الآثار في جامعة ماركويت في ميلووكي بالولايات المتحدة الأمريكية، الذي حورب بسبب آرائه المعارضة للتوراتيين التقليديين، فقد طرد من منصبه في العام ١٩٩٢، لأنه دعا في كتابه الذي صدر في العام نفسه، وعنوانه "**التاريخ القديم للشعب***

---

[١]. **زئيف هيرتسوغ**، عالم آثار اسرائيلي معاصر، أحد أبرز علماء الآثار الإسرائيليين، وأستاذ محاضر في جامعة تل أبيب، نشر مقالته الشهيرة ***"علم الآثار يقول لا شيء على الأرض"*** في صحيفة هاآرتس الاسرائيلية في نهاية اكتوبر من العام ١٩٩٩، أصبحت مقالته هذه مرجعاً حيوياً، وشهادة اسرائيلية معاصرة ودامغة بعدم صحة الرواية التاريخية، واعتراف أكاديمي بالظلم الذي وقع على الفلسطينيين جراء الادعاءات الصهيونية التي بررت احتلال أرضهم من قبل الكيان الاسرائيلي. مجموعة من المؤلفين: دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠١٠. ص ٤٤٢.

[٢]. ابراهام مالمات، حييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، مرجع سابق، ص ٨– ٩.

الإسرائيلي"[1] إلى "نقض تاريخية التوراة" أي عدم الاعتماد على التوراة كتاباً لتاريخ المنطقة والحضارات، وإلى اعتماد الحفريات الأركيولوجية (الأثرية) وثروة الآثار الكتابية القديمة كمصادر لإعادة كتابة تاريخ المنطق"[2].

العمل الثاني: لعالم الآثار اليهودي "**كيت وايتلام:**

*"العلاّمة "كيث وايتلام"، أستاذ العلوم الكتابية في قسم الدراسات اللاهوتية بجامعة سترلنغ بالمملكة المتحدة، بمراجعة المؤلفات التي تعاملت مع تاريخ فلسطين القديم، وأدرك في حينه مدى توغل الخطاب الاستشراقي في الكتابات عن تاريخ فلسطين. وأشار إلى أن هناك عملية طمس متعمد ومبرمج من قبل الحركة الصهيونية لكثير من الدلالات التاريخية للمكتشفات الأثرية في فلسطين ومحاولة تفسيرها بطريقة مغلوطة في أغلب الأحيان. فتوصل في **كتابه "تلفيق إسرائيل" التوراتية طمس التاريخ الفلسطيني"**[3] إلى "أن صورة ماضي "إسرائيل"، كما وردت في معظم فصول الكتاب العبري، ليست إلا قصة خيالية، أي تلفيق للتاريخ"[4].*

العمل الثالث: لعالم الآثار الاسرائيلي "**اسرائيل فنكلشتاين**"[5] (**Israel Finkelstein**)، وزميله **المؤلف والمؤرخ الأمريكي "نيل اشر سيلبرمان**"[1] (**Neil Asher**

---

[1]. توماس ل. طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح على سوداح، الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

[٢]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٦.

[٣]. كيت وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة– اسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٤٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ١٩٩٩.

[٤]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٦.

[٥]. **اسرائيل فنكلشتاين**، رئيس قسم الآثار في جامعة تل أبيب في فلسطين المحتلة (اسرائيل)، وبروفسور في القسم نفسه، من أصل ألماني، حصل على الماجستير عام ١٩٧٨، ثم الدكتوراه في عام ١٩٨٣، في علم الآثار من جامعة تل أبيب، شغل منصب مدير أو مدير مشارك للعديد من أعمال التنقيب الآثارية في مناطق مختلفة من فلسطين منذ ١٩٧١، ألف العديد من الكتب في نتائج علم الآثار، فضلاً عن العديد من المقالات المنشورة في دوريات مختلفة أهمها مجله المعاهد الأمريكية للدراسات الشرقية، ومجلة علم الآثار الأمريكية. أنظر:

Silberman)، في كتابهما الشهير: ***"التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها- رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار"***.

هذه الأعمال الثلاثة لعلماء آثار وباحثين يهود، ينتمون الى مدرسة علم الآثار التوراتي، كشفوا فيها عن حقيقة الوضع الذي كان سائداً فيما يتعلق بنتائج الكشوفات الأثرية في مقابل التاريخ التوراتي، وكشفوا عن الكثير من الأخطاء والعمليات التعسفية التي ارتكبها الكثير من المؤرخين وعلماء الآثار التوراتيين طوال الفترة التي سبقت ذلك، منذ بداية أعمال التنقيب الأثري في فلسطين وحواليها.

بيد أن هذا التيار نفسه لم يتحرر قطعياً من تأثير النزعة التوراتية، إذ يعترف "كيت وايتلام" منتقداً نفسه وتيار نقد التوراة الذي انتمى إليه، قائلاً:

"على الرغم من أن هذا التيار اعتقد أنه تحرر من قيود الدراسات التوراتية في بحثها عن إسرائيل القديمة ونجح في تفكيكه للنظريات السائدة، وبخاصة في تركيزه على إظهار أن الفريق الأول لم يعمل حسابا للمعلومات الأثرية المتزايدة من المنطقة، واستمر في اعتبار التوراة كتابا تاريخيا لا يقبل الجدال، فإنه لم يتمكن من الإفلات من قبضة الدراسات التوراتية التقليدية فظل سجينا لها، إذ ساهم في إسكات التاريخ الفلسطيني وطمسه بدلا من إيجاد فضاء له لكي يعبر عن نفسه كموضوع قائم بذاته"[٢].

اسرائيل فنكلشتاين، نيل إشر سيلبرمان: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها- رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، ترجمة وتعليق: سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، (ب . ت). ص ٤٣٧.

[١]. **نيل أشر سيلبرمان**، مؤلف ومؤرخ أمريكي يهودي الأصل، ذو اهتمام خاص بالتاريخ، وعلم الآثار والتفسيرات العامة، زميل سابق لـ غوغنهايم، وخريج جامعة ويزيليان في الولايات المتحدة، مؤلف تسعة كتب في مواضيع آثارية، ومحرر مساهم في مجلة علم الآثار الأمريكية، وفي عدة دوريات علم آثارية أخرى، ولديه خبرة في توصيل الاكتشافات الآثارية لعامة الناس. المرجع السابق، ص ٤٣٨.

[٢]. المقصود بالفريق الأول من العلماء التوراتيين، أولئك الذين اعطوا الأولوية للرواية التوراتية وأخضعوا نتائج علم الآثار لها، من حيث يعتبرون التوراة كتاباً تاريخياً صادقاً على نحو من الإطلاق لا يمكن التشكيك به. وأبرزهم أولبرايت وبرايت (Lbright and Bright) وآلت ونوث (Alt and Noth)، ومندنهول وغوتفالد

يتأكد لنا اعتراف "وايتلام" هذا من خلال ما خلصت إليه أبحاثه الأثرية، وهو:

"أن فلسطين القديمة تعاقبت عليها عدة حضارات، لم تكن اسرائيل- بحسب الأدلة الأثرية المتوصل إليها- تمثل إلا خيطاً رفيعاً في نسيج التاريخ الفلسطيني الغني" [١].

ونفس الفكرة خلص إليها وأعلنها عالم الآثار الاسرائيلي المعاصر "**هيرتسوغ**"، بقوله:

"الحقيقة التي تتضح رويداً رويداً بأنَّ مملكة داود وسليمان الموحدة التي وصفتها التوراة على أنها دولة عظمى إقليمية، كانت في أقصى الأحوال مملكة قبلية صغيرة" [٢].

كما يتأكد لنا الأمر من المنهج الذي أقره "**توماس ل. طومسون**" للبحث في تاريخ اسرائيل المستقل وكتابته، فقد أكد على المنهج الثلاثي لدراسة تاريخ اسرائيل التوراتية:

*"لكتابة تاريخ مستقل لإسرائيل القديمة، لابد من الأخذ بثلاثة أشكال مختلفة من البينات المباشرة المستخلصة من المصادر الأولية، وهي: (١) الحفريات الأركيولوجية وتحليلها، وتصنيف وتفسير الحقائق المستخلصة من الأركيولوجيا ونماذج الاستيطان القديمة **في فلسطين المعروفة جغرافيا وإقليمياً**. (٢) ثروة الآثار الكتابية القديمة المرتبطة مباشرة أو مداورة بفلسطين القديمة، الشعب، جيرانه، اقتصاده، البنى الدينية والسياسية، نمط الحياة والحوادث المعروفة. (٣) **المرويات التوراتية التي تعكس صراحة أو ضمناً المجال الذي تشكلت فيه والذي يرسم تصور اسرائيل التي نبحث عن أصلها"*** [٣].

(Mendenhall and Gottwald)، وغيرهم. أنظر: كيت وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة- اسكات التاريخ الفلسطيني، مرجع سابق، ص ٨.

[١]. المرجع السابق، ص ٨.

[٢]. ابراهام مالمات، حييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، مرجع سابق، ص ١٢.

[٣]. توماس ل. طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ٩١.

أما "اسرائيل فنكلشتاين" و"نيل اشر سيلبرمان"، فيؤكدان على:

"أن لا تاريخ يقدمه علم الآثار لإسرائيل في فلسطين القديمة قبل القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وعلى أن بني اسرائيل لم يكونوا إلا جزءً من السكان الأصليين لفلسطين (الكنعانيين)، فقد كشف علم الآثار وعلى نحو مدهش أن الناس الذين كانوا يعيشون في تلك القرى الفلسطينية إنما كانوا من السكان الأصليين لكنعان، والذين طوروا لأنفسهم بشكل تدريجي فحسب هوية عرقية، أصبح بالإمكان إطلاق اصطلاح "الاسرائيليين" عليها"[١].

هؤلاء جميعاً من علماء الآثار نقاد التوراة، لا ينكرون بأي حال من الأحوال أن اسرائيل وجدت بالفعل في فلسطين القديمة، بل ولديهم أدلة أثرية على ذلك.

بيد أن موقفهم من التوراة ناتج عن أن ما تقوله المكتشفات الآثارية ليس مطابقاً لما تقوله مرويات التوراة، وأنها – أي الآثار– قدمت تاريخاً آخراً لإسرائيل القديمة، مختلفاً تماماً عما ترويه أسفار التوراة، ***وبالتالي فالتوراة ليست إلا كتاب أدب شعبي لا يمكن التعويل عليه في مجال التاريخ، أو أنها مجرد مرويات ملفقة تحكي أساطيراً وقصصاً منتحلة من بعض ثقافات المنطقة القديمة، ولا يصح أبداً اعتبارها مرجعاً للتاريخ، لأن كل الحقائق العلمية التي قدمها علم الآثار تنقض مصداقيتها وتنسفها تماماً.***

نخلص مما سبق، الى أن علماء الآثار الغربيين واليهود منهم بالذات أصبحوا على قناعة تامة بأنه يمكنهم الاعتماد بثقة كاملة على الكشوفات الأثرية في إثبات أن لإسرائيل وجوداً تاريخياً في فلسطين القديمة، وأن لا حاجة لهم الى التوراة التي فقدت أمام علم الآثار كل مصداقيتها، وأن الوجود الضئيل والمحدود جداً لإسرائيل القديمة يكفي لهدم ونسف كافة الادعاءات الصهيونية المتعلقة بأرض الآباء والأجداد والعبور والخروج والامبراطورية الضخمة

[١]. اسرائيل فنكلشتاين، نيل إشر سيلبرمان: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها– رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، مرجع سابق، ص ١٣٨.

وما الى ذلك من القصص الملفقة، والتي ثبت أنها لا أساس لها من الصحة، وإنه لا مناص من إعادة قراءة تاريخ اسرائيل كجزء صغير من التاريخ الفلسطيني.

وعلى الرغم من قوة الحجج التي قدمها تيار نقد التوراة، إلا أن طروحاتهم قوبلت برفض شديد من التيار التقليدي المتمسك بتاريخيانية التوراة ومصداقيتها المطلقة. فهؤلاء يؤمنون بأن كل ما ورد في التوراة صحيح ولا يمكن نقضه بهذه السهولة، وإذا لم ينطبق هذا التاريخ التوراتي على فلسطين فهذا لا يعني أنه لم يحدث، بل يعني أنه حدث في فضاء جغرافي أوسع، وبالتالي فلابد من توسيع نطاق البحث الجغرافي عن بقية مواطن التوارة.

هكذا إذن، فقد جاءت نظرية الصليبي في توقيتها المناسب بالضبط، لا لإثبات شيء كما يوهمنا روادها، بل لإعطاء التوراة فرصة جديدة، وللإبقاء على قبس كبير من الأمل بمصداقيتها المطلقة. فأزمة التوراة منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي وحتى اليوم، هي أزمة مصداقية، ويجب إيجاد مخرج للتوراة من أكبر وأعنف أزمة واجهتها في التاريخ.

[3]

نظرية جديدة لإنقاذ التوراة

قلت من قبل، أن الاستدلال الثاني الذي أقامه رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، يفيد بأن علم الآثار لم يقدم أي دليل حتى الآن على الأحداث التوراتية بأنها وقعت بالفعل في فلسطين، وهذا الاستدلال أدى الى خلق الفرض الرئيسي الأول لهذه النظرية، ***وهو أن أحداث التوراة صحيحة ولكنها لم تحدث في فلسطين، بل في مسرح جغرافي آخر***، والذي بات يدعمه ذلك التشابه المدهش بين أسماء المناطق المذكورة في التوراة، والتي لوحظ عن طريق الصدفة أنها موجودة في نسق طبوغرافي وجغرافي واحداثي عجيب في بعض المناطق من جزيرة العرب.

جاء هذا الفرض متسقاً مع ما كانت عليه الأوضاع في ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، حيث كانت التوراة والباحثين التوراتيين، يواجهون أعنف نقد علمي في تاريخ البحوث الأثرية المستندة الى الرواية التاريخية للتوراة. عندما وضعت الأدلة الأثرية المكتشفة في فلسطين ومصر وسوريا والعراق مصداقية النص التوراتي على المحك، وأجهزت عليها تماماً. فبعد أن كان يُفترض أن أي آثار يمكن اكتشافها في تلك المناطق لابد وأن تأتي لتدعم صحة ومصداقية التوراة، حدث العكس من ذلك تماماً، ومن ثم فقد وقعت التوراة وبحوث المؤرخين التوراتيين تحت مطرقة النقد الشديد، بل وتخلق تيار كامل يدعو الى التخلي عن دراسة تاريخ المنطقة على أساس التاريخ التوراتي، الذي ثبت أنه يفتقد الى المصداقية ويعتريه الكثير من التناقض والزيف.

في هذا التوقيت ظهرت نظرية "كمال الصليبي، ومع تفاقم واتساع نطاق أزمة مصداقية التوراة في تسعينيات القرن العشرين، برز رواد النظرية الآخرون من الباحثين العرب، والذي يبدو أن جهودهم قد اتجهت بشكل مباشر نحو انقاذ التوراة، وفتح باب آخر للإبقاء على افتراض

مصداقيتها المطلقة، أكثر ما أنها اتجهت بالفعل نحو تفنيد ادعاءاتها وهدمها، وهذا ما يؤكدونه هم بأنفسهم وبصيغ صريحة لا لبس فيها ولا غموض.

الأساس الجوهري الذي تستند إليه هذه النظرية والقاعدة الصلبة التي تقوم عليها، هو القول بأن: ***الرواية التاريخية التي تسردها التوراة صحيحة وأن ما وقع عليه التزوير في التوراة هو في تحديد جغرافيتها***. فهذا ما صرح به الصليبي حرفياً، بقوله:

"في الدراسة الراهنة، ستقلب الأمور رأساً على عقب. وبدلاً من أخذ جغرافية التوراة العبرية كمسلمة ومناقشة صحتها كتاريخ، سآخذ تاريخيتها كمسلمة وأناقش جغرافيتها"[١].

كما صرح به أيضاً "زياد منى"، بقوله:

*"رغم كافة القناعات والقناعات المتجددة، بقي هاجس غياب الدليل الأثري الحاسم يلاحق كتابات وتحليلات أصحاب المنهجية التقليدية وفهمهم الجغرافي، لكن في الوقت نفسه، كان الرأي التقليدي لا يطرح كموضوعة قابلة للتصويب أو القلب، وإنما كحقيقة مطلقة غير قابلة النقاش علمياً...**[لذا فإني وحتى يتحقق الشرط العلمي- العثور على دليل أثري في فلسطين]، سأبحث في جغرافية التوراة ضمن إطار جزيرة العرب، وأقدم للقراء ما أصل إليه من نتائج"[٢].***

يتناقض "زياد منى" مع نفسه هنا، فهو يسوغ لنفسه البحث عن جغرافية التوراة في إطار جزيرة العرب بسبب عدم تحقق الشرط العلمي وهو العثور على دليل أثري في فلسطين، مع أنه لا يملك أي دليل أثري واحد في جزيرة العرب يبرر له البحث فيها باعتبارها جغرافية التوراة، فلماذا لا يضع هذا الشرط لنفسه أمام جزيرة العرب؟!- هذا هو التناقض الثالث الذي أشرت إليه من قبل، والذي وقع فيه جميع رواد النظرية.

---

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٣.

[٢]. زياد منى: جغرافية التوراة: مصر وبنو اسرائيل في عسير، مرجع سابق، ص ١٧- ١٨.

بالانتقال الى المفكر العربي "فاضل الربيعي"، نجده يتبنى نفس الموقف ويصرح بأنه لا يعترض على الرواية التاريخية للتوراة، وإنما يقع مناط التأكيد في اعتراضه على انكار صلة هذه الرواية وأحداثها بفلسطين، وذلك في سياق حديثه عن الموقع الحقيقي الذي حدث فيه السبي البابلي، إذ يقول:

"لكن، أين وقع السبي البابلي، وما حقيقته؟ ***وبالطبع فنحن لا ننكر وقوع الحدث، بل ننكر صلته بفلسطين،*** *وما يمكن الجزم به في ضوء الكثير من الأدلة الأثرية والتاريخية التي أقدمها-الربيعي يقدمها- أن التوراة التي استند إليها كتاب التاريخ من التيار التوراتي لتأكيد وقوع السبي، لا تشير البتة الى المكان الذي وقعت فيه"*[١].

نفهم مما تقدم، أن رواد هذه النظرية بنوا نظريتهم على النحو الذي تترتب فيه ثلاثة أمور، يتبين لنا من خلالها علاقة نظريتهم بمدرسة الاستشراق التوراتية وعلم الآثار التوراتي المتعصب والمتطرف، كالآتي:

الأمر الأول: أن القصة التوراتية كتاريخ، رواية صحيحة جرت أحداثها ووقائعها فعلاً، ولا مجال لإنكار ذلك- **[هذه هي قناعة علماء الآثار التوراتيين والمؤرخين المتطرفين للتوراة في الغرب، وفي اسرائيل، فضلاً عن كونها معتقد العامة من اليهود والمسيحيين].**

الأمر الثاني: أن أحداث التاريخ التوراتي لا علاقة لها بفلسطين، ولا تنطبق على جغرافيا فلسطين، كما أن لا دليل أثري تم العثور عليه في فلسطين يتعلق بأحداث التوراة- **[هذه الفكرة ولدت في قلب مدرسة الاستشراق التوراتي، كما أثبتنا ذلك في الفصل الأول].**

الأمر الثالث: هناك تشابه كبير بين الأسماء الجغرافية التوراتية والأسماء الجغرافية في جزيرة العرب واليمن، وهو ما يلزم بإعادة تاريخ التوراة الى مسرحه الحقيقي- أي الى جزيرة العرب واليمن- **[هذه الفكرة ولدت بالصدفة كما قال الصليبي والربيعي- والحقيقة أنها إحدى بنات أفكار المستشرقين كما تبين لنا من قبل].**

---

[١]. فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي، مرجع سابق، ص ٧.

هكذا، أعُيد بناء الموقف الاستشراقي المتعصب للتوراة والمدافع عن مصداقيتها المطعونة بإحكام، ولكن هذه المرة ليس بأيدي المستشرقين أو علماء الآثار التوراتيين، بل بأيدي أصحابنا رواد النظرية من الباحثين العرب. فالافتراض الجوهري الذي تقوم عليه هذه النظرية ليس إلا مصداقية التاريخ التوراتي المطلقة، في مقابل حصر الخطأ في الجغرافيا، وهو الخطأ الذي يمكن تصحيحه بإعادة وضع أحداث التوراة في جغرافيتها الحقيقية كما يقول بذلك جميع رواد النظرية.

في هذا الشأن، يقول الباحث العربي "فراس السواح":

"وفي الحقيقة، فإنه منذ ظهور النقد المنهجي للتوراة اعتباراً من مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، لم تقم مدرسة واحدة على القبول المطلق للرواية التاريخية باعتبارها تاريخاً حقيقياً غير خاضع للمناقشة أو النقد، ***باستثناء الاتجاه اللاهوتي الذي يؤمن بأن الكتاب في صيغته الحالية- أي التوراة- هو كلمة الإله الموحاة الى الأنبياء.*** *ثم جاء عصر الاكتشافات الأركيولوجية الكبرى في آشور وبابل عند منقلب القرن التاسع عشر، وفي سورية مع مطلع القرن العشرين،* ***ليضع بين أيدي الباحثين التوراتيين معلومات تاريخية ونصية وأركيولوجية، لم يسقطها من حسابه أحد قبل كمال الصليبي، قط"***[1].

بيد أني أقول أنه لم يعد لكلمة "**قط**" - التي جعلها السوّاح في نهاية كلامه- دلالتها الصادقة كما كانت في وقتها عندما كان الصليبي هو سيد النظرية ومالكها الأوحد. فقد صار لدينا سبعة أو ثمانية من الباحثين العرب يقولون نفس ما قاله الصليبي، بل ويمعنون في اعطاء التوراة مصداقيتها المطلقة، في حين أن المستشرقين التوراتيين وعلماء الآثار اليهود المتعصبين للتوراة والمنتقدين لها تورعوا عن فعل ذلك، احتراماً للحقيقة العلمية أولاً والتزاماً بالموضوعية وأخلاقيات العلم والعلماء ثانياً.. وهذه هي المفارقة القاسية والمؤلمة.

يتابع "السوّاح"، موضحاً الى أي مدى بلغ الصليبي من خلال نظريته في إعطاء التوراة مصداقيتها المطلقة على حساب كل الأدلة والمرجعيات التاريخية والأثرية الأخرى، قائلاً:

[١]. فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب- نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، مرجع سابق، ص ١٩٣.

"وهو بعد أن شككنا – أي الصليبي- بكثير من معلوماتنا حول تاريخ بلاد الرافدين والشام ومصر، ورفض السجلات التاريخية كوثيقة يمكن الاعتماد عليها- إلا إذا قرأت على طريقته، فإنه لم يترك أمامنا من معيار آثاري ونصي وتاريخي يمكن الاعتماد عليه في نقد التوراة، لتبقى وحدها الوثيقة المعتمدة، شاهدة على نفسها وشاهدة على أحداث عصرها. وهذه نتيجة لم يضعها قطعاً في حسبانه عندما شعر بأن من الواجب أن لا يبقي ما توصلت إليه معرفته بشأن التوراة سراً"[١].

لقد أرسى كمال الصليبي الأسس الأولى لنظريته التي تقف وجهاً لوجه ضد الحقائق العلمية التي قدمها علم الآثار من ناحية، وضد كل قواعد المنطق والمعايير العقلانية من جهة أخرى. ***فبحسب نظرية الصليبي واضافات الرواد الآخرين الذين جاءوا من بعده، أصبحت كل كلمة وكل حرف يرد في أسفار التوراة حقيقة مطلقة تنطبق انطباقاً مدهشاً وعجيباً على جغرافية عسير وغامد واليمن، وفي محصلة جميع النظريات التي انشقت عن نظريته وتآلفت معها، نجد كل من هذه المناطق وهي تشكل لوحدها مسرحاً لأحداث التوراة، بل ومن هذه المناطق أيضاً ما ابتكر فيها هؤلاء الرواد مسرحين أو أكثر للقصة التوراتية.***

من جانب آخر وفي مقابل ذلك كله، يبدو أن عدوى التناقضات التوراتية انتقلت الى رواد هذه النظرية، فهم إذ يتقبلون نتائج علم الآثار عن علماء الآثار الغربيين واليهود برحابة صدر، ويتبنون مواقفهم النقدية للتوراة التي تستند الى الحقائق الأثرية، فإنهم في الوقت نفسه يتبنون موقفاً مناقضاً لذلك تماماً، يؤكدون فيه على أن ما تسرده التوراة من الناحية الجغرافية ينطبق على جزيرة العرب، فعلى سبيل المثال نجد الباحث العربي اللبناني "فرج الله صالح ديب"، وهو يستشهد بموقف أحد علماء الآثار الغربيين واليهود، قائلاً:

"أما (شانكس) فيعلن في مجلة الآثار التوراتية: إننا لا نستطيع التطلع أدبياً الى نصوص التوراة، كما أنها ليست نصوصاً مخترعة، وإذا كان معظم علماء الآثار يتفقون معه من حيث المبدأ، إلا أن ثمة نقاط عديدة مفتوحة للخلاف، خاصة الأجزاء أو الأسفار

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٩٣.

الأولى من التوراة، مثال العبودية في مصر، ووجود موسى فيها، ومعارك يشوع بن نون في الأراضي المقدسة، حيث ليس من أدلة على وقوعها، وليس من إشارات في الأثريات والمخطوطات لمسألة موسى وخروجه ومسألة يشوع أي ذكر"[1].

يأتي استشهاد "ديب هذا في السياق الذي يعتقد فيه أن نظريته بشأن جغرافية التوراة في اليمن تدخل في نطاق "نقد التوراة"، وهو اعتقاد زائف لا أساس له من الصحة، بل أن الصحيح هو العكس من ذلك تماماً. فنظريته تدخل في نطاق تسوير التوراة وحجبها عن دائرة النقد العلمي الذي أفحمها وزعزع مصداقيتها، الأمر الذي ينطبق حتماً على جميع رواد هذه النظرية على حد سواء، لأنهم يقفون في حقيقة الأمر الى جانب أكثر المستشرقين وعلماء الآثار تطرفاً للتوراة، ويأخذون ويستمدون منهم أسس نظريتهم ومقولاتها.

يبين لنا أحد رواد هذه النظرية أهم المقولات التي تبناها "ديب"، في نفس الوقت الذي يبين فيه مصدر تلك المقولة، على سبيل الآتي:

"توصل الباحث العربي الجاد "فرج الله صالح ديب" الى أن كلمة "يهود" كلمة عربية قاموسية. من جذر "هود"، وهي نسبة للنبي "هود"، الذي يرد ذكره في القرآن الكريم، وقبره وقريته مازالا في حضرموت باليمن.. فبعد أن استعرض تعريف كلمة "اليهود" في مختار الصحاح، يتوصل الى نتيجة مفادها أن اليهود هم قوم النبي "هود"، وهو نبي مرسل الى قوم "عاد"..!!

والجدير بالذكر أن أطروحة ديب هذه التي تعد اليهود هم قوم النبي هود، ليست بجديدة، فقد سبق إليها العديد من المستشرقين (الثقات)، فقد لاحظ المستشرقون وجود شبه بين اسم النبي "هود" و"هود" الواردة في القرآن أيضاً بمعنى "يهود"، وأشاروا الى أن "هوداً" تعني "التهود"، أي الدخول في اليهودية" كما لاحظ المستشرقون [الثقات] أن بعض النسابين قالوا أن هوداً هو "عابر بن شالح بن ارفكشاد" جد اليهود، فذهبوا الى أن "هوداً"

---

[١]. فرج الله صالح ديب: كذبة السامية وحقيقة الفينيقية، الطبعة الأولى، دار نوفل، بيروت، ١٩٩٨. ص ٣٠. نقلاً عن: أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٨..

لم يكن اسم رجل، وإنما اسم جماعة من اليهود هاجرت الى بلاد العرب، وأقامت في الأحقاف وحاولت تهويد الوثنيين، وعرفوا بيهوذا، ومنها جاءت كلمة هود، واستعملت ذاتها من باب التجوز علماً للشخص"[1].

إزاء هذا النص، لا داعي للخوض مرة أخرى في مسألة تصنيف المستشرقين الى ثقات وغير ثقات، وهذا أولاً. أما ثانياً، فهذا النص مليء بالتناقضات التي لا أخجل من تسميتها بـ "المغالطات" لأنها حرفياً كذلك، فحكاية النبي هود لا ترد في التوراة إطلاقاً، وهي مما جاء في القرآن وتفرد به دون غيره من كتب الديانات السماوية الثلاث، وهود أرسل الى قوم (عاد)، وهذا منصوص عليه صراحة في القرآن ولا غبار عليه، وكل الآيات التي يرد فيها ذكر هود وقومه لا يرد فيها أي ذكر لعلاقة تربط بينهم وبين اليهود، وجميع كتب الإخباريات تعد قوم عاد من العرب البائدة، إذ يأتي ذكر قوم عاد باعتبارهم من أقدم الأقوام التي عاشت بعد طوفان نوح، أي في عصور سحيقة جداً قبل عصر النبي ابراهيم الذي تُقرر التوراة أن اليهود أو بالأصح بني اسرائيل ينحدرون من سلالته، بالإضافة الى بني عمومتهم الهاجريين/ الاسماعيليين.

وإذن، فما هو وجه العلاقة بين قوم عاد وبني اسرائيل؟ وما وجه العلاقة بين السلالة الاسرائيلية ونبوة هود والديانة اليهودية؟ لاسيما إذا عملنا بالاعتبارات التي لطالما أكد عليها رواد هذه النظرية أنفسهم، بضرورة التمييز والتفريق بين بني اسرائيل كعرقية اثنية، وبين اليهود معتنقي اليهودية.

إنها وحسب تناقضات، انتقلت عدواها من النص التوراتي بشكل أو بآخر وجرى اسقاطها حتى على النص القرآني، علماً بأن هذا الرأي يتناقض جملة وتفصيلاً مع ما ورد في القرآن الكريم، ولا سند له في التوراة، فضلاً عن ذلك فإن اليهود والمسيحيين- منذ القدم وحتى اليوم- لا يؤمنون بأي نبي من خارج ما هو منصوص عليه في العهد القديم.

كما أسلفت من قبل، فإن علم الآثار -بإقرار جميع علماء الآثار الغربيين واليهود وغير الغربيين وغير اليهود- لم يتوصل حتى الآن الى أي أدلة أثرية على الأحداث والشخصيات

[١]. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني اسرائيل في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

الكبرى التي تتحدث عنها أسفار التوراة، كالعبور الابراهيمي لنهر الفرات وارتحاله الى حاران في الشام، وشخصيات الآباء الكبار يعقوب ويوسف وموسى وأحداث الانتقال الى مصر والخروج منها، وشخصيات الملك داود وسليمان وأحداث تأسيس مملكة اسرائيل الموحدة بذلك التهويل الذي يرد عنها في التوراة، فكل هذه الأمور لا دليل عليها من الناحية الأثرية، ويمتنع جميع علماء الآثار عن الحديث عنها، بل أن منهم من اعتبرها حكايات اسطورية، ومنهم من اعتبرها مجرد قصص ملفقة.

بيد أننا نجد رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، جميعهم على حد سواء، يصرون على بحث هذه المسائل التي لم يبت فيها علم الآثار إطلاقاً، ويبنون نظريتهم من خلال التركيز عليها على طريقتهم في تأويل التشابهات اللفظية.

إنهم وبالفعل يقومون ولمرة أخرى بعملية التعسف نفسها التي قام بها علماء الآثار التوراتيين. فنظرة واحدة على عناوين كتبهم وأعمالهم أو فهارسها وقوائم محتوياتها تكشف بشكل واضح عن مدى تركيزهم على هذه القصص، واطباقهم لها اطباقاً حرفياً على جغرافية الجزيرة العربية، من حيث لا أدلة أثرية تسندهم ولا سجلات تاريخية تدعمهم، فليس لديهم إلا قرائن التشابهات اللفظية بين أسماء المناطق، وآراء المستشرقين التوراتيين المتعصبين للتوراة.

وإنهم يفعلون ذلك على نحو عجيب أحياناً، ومثير للسخرية والسخف أحياناً أخرى، ومثال على ذلك، ما يلي:

*"وبعد ايجاز الآراء حول غياب الأثريات بالعلاقة مع التوراة، وفحواه أن لا أثر مادياً، وتاريخياً يؤكد أن مسرح سفر يشوع في فلسطين. ولكن أين كان المسرح الجغرافي للسيد يشوع؟!- **إن الأثريات المفقودة في فلسطين، عن معارك يشوع بن نون، سرعان ما نجدها في اليمن**، وضمن منطق جغرافي يتناسب مع السرد التوراتي لسفر يشوع، فالملك ليس سوى زعيم عشيرة"[1].*

[١]. المرجع السابق، ص ٨١.

أين هي الأثريات التي فقدها الأستاذ أحمد الدبش في فلسطين وسرعان ما وجدها في اليمن؟!- إنها ضمن منطق جغرافي يتناسب مع السرد التوراتي.. يالله..!!

النص السابق، يجسد واحدة من الانتقالات الكثيرة التي يحشدها رواد هذه النظرية في كتبهم على هذه الطريقة أو مثلها دائماً. ولو تذكرنا التناقض الثالث الذي تحدثت عنه في بداية الفصل، وكيف أن غياب الدليل الأثري في فلسطين هو المسوغ الرئيسي لقولهم بأن جغرافية التوراة في جزيرة العرب أو في اليمن، فيتعاملون مع هذه المناطق الأخيرة وكأنهم وجدوا فيها الدليل الأثري الذي لم يجدوه في فلسطين، وبالطبع لا دليل أثري على هذه القصص لا في فلسطين ولا في جزيرة العرب، وبدلاً من أن ينطبق الموقف على المنطقتين، فيقال إن ما لا دليل أثري عليه هنا أو هناك يظل بعيداً عن دائرة الاعتبار العلمي والتاريخي حتى يثبت بشأنه شيء، وأنه من حيث لا ينبغي اسقاط أحداث التوراة على فلسطين لغياب الأدلة الأثرية، فإنه لا يجوز اسقاطها أيضاً على جزيرة العرب لنفس السبب، نجدهم وهم يتناقضون مع أنفسهم بشكل سافر، ويسقطون نظريتهم على اليمن وجزيرة العرب.

كيف نفسر هذا التناقض؟!- *في الحقيقة، لا تفسير لموقفهم هذا إلا أنه ناتج عن حرصهم الشديد على تأكيد مصداقية التوراة واعطائها تلك المصداقية بأي شكل من الأشكال، وأن هذه هي غايتهم التي تبرر لهم كافة الوسائل.*

ما هو أكثر من مثل هذه التناقضات، هي تلك الشطحات التي نجدها لدى المفكر العربي "فاضل الربيعي"، فهو في مؤلفه الضخم والثقيل "فلسطين المتخيلة"، لا يكشف لنا عن تناقضات من هذا النوع فحسب، بل ويقدم لنا شطحات تُجّذر عمله في بؤرة الأهداف والغايات التي يسعى إلى تحقيقها التيار التوراتي المتطرف، بما يكفي ليتضح هدفه غير المعلن: ***الدفاع عن مصداقية التوراة المطلقة***".

تُرى، ما الذي يعنيه لنا عنوان "فلسطين المتخيلة"؟!- بدلاً من أن يكون موضوع الربيعي هو نفي وتفنيد أي وجود لإسرائيل التوراتية في فلسطين باعتبارها "اسرائيل متخيلة" وضعها خيال كتبة التوراة، نجده وهو يُحيل هذا التوصيف الى "فلسطين" وعليها، بمعنى أن أي

فلسطين نتحدث عنها ليست أكثر من وهم متخيل ناتج عن تحريف الحقيقة على أيدي المستشرقين الغربيين واليهود الذين فرضوا علينا قراءتهم الغربية للتوراة، يقول الربيعي:

"منذ عام ١٩١٧ جرى تخييل لفلسطين التاريخية ما كان لها تنجو منه، يرتكز أساساً الى فهم مخادع ومضلل للنصوص للتوراتية على الصعيدين التاريخي والجغرافي. وبموازاة هذا التخييل انطلقت سلسلة لا نهاية لها من الأعمال والسياسات والمكائد والمناورات الرامية الى محو فلسطين من الوجود واحلال فلسطين أخرى، قابلة تجريدياً لأن ينظر إليها على أنها أرض الميعاد الاسرائيلي"[١].

وفي كتابه "حقيقة السبي البابلي" يصر الربيعي على التمسك بهذه الشطحة، قائلاً:

"وفضلاً عن ذلك فالتوراة في نصها العبري، تجهل اسم فلسطين والفلسطينيين كلياً، وكل ما يقال عن أنها أشارت الى فلسطين والقدس العربية، هو محض خيال استشراقي سقيم"[٢].

الجدير بالذكر، أن الربيعي عادة ما يكتب بلغة مراوغة للغاية، يصعب على القارئ العادي فهم ما يرمي إليه صاحبها بوضوح، وهذا أمر يمكن ملاحظته بسهولة في كتبه ومؤلفاته، وهو ما ينطبق على ما ورد من أقواله آنفاً. فظاهر الأمر أن الربيعي يدافع حقاً عن فلسطين التاريخية، وهي غير فلسطين الجغرافية، مع أني لا أعرف بالضبط ما الذي يعنيه مفكرنا بمثل هذا التمييز، لكنه في واقع الأمر يدافع عن التوراة التي تعرضت لتزييف قراءتها وتفسير مضمونها لتصبح معانيها خادمة للمصالح الامبريالية الغربية، جغرافياً وتاريخياً، ولابد من تحريرها من هذه القراءة، لكي يعود للنص التوراتي مصداقيته الأصلية.

تتكشف هذه الحقيقة، عندما نقرأ مقالة الربيعي التي نشرها في يناير من العام ٢٠١٧ في موقع الجزيرة نت الالكتروني، وكانت بعنوان: ***"التوراة لم تذكر اسم الفلسطينيين ولا تعرف***

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد (١)، مرجع سابق، ص ٢٤.

[٢]. فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي، مرجع سابق، ص ٧.

فلسطين"..!!- هذا العنوان واضح ويعكس بشكل أكيد الدلالة السابقة لعنوان كتابه "*فلسطين المتخيلة*" . فالربيعي لا يقيم معياراً لأي مرجعية إلا معيار النص التوراتي، وبالتالي فإن فلسطين في نظره لا تعدو أكثر من مجرد وهم تاريخي، لا ذكر له في التوراة.

يقول الربيعي في مستهل مقالته تلك ووسطها، بصيغته الجازمة التي يبدأ بها مقدمات كتبه ومقالاته:

"لا وجود قط لاسم فلسطين أو فلسطينيين في التوراة. وكل ما يقال ويزعم في الدراسات والبحوث التاريخية "المعاصرة" عن وجود الاسم منذ عام ٥٠٠ قبل الميلاد، هو تسويق مجاني لفكرة زائفة لا أساس ولا سند لها، لا في التاريخ ولا في النصوص الدينية.

لقد تمّ الترويج لخدعة وجود اسم فلسطين في التوراة، بعد مؤتمر بازل الذي عقدته الحركة الصهيونية (المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة تيودور هرتزل في مدينة بازل ب سويسرا يوم ٢٩ أغسطس/آب ١٨٩٧). في هذا الوقت كان هرتزل يشعر أن الأثرياء اليهود البريطانيين بشكل خاص، لم يكونوا متحمسين كفاية لتمويل مشروع (الوطن القومي) في فلسطين، ربما لإدراكهم بالتعقيدات السياسية"[١].

هذه هي النتيجة المتوقعة للركض المهووس وراء مصداقية التوراة، على حساب العلم والحقيقة المثبتة تاريخياً وأثرياً وجغرافياً.

---

[١]. فاضل الربيعي: التوراة لم تذكر اسم الفلسطينيين ولا تعرف فلسطين، ١٢ يناير ٢٠١٧، متاح على الرابط الالكتروني: http://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/1/12/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A9-%D9%84%D9%85-%D8%AA%D8%B0%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D8%B3%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86- 10 Nov 2017.

في هذا الشأن، اضطر الباحث الفلسطيني "أحمد الدبش" لنشر مقالة أخرى للرد على الربيعي، جاء في خاتمتها:

"من المناسب أن نختتم هذا المقال، بما يقول المفكر الفرنسي بير روسي، في كتابه "مدينة إيزيس- التاريخ الحقيقي للعرب": إن إعادة اسم فلسطين الوحيد إلى هذه الأرض يصبح إذاً ليس فقط مطابقاً للقاعدة التاريخية الأدق والأصح، ولكن لرفض تدخل أو وساطة أحكام علمية تعسفية ومسبقة. إنه ليس هذا العرق أو ذاك، هذا الدين أو ذاك الذي استفاد من انتخاب الطبيعة، ولكنها، فلسطين، القطر ذاته، الذي أخلى الشكل الخارجي في البحر المتوسط لمركز ثقافي مختار. فإلى غالبية سكانه إنما يعود دور ناشري الفنون والعلوم"[١].

لو كان لكلام الربيعي معنى آخر غير الذي فهمناه ووضحناه، لما لزم على الدبش أن يرد عليه، ***علماً بأنهما يتفقان في نظريتيهما عن جغرافية التوراة على أنها في اليمن، وينشران مقالاتهما بشكل دوري في موقع الجزيرة نت***. وبالرغم من أن رد الدبش كان سطحياً للغاية، إلا أن دافعه الى كتابته ونشره في نفس الموقع واضح للغاية، وهو رفض وتفنيد فكرة الربيعي القائلة بأن فلسطين مجرد وهم تاريخي لا أساس له في التوراة والكتب الدينية، ومغزى ذلك كما فهمه الدبش وفهمناه نحن، ***أن الربيعي يعطي لإسرائيل التوراتية وجوداً حقيقياً، جغرافياً، وتاريخياً، ولو كان ذلك الوجود خارج نطاق جغرافية فلسطين التي نعرفها، ولكنه في المقابل يفرغ فلسطين هذه من ذاتها، ويلغي باستدلالاته اللفظية وتفسيراته الغرائبية أي وجود لها***، وذلك كله في سياق نصي غائم يصوغه الربيعي بلغته المراوغة، بحيث يوحي ظاهر كلامه بأنه يدافع

---

[١]. جرت عادة الباحث الفلسطيني أحمد الدبش أن يقتبس عناوين كتب المستشرقين والباحثين الغربيين ويجعل منها عناويناً لفصول كتبه ومقالاته، فقد اقتبس عنوان كتاب *"ألان غريش" **"علامَ يُطلَق اسمُ فلسطين"*** وجعله عنواناً لمقالته هذه التي رد بها على فاضل الربيعي. أنظر: أحمد الدبش: علامَ يُطلَق اسمُ فلسطين؟ ٤ اكتوبر ٢٠١٧، متاح على الرابط الالكتروني:
http://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/10/4/%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%8A%D8%B7%D9%84%D9%82-%D8%A7%D8%B3%D9%85-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86- 10 Nov 2017.

عن هوية فلسطين العربية، بينما هو في حقيقة الأمر يطلب منا أن ننسف أي وجود لهذه الـ "فلسطين" من رؤوسنا، لأن لا حقيقة إلا ما تنطق به التوراة.

بالعودة الى كتاب "فلسطين المتخيلة" للربيعي، وبدون أن نتعمق كثيراً فيه أو أن نتجاوز الصفحة رقم (٢٤)، نجده في ***أول مثال يقدمه لنا لإثبات نظريته***، يكشف عما هو أسوأ من تناقضاته وشطحاته تلك، بلغته المراوغة نفسها التي يُخفي ورائها موقفه المستميت دفاعاً عن مصداقية التوراة، وأقصد بذلك جهله الفظ أو تجاهله المكشوف للحقائق الجغرافية الثابتة. فلنقرأ له النص التالي:

"إن سائر هذه المواضع-[يقصد "بيت عون"، "لوز"، "بيت عيل"، أريحا، حورون السفلى.. الخ، وهي أسماء أماكن توراتية]- هي جزء من سلسلة جبلية لا وجود لها في فلسطين، ومن المستحيل تخيل امكانية زوالها، فحتى لو افترضنا أن هذه الأسماء تلاشت أو ضاعت، فإن السلسلة الجبلية ستظل هناك"[١]..؟!

علامتيّ الاستفهام والتعجب في آخر النص من عندي، فهذا القول مثير للدهشة والغرابة بل ومثير للفجيعة، حتى أني قلت في نفسي حين قرأته: ***"ياللهول"؟!***

ألا يوجد جبال في فلسطين؟!

إن طفلاً في الصف السادس من التعليم الأساسي يعلم جيداً أن جغرافية فلسطين حافلة بالجبال وبالسلاسل الجبلية، بل أن إقليم المرتفعات جزء مهم من تضاريس فلسطين. ***فهناك سلسلة جبال الخليل ورام الله وسلسلة جبال الكرمل وهي مناطق مشهورة للقاصي والداني، فضلاً عن أن جغرافية فلسطين عامرة بالهضاب والتلال والآكام والآطام والجبع والجبعات المتفاوتة في المساحة والارتفاع، على نحو يفرض أن تكون كل طرق فلسطين صعوداً وهبوطاً لأي كان بشراً أو بعيراً.***

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد (١)، مرجع سابق، ص ٢٤.

هذا ما يجده القارئ منذ اللحظة التي يقع فيها نظره على غلاف كتاب "فلسطين المتخيلة"، ثم في أول دليل يقدمه الربيعي لإثبات نظريته في الصفحة رقم (٢٤)، فماذا يتوقع القارئ بعد ذلك أن يجده في (١٢٠٠) صفحة لمجلدين ثقيلين، لا أثقل منهما إلا كتب ومجلدات تفاسير التوراة.

في رأيي، أن عملاً مثل هذا لا يخرج عن نطاق كتب التفسير والتأويل للنصوص الدينية التي يكتبها ويؤلفها الحاخامات وسدنة التوراة، والتي لا علاقة لها بأي شيء مما يسمى اليوم بـ "العلم".

هكذا هو الحال، نجد أن شعارات رواد هذه النظرية تقتلنا دفاعاً عن فلسطين وتاريخ فلسطين وجغرافية فلسطين، ولكن هذا لا يتجاوز الصفحات القليلة الأولى من أعمالهم، أما بعد ذلك فكل تطبيقاتهم البحثية مسخرة لخدمة القصص التوراتية: ***البحث عن نوح، اقتفاء أثر رحلة ابراهيم، تتبع مسار دخول بني اسرائيل الى مصر وخروجهم منها، البحث عن يوسف وموسى في قوائم الأسماء المصرية والبابلية والصينية والطحينية، شرح النص التوراتي بشأن غزوات يشوع بن نون، ومملكة داوود وسليمان، الخ الخ الخ.. كل ما سكتت عنه المكتشفات الأثرية يتكلمون هم عنه ويحتفون به، ويخبروننا بأنها حقائق حدثت في عسير ونجران واليمن وجزيرة كوريا موريا في البحر الأحمر..***

شعاراتهم في وادٍ وأعمالهم في وادٍ آخر..!!

والسؤال الذي أطرحه وسبق أن طرحه آخرون من قبلي: ***إذا كان التاريخ التوراتي ليس هو تاريخ فلسطين، فأين هو تاريخ فلسطين الحقيقي؟!***

لماذا لا يكشفون عن تاريخ فلسطين الحقيقي بدلاً من الهوس بأحداث التوراة، وكلماتها ومسمياتها؟!- هذا لا يهم رواد نظريتنا الفطاحل، المهم عندهم هو تاريخ التوراة وأحداث التوراة.

ألا يبدو لأحد هنا، أننا نقف أمام نظرية لا تؤدي إلا الى تشويش الوعي التاريخي والجغرافي للجيل الحالي والأجيال القادمة، وأن ثمة علاقة مُريبة بين هذه النظرية الجغرافية وبين

مفاهيم السياسة الدولية المعاصرة عن خارطة الشرق الأوسط الجديد، والأحداث التي تشهدها المنطقة، حيث يجري تمزيق الأوطان وشرذمة الشعوب العربية على أسس عرقية وطائفية ملفقة ومزيفة، في اتجاه يقود نحو سايكس بيكو جديدة أو ما شابه، بينما تنعم اسرائيل فوق الأرض العربية المحتلة بأمان الله وأمان يهوه وكل الآلهة؟!- ***أترك الحكم لكم اعزائي القراء.***

الفصل الثالث

المنهج الجهنمي وحقيقة التزوير

حسناً، لنبدأ الأمر مجدداً..

والبداية هذه المرة من عند اكتشاف توصلتُ إليه بالصدفة العجيبة وغير البريئة، إذ اكتشفتُ أن قلب كلمة ***[منهج]*** يؤدي الى كلمة ***[جهنم]***. إنه اكتشاف ينطوي على واحد من أعمق المعاني وأصدقها على الإطلاق، فقلب الحقائق وتزييفها في كل معتقدات البشر وأخلاقياتهم لا يؤدي إلا الى جهنم.

لكم شعرت ببلاغة هذا التحويل اللفظي الرائع والمدهش، في مناسبة مثل هذه التي أعيشها مع سطور وصفحات هذه الدراسة. ولكم ألهمني هذا المعنى البليغ وضاعف من عزمي على انجاز مهمتي، وبلوغ غايتها في منتهاها.

من هنا جاءت تسمية هذا الفصل بـ ***"المنهج الجهنمي وحقيقة التزوير"***.

كان مثالاً بسيطاً للغاية، لكنه وبكل جدية يحاكي المنهجية التي استخدمها رواد نظرية جغرافية التوراة في جمع واستعراض أدلتهم القائمة على التشابهات اللفظية وظواهر القلب والتحويل والتحريك والاستبدال للحروف والأصوات واللواحق والزوائد اللفظية وتأثيراتها الصرفية والنحوية على جذور الكلمات ومشتقاتها، والتي قاموا بتطبيقها على أسماء المناطق في عسير وغامد غرب الجزيرة العربية، وفي اليمن أيضاً، وسردوها لنا بكثافة وغزارة شديدة في بحوثهم ومؤلفاتهم، باعتبارها منهجهم الذي توصلوا به الى إثبات أن جغرافية التوراة في جزيرة العرب، وبالتالي كشف حقيقة التزوير الذي جرى على جغرافية التوراة.

كان من المفترض أن أنتقل في هذا الفصل لمناقشة المقولة الثالثة من مقولات هذه النظرية، وهي المقولة التي تفيد بأن هناك تطابقاً كبيراً ومدهشاً بين أسماء الأماكن والمواقع

الجغرافية التي ترد في التوراة وبين أسماء المناطق والمواقع الجغرافية في جزيرة العرب: (عسير، غامد والسراة، اليمن)، غير أن ثمة تحول جرى في ذهني انعكس على خطة الدراسة، فقد شعرت بضرورة لفت الانتباه الى العلاقة بين المقولة الأولى عن التزوير الذي طال الأسماء والمسميات الجغرافية، والمقولة الثالثة بشأن تشابه أسماء المواقع الجغرافية بين التوراة ومناطق أخرى خارج نطاق الخريطة الفلسطينية.

أقصد أن هناك ضرورة ملحة لضبط العلاقة بين مسألة ***[تزوير أسماء الأماكن]*** من جهة، ومسألة ***[تشابه تلك الأسماء]*** من جهة أخرى. فلكل منهما طبيعة خاصة وحساسية متفاوتة المقدار والأثر إزاء مسألة ***[المنهج]*** الذي اتبعه هؤلاء الرواد في معالجة النظرية برمتها، وإزاء ***[النتائج التي توصل إليها علم الآثار]***، لاسيما وقد جرى إحلال تلك التشابهات اللفظية محل الدليل الأثري من قبلهم. فرأيت أن الفصل بين المسألتين سيكون أفضل لو أني راعيت التشبيك الذي رسمت معالمه تلك المقولات الثلاث، والذي حُددت به نقاط التماس بين هذه المسائل الأربع، إذ يمكن لخطوة رباعية كهذه تتم على مرحلتين- في هذا الفصل والفصل القادم- أن تتيح فرصة للتعرف بشكل مستقل على منهج رواد هذه النظرية من الناحية التي تتكشف فيها حقيقة التزوير الذي يقولون به، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تدفع باتجاه التعرف على نتائج علم الآثار في الاتجاه الذي يمكن من خلاله الكشف عن حقيقة التشابه بين الأسماء، وبهذا يتسنى لنا إدراك المسافة الفاصلة وضبط العلاقة بينها جميعاً.

هذا الفصل مكرس لمعالجة وبحث حقيقة التزوير- أي تزوير أسماء المواقع الجغرافية فيما بين التوراة وخريطة فلسطين- من خلال التعرف على طبيعة المنهج اللغوي الذي اتبعه رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب.

بشكل مباشر، تفيدنا معاجم اللغة وقواميس معاني المفردات بأن التزوير من ***[زوَّر]*** وهو من فعل الزور، أي الميل عن الحق وقول الكذب، أو بالأحرى هو تزيين الكذب وطمس الحقيقة بقصد التضليل، أو هو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق، ويشمل التزوير كل فعل يغاير الحقيقة بمحاكاتها. وهذا مفاده أن أساس التزوير هو مضاهاة الحقيقة ومحاكاتها وتقليدها من خلال

تحسين الشيء أو تقويمه بشكل ينتهي به الى صورة أخرى غير حقيقته الأصلية، ويمكن أن يكون التزوير جزئياً أو كلياً، ويمكن أن يكون مادياً أو معنوياً.

ولكن علينا أن نأخذ في الاعتبار دائماً أن التزوير- أي تزوير- لا يتم بطريقة اعتباطية أو عشوائية، بل أنه يرقى الى أن يكون مجالاً له فنونه ومهاراته المتقنة والبالغة التمكن والاحتراف، ومن الناحية العملية لا يمكن إجراء تزوير بدون منهجية متبعة لإجرائه.

بالعودة الى حيث قلت في الفصل الأول من هذه الدراسة، أن منطق الحكمة والعقل يقول، إذا كنا نتحدث عن تزوير مسّ أسماء المناطق الجغرافية التي ترد في التوراة أو في جغرافية فلسطين الواقعية، فلابد أن نعرف متى حدث هذا التزوير وكيف حدث، ومن الذي قام به وكيف قام به، وكيف جرى تثبيته وكيف يمكننا اثبات وقوعه، واثبات آثاره واستعادة الحقيقة بناءً على ذلك كله. فإن خطتي لهذا الفصل تقتضي أن نتعرف أولاً وبصورة تطبيقية على ***[المنهج اللغوي]*** الذي اتبعه رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب في الكشف عن حقيقة التزوير الذي يقولون بحصوله على أسماء المواقع الجغرافية في التوراة، والذي مكَّن كل واحد منهم من إعادة الأمور الى نصابها بطريقته، وهذا بدوره سوف يساعدنا في إدراك وجهة نظرهم إزاء هذه المسألة..

وليكن الله في عوننا من بعد..

[1]

منهجٌ علمي أم شعوذة لغوية[١]

عالج الأستاذ كمال الصليبي مسألة المنهج في كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، انطلاقاً من التأكيد على موضوعه الرئيسي وهو "التوراة باعتبارها في الأساس نصاً عبرياً- مكتوباً باللغة العبرية"، وباعتبارها في الأصل مجموعة نصوص تاريخية وأدبية ودينية بالغة القدم كتبت بأحرف أبجدية خالية من الحركات والضوابط، ولأن هذه اللغة ابتعدت عن إطار الاستعمال العام منذ قرون طويلة، فإن لا أحد يعرف بالضبط كيف كانت تنطق كلماتها أو بالأصح كيف كانت "تُلفظ وتُصوّت" في العصور القديمة، فضلاً عن المسائل المتعلقة بالتهجئة والصرف والنحو والاصطلاح، ومفردات اللغة العبرية محددة الى حد ما بالكلمات الواردة في النصوص التوراتية[٢].

ثم أكّد الصليبي على أنه ولقراءة التوراة العبرية وفهمها ينبغي أن يتبع الباحث تقليد العبرية المتأخرة، أو أن يلتمس الإرشاد من اللغات السامية التي مازالت حية مثل العربية والسريانية، لاسيما وأن هذه الأخيرة مازالت قيد الوجود من الآرامية القديمة.

---

[١]. عبارة "شعوذة لغوية" هنا، مستوحاة مما وصف به المؤرخ والباحث الفرنسي "بيير روسي" منهجيات المستشرقين التوراتيين اللغوية ومعالجاتهم الاشتقاقية التي وظفوها من خلال هذا المنهج لإثبات صحة الرواية التوراتية بشأن تاريخ اسرائيل، حيث أشار الى *"وهم معقد ومستمر لشعوذة اشتقاقية لغوية استطاع أن يجر الناس ليروا في العبرانيين وفي ثقافتهم وكأنهم الأجداد الساميين لتاريخ الشرق"*. أنظر: بيير روسي: مدينة ايزيس- التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة: فريد جحا، الطبعة الثالثة، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤. ص ٢٥.

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٧.

وبحسب الصليبي، فإنه وبفضل ***[الأمانة العلمية الدقيقة للمُسوريِّين]***[١]، وهم العلماء اليهود التقليديون القدماء الذين ضبطوا النصوص التوراتية بالإشارات الصوتية، فإن النص المكتوب بالأحرف الساكنة للتوراة العبرية وصل إلينا كما هو تقريباً[٢].

يستمر الصليبي في بيان الأسس التي أقام عليها منهجه اللغوي، قائلاً:

"ما من دين إلا ويعتني الأتقياء والمؤمنون من أتباعه أشد العناية بحفظ نصوصه المقدسة في صيغتها الأصلية، فتستمر هذه النصوص في الوجود دون أي تغيير يطالها عبر الأجيال. الأمر نفسه الذي ينطبق على أسماء الأماكن عموماً، إذ تنتقل هذه الأسماء من جيل الى جيل بالتوارث التقليدي، ولا تشهد تغييراً، على الأقل في بنيتها الأساسية، مهما مر عليها من زمن. وحتى عندما يتم تغيير في هذه الأسماء في بعض الأحيان عن قصد، فإن الأسماء القديمة تبقى- في معظم الحالات- في الذاكرة الشعبية، وغالباً ما تكون هي الثابتة في النهاية. فمدينة "بعلبك" مثلاً، أطلق عليها الإغريق والرومان اسم "هيليوبوليس" لمدة طويلة، لكن اسمها الأصلي "بعلبك" بقي بعد ذلك وثبت عليها، وكذلك

---

[١]. المسوريين أو الماسوريين، تسمية مشتقة من كلمة (الماسورا) وهذه الأخيرة مشتقة بدورها من الجذر ***[م س ر]***، والذي يعني نقل ووصل، وتشير تسمية الماسوريين الى من قاموا بعملية النقل/ الترجمة التي جرت للنص التوراتي، وهو النص الذي أصبح بمثابة أحد التقاليد الرئيسية التي تستند إليها الديانة اليهودية، والماسوريين هم الكتبة الذين قاموا بإعداد نسخة موحدة للتوراة، بهدف حسم الخلافات التي كانت قائمة بشأن تعدد نصوصها وتباينها، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه لا توجد مخطوطة كاملة للنص الماسوري، الذي بدأت عملية نقله في القرن السابع الميلادي وانتهت في القرن العاشر الميلادي، مع التخلص من كافة النصوص القديمة بإقرار كل الطوائف اليهودية. فقد كانت هناك نصوصاً توراتية معتمدة قبل وجود النص الماسوري، والذي مازال محل خلاف بشأنه حتى اليوم، فضلاً عن الاشكاليات التي أثارها اكتشاف مخطوطات قمران أو ما يعرف بمخطوطات البحر الميت في النصف الثاني من القرن العشرين، والتي ظلت محل حجب من قبل المؤسسات اليهودية لعدة عقود ولم يفرج عنها إلا في عام ١٩٨٢، حيث يرى بعض نقاد التوراة الى أن هذه المخطوطات كشفت عن وجود أخطاء وتحريفات كبيرة في النص الماسوري، بينما رأى التيار المدافع عن مصداقية التوراة أن مخطوطات قمران أثبتت مدى دقة الترجمة الماسورية، وفي كل الأحوال فإن الجدل بهذا الشأن مازال قائماً ولم يحسم بعد. (الباحث)

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٥٨.

"بيروت" و"اللاذقية" وغيرها من المدن التي جرى في ظروف معينة تغيير أسمائها لكنها استعادت اسمائها الأصلية بعد زوال تلك الظروف، والأمثلة على ذلك كثيرة"[١].

والصليبي يعتبر أن دراسة أسماء الأماكن تخدم بطريقتها الغرض نفسه الذي يخدمه علم الآثار الميداني، بفارق أن الاكتشافات الأثرية هي اكتشافات خرساء، ما لم تتضمن كتابات منقوشة، في حين أن أسماء الأماكن ناطقة، تخبرنا بما هي وبكيفية نطقها الفعلي، وباللغة التي انبثقت عنها، وفي غياب النقوش الأثرية تبقى الاكتشافات الأثرية صعبة التفسير.. في حين أن أسماء الأماكن لا تقدم معلومات بحجم ما تقدمه المكتشفات الأثرية، إلا أنها تمتلك على الأقل فضيلة اليقين المطلق أو النسبي. وعلى سبيل المثال، فإذا وجد الباحث مجموعة من أسماء الأماكن في غرب الجزيرة العربية، تتحدر من لغة مطابقة بأحرفها الساكنة للعبرية التوراتية أو للآرامية التوراتية، فإنه- أي الباحث- يمكن أن يستنتج أن بلا تردد أن لغات مطابقة أو مماثلة للعبرية والآرامية التوراتيتين كانت تستخدم في القدم للكلام في غرب الجزيرة العربية، وذلك قبل ألفي سنة- أي قبل أن تصبح اللغة العربية هي لغة الكلام السائدة هناك. وإذا أمكن البرهان بأن لعدد كبير من أسماء الأماكن التوراتية مهما كانت أصولها اللغوية، مثائلها الحية في غرب الجزيرة العربية، في حين أن القليل منها لها مثائل في فلسطين، فإن من المعقول طرح السؤال التالي: هل التوراة العبرية سجل لأحداث تاريخية جرت في غرب الجزيرة العربية وليس في فلسطين؟[٢].

يفترض الصليبي دون أن يكون لافتراضه أي أساس لغوي أو تاريخي- بأن أصول أسماء الأماكن في غرب الجزيرة تعود الى اللغة العبرية، وهذا افتراض لا أساس له في مقابل ما هو متوفر من الأدلة اللغوية التاريخية والأثرية التي تؤكد عروبة جزيرة العرب بحيث أطلق عليها هذا الاسم، وإني لأتساءل علاما اعتمد الصليبي في بناء افتراضه هذا بوجود أصل عبري لأسماء المناطق العربية في جزيرة العرب، أو خضوعها لتحولات لغوية فيما بين العربية

[١]. المرجع السابق، ص ٥٩- ٦٠.

[٢]. المرجع السابق، ص ٦٠.

والعبرية، إلا أن يكون افتراضه قائماً على التصور اليهودي التوراتي الذي يقول بأسبقية اللغة العبرية على غيرها، فهذا شأن آخر.

يُعّرف الصليبي منهجه بأنه: "مقارنة للأسماء السامية القديمة للأماكن التي توردها التوراة بالتهجئة العبرية، مع أسماء أماكن مازالت موجودة في عسير وجنوب الحجاز، وهي أسماء توردها المعاجم بالتهجئة العربية. وهناك ما يقارب (٣٠٠٠) سنة تفصل الصيغ التوراتية لهذه الأسماء عن مثائلها الراهنة. وفي إطار ***[التغيرات اللغوية التاريخية]*** *تبدو هذه الفترة الزمنية طويلة جداً، ولابد أنها استوعبت أكثر من تغير لغوي واحد جرى في بلاد الشرق الأدنى، ناهيك عن* ***[التحولات]*** *الطارئة على اللهجات المحكية في كل مرحلة. ولا عجب أن* ***[الأسماء التوراتية شهدت بعض التحريف]*** *خلال ذلك، إلا أن المدهش فعلاً هو أن هذه الأسماء بقيت في أكثرها قابلة للتمييز الفوري في زيها العربي الراهن[١].*

يبين لنا الصليبي في سياق شرحه لمنهجه، أنه من الطبيعي أن تكون أسماء الأماكن التوراتية في غرب الجزيرة العربية قد شهدت بعض التغير في إطاريّ علم الأصوات الكلامية وعلم التشكل الكلامي بعد مرور ثلاثة آلاف سنة، ومثال على ذلك يمكن للأحرف الساكنة في العبرية أن تصبح مختلفة في العربية والعكس بالعكس من خلال خاصية ***[الاستبدال]***– أي تبدل أماكن الحروف الساكنة داخل الكلمات بين لغتين ***[ساميتين]***[٢]، بل وبين اللهجات المختلفة للغة الواحدة. كما أن بعض الكلمات أو الأسماء يمكن أن تتعرض للتحريف الناجم عن التقديم الكتابي، فالأبجدية السامية في الأصل تألفت من (٢٢) حرفاً ساكناً بما فيها الهمزة، والواو والياء، لكن نتيجة اختلاف النطق بين اللغات هذه، فقد كانت تُعتمد حروفاً كثيرة فيها أكثر من

---

[١]. المرجع السابق، ص ٦١.

[٢]. مصطلح الشعوب السامية واللغات السامية، صار محل انتقادات شديدة من قبل الكثير من الباحثين في الغرب وفي المنطقة العربية، إذ أنه بالأساس مصطلح مخترع حديثاً من قبل أحد المستشرقين اليهود، كما أنه مستوحى من النظرية العرقية التي تقدمها الرواية التوراتية. فقد انتقدها ورفضها بشدة بعض رواد نظرية الصليبي، وفي مقدمتهم الباحث السوري الأستاذ أحمد داوود، واللبناني الأستاذ فرج الله صالح ديب، وكذلك الفلسطيني الأستاذ أحمد الدبش. (الباحث)

الحروف التي تحددها الأبجدية، وكان الناس يعون العلاقة بين أحرف النطق وأحرف الكتابة هذه عن طريق الحدس. ثم في مراحل أخرى تمت عملية زيادة حروف الأبجدية في بعض هذه اللغات من خلال عملية التنقيط أو ما شابه، وصار الاعتماد على الأبجدية أكبر في نطق الكلمات المكتوبة، ونتيجة لذلك كله، فقد يحل حرف في اللغة العبرية محل حرف آخر في اللغة العربية[١].

جدول (١): الحروف التي تخضع لقواعد الاستبدال بين اللغتين العبرية والعربية كما وضحها كمال الصليبي

الحروف العبرية	الحروف العربية
ء	و، ي
ج	غ، ق
د	ذ، ز، وأحياناً ت، ض، ظ في اللفظ العامي
و	ء، ي
ز	ذ، ص، ض، ظ
ح	خ
ط	ت
ي	ء، ي
ك	خ، ق
م (في لاحقة جمع المذكر خاصة)	ن (في لاحقة جمع المذكر خاصة)
ن	م
ع	غ
ف	ث
ص	س، ض، ز، ظ

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢١- ٢٢.

ق	ج، غ، ك
ش	س، ث
س	ش
ت	ث، ط
وبحسب الصليبي، تبقى أربعة حروف عبرية (ب، هـ، ل، ر) لا تتحول الى حروف أخرى عربية، بل تبقى هي نفسها في الجذور المشتركة بين اللغتين، وكذلك حرف (س السامك) بالعبرية يبقى سيناً بالعربية، وقد يتحول الى (ص) في اللفظ، وربما الى (ز)، ولا وجود للتاء المربوطة (ة) والألف المقصورة (ى) في العبرية ويستعاض عنهما كلاحقتي التأنيث بالهاء (هـ)، وهاء التأنيث العبرية تنقلب (ت) عادية.	
المصدر: كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢١- ٢٢.	

ومن الظواهر التي تجري على الكلمات والأسماء بين اللغات السامية، تلك المتعلقة بأدوات التعريف، فكثيراً ما ينقلب حرف (ل) في أسماء الأماكن التوراتية مهما كان موضعه في الكلمة، الى (أل) التعريف في الاسم المعرب، على نحو[١]:

[جلعد] (عبرية) ـــــــــ تحول الى ـــــ [الجعد] (عربية).

[لمعله] (عبرية) ـــــــــ تحولت الى ـــــ [المعلاة] (عربية).

وأيضاً أداة التعريف العبرية (هـ) تتحول الى (ال) التعريف في العربية.

وهناك أسماء الأماكن التوراتية على وزن (يفعل/ تفعل) تتحول الى العربية على وزن (فعل/ فعله)، على نحو[٢]:

[يقطن] (عبرية) ـــــــــ تحول الى ـــــ [قطن] (عربية).

[١]. المرجع السابق، ص ٢٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ٢٣.

[تعنك] (عبرية) ـــــــــ تحولت الى ـــــ [عنقه] (عربية).

ويمكن أن تكون المقابلة بين الألفاظ دون النظر في لواحقها وأحرف العلة، على نحو[١]:

[شمرون] (عبرية) ـــــــــ تحولت الى ـــــ [شمرن/ شمران] (عربية).

[شبعه] (عبرية) ـــــــــ تحولت الى ـــــ [شبع/ شباعة] (عربية).

اعتماداً على هذا المنهج في مقابلة الأسماء "***عثر الصليبي على كامل الأرض التوراتية في غرب الجزيرة العربية، ويمكن اعطاء أمثلة على نتائجه في مجموعتين، المجموعة الأولى مقابلات يمكن النظر فيها، أما المجموعة الثانية فجاءت نتائجها نتيجة عمليات معقدة من القلب والاستبدال***" [٢].

عموماً، يمكن التعرف على طبيعة النتائج التي توصل إليها الصليبي من خلال تطبيق منهج مقارناته اللغوية بين الأسماء التوراتية وأسماء المناطق التي وجدها بالصدفة في منطقة عسير غرب الجزيرة العربية، في ضوء ما يبينه الجدول التالي.

جدول (٢): نماذج من المقابلات والمقارنات اللغوية للأسماء التوراتية وأسماء المناطق في عسير كما قام بها الصليبي	
اسم المكان التوراتي	**اسم المكان المقابل في غرب الجزيرة العربية**
المجموعة الأولى	
جرار/ جرر	القرارة
كنعان/ كنعن	القناع
غزة/ غز	آل عزه
صيدون/ صيدن	آل زيدان

[١]. المرجع السابق، ص ٢٤.

[٢]. فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب– نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، مرجع سابق، ص ١٢.

صور/ صُر	زور الوادعة
جبيل/ جبل	القابل
قادش/ قدش	عين قديس
سدوم/ سدم	دامس
عمورة/ عمرة	الغمر
مجدو/ مجد	مقدي
يافو/ يف	وفيه
المجموعة الثانية	
نتينيم/ نتين	طناطن
طباعوت/ طبعوت	العثابيات
برقوس/ برقس	الكرباس
هسوفرت/ هـ-سفرت	رصفه
ادونيقام/ عد-نيقم	القائم
فرعوش/ فرعش	الجعافر
مغبيش/ مجبيش	مشاجيب
زكاي/ زكي	الضيق
نفتوحيم/ نفتحيم	المفاتيح
فتر وسيم/ فتر سيم	الشرفات
كفتوريم/ كفتريم	الرفقات
عقرون	الجرعان
اورشليم	آل شريم

المصدر: فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم- هل جاءت التوراة من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٢- ١٣.

وعندما لم يجد الصليبي مقابلاً لبعض الأسماء التوراتية، عمد الى الجمع بين اسمين لموقعين متجاورين في غرب الجزيرة واعتبرهما معاً مقابلاً للاسم التوراتي، على نحو[١]:

[كركميش] ــــــــ حددها بموقعين هما ــــــ [القر]، [القماشة].

[أورشليم] ــــــــ حددها بموقعين هما ــــــ [أروي]، [آل سلام].

وفي إحدى الطرق التي اتبعها كمال الصليبي وفق منهجه اللغوي هذا، ما استخدمها عند تفسيره لاسم ***[ملكي صدق]*** الذي يرد في التوراة متعلقاً بشخصية النبي ابراهيم، فالمعنى السائد لهذا الاسم أنه اسم علم لشخصية تاريخية، لكن الصليبي يستنبط له معنى جديداً تماماً مخالفاً لكل التفسيرات الموسوية (اليهودية) والمسيحية، حيث أصبح معنى الاسم بحسب منهجه اللغوي ***[ألوك صدق] أي "ما يؤكل من الطعام"***[٢]..!!– وقد اعتبر الصليبي تفسيره هذا بأنه كشف عظيم.

جدير بالذكر أن الصليبي طالب بتطبيق هذا المنهج ليس على التوراة فحسب، بل وعلى السجلات القديمة المصرية والعراقية التي تشير الى الأسماء التوراتية، فأكد على ضرورة إعادة قراءاتها بعيداً عن التأويلات الجغرافية والطوبوغرافية القائمة، وبعيداً أيضاً عن أعمال علماء التاريخ والجغرافيا الكلاسيكيين التي قد تكون مساعدة[٣].

يبدو حتى الآن، أن الصليبي لا يرى حدوث أي تزوير في أسماء الأماكن التوراتية، وأن الأمر برمته ناتج عن التحولات اللغوية التي طرأت على تلك الأسماء في مناطقها الأصلية، وعوامل أخرى تاريخية مثل ***[فقدان الذاكرة الجمعية لشعب اسرائيل]***، والذي أدى الى نسيانهم حقيقة أرضهم الأولى، ثم حدث أن هذا الشعب انقرض وباد، في حين بقيت الديانة اليهودية الى ما بعد مرحلة السبي البابلي، وعندما عاد اليهود ***[معتنقي الديانة اليهودية]*** الى أرض اسرائيل الأولى في غرب الجزيرة العربية لم يجدوا فيها أسباباً للعيش، فساحوا وتشتتوا في الأرجاء

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٤.

[٣]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٧١.

وارتحلوا الى فلسطين واستقروا بها، وهناك قاموا بإحياء ما علق بذاكرتهم من تلك الأسماء لمناطقهم الأصلية وأطلقوها على مناطقهم الجديدة، ومن ثم تمكنوا في مرحلة ما من تاريخ وجودهم في فلسطين من إقامة دولة لهم فيها ابتداء من سنة (١٤٠ ق. م)، ومن بعد ذلك كله ساد الاعتقاد بأن جغرافية التوراة هي فلسطين[١].

أدعو القارئ العزيز هنا، الى الاحتفاظ بالفكرة السابقة التي رسم بها الصليبي مسار تاريخ بني اسرائيل كمرحلة من مراحل تاريخ الديانة اليهودية، ثم انقراضهم وبقاء الديانة محمولة على كاهل معتنقيها من غير بني اسرائيل، بحيث لم يعد هناك أي سبب للحديث عن أي اثنية مرتبطة بها في مراحلها التاريخية اللاحقة، لأن هذه الفكرة ستقودنا لاحقاً الى استنتاجات صادمة للغاية.

بيد أن الصليبي وقد أشاد بالأمانة العلمية للماسوريين، لم يُمانع في القول باحتمال أن هناك تلاعباً أو شيئاً من هذا القبيل قد وجد في متن النص التوراتي، فقد أشار في سياق محاولته فك طلاسم إحدى الأحجيات التي صادفها باستخدام منهجه اللغوي، الى تلاعب كامن في بنية النص التوراتي نفسه، وليس أنه واقع عليه. فالطريقة التي كُتبت بها بعض الأسفار انطوت على تلاعب كلامي أو ما شابه، من شأنه أن يضلل عن حقيقة الأماكن المقصودة بالفعل:

> *"ولعل هناك تلاعباً بالكلمات قد جرى في بعض النصوص التوراتية، والتي كثيراً ما تحاول أن توحي معاني لأسماء الأعلام والأماكن عن طريق هذا التلاعب الكلامي، خصوصاً في الأسفار التي تعالج فترات ما قبل التاريخ، والتي تعنى بالأساطير أكثر من واقع الأحداث"*[٢].

كان هذا توضيحاً موجزاً لمنهج الصليبي، ومن ثم فقد سار الباحث اللبناني "زياد منى" على وقع خطوات الصليبي ومنهجه، مقرراً أن:

---

[١]. فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب- نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، مرجع سابق، ص ١٨- ١٩.

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٢٨.

"ظاهرة الاستبدال والقلب بين العبرية والعربية لا تنحصر في الكلمات والمفردات المتداولة يومياً فحسب، بل انه لا يمكن الاستغناء عنها عند التعرف على الأسماء، سواء الوارد منها في العهد القديم (التوراة)، أو في أي نقوش سامية أخرى"[1].

وبعد أن أورد "زياد منى" عدداً من الأمثلة التي وضح من خلالها كيف طُبِّقت ظاهرتي ***[القلب والاستبدال]*** من قبل ***[علماء الاختصاص]***، وخشية منه على ألا يصاب القارئ بالملل من سرد المزيد من الأمثلة، فقد أكد على أن:

*"جميع ما ساقه من أمثلة يُعّد كافياً لتوضيح أن **[علماء التوراة]** يوظفون هذه الظاهرة اللغوية بشكل روتيني، أي أن هذا هو جزء من منهجية علمية لا يمكن الاستغناء عنها في مثل هذه الأبحاث المعقدة، وأن ما يحق لأهل الاختصاص توظيفه من منهجية، يجوز لغيرهم من العاملين في المجال نفسه، وبلا حرج"[2].*

لم يتعرض "منى" لمسألة التزوير أو التلاعب، بل لم يكرس أي اهتمام لهذه المسألة، معتمداً في ذلك على ما أسسه الصليبي، وهذا ما يدفعني الى القول بأن "الصليبي ومنى" لا يقولان بحدوث تزوير متعمد في الأسماء الجغرافية التوراتية، بل يؤكدان بشكل أو بآخر على أن الأمر ناتج في الأساس عن أسباب لغوية وتاريخية، ثم عن قراءة خاطئة للنصوص التوراتية، ساهمت في تعميقها القراءات الاستشراقية.

على خلاف الصليبي الذي بنى منهجه دون أن يوضح لنا المصدر الذي اقتبسه منه، يبين لنا "منى" أن هذا المنهج هو بالأساس ما طبقه علماء الاختصاص أي علماء التوراة، ولعل هذا الأخير تبنى وجهة نظر استاذه الصليبي بشأن التلاعب الكلامي الكامن في بنية النص التوراتي، والذي صار بالإمكان اكتشافه بفضل هذه المنهجية.

انتقالاً الى البحث عن طبيعة المنهج الذي اتبعه الباحث السوري "أحمد داوود"، لابد من توضيح أمراً مهماً بشأن مساهمة أحمد داوود في هذه النظرية من الناحية العامة. إذ يمكن القول

[1]. زياد منى: جغرافية التوراة: مصر وبنو اسرائيل في عسير، مرجع سابق، ص ٣٣.

[2]. المرجع السابق، ص ٣٨.

بأن داوود قد شق له طريقاً مختلفاً تماماً عن سائر رواد النظرية، إن لم يصدق عليه القول بأنه كوّن لنفسه نظرية تكاد تكون مستقلة بالفعل، لولا تلك الحلقة التي ربطت نظريته بنظرية الصليبي والآخرين، والمتمثلة في اتجاهه الى إعادة قراءة التوراة والسجلات الأثرية وفق قواعد منهجية مغايرة للقواعد التي أرساها المستشرقون وعلماء الآثار الغربيون المنحازون دوماً للصهيونية- من وجهة نظره. عدا ذلك نجد لدى داوود جهداً مختلفاً تماماً، انطوى على مضمونات كثيرة تستحق بالفعل الوقوف عليها.

لم يخرج داوود في الشكل العام عن الفكرة الرئيسية لمنهج المقابلات اللغوية، لكنه تفرد في طرائقه التي اختصها لنفسه، ومرجعياته اللغوية والتاريخية والأثرية التي اعتمدها في دراساته، ناهيك عن التوجه العام لنظريته والذي يتسم بطابع مميز تماماً عما مال إليه الرواد الآخرون.

بيد أننا إذا ما ركزنا على الجانب الذي يتفق فيه داوود مع أولئك الآخرين، فسنجد أنه قد عبّر عن واحدة من أهم الحقائق الثابتة التي قررها هو، وحدد طبيعة التزوير الذي جرى على جغرافية التوراة، كالآتي:

"الحقيقة التاريخية والجغرافية في مدونات التوراة شيء والتفسير الاستعماري – الصهيوني للأحداث ولجغرافيتها شيء آخر، إنه بكلمة تزوير فادح وواضح، وأن المكتشفات الآثارية والدراسات العلمية الموثقة قد أكدت هذه الحقيقة وفضحت التزوير. ومن الحقائق أيضاً أن الصورة التاريخية والجغرافية- كما هي في التزوير الصهيوني، هي السائدة اليوم والمعممة في جامعات الغرب، وهي نفسها ما يُدَّرَس في الجامعات العربية، ضاربين عرض الحائط كل ما قالته المكتشفات الآثارية، ومغمضين البصر والبصيرة عن الأغراض السياسية الاستعمارية للصهيونية القابعة ذلك التزوير"[١].

نفهم من كلام داوود – حتى الآن على الأقل- أن التزوير لم يقع على النص التوراتي بل على قراءتها وتفسيرها من قبل المستشرقين الذين عملوا على الدوام في خدمة المشروعات الاستعمارية والصهيونية، وبدلاً من أن تُحال الأحداث التاريخية في التوراة أثناء عملية قراءتها

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ٩٢.

وتفسيرها الى موطنها الحقيقي وهي منطقة "غامد" في غرب جزيرة العرب، تم إحالتها الى جغرافية أخرى وهي جغرافية فلسطين.

ومع ذلك، فإن "داوود" يضيف الى هذا الفهم أموراً أخرى تفيد بأن النص التوراتي بالفعل قد تعرض لعمليات تزوير عديدة:

"التوراة التي بين أيدينا ليست هي توراة موسى الأصلية.. وكما هو ثابت لدينا فقد وضعت هذه التوراة وجمعت لأول مرة في القرن الثالث قبل الميلاد- بعد زمن موسى بألف عام، ثم خضعت للترجمة الى لغات متعددة منها السريانية وبقية اللغات الأخرى في العالم. كما أضيفت للتوراة أسفاراً أخرى في مراحل تاريخية متعددة، وما تزال حتى اليوم تخضع من طبعة الى أخرى لعمليات تزوير في جغرافية ينبغي أن ألا يغفل عنها أي دارس متمعن حصيف. فـ "بحر" عربت، الذي كان اسماً لنهر الفرات حين مروره في برية شبه جزيرة العرب صار البحر الميت، وبحيرة "كناروت" في الموضع نفسه صارت بحرية طبريا، وبيت صور- الذي هو اسم شخص- صار مدينة صور.."[١].

يتضح مما تقدم ومن الأمثلة التي قدمها داوود في النص السابق، أن منهجه لا يخرج عن نطاق المنهج اللغوي الذي رسم معالمه الصليبي، غير أنه يجعل مقارناته اللغوية بين التوراة بنصها الآرامي- وليس بنصها العبري- وبين القاموس الكلداني، فيعالج على سبيل المثال معنى كلمة "فلسطين"، على النحو الآتي:

"إن الكلمة هي في الأصل "فلستيم" أو "فلشتيم" وهي جمع "فلستو" وتعني في العربية القديمة: المحارب، المقاتل، الثقاب.. الخ. وهي فلشتو" في القاموس الكلداني"[٢].

وفي سياق متصل، يرسم داوود مساراً تاريخياً طويلاً لعملية التزوير التي حصلت وتكرر حصولها في جغرافية التوراة، وأن الأمر برمته يدخل في نطاق ما قام به على الدوام من وصفهم بـ ***[مزوي التاريخ]*** دون أن يحدد لنا بالضبط منهم:

[١]. المرجع السابق، ص ٩٤.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٠٦.

*"ما حدث هو أن **[مزوري التاريخ]** نقلوا جغرافياً الأحداث التوراتية من منطقتها على وادي الفرات في غامد من شبه الجزيرة العربية، وهي برمتها عربية صميمة، الى سوريا الغربية- أي فلسطين، فجعلوا من عشيرة المصريين بلاد وادي النيل، ومن عشائر الكنعانيين والفلسطينيين جنوب سوريا، ومن عشيرة بني حث الكنعاني في أعالي الفرات **[الثرات- أصل تسمية الفرات كما يقرر داوود]** شعباً هندو أوربياً في شمال سوريا، ومن عشيرة الفلسطينيين شعباً بحرياً وغريباً عن المنطقة"[١].*

ولكي يتضح الأمر أكثر بشأن رؤية داوود لحقيقة التزوير الذي حصل، والذي كشفته أولاً المكتشفات الآثارية، وبناءً عليها أقام هو نظريته المختلفة لحقيقة التاريخ والجغرافيا التي تحددها التوراة، لابد من التنويه الى أنه يرى أن عملية التزوير هذه بدأت منذ نشأة اليهودية كدين عندما حاولت آنذاك هذه الديانة أن تربط نشأتها بإبراهيم واسحق ويعقوب (اسرائيل) وبنيه- الذين هم من الأرومة العربية بلا شك عند داوود، ثم جاءت الحركة الصهيونية حديثاً وجعلت كل من ينتمي لليهودية من شتى الأعراق والأجناس ينتسبون الى بني يعقوب- أي الى بني اسرائيل[٢].

بناءً على هذه القناعات وغيرها يُعيد الباحث السوري "أحمد داوود" تحديد مسرح أحداث التوراة في ***[غامد غرب الجزيرة العربية]***، فيجد وفق منهج مقارناته اللغوية بدائل لـ ***أريحا ولبنان وسعير وأدوم ونهر الأردن.. وغيرها*** من الأماكن التوراتية في مسرحه التوراتي الجديد.

تدعو الحاجة الى التأمل في منهجية المفكر العربي "فاضل الربيعي". فهي بالأساس منهجية لغوية منبثقة عن نفس المنهج اللغوي الذي قال به الصليبي والمستمد أصلاً من مناهج المستشرقين التوراتيين، كما رأينا مؤخراً في تصريح لـ "زياد منى"، وكما سبق أن تبين لنا في الفصل الأول. أما كيف أقام الربيعي منهجه. فقد حكى أنه ذات مرة *"التفت الى كتاب "**صفة جزيرة العرب**"، حيث لاحظ أن الهمداني كان يصف في كتابه هذا جغرافية التوراة التي يحفظ*

---

[١]. المرجع السابق، ص ١١٤.

[٢]. لم يحدد أحمد داوود في هذا النص من هم الذي ابتدعوا الديانة اليهودية، لكنه يرى أنها في الأساس لا علاقة لها ببني اسرائيل (أبناء يعقوب بن ابراهيم)، والذين كانوا على دين التوحيد الابراهيمي على حد قوله في موضع آخر. المرجع السابق، ص ١٢٦.

الربيعي أسماءها عن ظهر قلب، والتي وجدها لدى الهمداني كما هي في التوراة دون تلاعب. ولما عاد- أي الربيعي- الى التوراة بترجمتها العربية تأكد من الأمر، لكنه لم يقتنع وبدأ بسلسلة قراءات في هذا الصدد حتى تكونت لديه قناعة تامة بأن اليمن هي مسرح أحداث التوراة" [١].

انتهى الربيعي بعد ذلك الى ضرورة العودة الى النص التوراتي العبري، فعكف على دراسة اللغة العبرية لسنوات من ***عمره بحث فيها عن الجذور الحقيقية لهذه اللغة، وتعرّف على ذلك التماثل المثير الذي لم يقتصر فقط على الألفاظ من حيث طريقة نطقها فحسب، بل وحتى في أشكال رسم الأسماء في اللهجات اليمنية القديمة والعبرية"*** [٢].

يصف الربيعي منهجه بأنه: "عرض النص التوراتي بلغته الأصلية مع ترجمته هو - أي ترجمة الربيعي للتوراة- وهي على حد تعبيره ترجمة أمينة الى أقصى حد ممكن، وخصوصاً للقصائد والمراثي التي كتبها أنبياء التوراة وشعراء اليهودية، ممهداً السبيل أمام وصف الهمداني للمواضع ذاتها وبالأسماء ذاتها، ثم استخدم الربيعي توصيف شعراء الجاهلية للأماكن نفسها، من حيث سجلوا في أشعارهم معظم أسماء المواضع الواردة في التوراة، وبهذه المنهجية سوف نرى الأساطير التي نسجها المستشرقون الأوربيون، منذ مطلع القرن الماضي عن فلسطين التوراتية، والتي أدت الى بزوغ فلسطين أخرى لا وجود لها إلا في المخيال الاستشراقي، وأن فلسطين الحقيقية أو أرض التوراة ليست إلا اليمن" [٣].

أما رؤية الربيعي للتزوير الذي حصل، فمن الصعب توصيفها نظراً لعدم تركيزه في معالجة هذه المسألة بشكل متسق، فله في كل مقام في كتبه ومؤلفاته توصيفاً مختلفاً ومتناقضاً

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٤.

[٢]. لم يوضح الربيعي حتى الآن- على الأقل فيما اطلعت عليه من مؤلفاته- ذلك التشابه الذي رآه في أشكال رسم الأسماء في اللهجات اليمنية القديمة والعبرية، وهو بلا شك يقصد أن هناك تشابهاً بين أشكال رسم الحروف الأبجدية بين خط المسند السبئي- الحميري والكتابة العبرية...!!- المرجع السابق، ص ١٨- ١٩.

[٣]. المرجع السابق، ص ١٩.

مع التوصيفات الأخرى، وقد وجدت له نصاً بالغ الأهمية يكشف عن روح تلك التناقضات، يقول فيه:

"إن التوراة التي بين أيدينا اليوم هي نتاج تلاعب بالأسماء الحقيقية أسفرت عنه نشاطات الاستشراق الكلاسيكي، وأن جهود أجيال من المؤرخين وعلماء الآثار التوراتيين والدراسين والكتاب انتهت – كلها– الى تزوير الكثير من مرويات التوراة وتأويلها تأويلاً مغلوطاً، وأن كل ما ورد من أسماء لأماكن ومواضع وشخصيات وأسماء وقبائل لا وجود لها البتة في التاريخ الفلسطيني، والهمداني أثبت ذلك في عصره"[١].

يرى الربيعي أن التزوير ذو طابع مزدوج من حيث طال النص التوراتي وطال قراءته وتفسيره أيضاً، وبالتالي فإن هذا كافياً لاعتبار كل الجهود التي بُذلت من قبل كل الباحثين والدارسين مطعونة في شرفها وصدقها، لأنها قائمة على هذا التزوير نفسه، وبناءً عليه يرفض الربيعي القبول بأي شيء من تلك الجهود السابقة، وأنه لا يمكن الاعتداد بها، ومثلاً:

"فإن من الصعب إيجاد رابطة لغوية أو جغرافية أو تاريخية، بين الاسم التوراتي (ها– يردن) ونهر الأردن. ولئن وجدت، وبالضد من إرادة البحث التاريخي النزيه، مثل هذه الرابطة الواهية والشكلية وغير المبرهن عليها، فإنها لن تكون سوى صورة زائفة من صور المطابقات المخيالية التي ربطت بين قصص التوراة وفلسطين"[٢].

لم يعرف تاريخ العلم الحديث والمعاصر أحداً تحدث بلغة العلم وباسم الحقيقة وأخلاقيات المعرفة والبحث العلمي، بهذه اللغة المتطرفة التي تحدث بها الربيعي، حتى المستشرقين وعلماء

---

[١]. المرجع السابق، ص ٢٥١.

[٢]. يعتبر الربيعي أن تطبيق قاعدة معترف بها من قبل جميع علماء فقه اللغة المقارن، وهي قاعدة تبادل أدوات التعريف بين العربية والعبرية، والتي تتحول بموجبها التسمية العبرية (هـ– يردن) الى صيغتها العربية (الأردن)، بأنها مجرد رابطة واهية وشكلية وغير مبرهن عليها. علماً بأن معظم رواد نظريته قد صادقوا على هذه القاعدة. ويعزى موقف الربيعي هنا الى تشدده في رفض كل شيء يخالف منهجه أو يؤدي الى نتائج لا تتفق مع تفسيراته. المرجع السابق، ص ٥٠٢.

الآثار التوراتيين اليهود وهم الأكثر تعصباً وتطرفاً لم يتبنوا موقفاً كهذا. فليس ثمة طرح نزيه وأمين إلا طرح الربيعي وما عداه ليس إلا زيف ومخيال استشراقي.

بالنسبة لي، لا أعرف أي منطق يقف وراء آراء الربيعي هذه، ولا أستطيع أن اتصور أن ثمة منطقاً يسمح بقبول ذلك. فما يتميز به منهج الربيعي ليس إلا نزعته الأحادية المتطرفة، فالتوراة ترجمها هو ولا ترجمة نزيهة في نظره سواها، والهمداني والشعر الجاهلي فسر مضموناتها هو، كما أن له قراءاته وتفسيراته للنقوش والسجلات الأثرية، التي لا يقبل بغيرها أو بغير ما يتفق معها. وبعد ذلك كله يخبرنا مفكرنا بأنه اعتمد على التشابه السليم بين الأسماء، انطلاقاً من موقفه الرافض لتطبيق طرائق القلب والاستبدال التي طبقها من سبقوه في هذا المجال.

بالنسبة لبقية رواد النظرية الآخرين، فالبعض منهم اعتمد تطبيق المنهج الأصلي للصليبي، فيما اكتفى البعض الآخر بالاعتماد على التشابه السليم بين الأسماء، واللجوء أحياناً الى نقل معاني الأسماء من لغة الى أخرى، ولا داعي للتفصيل فيما ذهب إليه كل منهم، نظراً لاستيعاب جميع أبعاد المسألة فيما تقدم.

خلاصة الأمر حتى هذه النقطة، هو أن جميع رواد النظرية قد اعتمدوا بشكل مباشر على ***[منهج دراسة التحولات والجذور اللغوية]*** وإن كانت أغلب تطبيقاتهم لا ترقى الى التطبيق الفعلي لهذا المنهج، بقدر ما كانت مجرد مقارنات ومقابلات لفظية لا أكثر، تعتمد على التشابه الظاهر أو على امكانية تطبيق بعض قواعد القلب والاستبدال التي طبقها المستشرقون، وهدفوا جميعاً من ذلك الى ما وصفوه بالوصول الى جذور الأسماء التوراتية في اللغة العبرية واللغة الآرامية والسريانية، فضلاً عن العربية، وهم بذلك يعتبرون أن تطبيقاتهم المختلفة لتلك المقارنات بأنها منهج لغوي يرقى في نتائجه الى مستوى نتائج علم الآثار– كما صرّح بذلك رائد النظرية الأول كمال الصليبي– وله قواعده العلمية وأسسه ومرتكزاته الوثيقة، ومن ثم فإن النتائج التي توصلوا إليها وفق هذا المنهج جديرة بالنظر.

أما فيما يتعلق برؤيتهم لحقيقة التزوير الذي جرى في جغرافية التوراة، فقد تباينت آرائهم وتفسيراتهم لهذه المسألة، بين ما قال بأن التزوير طال النص التوراتي في العصور القديمة وتكرر وقوعه دوماً في مراحل تاريخية لاحقة، ومن قال بأنه ناتج فقط عن القراءة الخاطئة للتوراة والتي أدت الى تكوين وتعميم وإشاعة فهم محرف ومزيف للنص التوراتي، نجم عنه تحريف حقيقة جغرافية أحداثه بإسقاطها على فلسطين، وجميع التفسيرات التي طرحوها تظل عاجزة تماماً عن إيضاح هذه المسألة، فضلاً عن تناقضات آرائهم فيها والتي لا نخرج منها الى نتيجة حاسمة بأي شكل من الأشكال.

[2]

مشروع تهويد الجغرافية الفلسطينية[١]

"نموذج تطبيقي"

تأكد لنا فيما سبق وبما لا يدعو الى الشك أو ينزع بنا مرة أخرى الى الارتياب، أن منهج دراسة التحولات اللغوية التي تجري على الألفاظ والمسميات فيما بين لغتين أو أكثر في مراحل تاريخية، والذي طبقه الصليبي وسائر رواد جغرافية التوراة من الباحثين العرب في معالجة هذه النظرية، هو في الأساس –وبإقرار هؤلاء الرواد أنفسهم– منهج ابتكره المستشرقون التوراتيون في نطاق تأسيسهم وتطويرهم لحقل الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة، كما أن هذا المنهج قد طبق بالفعل من قبل مستشرقين وباحثين أوروبيين ويهود للبحث عن مواقع الأماكن التي ورد ذكرها في التوراة، وذلك في نطاق جغرافية الشرق الأدنى كلها– أي جغرافية العراق وسوريا وفلسطين ومصر– وليس في فلسطين وحدها.

تفيدنا مراجعة التاريخ، بأن فلسطين منذ القرون الأولى بعد الميلاد كانت تحت سيطرة الرومان غالباً حتى القرن السابع الميلادي، ومن ثم دخلت تحت عباءة دولة الخلافة الاسلامية لقرون طويلة، قبل أن تعود مجدداً وتقع تحت سيطرة الصليبيين الأوروبيين لقرن من الزمان أو أقل من ذلك قليلاً، ثم استعادتها من قبل المسلمين في عصر الدولة الأيوبية، ومن ثم دخولها في حكم المماليك وانتهاءً بخضوعها لحكم الدولة العثمانية حتى الحرب العالمية الأولى في

---

[١]. اعتمدت في هذا الفصل بالذات على مصادر موثوقة ومعترف بها من قبل الدوائر الرسمية للسلطة الفلسطينية، فضلاً عن أن أغلبها لباحثين فلسطينيين متخصصين في مسألة الأسماء والأعلام الجغرافية الفلسطينية، ولهم جهودهم المشكورة في توثيق عمليات تهويد تلك الأسماء من قبل الكيان الاسرائيلي. فقد حرصت منذ بداية هذه الدراسة على أن تكون اقتباساتي وثيقة وحرفية قدر اللزوم والإمكان، وألا يخدشها أي تصرف أقوم به أو يفقدها جوهرها الموضوعي الذي تنطق به في مواقعها الأصلية، كما حرصت على أن تكون الاقتباسات سليمة من البتر المقصود وغير منزوعة من سياقاتها، فجعلت كل منها في سياق مقارب للسياق الذي أخذته منه، وفصلتها جميعاً عن تعليقاتي. ولا يسلم عمل المرء مع ذلك من الزلل والقصور. (الباحث)

مطلع القرن العشرين، إذ وقعت بعدها تحت سلطة الانتداب البريطاني والذي سمح لليهود بالاستيطان في أجزاء منها أولاً تنفيذاً لوعد بلفور الشهير عام ١٩١٧، ثم السماح لهم بالتوسع الاستيطاني حتى إعلان قيام دولتهم عام ١٩٤٨، وبقية القصة نعرفها.

خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة جداً، وبالتحديد الى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، كانت الفاعلية اليهودية على أرض فلسطين غائبة تماماً، ولا يمكن الحديث عن أي تحريف أو تزييف يمكن أن يكون قد طال جغرافية فلسطين بالنسبة للتوصيف الجغرافي الذي يرد في التوراة، اللهم إن شاء البعض منا أن يفترض احتمالاً –لا قطعاً– أن يكون التزوير قد وقع على النص التوراتي، فهذا أمر آخر لأن التوراة خضعت بالفعل ومازالت تخضع لعمليات التدخل في نصها بطرق وأشكال مختلفة منذ قرون طويلة، ولكن يجب أن يأخذ بالاعتبار كل من يتبنى هذا الاحتمال أن التوراة وفيما يتعلق بجغرافية فلسطين بالذات ليست مصدرنا الوحيد.

ما نعرفه حق اليقين من التاريخ الحديث والمعاصر، أن تفكير اليهود بشكل جدي في اقامة دولة لهم في فلسطين بدأ في منتصف القرن التاسع عشر، الأمر الذي تزامن مع ظهور الحركة الصهيونية العالمية والتي لعبت أول أدوارها في هذا الشأن سنة ١٨٧٨، عندما دعمت تأسيس أول مستوطنة يهودية شرق مدينة يافا الفلسطينية أطلق عليها اسم "بيتح تيكفا" [פֶּתַח תִּקְוָה]– وتعني فتحة الأمل، تبع ذلك عمليات تأسيس أخرى لبلدات ومستوطنات يهودية تقوم على النشاط الزراعي في مناطق السهل الساحلي غرب فلسطين.

*"فقبل ظهور الحركة الصهيونية المنظمة في أواخر القرن التاسع عشر كان الإيمان بالعهد القديم (التوراة) لا يعدو أكثر من كونه دينًا وعقيدة، أما بعد ظهور الصهيونية أصبحت التوراة عقيدة وسياسة، ثم سرعان ما صار **[منهجاً للبحث في الآثار والتاريخ]**، لكل من يؤرخ لأرض فلسطين أو بلاد الشام، وانحصر اهتمام العلماء الصهاينة – والذين يدورون في فلكهم – بتقديم وثائق من التنقيبات الأثرية لإثبات أن فلسطين هي أرض*

الميعاد التي وعد الله بها الشعب اليهودي، وإثبات وجود كيان يهودي قديم يحق للحاضر أن يوصله"[١].

بدأت عمليات تأسيس وبناء المستوطنات اليهودية الأولى في فلسطين في سياق الجهود الصهيونية التي بُذلت تحت شعار ***[العودة الى أرض اسرائيل- أرض الميعاد]***، والذي أصبح شعاراً لمشروع قومي لكل يهود العالم، ساندته الدول الأوروبية وسخَّرت لأجله الكثير من الإمكانيات التي كانت تحظى بها المؤسسات الاستشراقية، التي حملت على عاتقها مهمة وضع الأسس المعرفية والتاريخية والجغرافية الأولى التي تستند إليها الادعاءات الصهيونية، بناءً على النص التوراتي.

"في الفترة (١٨٧١- ١٨٧٧) تم تأسيس ما عُرف بـ "صندوق استكشاف فلسطين"، لرعاية وتمويل وتنفيذ عمليات مسح جغرافية وطبوغرافية جرت على الأرض الفلسطينية، بهدف جمع أسماء المواقع القديمة والخرائب والقرى التي ورد ذكرها في التوراة، وهي العمليات التي انتهت ببناء سجلات دقيقة لأكثر من عشرة آلاف اسم، ومن ثم اعداد خرائط مفصلة لكامل أرض فلسطين، من بينها خرائط بأسماء أماكن العهد القديم (التوراة)، وخرائط أخرى بأسماء أماكن العهد الجديد (الانجيل). وقد ساعدت نتائج تلك المسوحات- بحسب من قاموا بها- في تحديد أعداد كبيرة من الأماكن المذكورة في التوراة لم تكن مواقعها معروفة سابقاً (٦٢٢) اسماً توراتياً في غرب الأردن كان قد تحدد منها (٢٦٢) اسماً قبل عام ١٨٧٠"[٢].

كما جرى تصميم منهجية خاصة لرسم الخرائط التي تُعيِّن مواقع الأسماء التي ورد ذكرها في" العهد القديم"، وحدود مناطق الأسباط الإثني عشر، والخرائط التي أعدت من

[١]. محمد حسن شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، التاريخ، الآثار، الأعلام والأمكنة والرجال- الجزء الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣. ص ص ٤٨، ٧٦.

[٢]. خيرية قاسمية: نشاطات صندوق استكشاف فلسطين (١٨٦٨ – ١٩١٥) مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، العدد (١١٢)، يوليو ١٩٨٠، ص ٨٣.

وجهة نظر مصمميها لـ "اقتفاء آثار الجيوش الغازية والهجرة القديمة"، بالإضافة إلى قراءة النقوش الباقية وفك رموزها"[١].

كان صندوق استكشاف فلسطين في كافة الاصدارات الخاصة، يُعّرف بأنه: "جمعية من أجل البحث الدقيق والمنظم في الآثار والطوبوغرافيا والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والتاريخ الطبيعي وعادات وتقاليد الأرض المقدسة لغاية التوضيح التوراتي"[٢].

بالرغم من أن صندوق استكشاف فلسطين قد انطلق من فكرة دينية تهدف إلى دراسة كل ما يتعلق بالأرض المقدسة، إلا أن حقول نشاطاته تعدت المسألة الدينية العلمية ودخلت بشكل مباشر في المسائل السياسية والاستعمارية. فكانت اجتماعاته غالباً ما تشير إلى فكرة "عودة اليهود"، كما أن أعماله قد شجعت بطريقة غير مباشرة عملية الاستيطان اليهودي بتقديم صورة مفصلة عن فلسطين[٣].

منذ ذلك الوقت بدأت العملية التي وصفت دائماً بـ "استعادة صورة الأرض الفلسطينية في ضوء النص التوراتي" بشكل واسع، بحيث جرى التركيز بدرجة كبيرة على أسماء المناطق والمواقع والقرى والوديان والخرب والتلال والجبال.. الخ، مما يرد في النص التوراتي والبحث عنه في إطار المسوحات الأثرية والجغرافية التي استمرت بدون انقطاع منذ بدايات القرن التاسع عشر، وليس فقط من عند جهود صندوق استكشاف فلسطين، وكان من أهم أهداف هذه العمليات إعادة تسمية الأماكن بأسمائها التوراتية- أو بالأصح بأسمائها العبرية التي ترد في التوراة، وهي العمليات التي استمرت لاحقاً في مرحلة ما بعد قيام الدولة العبرية في فلسطين.

---

[١]. أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢. ص ٤٢.

[٢]. إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي: منذ فجر التاريخ حتى سنة ١٩٤٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨. ص ٢٨٢.

[٣]. خيرية قاسمية: قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، العدد (٥)، تشرين الثاني، ١٩٧١. ص ١٦٤.

الجدير بالذكر، أن كل الجهود التي بذلت في هذا السياق، كانت تتجه أيضاً الى إعادة خلق اسرائيل الجديدة بنفس الخطوات التي حددتها النصوص التوراتية والتي جرت بها نشأة وظهور اسرائيل القديمة، ترافق مع ذلك وضع بعض المعالجات التاريخية المفترضة التي تجعل من امكانية مطابقة النشأة التاريخية لإسرائيل القديمة أمراً ممكناً في العصر الحاضر، بما في ذلك المعالجات المتعلقة بالعلاقات الدولية والاقليمية، وكيفية خلق المناخات الدولية والاقليمية المناسبة لتمكين اسرائيل من البقاء بشكل أبدي، وذلك من خلال التأكيد على المعالجات التاريخية والجغرافية، التي تتيح خلق فرص متعددة للقبول بمثل هذا الوجود للدولة الاسرائيلية في المنطقة العربية[١].

*منذ العام ١٩٤٨ بدأت بالفعل عملية تنفيذ "مشروع تهويد الأرض الفلسطينية"، من خلال إطلاق الأسماء التوراتية واليهودية على القرى والمدن وسائر المواقع الفلسطينية. إذ يشير الصحفي الاسرائيلي "توم سيغف" الى أن أول ما أثير بهذا الشأن، كان بعد إعلان قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨، عندما تصدرت مسألة تسمية مدينة يافا- التي سميت لاحقاً "تل أبيب"، مجال النقاش والخلاف بين الصهاينة المحتلين. فاقترح البعض أن يُعاد تسميتها بالصيغة العبرية **[يافو]** على أساس أن هذا الاسم ورد هكذا في التوراة، في حين أصرَّ البعض على تسميتها بـ "تل أبيب" ليكون الاسم موافقاً للتوجه الصهيوني، ومن ثم تم الاستقرار على الاحتفاظ بالاسمين **[تل أبيب- يافا]**[٢].*

في نفس السنة، جرى تشكيل "اللجنة الحكومية للأسماء"، والتي ضمت دائماً وحتى اليوم العديد من المتخصصين في التاريخ اليهودي والجغرافيا وبعض المستشرقين أيضاً ومهمتها دراسة أسماء الأماكن والمعالم والمواقع الجغرافية، ووضع بدائل عبرية للأسماء العربية، وبالفعل بدأت هذه اللجنة أعمالها، فكانت تصدر سجلات وقوائم لأسماء المناطق

[١]. سيكون لهذه الفكرة شأن مهم وبالغ الأهمية في الفصول القادمة، من حيث تقودنا مسارات هذه الدراسة صوب مناقشتها على نحو من التفصيل. ولسوف يساعدنا إدراك خفايا الأهداف الكامنة وراء نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، في الوصول الى حقائق ما كانت تخطر على بال. (الباحث)

[٢]. توم سيغف: الاسرائيليون الأوائل ١٩٤٩، ترجمة: خالد عايد وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٦. ص ٣٠٧.

والمواقع العربية وما حل محلها من الأسماء العبرية كما قررتها اللجنة، وتنشرها في الصحف والنشرات الرسمية الاسرائيلية باللغتين العبرية والعربية، فضلاً عن إرسالها الى الجهات المعنية، وعلى رأسها مجالس السلطة المحلية في القرى والمستوطنات والمواقع التاريخية والخرب، والمناطق الطبيعية، وفي المعالم الجغرافية الخاصة كالأنهار والعيون والآبار والسهول والجبال والتلال والمغارات والطرق والجسور.. الخ[١].

كما سارعت الحكومة الاسرائيلية الى تصميم خارطة معدلة للخارطة التي وضعتها حكومة الانتداب البريطاني عام ١٩٤٤ بمقياس (١: ١٠٠,٠٠٠)، وبلغ عدد أجزائها (١٦) جزءً لكنها لم تشمل منطقة النقب. فلجأت إدارة المساحة الإسرائيلية إلى زيادة (٨) أجزاء على هذه الخارطة لتلافي النقص في خارطة الانتداب، ثم أجرت تعديلات على أطوال الأجزاء، فصدرت الخارطة الكلية بمجموعة من (٢٦) جزءً وبمقياس الرسم ذاته، شاملة جميع المناطق من أقصى الشمال حتى إيلات على البحر الأحمر. وكانت الطبعات الإسرائيلية المتعاقبة لهذه الخارطة تحمل الأسماء العبرية التي تم إطلاقها على الأماكن الفلسطينية. وفي العام ١٩٩٦ صدر في إسرائيل" أطلس الطرق بمقياس رسم (١:١٠٠,٠٠٠) على شكل كراس مكون من نحو (١٠٠) صفحة متضمناً بالمثل الأسماء العبرية للطرق والمعالم المذكورة في هذا الأطلس[٢].

على صعيد أوسع، اتجهت الحكومة الاسرائيلية نحو تعميم خرائطها على المجتمع الدولي، فتقدمت إلى المؤتمر الدولي لتوحيد المصطلحات الجغرافية الذي انعقد في جنيف في سبتمبر من العام ١٩٦٧ بمذكرة طالبت فيها بإحلال الأسماء العبرية محل الأسماء العربية الأصلية للمواقع العربية في فلسطين، وتعاونت إسرائيل مع الهيئات الدولية ودور نشر الأطالس والكتب الجغرافية في العديد من المؤسسات المنتشرة في دول العالم (٢٢) لتكريس ذلك الإحلال. كما جرى إعداد أطالس وموسوعات إسرائيلية تضمنت تسميات

---

[١]. إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية- دراسة ودليل، منشورات اتحاد الكّتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١. ص ٧٧.

[٢]. المرجع السابق، ص ٧٨.

عبرية لغالبية معالم البلاد، منها مثلاً: أطلس إسرائيل الموسوعة اليهودية، موسوعة الصهيونية، وإسرائيل كل البلاد، المعجم الجغرافي لإسرائيل، الدليل السياحي بمختلف اللغات، وغير ذلك من الكتب والمؤلفات والأعمال الدعائية التي نشرت في فلسطين المحتلة وخارجها[١].

السؤال الذي يجب أن يُطرح هنا، هو: على أي أساس ووفق أي منهج بالضبط جرت عملية تغيير أسماء المناطق الفلسطينية العربية وتحويلها الى أسماء عبرية، إذا كان الأمر متصلاً بالأصل بالأسماء الواردة في التوراة العبرية؟!

الجواب –بكل بساطة، هو: من خلال تطبيق ***[منهج دراسة التحولات اللغوية للأسماء في ضوء الدراسات اللغوية التاريخية المقارنة].***

لقد استخدم هذا المنهج من قبل المستشرقين وعلماء التاريخ والآثار التوراتيين في هذه العملية، من حيث جرى التأكيد على أن معظم الأسماء العربية في فلسطين– إن لم يكن كلها– ما هي إلا أسماء تحورت عبر مسارات متعددة، تعرضت فيها للتحولات اللغوية التاريخية من أصولها العبرية الى اللغة العربية، ولكن دون أن تتخلى هذه الأسماء عن جذورها العبرية، وبالتالي فإن منهج المقارنات اللغوية للأسماء بين اللغات يمكن أن يساعد في استعادة هذه الجذور والصور العبرية الأصلية لتلك الأسماء.

يطالبنا هذا التوصيف بألا ننظر الى عملية تهويد الأسماء التي قام بها اليهود والمستشرقين ومن لفّ لفّهم باعتبارها تحريفاً أو تزويراً، كما لا يجب أن يُفهم بأنها كانت كذلك، لأن هذه العملية– حسب ما يقول اليهود طبعاً– جرت وفق منهج لغوي علمي رصين ومعترف به في كل الدوائر الأكاديمية والعلمية في العالم بأسره، وقد جرى تنفيذها وتطبيقها على هذا الأساس بهدف إعادة الأسماء الأصلية فقط لا أكثر[٢]..!!

---

[١]. المرجع السابق، ص ٧٨– ٧٩.

[٢]. إنه الكلام نفسه الذي قاله أصحابنا رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب. على نحو ما قاله "زياد منى": ***[ما يحق لغيرنا يحق لنا].***

*هذا التوضيح بالذات، تبناه المستشرقون والمؤرخون وعلماء الآثار التوراتيون. فقد كرس له الباحث الاسرائيلي "ميرون بنفنستي" فصلاً كاملاً من فصول كتابه "المقذوف والعصا". والذي أكّد فيه على أن رسم خارطة وتحديد أسماء يعنيان عملاً لامتلاك شيء، وككل مجتمع مكون من المهاجرين، **حاولنا أن نمسح من خارطة البلاد الأسماء الغريبة ونعيد الأسماء الأصلية التي حملناها في قلوبنا طوال مئات السنين التي كان اليهود فيها مهجرين بعيداً عن أرض أجدادهم. وقد صنع سكان البلاد العرب معروفاً معنا وحافظوا على الأسماء القديمة، وإلا فكيف كنا سنعرف أين هي "عنتوت" لولا "عناتا"، وكيف كنا سنجد "شيلوح" لولا خربة "سلوان"**[1].*

لنتوقف هنا، ولنُحكّم عقولنا ونتكلم بمنطق الحق والحقيقة بدون مراء أو خوف، ولنكن منصفين بحق الله. أليس هذا هو منهج الصليبي ورفاقه؟ أليست هذه هي حججهم وتفسيراتهم لما قاموا به؟ ألم يقولوا لنا أنهم اتبعوا مناهجاً لغوية تستند على أسس علمية رصينة، ساعدتهم في رصد وتتبع مسارات التحولات اللغوية لأسماء المناطق الجغرافية في عسير وغامد واليمن من الجزيرة العربية، وأن تلك الأسماء كانت في الأصل عبرية، وأنها مع الزمن وبسبب عوامل التاريخ حدث أنها تحولت الى أسماء بصياغات عربية، ولكنها مع ذلك حافظت على جذورها العبرية، وأنه لولا أن تلك الأسماء حافظت على جذورها لما أمكن اكتشاف جغرافية التوراة الحقيقية؟! أليس هذا كلامهم الذي اثبتناه قبل صفحات قليلة من هنا؟!

نعم إنه هو بلا أدنى شك، ولا داعي للمزايدة. فهذه هي الحقيقة ولا مجال لإنكارها.

يبقى أن نتعرف على النموذج التطبيقي الذي اتبعه مشروع تهويد الأرض الفلسطينية، من ناحية الطرق والآليات اللغوية التي اتبعها القائمون به في تحويل الأسماء الجغرافية العربية الى أسماء عبرية؟

[١]. المرجع السابق، ص ٧٩.

[3]

تزويرٌ أم منهجٌ علميّ؟!

تورط رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب بصورة صريحة وضمنية في الإقرار بمصداقية النص التوراتي، ما دفعهم الى إطلاق العديد من الأحكام الجزافية، وساهموا بدرجة كبيرة في توسيع وتعميق الهوة التي تفصل بين جهودهم من ناحية، وبين المنطق العقلاني والقواعد المنهجية والموضوعية التي يتطلبها الموقف العلمي الباحث والناقد من جهة أخرى، فجاءت نظريتهم بعيدة ومنفصلة تماماً عن النقلة التي أحدثها علم الآثار في العقود الأخيرة إزاء المسألة التوراتية. كما تورطوا على نحو ممل في الحشد لنظريتهم والإغراق في تقديم الاستدلالات اللفظية واللغوية دون التوقف للحظة لمراجعة آرائهم وممارسة النقد الذاتي عليها، حتى بدت جهودهم وهي تصب في اتجاه استثمار نظريتهم بصورة دعائية صاحبها التكرار المثير للسأم، أكثر ما أنها تصب في سياق تحقيق الإضافة العلمية المطلوبة.

إنه لمما يبعث على الحزن أن فريقاً من الباحثين العرب ممن لديهم الطاقات والامكانات المميزة والمذهلة في مجال البحث والانتاج العلمي، استطاع بكل سهولة أن يُشكِّل جبهة مضادة لعلم الآثار وجهوده النقدية البالغة الجرأة والشجاعة، من حيث سخّر هذا الفريق جهود جميع أفراده بانحياز واضح الى جانب النص التوراتي وفي صفه، ضارباً عرض الحائط بجهود قرن كامل من الزمن هدفت الى تحرير علم التاريخ وعلم الآثار من سطوة الرواية التوراتية، ودون أن يلتفت لمنتقديه أو يتقبل النقد، أو يفتح أبواب النقاش العام فيما طرحه، فحتى الآن لم تُطرح هذه النظرية للنقاش الجاد والمفتوح بين روادها وبين سائر المهتمين والمتابعين والنقاد والقراء.

المهم، وإمعاناً في إثبات النتيجة التي لم نبتعد عنها أكثر من عدة سطور وهنيهات قصيرة من الزمن، لابد من التحقق من الطرق والأساليب التي اتبعها اليهود في استعادة أسماء مناطق فلسطين على ما كانت عليه –حسب ما يعتقدون– في التوراة وفي العصور القديمة، والتحقق

أيضاً من كونها مطابقة للطرق التي اتبعها رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، أم لا.

الاستناد الرئيسي الذي لجأ إليه المستشرقون والمؤرخون الاسرائيليون في تغيير أسماء المناطق الفلسطينية، هو افتراض أن الكثير من تلك الأسماء التي وردت في التوراة، لابد وأن تكون موجودة وحافظت على نفسها وعلى جذورها العبرية حتى بعد أن جرت عملية تعريبها على مدى قرون طويلة، مثلاً:

[الأردن] (عربية) ــــــ أصلها هو ــــــ [ها- يردن] (عبرية)

باستبدال (أل) التعريف العربية بأداة التعريف العبرية (ها)، وقلب الألف ياء وهذا قلب معروف وثابت لغوياً، كما أكد على ذلك الصليبي والدبش والجثام وداوود.. الخ.

[عكا] (عربية) ــــــ أصلها هو ــــــ [عكو] (عبرية)

[يافا] (عربية) ــــــ أصلها هو ــــــ [يافو] (عبرية)

بقلب الألف واو، وهذا قلب معروف وثابت لغوياً كما أثبت ذلك الصليبي ورفاقه.

[الناصرة] (عربية) ــــــ أصلها هو ــــــ [نصريت/ نتسريت] (عبرية)

بمطابقة جذر الكلمة (ن ص ر)، وقلب حرف الصاد سين، وتحويل التاء المربوطة (تاء التأنيث العربية) الى (تاء) التأنيث العبرية، وهذه قاعدة طبقها الصليبي ورفاقه أيضاً.

على هذا النحو بالضبط جرى تحويل الأسماء العربية للمناطق الفلسطينية الى أسماء عبرية مطابقة لما جاء في التوراة، والأمر لم يتم جزافاً بل تم وفق منهج لغوي رصين يعترف به كل الباحثين في هذا الاختصاص، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم دوماً رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب.

الجدير بالتنويه هنا، هو أن قوائم أسماء الأماكن الفلسطينية التي سوف ترد في السياق أدناه، تتضمن عدداً ليس بالقليل من أسماء الأماكن التوراتية، كما أن منها ما لم يرد فيها.

إن الهدف من عرض سلسلة طويلة نسبياً من أسماء المناطق الفلسطينية ومقابلاتها العبرية التي حوّلت إليها، هو إبراز الطرق والآليات التي جرت بها عملية تهويد الجغرافية الفلسطينية في العصر الراهن والنتائج التي أسفرت عنها، وهي العملية التي يمكن القول بأنها حدثت لأول مرة على أرض الواقع بالطريقة التي جرت بها. فكل الادعاءات التي روّج لها رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب بشأن عمليات مشابهة حدثت قبل القرن التاسع عشر، ليست صحيحة على الإطلاق، وإلا لكان الأولى بهم أن يبينوها لنا.

جرى اختيار جميع الأمثلة من قبل الباحث بما يتلاءم وهدف الدراسة، ولم يكن مناسباً الخروج عن جادة هذا الهدف. فهناك بالفعل الكثير من الأمثلة والنماذج التي تظهر حجم التعسف الذي مارسه الكيان الاسرائيلي في طمس المعالم الإسمية للمواقع والمناطق الجغرافية الفلسطينية العربية، خاصة تلك التي لم ترد في التوراة والتي عمد الى طمس غالبيتها واطلاق تسميات عبرية لا علاقة لها بالأسماء الأصلية، ولا تُحيل إليها لا باللفظ ولا بالمعنى في العبرية، ولمن أراد التوسع فعليه بالعودة الى الدراسة والدليل الذي أعدهما الباحث الفلسطيني "إبراهيم عبد الكريم" ***[تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية– دراسة ودليل]***– وهو المصدر الذي اعتمدنا عليه في هذا الجانب.

جدول (٣): نماذج تحويل أسماء بعض المناطق الفلسطينية العربية الى أسماء عبرية
باستخدام طريقتي القلب والاستبدال

الاسم العربي	الاسم العبري	الموقع التقريبي للمكان
صفد	تسفات	وسط الجليل الأعلى الشرقي
عكا	عكو	الساحل الشمالي لفلسطين
طبرية	طفرياه	على الشاطئ الغربي لبحيرة طبرية
الناصرة	نتسيريت	وسط الجليل الأسفل
بيسان	بيت شآن	وسط غور نهر الأردن
قيسارية	كيساري	الساحل الفلسطيني الأوسط
شفاعمرو	شفارعام	منطقة حيفا
لاشيش	لخيش	السهل الداخلي الجنوبي(مقاطعة عسقلان)
يافا	يافو	الساحل الساحلي الأوسط
اسدود	أشدود	الساحل الساحلي الجنوبي
عسقلان	اشكلون	السهل الساحلي الجنوبي
الرملة	رملاه	السهل الداخلي الأوسط
اللد	لود	السهل الداخلي الأوسط
الخضيرا	حديرا	السهل الساحلي، جنوب حيفا، شمال غرب طولكرم
نابلس	شكيم	شمالي الضفة الغربية
جنين	جنيم	شمالي الضفة الغربية
بيت لحم	بيت ليحيم	جنوب القدس
الخليل	حبرون/ حفرون	جنوبي الضفة الغربية
بئر السبع	بير شيفع	شمالي النقب

خربة نبرتين	خربة نبورياه	الجليل الأعلى
خربة المنارة	خربة منوريم	الجليل الأسفل
خربة المسكنة	خربة مشكنة	الجليل الأسفل
جبل أباريك	هار برك [هار بالعبرية تعني: جبل]	النقب الجنوبي
جبل الدرج	هار درجا	النقب الجنوبي
جبل الرحمة	هار رحاماه	النقب الأوسط
جبل طوال النفخ	هار نفحاه	لنقب الأوسط
تل أبو هريرة	هارور	منطقة غزة
تل الشريعة	سيرع	
تل سيحان	شيحان	
تل المالحة	ملحاه	منطقة بيسان
كفر عانة	أونو	شرق حيفا بنحو ١١ كم
هوشة	أوشاه	شرق حيفا بنحو ١٥ كم
يازور	أزور	جنوب شرق يافا بنحو ٦كم
البرج	بورجاتا	جنوب شرق الرملة
بورية	بورياه	جنوب غرب بحيرة طبرية
بيرية	بيرياه	الجليل الأعلى الشرقي، شمال صفد بنحو ٢كم
بيت جبرين	بيت جوفرين	شمال غرب الخليل بنحو ٢٣ كم
داجان/ بيت دجن	بيت داجون	جنوب شرق يافا بنحو ١٠ كم
خربة الجندي	بيت هجدي	النقب الشمالي، جنوب شرق غزة بنحو ١٣ كم
البصة	بتسيت	سهل عكا، قرب الحدود مع لبنان.

كفر برعم	برعام	الجليل الأعلى، شمال غرب صفد بنحو ١٢ كم
الجية	جئاه	السهل الساحلي الجنوبي، جنوب شرق عسقلان بنحو ٥كم
جبع	جيفع كرمل	جنوب حيفا بنحو ٢٠ كم
جت/ جوت (جت ويانوح)	جيتا	الجليل الأعلى، شمال شرق عكا بنحو ١٥ كم
اجليل	جليلوت	شمال شرق يافا بنحو ١٢– ١٤ كم
اجليل	جليل يام	شمال شرق يافا بنحو ١٢– ١٤ كم
جمزو	جمزو	جنوب شرق اللد بنحو ٥كم
دلاته	دالتون	الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ٦كم
خان الدوير	دان	أقصى شمالي الحولة، بجوار الحدود مع سورية
دفنة	دافناه	شمالي شرق الحولة، مقابل تل العزيزيات
الطنطورة	دور	ساحل الكرمل، جنوب حيفا بنحو ٢٣ كم
ديشوم	ديشون	الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ١٢ كم
زخريا/ زكريا	زكاريا	شمال غرب الخليل بنحو ٢٥ كم
زمارين	زخرون يعقوب	زمارين السهل الساحلي، جنوب حيفا بنحو ٢٩ كم
زرنوقه	زرنوقاه	جنوب غرب الرملة بنحو ١٠ كم
حانوتا	حانيتا	قرب الحدود مع لبنان، شرق رأس الناقورة بنحو ٧كم
الحديثة	حديد	شمال شرق اللد بنحو ٤كم
ياقون	حوكوك	الجليل الأسفل الشرقي، جنوب صفد بنحو ١٢ كم

حميدية	حمادية	شمال بيسان بنحو ٥كم
طيرة/ حيفا	طيراه، طيرات هكرمل	على السفوح السفلى لجبل الكرمل، جنوب حيفا بنحو ٧ كم
ياجور	ياجور	جنوب شرق حيفا بنحو ١٠ كم
زرعين	يزرعيل	مرج ابن عامر، شمال شرق جنين بنحو ١٠ كم
قاقون	يكون	شمال غرب طولكرم بنحو ٦ كم
الكابري	كابري	الجليل الأعلى الغربي، شمال شرق عكا بنحو ١٥كم
كوكب الهوا	كوخاف هيردن	شمال بيسان بنحو ١٠ كم
كوكبا	كوخاف ميخائيل	السهل الساحلي الجنوبي، جنوب شرق عسقلان بنحو ١٠ كم
كسلا	كسالون	غرب القدس بنحو ١٧ كم
كفريتا	كفر أتا	سهل عكا، شرق مدينة حيفا بنحو ١١ كم
دانيال	كفر دانئيل	شرق الرملة بنحو ٦كم
كفر سابا	كفر سابا	السهل الساحلي، شمال شرق يافا بنحو ٢٠كم
ساقية	كفر ساكيا	شرق يافا بنحو ٨كم
عاقر	كفار عقرون	جنوب شرق يافا بنحو ٢٢ كم
لوبية	لافي	غربي طبرية بنحو ١٢ كم
بتير	مافو بيتار	جنوب غرب القدس بنحو ١٢ كم
المدية	مافو موديعيم	خربة زكريا شرق الرملة بنحو ١٠- ١٢كم
المجدل	مجدال	شمال مدينة طبرية بنحو ٦كم
أم الفحم	مي عامي	شمال غرب جنين بنحو١٧ كم
المالكية	ملكياه	الجليل الأعلى الشرقي، شمال صفد بنحو

		١٥ كم
المنارة	منوراه	جنوب مدينة طبرية بنحو ٢كم
المالحة	منحات (منح= ملح)	جنوب غرب القدس بنحو ٥ كم
المسمية الكبيرة	مشميع شالوم	السهل الساحلي الجنوبي، جنوب غرب الرملة بنحو ٢٤ كم
المطلة	متولا	أقصى الجليل الأعلى الشرقي
نعاني	ناعن/ نعن	السهل الساحلي، جنوب الرملة بنحو ٨ كم
نورس	نوريت	شمال شرق جنين بنحو ١٠ كم
دير نحاس	نحوشاه (= نحاس)	شمال غرب الخليل بنحو ١٨ كم، قرب بيت جبرين
بيت نتيف	نتيف هلميدهي	شمال غرب الخليل بنحو ٢٠ كم
سعسع	ساسا	الجليل الأعلى، شمال غرب صفد بنحو ١٢ كم
سلامي/ سلمة	كفار شاليم	شرق يافا بنحو ٥ كم
الصفصاف	سفسوفاه	الجليل الأعلى الشرقي، شمال غرب صفد بنحو ٧كم
عجور	عجور موشاف	شمال غرب الخليل بنحو ٢٥ كم
النقيب	عين جيف	عند الشاطئ الشرقي لبحيرة طبرية
اندور	عين دور	الجليل الأسفل، جنوب شرق الناصرة بنحو ١٢كم
عين حوض	عين هود	جنوب حيفا بنحو ١٤ كم
عين الزيتون	عين زيتيم	الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ٤ كم
عين كارم	عين كيرم	غرب القدس بنحو ٧كم
علما	علماه	الجليل الأعلى، شمال صفد بنحو ١٠كم
عمقا	عمكاه	شمال شرق عكا بنحو ١٢كم

العفولة	عفولاه	مركز مرج ابن عامر، جنوب الناصرة بنحو ١٠كم
عتليت	عتليت	جنوب جبل الكرمل، جنوب حيفا بنحو ١٥كم
فطيس	باطيش/ فاطيش	النقب الشمالي، شمال غرب بئر السبع بنحو ٢٥كم
فراضية	بارود/ فارود	الجليل الأعلى، جنوب غرب صفد بنحو ٧كم
البقيعة	بكيعين حداشا	الجليل الأعلى، شمال شرق عكا بنحو ٢٥كم
فرديسيا	برديسيا	السهل الساحلي، جنوب غرب طولكرم
صوبا	تسوباه	غرب القدس بنحو ١٠ كم
صفورية	تسيبوري	الجليل الأسفل، شمال الناصرة بنحو ٧كم
سمخ	تسيمح	عند الشاطئ الجنوبي لبحيرة طبرية
صرفند	تسيروفاه	جنوب حيفا بنحو ٢٠ كم
السافرية	تسفرياه	جنوب شرق يافا بنحو ١٢ كم
صرعة	تسرعاه	غرب القدس بنحو ٢٥ كم
القسطل	كاستل/ قاسطل	غرب القدس بنحو ٧كم
شارونة	شاروناه	الجليل الأسفل الشرقي، جنوب غرب طبرية بنحو ١٠ كم
الجارور	جرار	وادي يصب في وادي العريش
عرعرة	عروعر	جنوب شرق بئر السبع
قطنة	كطناه	منطقة صفد، شرق قرية مغار الخيط المدمرة

المصدر: إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية– دراسة ودليل، مرجع سابق، ص ٨٥، ودليل الدراسة ص ١٠٢ وما بعدها

جدول (٤): نماذج تحويل أسماء المناطق الفلسطينية العربية الى أسماء عبرية باستخدام طريقة نقل الاسم بالمعنى		
الاسم العربي	**الاسم العبري**	**الموقع التقريبي للمكان**
جبل جرادة	هار جوفاي (جوفاي= جرادة)	منطقة النقب
جبل رجم القناصية	هار تسياد (تسياد/ تصياد= قناص)	
جبل الراكب	هار ريخف (ريخف/ ريكب/ ركب= مركبة)	
جبل السويدي	هار شحوروت (شحوروت= أسود)	
جبل رجم الضبعة	هار تسافواع (تسافواع= ضبعة)	
وادي التبان	تيفن (تيفن= تبن/ تبان)	
تل رحيب	هار راحيف (راحيف/ راحيب= واسع)	منطقة الجليل الأعلى
تل القنيطرة	تل كيشت (كيشت= قنطرة)	منطقة غزة
عين غزال	عين إيالاه (إيالاه= أيله= غزالة)	منطقة سهل الكرمل
المصدر: إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينيـــة– دراسة ودليـــل، مرجع سابق، ص ٨٦.		

قبل الخلوص الى نتيجة أخيرة، يجدر التأكيد على أن الكثير من الباحثين الفلسطينيين والعرب قد تنبهوا منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي للأرض الفلسطينية وبداية مشروعات التهويد والجرف التاريخي والجغرافي للمعالم العربية فيها، لمخاطر وأهداف هذه المشروعات. فبذلوا جهوداً جبَّارة للتصدي لها ومواجهتها، فضلاً عن الجهود الرسمية التي بذلت من قبل الجامعة العربية، فقاموا بتوثيق الأسماء والمعالم الجغرافية والتاريخية والأثرية العربية بطرق شتى، وجرى إعداد المعاجم والأدلة والدراسات المعجمية واللغوية لتوثيق صورة الأرض الفلسطينية كما كانت

قبل تحريفها وتهويدها من قبل الكيان الاسرائيلي، كما لا ننسى كتب البلدانيات والمعاجم التراثية التي خصت فلسطين والشام بالكثير من الاهتمام، فسجلت ووثقت أسماء المناطق في عصور تاريخية مختلفة، وأيضاً هنالك الكثير من الوثائق الإدارية للمجالس البلدية في عصر الدولة العثمانية، والتي يمكن الرجوع إليها للمقارنة والبحث وتقصي الحقائق بشأن أسماء المناطق الفلسطينية وعلاقتها بما ورد منها في التوراة.

هكذا، فسواء جرى الأمر على النص التوراتي أو على الأرض، فلن يخرج الأمر كلياً عن نطاق الفكرة التي تكونت لدينا عن ***[منهج دراسة التحويلات اللغوية]- وهذا فقط وفقط فقط إذا قبلنا بهذا المنهج كأساس للاستدلال التاريخي والجغرافي.***

إننا في موقف يفرض علينا أن نُحكِّم العقل والمنطق، وألا نبحث عن أعذار أو أن نتهرب من مواجهة الحقيقة بتفسيرات واحتجاجات جانبية واهية. لابد من اصدار حكم بشأن ما إذا كان الأمر الذي قام به رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب من جهة، وما قام به اليهود أصحاب نظرية جغرافية التوراة في فلسطين من جهة أخرى، يُعّد عملاً منهجياً علمياً جائزاً ومشروعاً أم أنه تزوير وتحريف للحقائق وتضليل لها وعنها.

لقد ثبت لنا فيما تقدم نظرياً وعملياً، أن العمل واحد والمنهج واحد والرؤية والمنطلقات واحدة، اتفق عليها رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب واليهود أصحاب مشروع تهويد الأرض الفلسطينية، بما يعني أن اصدار أي حكم بشأنهم جميعاً يُلزم بأن يكون حكماً واحداً على الطرفين. فإذا قبلنا بفكرة المنهج العلمي لدى الرواد العرب، فهذا يعني أننا نعترف بأن ما قام به اليهود هو أيضاً عمل منهجي وعلمي، وإذا حكمنا على ما قام به اليهود بأنه تزوير وتحريف للحقيقة، فهذا يعني أننا نصدر نفس الحكم على ما قام به الباحثين العرب.

على كل حال، سواء حكمنا بأن الأمر هو تطبيق لمنهج علمي، أو بأنه محض شعوذات اشتقاقية لغوية كما قضى بذلك الباحث الفرنسي "بيير روسي"، فإن النتيجة في كلا الحالتين واحدة، وهي ***[سقوط نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب].*** فبغض النظر عن حالات التعسف التي قام بها باحثونا العرب وقام بها كذلك منفذو مشروع تهويد الجغرافية الفلسطينية من

اليهود، فإن قبولنا بفكرة المنهج اللغوي هو قبول بأن ما قام به اليهود هو عمل منهجي، يمكن عكسه لإعادة أسماء المناطق الفلسطينية المهودة الى أصولها العربية السابقة، وفي هذا اقرار أيضاً بوجود الكثير من الأسماء التوراتية على خريطة الأرض الفلسطينية بالفعل، بما يسقط ويفند نظرية الباحثين العرب.

أما إذا اعتبرنا أن ما قام به اليهود يعد من قبيل التزوير فلابد أن يكون هذا الحكم واقعاً على ما قام الباحثون العرب أيضاً، وبه تسقط نظريتهم، لأنه ينطوي على إثبات حقيقة كم أنه من الصعب جداً الركون والاعتماد على القرائن اللغوية، وعدم صلاحيتها لأن تحل محل الدليل الأثري، وحينها لن يبقى أمامنا سوى الاحتكام الى نتائج علم الآثار لحسم المسألة برمتها.

وحتى يتفضل أحد رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، ويبين لنا الفرق بين المنهج والتزوير، فإني أترك الحكم لكم اعزائي القراء..

الفصل الرابع

نهاية لعبة الأسماء والكلمات المتشابهة

اتجهت هذه الدراسة في الفصول السابقة الى تقديم خلفية متكاملة وموجزة لنظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، بالتوازي مع تفكيك بنائها المنطقي والمنهجي والكشف عن اختلالاتها وتناقضاتها، ليغدو ممكناً بعد ذلك النفاذ الى عمق النظرية والبحث في إمكانية نقض استدلالاتها وهدمها من الداخل. وبالطبع فإن الدراسة موجهة بشكل رئيسي الى عموم القراء والمهتمين بالأمر، أكثر ما أنها متجهة صوب رواد النظرية. ذلك أنه سبق بالفعل وأن قام باحثون متخصصون بنقدها، والقيام بمحاولات جادة لفتح قنوات حوار مع روادها في سبيل بحث امكانية خلق أجواء مناسبة للنقاش بشأنها، إلا أن ردود فعلهم جاءت غالباً في اتجاه عكسي، عبّر عنه تجاهلهم لأي نقد أو دعوة للنقاش، بل أن التهرب من النقاش شكَّل سمة جوهرية من سمات مواقفهم، فكلما دعوا الى نقاش تهربوا منه وتجاهلوه.

هناك الكثير من المهتمين بهذه النظرية والباحثين بشأنها، ممن تطلعوا دائماً الى إدراك طبيعتها من وجهة نظر مغايرة، وهذا مهم للغاية إذ لا يمكن الانقياد لرؤية أحادية واعتبار أنها هي الحقيقة دون غيرها، فعلينا دائماً أن ننظر الى الطرف الآخر وأن ننصت لأصحاب الرؤى المغايرة والناقدة، وأن نتبين ما لديهم.

من أجل ذلك، حرصتُ منذ البداية على أن تكون مضامين الدراسة سهلة وسلسة ليتمكن القارئ العادي من تلقيها وهضمها، متحاشياً قدر الإمكان الاغراق في المسائل التخصصية العميقة، وممهداً في نفس الوقت لنقلة ضرورية في هذا الاتجاه، إذ لا مفر من الولوج الى أعماق النظرية، من مختلف النواحي الموضوعية العلمية والمعرفية. لذا كان من الضروري اتباع خطة تدريجية تُمكِّن القارئ من امتلاك ناصية الموقف النقدي الذي تتبناه هذه الدراسة ومن السير بمحاذاته حتى نهايتها، بحيث لا يصل الى مرحلة ما تعوقه فيها المادة المتخصصة التي لابد من ادراجها ومناقشتها.

لدي إصرار شديد على مناقشة مسألة المنهج الذي اتبعه رواد النظرية من كافة الجوانب، لأن هذه المسألة هي مفتاح كل المسائل التي سنناقشها لاحقاً، وكل الأدلة التي يمكن التوصل إليها لنقضها، وإثبات كيف أنها تقع خارج نطاق المنطق والمعقول، فضلاً عن مخالفتها التامة لكل ما هو حقيقي وواقعي. لاسيما وأن الفصول السابقة تضمنت العديد من التساؤلات والاشكاليات التي تحتاج بالفعل الى اجوبة دقيقة، تساعدنا على الخروج بحكم واضح ومحدد إزاء هذه النظرية، وإزاء الأدلة التي أُستخدمت في إثباتها، وعلى رأسها الاستدلال الذي عبرت عنه المقولة الثالثة من مقولاتها، بشأن الملاحظة العجيبة التي كشفت عن ذلك التشابه المدهش بين أسماء الأماكن الجغرافية الواردة في التوراة، وأسماء المناطق الجغرافية في جزيرة العرب.

لقد بُنيت نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب على أساس جسدته المقولات الثلاث التي أصبحنا على دراية كافية بها، واعتمد روادها على ***[منهجية دراسة التحولات اللغوية لأسماء الأماكن الجغرافية الواردة في النص التوراتي، وقابلوها بنفس الآلية على تلك التي وجدوها في بعض المناطق من جزيرة العرب، على أساس التشابه اللفظي والتراكم الكمي لتلك الأسماء في حيز جغرافي واحد– كما يقولون]***. إذ أشاروا دائماً الى أنه من الصعب أن نجد ذلك التراكم لأسماء مناطق على الأرض مشابهة لتلك التي ترد في النص التوراتي، واستنتجوا في ظل غياب الأدلة الأثرية على الأحداث التوراتية في فلسطين أن تلك الأحداث ربما وقعت في مكان آخر يدل عليه ذلك التشابه العجيب بين الأسماء.

على هذا الأساس قام رواد النظرية بتوظيف مقولتهم عن التزييف والتحريف الذي مارسه علماء التوراة منذ القدم ومن ثم المستشرقين في قراءاتهم وتفسيراتهم للنص التوراتي، لإيهامنا بأن فلسطين هي مسرح أحداث القصة التوراتية، وعليه جرى تفسير مواقع الأسماء الجغرافية الواردة في النقوش الأثرية على أنها في فلسطين أيضاً، والأمر نفسه ينطبق على كافة السجلات التاريخية والأدلة الأثرية التي ترد فيها تلك الأسماء، فحيثما جرى الاعتقاد بأن جغرافية التوراة هي فلسطين والشرق الأدنى برمته، فهذا يعني أن القراءة والتفسير قائمان على أساس من الزيف والتلفيق.

بناءً عليه، قرر رواد النظرية إعادة قراءة التوراة والسجلات التاريخية والنقوش الأثرية على أساس أن جغرافية التوراة ليست في فلسطين، بل في المناطق التي عيّنوها.

هكذا تم اغلاق المسألة بدون أن يتركوا أي معيار مشترك بينهم وبين أولئك الذين يخالفونهم الرأي، من خلال تسوير نظريتهم بتلك المقولات، لمنع قيام الحجج التي كان يمكن الاحتجاج بها ضد نظريتهم، والتي يمكن تحديدها على النحو الآتي:

الحجة الأولى: أن أسماء المناطق التوراتية موجودة في فلسطين– وهذا صحيح بالفعل.

الحجة الثانية: أن التوراة ليست مصدرنا الوحيد، فهناك سجلات تاريخية وجغرافية تتضمن توثيقاً لأسماء مناطق الشرق الأدنى وجزيرة العرب.

الحجة الثالثة: هناك أدلة أثرية مصرية وبابلية وآشورية وسبئية أيضاً، رصدت أسماء ومواقع مدن كثيرة ورد ذكرها في النص التوراتي.

لمنع قيام هذه الحجج الثلاث، ظل رواد النظرية يرددون مقولة التزوير والتزييف بصيغ مطاطة وغير دقيقة، ساعدتهم في التشكيك بكل الحقائق التي تنطوي عليها تلك الحجج، فجغرافية التوراة تم تحريفها، وأيضاً جغرافية فلسطين تعرضت للتحريف، وبالتالي لا تقوم الحجة الأولى، مع أنهم لم يحددوا متى وكيف وقع هذا التحريف والتزوير سواء على النص التوراتي أو على الأرض الفلسطينية. وحين واجههم بعض النقاد بحجج علمية مصدرها السجلات التاريخية الأدلة الأثرية، استخدموا أيضاً نفس العلة وقالوا بأنه جرت على الدوام قراءة وتفسير تلك السجلات التاريخية والأدلة الأثرية وفق الافتراضات الزائفة والمحرفة التي قدمها التفسير التقليدي للتوراة، وكلما طُرحت هذه الأدلة عليهم شككوا بها واتهموها بأنها واقعة في شباك القراءة الاستشراقية المحرفة والزائفة، وهكذا دارت كل الجهود النقدية في حلقة مفرغة لم تساعدها في تحقيق أهدافها.

في نفس الاتجاه، مارس رواد النظرية ما يعرف بـ ***[الخداع أو المغالطات المنطقية الصورية]*** في تقديم استدلالاتهم اللفظية واللغوية والتاريخية والجغرافية، في السياق الذي جرى فيه دائماً اسقاط الواقع الراهن الذي تعيش فيه فلسطين العربية تحت وطأة الاحتلال الصهيوني،

فرفعوا شعار فضح وكشف زيف الادعاءات الصهيونية التاريخية– التي مصدرها التوراة أصلاً، والمقولات الرائجة عن التزوير والأغراض الامبريالية التي مارسها وخدمها الاستشراق الغربي المعاصر لصالح الصهيونية.

أُستخدم ذلك كله كغطاء عاطفي شوش دائماً على العقل العربي، وحال دون تمكينه من ادراك حقيقة أن تلك المقولات بقدر ما تبدو حقيقية وواقعية، إلا أنها بالقدر نفسه زائفة وملفقة.

لقد سعت الدراسة الحالية في الفصول الثلاثة السابقة الى توضيح هذه النقطة بالذات، من خلال إثبات الجذور الاستشراقية– اليهودية لهذه النظرية فكرة ومنهجاً، وكيف أنها لا تهدف إلا الى حماية مصداقية القصص التوراتية، التي أثبت علم الآثار حتى الآن أنه لا وجود لأي دليل يثبت وقوع أحداثها الكبرى، بقدر ما تفيد الأدلة المتوصل إليها بأنها ربما لم تحدث على الإطلاق.

نحن نقف أمام نظرية حُبكت على مدى أكثر من ربع قرن من الزمان، تظافرت فيها ومن أجلها جهود العديد من الباحثين الذي وجدوا فيها طابعاً ***راديكالياً [ثورياً]*** يدعم التفات الناس لها وانضمامهم الى صفها، وربما دفعت البعض الى الخروج على كل الحقائق القائمة والتصديق المطلق بها.

إن نظرية كهذه لا يمكن اسقاطها بسهولة، خاصة في ظل الهوة الواسعة التي نتجت عن غزارة الانتاج الكتابي والنظري لروادها في مقابل قلة الدراسات النقدية التي وجهت إليها، فضلاً عن أن معظم الجهود النقدية التي قُدِّمت لم تأخذ بعين الاعتبار وبشكل كافي الطريقة التي بُنيت بها هذه النظرية، وأيضاً الطريقة التي جرت بها عملية تسويرها وتحصينها من أي نقود أو ردود مماثلة لتلك التي طُرحت بالفعل.

جاءت الدراسة الحالية كاستجابة بالضرورة لذلك كله، في اتجاه بناء مدخل نقدي مختلف تماماً. إذ جرى تكوين وجهة نظرها وخطتها بناءً على قراءات فاحصة متأنية ومتراكمة استغرقت أوقاتاً طويلة وبُذلت فيها جهوداً عزيزة لرصد كافة ما يتعلق بهذه النظرية وبنقدها، وبالتالي فإن ما آمل أن تحققه هذه الدراسة، هو تقديم رؤية نقدية جديدة تساهم بشكل فعلي في إبراز

الاشكاليات التي تثيرها نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، والاشكاليات الناتجة عنها قدر الإمكان، وأن تفتح الأبواب مجدداً للقيام بدراسات مماثلة تعزز من فرص تحقيق هذا الهدف.

استطيع القول– انطلاقاً من هذه المرحلة – أن كافة الأسئلة والاشكاليات المتعلقة بنظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب للباحثين العرب قد طُرحت، كما جرى توضيح نقاط اختلالها والكشف عن تناقضاتها من الناحية النظرية والتطبيقية العامة، ولم يبق أمامنا سوى النقد التطبيقي المتعمق صوب استدلالاتها اللغوية واللفظية القائمة على فكرة تشابه أسماء المواقع الجغرافية. فإن كان ثمة سؤال لابد من طرحه في هذا الاتجاه، فلابد أن يكون سؤالاً عن الأدلة الذي يمكن تقديمها للكشف عن مدى هشاشة الاستدلالات الاسمية والتشابهات اللفظية التي كانت ومازالت تدعم بقاء هذه النظرية وتعطيها القوة اللازمة للبقاء، والكشف أيضاً عن طبيعة الخداع المنطقي والموضوعي الذي انطوت عليه تلك الاستدلالات.

من أجل ذلك كله، كان لابد من البحث عن الثغرات التي تركها رواد هذه النظرية، أو ربما تعمدوا التعمية عنها بشكل أو بآخر، وتعتري نظريتهم ومنهجهم وأدلتهم، وبقدر ما أن هذه تعد مهمة بالغة الصعوبة، خاصة أمام الحبكة شبه المتقنة التي طُرحت بها النظرية، وأُغلقت بها الأبواب أمام كل الحجج المتوفرة، بالقدر نفسه الذي آمنت دائماً بأنه لا يوجد جهد بشري على الإطلاق يمكن أن يوصف بالكمال، وأنه لا توجد نظرية متماسكة ومتكاملة أو يمكن أن تسلم من الثغرات التي يمكن أن تُستخدم ضدها.

هنا لابد من التنبيه مجدداً على أن الاشكالية التي تضعنا أمامها نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب لا تكمن في ادعاءاتها وفروضها التي تتبناها، ولا في النتائج التي رامت دائماً الى اثباتها، بقدر ما تتمثل في أن هذه النظرية برمتها قائمة على نحو غريب ومثير للريبة والشك، خاصة إذا ما نظرنا إليها من تلك الزوايا المتباينة التي عبرت عنها كل التساؤلات التي طرحت من قبل، وفي مقدمتها ذلك السؤال عن الدواعي والدوافع والأهداف الكامنة وراء التوجه بكل هذه القوة والاندفاع نحو اسقاط جغرافية التوراة على مكان آخر، في الوقت الذي تكفل فيه علم الآثار وأثبت بلغة العلم أن الرواية التاريخية للتوراة تفتقد الحد الأدنى من المصداقية، وأنها مما لا يمكن الركون إليه كمصدر لمعرفتنا التاريخية أو مساعد لنا في البحث التاريخي.

وإذن، فإن مهمتنا في هذا الفصل تتحدد بشكل رئيسي في التأسيس والتمهيد الفعلي لتقديم الأدلة الجغرافية والتاريخية واللغوية التطبيقية التي تدحض مقولات وادعاءات رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، وذلك من خلال تحطيم مقولة تشابه أسماء المواقع الجغرافية أولاً، والكشف عن الثغرات والثقوب المنهجية التي تعاني منها نظريتهم ومنهجهم، في الاتجاه الموازي الذي نقوم فيه بتوضيح وتوصيف منهجنا في بناء وتكوين الأدلة المضادة، تمهيداً لعرضها في الفصول التالية.

[1]

ماذا يعني تشابه الأسماء الجغرافية؟

لنبدأ بهذا السؤال الاستهلالي:

هل يمكن أن يكون تشابه أسماء المواقع الجغرافية دليلاً؟!

أبسط جواب على هذا السؤال، يمكن التماسه عند الدكتور "أسامة محمد أبو نحل"- الأستاذ المشارك في التاريخ الحديث والمعاصر ورئيس قسم التاريخ في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأزهر في مدينة غزة الفلسطينية، في مقالة له نشرها على شبكة الانترنت في أغسطس من العام ٢٠١٠، تحت عنوان: ***[نظرية الدكتور كمال الصليبي وتاريخ فلسطين القديم]***، إذ قال فيها:

"اعتمد الصليبي في إثبات صحة نظريته على تشابه أسماء عدد من المدن الموجودة في التوراة بأسماء مدن أخرى موجودة في غرب الجزيرة العربية، ***وهذا وحده لا يكفي لإثبات صحة ما وصل إليه، فمن المعلوم أن اسم مدينة واحدة ربما يتكرر في عدة بلاد وتحمل المسمى نفسه، فعلى سبيل المثال يوجد على سطح هذه الأرض ثلاث مدن تحمل اسم مدينة غزة، الأولى في جزيرة العرب في بلاد بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم، وقد نسب الأخطل الشاعر المشهور الوحش إلى غزة الموجودة في جزيرة العرب. والثانية ببلاد المغرب، بينها وبين القيروان نحو ثلاثة أيام، والثالثة في فلسطين"***[١].

[١]. أسامة محمد أبو نحل: نظرية الدكتور كمال الصليبي وتاريخ فلسطين القديم، ٨ أغسطس ٢٠١٠، متاح على الرابط الالكتروني:
https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/BvVL9VVBwtM- 18 Nov 2017.

قد يرى البعض أن الاستشهاد بقول أستاذ جامعي متخصص ويرأس قسماً اكاديمياً في علم التاريخ بأنه مما لا يمكن اعتباره حجة كافية، ولعلي اتفق مع هذا الرأي، لكن لا بأس من استعراض آراء الباحثين الأكثر تخصصاً، وأحدهم هنا متخصص تماماً في ***[دراسة الأسماء الجغرافية القديمة واشكالياتها اللغوية والتاريخية]***، وهو الدكتور "عامر الجُمَيلي"– الأستاذ المساعد في قسم الآثار بجامعة الموصل في العراق، الحاصل على درجة الدكتوراه عام ٢٠٠٦، عن أطروحته الموسومة : ***[المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء].***

يخبرنا الجُميلي بأن فوضى الخلط والالتباس بين أسماء الأماكن الجغرافية القديمة، دفعته الى بذل العديد من الجهود البحثية المتخصصة في أصول الأسماء الجغرافية وتشابهاتها، إذ يقول:

"لدى قراءة العديد من البحوث والمصادر التاريخية ذات العلاقة بتاريخ الشرق الأدنى القديم بشكل عام– أي العراق وسوريا وفلسطين ومصر– ومن بينها رسائل ماجستير وأطاريح الدكتوراه، ***تبَيَّن أن بعض الباحثين قد وقعوا في وهم وخلط في تعيين وتحديد بعض المواضع والمدن من غير علم أو تمحيص، فراحوا يطلقون العنان لأنفسهم بالمعلومات الجغرافية جزافاً ومن دون أن يجهدوا أنفسهم عناء التحديد السليم لمواقع المدن موضوعة البحث. وفاتهم أن المدن شأنها في ذلك شأن أسماء الناس لها (سَمِيّ)، إذ يُطلق الاسم الواحد على غير مسمّى [أي على أكثر من مسمى واحد]،*** *وعلى الباحث هنا تقع مسؤولية استنتاج وتحديد موقع المدينة المعنية والمقصودة بالبحث والدراسة"[١].*

---

[١]. عامر عبد الله الجميلي: أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، ١١ مايو ٢٠١١، متاح على الرابط الالكتروني:
http://dramerart.blogspot.com/search/label/%D8%A7%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%A1%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86- 10 Nov 2017.

كان هذا تأكيداً – من عالم متخصص في هذا المجال- على إن الخلط والالتباس بشأن تحديد المواقع الجغرافية بناءً على أسمائها، يُعَّد من أهم وأصعب المشاكل التي يواجهها الباحثين المتخصصين، فما بالنا بغير المتخصصين؟!

أهم المشكلات التي تواجه الباحثين في هذا المجال، هي ظاهرة تشابه أسماء الأماكن والمدن سواءً في نطاق جغرافية البلد الواحد، أو في النطاقات الجغرافية لبلدين أو أكثر، والأمثلة على ذلك كثيرة ولا مجال لحصرها- كما سيتبين ذلك لاحقاً-، ولكن يمكن تقديم بعض الأمثلة المتعلقة بأسماء مدن قديمة اشتركت فيها عدة مواضع في بلدان متعددة من الشرق الأدنى القديم، مما ورد ذكرها في السجلات التاريخية والنقوش الأثرية البابلية والآشورية:

*"**اسم [(أبقو) (apqu)] وهو اسم مدينة تشترك فيه ثلاثة مواضع: الموضع الأول** ويرد في نصوص من العصرين البابلي والاشوري القديمين وهي مدينة (أبقو-م- apqu-m-) والذي يميّز باللاحقة (شا إيشكور ša iškur) أي: مدينة (أبقو) العائدة إلى الاله (إيشكور) اله العواصف والمناخ عند السومريين والذي يضاهي الاله (أدد) عند الاكديين و(حَدَد) أو (هَدَد) عند الفينيقيين والآراميين. ويبدو أن هذه المدينة كانت أحد مراكز عبادة هذا الإله. وهذه الصيغة وردت في نصوص العصر البابلي القديم أما في نصوص العصرين البابلي والآشوري الوسيطين فترد فقط بصيغة أبقو (apqu). وترد في نصوص العصر الآشوري الحديث بصيغة (أبكو apku). ويتطابق هذا الموضع مع **(تل ابو ماريّا)** شرقي قضاء تلعفر إلى الغرب من الموصل شمال غربي العراق. **أما الموضع الثاني** فهو (أبقو-م- شا باليخا apqu-m- ša baliha) أي: مدينة (أبقو) الكائنة على رافد البليخ أحد روافد نهر الفرات شمالي **سوريا** والتي اظهرت الدلائل والقرائن أنها تتطابق حالياً مع **(تل ابيض)** على رافد البليخ في محافظة الرقّة في سوريا على الحدود مع تركيا. **والموضع الثالث** هو أبقو (apqu) وهو اسم مدينة ترد في نصوص العصر*

*الآشوري الحديث وتتطابق إلى حدّ ما حاليا مع **(تل افيق)** شمال شرقي **يافا** في **فلسطين**"[١].*

*"اسم **[تَمنا (tamna)]**- أو **تمنة**، اسم مدينة يتطابق إلى حدّ ما مع **(تل بطش)** **غربي القدس في فلسطين**، و**(تمنونو/أ) (tamnunu/a)** التي يرشح الباحثون **(تل جيكان)** الذي يقع حاليا تحت غمر مياه **سد الموصل شمال غربي الموصل في العراق** موقعا لها وكلاهما موقعان من العصر الاشوري الحديث"[٢].*

الجدير بالذكر، أن اسم ***[تمنة] [Timnah] [תל בטש]*** يُعَّد من الأسماء التي ورد ذكرها في التوراة بأنها ***[مدينة في جبال يهوذا إلى جنوبي حبرون (يشوع: ١٥: ٥٧)]***، وقام رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب بالبحث عن أسماء مشابهة لهذا الاسم في عسير وغامد واليمن، ضمن استدلالاتهم القائمة على التشابه اللفظي لإثبات أن جغرافية التوراة ومسرح أحداثها كان في جزيرة العرب.

أيضاً، ***اسم [مُصُر (muşur)]*** التي يقصد بها (**بلاد مصر**)، و(**مُصرُ muşru**) التي طابقها اغلب الباحثين مع (جبل مقلوب) قرب بعشيقة شمال شرقي نينوى شمالي العراق، ويعتقد "أولمستد" (Olmstead) أن التسمية الحالية لـ (**سهل مزوري**) في منطقة (اتروش) شمالي (بارزان) هي تسمية محوّرة لمنطقة "**جبال مُصري**" (**musri**) التي ترد في نصوص الحوليات الآشورية، ككتابات سنحاريب وغيره، وهي نفس المنطقة التي ينبع منها نهر الكرومل. و"**مِصْرُ**" (**misru**) الذي يرد في نصوص من العصر الآشوري الحديث ويشار له على أنه جبل في موضع ما من حوض الفرات الأعلى شمالي سوريا على الحدود مع تركيا"[٣].

---

[١]. عامر عبد الله الجميلي: أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، مرجع سابق، (موقع الكتروني).

[٢]. المرجع السابق، (موقع الكتروني).

[٣]. المرجع السابق، (موقع الكتروني).

وهناك أيضاً ***[نَخَل مُصُر (nahal musur)]*** *ويعني باللغة الأكدية (وادي مصر) ويشترك فيه موضعين يردان في نصوص من العصر الآشوري الحديث، الأول يتطابق إلى حدّ ما مع* ***(وادي العريش) على البحر المتوسط شمال شرقي جزيرة سيناء*** *في مصر. والموضع الثاني "****نَخَل مُصُر****" (****nahal musur****) والذي توحي المعطيات والدلائل أنه يقصد به تحديدا* ***[وادي غزّة]*** *على البحر المتوسط في* ***فلسطين****"[١].*

كما نعلم، فقد شكَّل اسم ***[مصر]*** واحداً من أهم أسماء الاستدلالات التي أُقيمت عليها نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، فقد توصل رواد النظرية واستقروا جميعاً على أن المقصود بـ ***[مصر]*** في التوراة وأيضاً في القرآن ليس ***[مصر النيل]*** وإنما المقصود بها هو اقليم آخر يحمل نفس الاسم ويقع في نطاق جزيرة العرب، فاختار الصليبي ***[قرية مصرمة]***[٢] في عسير، في حين قرر الباحث الفلسطيني "أحمد الدبش" أن مصر المقصودة في التوراة والقرآن لابد وأن تقع في جغرافية اليمن، واستقر أغلبهم على أنها منطقة ***[السحول]***[٣] الذي أطُلق عليه من قبل بعض البلدانيين صفة ***[مصر اليمن]***، علاوة على ذلك فقد قرر الربيعي أن أحد تلك الأسماء المتشابهة لـ ***[مصر]*** والمذكورة في النقوش الآشورية يشير الى ***[قبيلة مضر]***[٤] العربية، من حيث أن حرف الضاد ***[ض]*** غير موجود في اللغة الآشورية والعبرية وغيرها من لغات المنطقة القديمة وغالباً ما ينطق فيها على أنه حرف الصاد ***[ص]***[٥]، وغيرها من التخريجات القائمة فقط على ***[التشابهات اللفظية وآليات القلب والاستبدال]***.

الأمر لا يتوقف على مشكلة تشابه الأسماء، بل أن هناك العديد من المعضلات والمشكلات الأخرى التي تجعل من الصعوبة بمكان تحديد المواقع الجغرافية القديمة بناءً على

---

[١]. المرجع السابق، (موقع الكتروني).

[٢]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٩٤. وقد انتقد الربيعي بشدة تعيين الصليبي هذا لمصر، في: فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٤٩٨.

[٣]. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٦٠.

[٤]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٤٦٩.

[٥]. لا خلاف بشأن ابدال حرف الضاد الى صاد في اللغات القديمة غير العربية، على نحو [ارض= ارص]، بأنها من القواعد التي يمكن القبول بها. (الباحث).

أسمائها وما ورد عنها في السجلات التاريخية والأدلة الأثرية بدقة، وخاصة أسماء المناطق والمواقع القديمة في العراق وسوريا وفلسطين ومصر ***[بلدان الشرق الأدنى القديم]***.

"من أهم المشكلات التي تواجه الباحثين في هذا الشأن- وبشكل خاص في فلسطين- أن بعض الأسماء *اعتراها- عبر آلاف السنين تغير كامل- لذلك يصعب تتبع* ***[أصول جذورها]***. *إضافة إلى أنّه لا توجد فواصل زمنية دقيقة، بين الحِقب التاريخية المتعاقبة* ***[الكنعانية، والآرامية، والفارسية، والهلنستية، والرومانية، والبيزنطية]***"[1].

كما "***إن عدم معرفتنا بشكل مفصل بالظروف التي أحاطت بالتسميات الجغرافية، إذ يلف الغموض منشأ بعض هذه الأسماء، وخاصة في المصادر العربية بحيث يتعذر التعرف على أصولها***"[2]، يعد من أهم الصعوبات التي تواجه الباحث في هذا الشأن.

"*ومما يزيد الأمر صعوبة أن بعض الأسماء قد يداخلها بعض التحريف، فيصعب تحديد أصل الاسم: أعربي هو أم غير عربي؟ فقد يكون الاسم ترجمة للاسم السابق، وقد يكون كنعانياً أو آراميا، فيعتريه بعض التغيير، كدخول "أل التعريف" في العربية، أو هاء التأنيث، فيصبح الاسم عندئذ ممزوجاً،* ***الأمر الذي يزيد مسألة التأصيل غموضاً***. *ولهذا يلجأ الدارسون إلى وسائل عديدة، لتسهيل هذا الأمر، ومن أهم هذه الوسائل دراسة الأبنية الصرفية، وضبط اللواصق الصرفية، من سوابق ولواحق، في أسماء القرى، فمن طريقها قد نقطع بأن هذا الاسم كنعاني أو آرامي أو عربي*"[3].

لا تقتصر اشكالية تشابه أسماء المواقع الجغرافية على أسماء المدن فحسب، بل يكاد ينطبق على كل المعالم الجغرافية، من جبال وتلال وآبار وعيون .. الخ.

---

[١]. ناصر الدين أبو خضير: أسماء قرى القدس- دراسة لغوية دلالية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ٢٠١٦. ص ص ٣٥٥- ٣٨٢. ص ٣٥٦.

[٢]. عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب، الطبعة الأولى، بيسان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩. ص ٣٥.

[٣]. ناصر الدين أبو خضير: أسماء قرى القدس- دراسة لغوية دلالية، مرجع سابق، ص ٣٥٦.

*"فما يُقال عن أسماء المدن القديمة، يصدق على أسماء التلال والمواقع الحديثة والمحلية لأسماء تلك المدن، والمتصفح لكتاب **[المواقع الاثرية في العراق]** للدكتور عامر الجميلي، وكذلك كتاب **[المواقع الاثرية السورية]** للدكتور قتيبة الشهابي يجد عشرات الأسماء المتشابهة، وكمثال على ذلك، المواقع الاثرية التي تعرف بـ **[تل الذهب]** والتي تطلق على العشرات إن لم نقل المئات في كل من العراق وسوريا وغيرها من البلاد العربية. وكذا الحال بالنسبة إلى **[تل الفخار]** و**[تل اسود]** و**[تل احمر]** و**[مشرفه ومشيرفه]** **[تل الصوان]**. و**[تل العمارنة]** من القرن الرابع عشر ق. م في مصر و**[تل العمارنة]** من الألف الثالث والثاني ق. م والذي يقع جنوب **[جرابلس]** في محافظة حلب شمالي سوريا.. وغيرها الكثير من المواضع **[التي تشترك في أسمائها بما يثير الخلط والالتباس لدى الباحثين]. ولأولئك الباحثين [الذين يقعون في الخطأ ويتوهمون صحة تعييناتهم للمواقع الجغرافية] عذرهم في هذا الوهم لعدم معرفتهم أنها من متشابه الأسماء اولاً، ولقلة معرفتهم بالجغرافية التاريخية ثانياً**[1].*

وهكذا، فإن تشابه أسماء المواقع الجغرافية غالباً ما يكون عاملاً من عوامل التوهم والخلط عند تعيينها داخل البلد الواحد، أو في فيما بين البلدان المتجاورة أو غير المتجاورة، وأن البحث في هذا المجال يتطلب قدراً بالغاً من الإلمام بالكثير من الجوانب العلمية والتاريخية والجغرافية، إذ أن قصور معرفة الباحث وقلة خبرته في الجغرافية التاريخية والجغرافية اللغوية وغيرها من الحقول العلمية المساعدة، تضاعف حتماً من احتمالات الوقوع في دائرة الوهم والخطأ.

جدير بالذكر، أن ظاهرة تشابه أسماء المناطق الجغرافية ليست بجديدة، بل هي ظاهرة معروفة وتعرضت للدراسة والتمحيص منذ قرون طويلة، بل وكادت أن تؤسس لمجال علمي مستقل لاسيما في جهود المعجميين والجغرافيين والمؤرخين والرحالة العرب في العصور الوسطى، والتي يطلق عليها بالعادة ***[كتب البلدانيات]***. فمكتبة التراث العربي- الاسلامي عامرة بهذا النوع من الكتب والمؤلفات التي تهتم بكافة الجوانب التاريخية واللغوية والجغرافية

---

[١]. عامر عبد الله الجميلي: أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، مرجع سابق، (موقع الكتروني).

والطبوغرافية للمدن والقرى ومختلف الأماكن والمعالم في مختلف البلدان والأمصار التي وصل إليها مؤلفوها.

تشكل كتب ومعاجم البلدانيات العربية في الغالب مصنفات اتخذت المنهج الوصفي أساساً لها، وكذلك المعاجم الجغرافية وأحيانًا كتب الرحلات الجغرافية التي يغلب على تناولها المنهج الوصفي، وقد اتبع الجغرافيون المسلمون في تناولهم لجغرافية البلدان أسلوب المشاهدة والزيارات الميدانية، فقد زار معظمهم الأقاليم والبلدان التي تحدثوا عنها، لاسيما الرعيل الأول منهم من أمثال اليعقوبي[١]، وابن حوقل[٢]، والمسعودي[٣]، والإدريسي[٤] وغيرهم، وقد تناولوا في مصنفاتهم الجغرافية هذه أوصافًا للأقاليم والمدن والشعوب وأديانها وعاداتها ودراسة للمسالك وطرق المواصلات التي تربط بين المدن المختلفة والأبعاد بينها وما يفصل بينها من أنهار وبحار وبحيرات وجبال، ومن نماذج هذه المصنفات كتب المسالك والممالك لابن خرداذبه[٥]،

[١]. أحمد بن أبى يعقوب بن وهب بن واضح اليعقوبي (توفي: ٢٦٦هـ- ٨٧٩ م)، الكاتب العباسي، صاحب كتاب "البلدان".

[٢]. أبو القاسم محمد النصيبي، وهو ثالث المسالكيين العرب المسلمين الكبار بعد البلخى والاصطخرى، وهو رحالة جغرافي اعتمد في كتابه جغرافيته ورسم خرائطها على رحلاته ومشاهداته وكتابات ابن خردا ذبة والاصطخري، ويقال إنه ولد في بغداد أو الموصل، ولهذا يلقب بالموصلي، بدأ رحلاته الطويلة في رمضان سنة ٣٣١هـ / مايو ٩٤٣م بادئاً بالمغرب، له كتاب "صورة الأرض" مزود بالخرائط. وتقدم خريطة ابن حوقل مثالاً واضحاً وإنما جيداً لأعمال الجغرافيين المسلمين الكارتوجرافية، فبالرغم من أنها خريطة توضيحية للعالم المعروف آنذاك إلا أنها تقدم فكرة جيدة عن توزيع القارات كما عرفها العرب المسلمون.

[٣]. المسعودي (توفي: ٩٥٥م)، وهو من مشاهير القرن العاشر الميلادي، ولد في بغداد أواخر القرن التاسع، وكان من الرحالة المشهورين، تنقل في سوريا وفلسطين وقضى مدة في أنطاكية، واقام بقية حياته في مصر، أهم كتبه "مروج الذهب ومعادن الجوهر". عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص ١٥.

[٤]. جغرافي أندلسي، شملت رحلاته أجزاءً كبيرة من أوروبا وآسيا الصغرى، ورسم الخرائط للعالم كما شاهده وتصوره، من أشهر كتبه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، أشتهر بوصفه الدقيق لفلسطين، وإن لم يتأكد للبعض أنه زارها. المرجع السابق، ص ١٦.

[٥]. جغرافي فارسي المولد عاش في بغداد ولمع فيها أيام الخليفة العباسي المعتمد، في القرن التاسع الميلادي، صاحب كتاب "المسالك والممالك" وهو من أقدم المؤلفات الجغرافية العربية. عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص ١٣.

وكتاب البلدان لليعقوبي، وكتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي"، وكتاب "الأقاليم" للإصطخري[١]، وأيضاً كتاب "صورة الأرض" لابن حوقل، وغيرهم[٢].

بالإضافة الى أبو الحسن الهمداني[٣] صاحب كتاب "صفة جزيرة العرب"[٤] الذي اعتد به كثيراً رواد نظرية جغرافية التوراة – وخاصة الربيعي– في جمع استدلالاتهم.

تعتبر جهود "ياقوت الحموي"[٥] على رأس أهم الجهود التي بذلها الجغرافيين والرحالة العرب المسلمين في هذا الشأن، خاصة وأن له عملاً فريداً تميز به عن سائر من كتبوا أسمائهم في هذا المجال من العرب المسلمين، وهو كتابه المعجمي- الجغرافي الموسوم ***[المشترك وضعا والمفترق صقعاً]***[٦]، والذي استعرض فيه أسماء المواقع الجغرافية التي تشترك باسم واحد، والتي والتي جمعها بالأساس من معجمه الجغرافي الشهير ***[معجم البلدان]***، وهذا المعجم الأخير قام

---

[١]. أبو القاسم محمد بن إبراهيم الكرخي، وهو من أهل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، طاف ببلاد الإسلام وجمع معلومات جغرافية دقيقة وافية، رأس مدرسة البلدانيين المسلمين، وقد ألف كتابه "المسالك والممالك" فيما بين سنتي (٣١٨ – ٣٢١هـ- ٩٣٠ – ٩٣٣م) وهو أول من رسم خريطة للعالم الإسلامي على مذهب أهل الرحلة والمشاهدة الشخصية، ونقل عنه الكثيرون ومنهم الإدريسي. حسين مؤنس (مشرفاً): أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦. ص ٢٦.

[٢]. دي لاسي أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسان، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٥٧. ص ٣٩.

[٣]. أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني (٨٩٣- ٩٤٥م)، من أعظم جغرافيي جزيرة العرب في عصره، ألمّ بعلوم الفلك والحكمة والفلسفة والكيمياء، أشهر كتبه الإكليل، وصفة جزيرة العرب.

[٤]. أبو الحسن الهمداني الشهير بـ لسان اليمن: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الأولى، مكتبة الارشاد، صنعاء، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠.

[٥]. ياقوت الحموي (٥٧٥- ٦٢٦هـ/ ١١٧٩- ١٢٢٩م)، جغرافي شملت رحلاته العراق والشام وسواحل جزيرة جزيرة العرب.

[٦]. ياقوت الحموي: المشترك وضعا والمفترق صقعاً، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦. ١٩٨٦.

بنشره المستشرق الألماني "فرديناند فستنفلد (١٨٠٨- ١٨٩٩) في نهاية القرن التاسع عشر باعتباره أضخم عمل جغرافي في التراث العربي الاسلامي كله[١].

تشير المعطيات الحديثة والمعاصرة الى أن المستشرقين قد أولوا اهتماماً كبيراً بظاهرة تشابه أسماء المناطق الجغرافية منذ بدايات القرن التاسع عشر وخاصة ***[المستشرقين من المدرسة الألمانية]***، معتمدين في ذلك على التراث الهام الذي خلفه العرب في هذا المجال. كما أن جزءً كبيراً من هذا الاهتمام الاستشراقي كُرِّس بالفعل في خدمة البحوث والرحلات الاستشراقية المعنية بجغرافية التوراة.

أما عربياً وفي العصر الحديث، فلم تتوقف الجهود المعجمية والتوثيقية لأسماء المدن والقرى والمعالم الجغرافية في البلدان العربية منذ بداية القرن العشرين، إلا أن اهتمام الباحثين العرب بهذا الجانب نشط أكثر في النصف الثاني منه. وفي العقود الثلاثة الأخيرة وعلى الصدى الذي أحدثته نظرية كمال الصليبي برز نوع من الاهتمام الأكاديمي بمثل هذه القضايا، فأطلق البعض منهم على هذا المجال اسم "حقل دراسة المشترك اللفظي"، وأيضاً "حقل دراسة الأسماء الطبوغرافية". إذ تنامى في هذه الفترة وحتى اليوم عدد البحوث والرسائل العلمية التي تعنى بقضايا واشكاليات تشابه الأسماء الجغرافية من مختلف النواحي اللغوية والتاريخية والطبوغرافية والجغرافية[٢].

نبع الاهتمام المتنامي مؤخراً بهذه المسألة من قبل الباحثين العرب من دوافع علمية وموضوعية متعددة، الأمر الذي عبر عنه "الجُميلي" عندما أشار الى كثرة خلط وتوهم بعض الباحثين في تعيين مواقع المدن القديمة التي ورد ذكرها في النقوش الأثرية، نتيجة العديد من المشكلات التي واجهتهم، وأهمها ظاهرة تشابه الأسماء واشتراك بعض المواقع باسم واحد.

---

[١]. ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق: فرديناند فستنفلد، ليبزك، ١٨٦٧. كما قامت مطبعة الخانجي في مصر – القاهرة بنشر الكتاب سنة (١٣٢٤هـ- ١٩٠٦م)، وفي سنة ١٩٩٣ نشرت دار صادر اللبنانية طبعة أخرى جديدة للكتاب.

[٢]. أحدث ما اطلع عليه الباحث من الدراسات الأكاديمية في هذا المجال: عبادة جمال أبو محسن: تكملة صنيع ياقوت الحموي في كتابه "المشترك وضعاً والمفترق صقعاً"– دراسة في المشترك من الأعلام الجغرافية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية– نابلس، ٢٠١٦.

وهذا أيضاً ما عبَّر عنه الدكتور "عبد الله الحلو"، بقوله:

"لقد ظهرت منذ القرن الماضي بعض الأبحاث الضيقة المحدودة في هذا المجال، سواء بشكل فصول في حوليات أوروبية تناولت بالذكر الأسماء في مناطق متفرقة استناداً لنصوص توراتية ولرحلات قام بها بعض المستشرقين، أو بشكل كتيبات مستقلة تناولت منطقة محدودة، مثل الدراسة التي وضعها الأستاذ أنيس فريحة لأسماء الأماكن اللبنانية، والدراسة المشابهة التي وضعها من بعده المستشرق الألماني "شتيفان فيلد". وقد بقت هذه الأبحاث عموماً مفتقرة الى العمق التاريخي والجغرافي والى التحقيق اللغوي الشامل"[١].

كما أشار الحلو الى الضجة التي أثارها كتاب الصليبي "التوراة جاءت من جزيرة العرب"، مؤكداً على أن دراسته لم تأت استجابة لها، وإنما لمعالجة الأسماء الطبوغرافية لغوياً، بغض النظر عن إن كان منها ما ورد في التوراة أو لم يذكر[٢].

هكذا إذن، فإن تشابه أسماء المواقع الجغرافية لا يمكن أن يُعَّد دليلاً نظراً لصعوبة تحديد الموقع الصحيح من بينها، فضلاً عن أن قصور امكانيات وخبرات ومعارف الباحثين قد تضاعف من احتمالات التوهم والخلط في تعيين المواقع الجغرافية. ومن ثم فإن ظاهرة الأسماء المتشابهة للمواقع الجغرافية تعد اشكالية أكثر ما يمكن أن تُعامل على إنها دليل تاريخي أو جغرافي، إذ يمكن أن يفضي البحث عن موقع ما الى عدة احتمالات لمواضع تحمل أو حملت في مرحلة ما نفس اسم هذه الموقع، الأمر الذي يصعب معه القطع بأي منها عساه يكون الموقع الصحيح الذي نبحث عنه، وهذا ما نلتمسه بوضوح جلي في مشكلة تعدد المسارح الجغرافية التي عينها رواد النظرية، على أنها هي مسرح أحداث التوراة.

إن التعيينات الجغرافية التي قدمها رواد النظرية لمسرح أحداث في جزيرة العرب، تقدم لنا الإثبات العملي على صدق وجهة النظر العلمية والواقعية القائلة بأن تشابه الأسماء الجغرافية لا يمكن أن يكون دليلاً. فتعدد واختلاف المناطق التي عينها كل منهم جاء نتيجة للعمليات

---

[١]. عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب، مرجع سابق، ص ٧.

[٢]. المرجع السابق، ص ٨.

والتأويلات التعسفية التي قام بها كل منهم في سبيل البحث عن الأسماء المتشابهة، والتي تتعدد بدورها هي الأخرى كما نستدل على ذلك من تعدد الخيارات التي طرحوها في كثير من الحالات، الأمر الذي غلب عليه طابع التخرص والظن والتوهم، أكثر من الطابع العلمي والمنهجي.

نخلص بشكل أولي الى نتيجة مفادها: أن الركون الى مسألة تشابه الأسماء لا يُفضي بنا قطعاً الى نتائج حاسمة، ولكن إذا ما اعتبرنا أن نظرية جغرافية التوراة برمتها معدة لغرض ما يتجاوز حدود ما هو ظاهر في نسق الجدل المثار دوماً حول صحة ومطابقة التعيينات الاسمية التي وضعها كل منهم لهذه المنطقة التوراتية أو تلك هنا أو هناك في عسير أو في اليمن، فهذا يعني أننا نقف بالفعل أمام ما لا يمكن اعتبارها استدلالات جغرافية ولغوية جادة ومقنعة في تعيين موطن ملتبس وغامض للقصة التوراتية، ومع ذلك لا يمكن انكار أن تشابه أسماء المناطق الجغرافية يمكن أن يكون قرينة، ولكنه لا يصعد أبداً الى درجة الدليل القطعي، أو الى مرتبة الدليل الأثري المادي.

[2]

ماذا عن جغرافية التوراة الكوردية في اليمن؟

يبقى جانب مهم هنا، وهو أن التشابه المحدود بين اسمين أو ثلاثة أسماء يظل أمراً وارداً وشائعاً، وهذا قد لا يثير مشكلة لدى البعض تحول دون إقرارهم بأن مثل هذه الحالات لا يمكن أن يكون التشابه فيها دليلاً حقيقياً.

من المؤكد أن الاعتراض والاحتجاج الذي سوف يطرح، يتمثل في كون رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب لم يقدموا اسمين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة، بل يقولون أنهم وجدوا تشابهاً بين كثير من الأسماء التوراتية وأسماء المناطق في عسير واليمن- إن لم يقولوا بأن التشابه كلي تماماً. ومن ثم فإن مثل هذا التشابه التراكمي لا يمكن أن يكون صدفة أو عبثاً، كما أن تكراره يكاد يكون مستحيلاً، ولابد أن يُعَّد دليلاً بالفعل.

لنتوقف عند هذا الاحتجاج قليلاً..

إن قول رواد النظرية بأن هناك تشابهاً وجدوه بين ***كل أو معظم*** الأسماء الجغرافية التوراتية وبين أسماء تلك المناطق التي عينوها في جزيرة العرب، ***ليس قولاً دقيقاً وربما ليس صادقاً في أغلب الأحوال***، إذ يمكن لأيٍ كان أن ينظر في قوائم الأسماء التوراتية التي بحثوها في مقابل أسماء المناطق التي قابلوها بها، وأن يتأكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن التشابه الذي يدّعون وجوده غير قائم بصورة كلية إطلاقاً، وإلا لما لجئوا أساساً الى شعوذات الاشتقاق والقلب والابدال والترجمة بالمعنى وغيرها، وهذه حجتهم تنقلب عليهم أولاً[١].

---

[١]. يمكن للقارئ مراجعة قائمة مقابلات الصليبي على سبيل المثال، والتي عرضناها في الفصل الثالث من هذه الدراسة، أو العودة الى مؤلفات رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، ليتحقق من أن قوائمهم للأسماء التوراتية ومقابلاتها التي حددوها لها، لا تنطوي أبداً على ذلك التشابه الذي يمكن تصوره حسب ما يقولونه ويرددونه دائماً. (الباحث).

أما قولهم باستحالة أن يتكرر مثل هذا التراكم بين الأسماء المتشابهة، فنقول أنه وفضلاً عن حجتنا السابقة والتي تلغي أساساً وجود هذا التشابه فيما قدموه، فإن اختلافهم في تعيين مسرح جغرافية التوراة في جزيرة العرب، قد أفضى الى تعيين سبعة أو ثمانية مسارح تقع في نطاق جغرافي واحد على أساس التشابهات اللفظية للأسماء، وكل منها يتضمن تعيينات دقيقة مختلفة ومتباينة غالباً لكل اسم من الأسماء التوراتية التي قابلوها، هذا مع الأخذ بالاعتبار أن حالات كثيرة من تعييناتهم وقفت على احتمالين أو ثلاثة أمام الاسم الواحد من التوراة، وهذا أيضاً يرد الحجة عليهم، ويسقط دعوى التراكم.

بيد أن البعض قد لا يجد في الحجج السابقة ما يقنعه، وهذا أمر وارد ولن نتجاهله. ***فحسناً، ماذا لو أننا اكتشفنا عن طريق البحث الجاد والمقصود- وليس عن طريق الصدفة- أن عدداً كبيراً من أسماء الأماكن في كردستان- مثلاً- تتشابه لفظياً وطبوغرافياً وعلى نحو رهيب مع أسماء أماكن أخرى في اليمن؟! ما الذي يمكن أن يعنيه مثل هذا الاكتشاف؟! وكيف سنفسره طالما وأنه حدث خارج دائرة القصة التوراتية؟!***

ألم يتوسل إلينا الصليبي بصيغة ما في مقدمة كتابه بأن نتقبل ما كشفته له الصدفة من تشابه عجيب ومتراكم بين أسماء الأماكن التوراتية وأسماء الأماكن في عسير غرب جزيرة العرب، وهو التشابه الذي أقام نظريته بناءً عليه؟![١].. بلى- لقد فعل.

لكننا هنا لا نتوسل القارئ أن يقبل نتائج تمخضت عنها عمليات معقدة من التقليب والتبديل والتفسير والتأويل والتعسف المضني الذي أُجري على أسماء المناطق في عسير واليمن لإرغامها على أن تكون مشابهة لأسماء الأماكن التوراتية، بل نطلب منه وبكل ثقة واقتدار أن ينظر ويقرر ما شاء بشأن النتائج التي توصلت إليها دراسة فاحصة ومقارنة قام بها منذ أكثر من عشر سنوات باحث عربي من دولة الكويت، كشف فيها عن تشابه تراكمي رهيب بالفعل،

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٨.

بين أسماء المناطق اليمنية والمناطق الكردستانية، وهو البحث الذي نشرت بعض أجزاء منه "صحيفة القبس الكويتية في نوفمبر من العام ٢٠٠٦[١].

ما هو مميز بالفعل وجدير بأن يثير دهشتنا في دراسة "صالح السعيدي" البحثية والبسيطة، أن الأمر فيها لا يقتصر على مجرد التشابه اللفظي بين الأسماء، كما نجده عند رواد نظرية جغرافية التوراة، بل أنه قائم بشكل مدهش للغاية على التطابق ***[الطبوغرافي]***[٢].

"**فاسم الجبل في اليمن يقابله اسم جبل في كردستان مشابه *له تماماً، واسم الوادي في اليمن هو ذاته يتكرر في كردستان، كما ينطبق ذلك على الهضاب والسهول والمواقع*"** [٣].

هذه الدراسة البسيطة تقدم لنا قائمة طويلة من الأسماء والأسماء المشابهة لها تماماً لمواقع جغرافية في كل من اليمن وكردستان، بدون أن يضطر الباحث فيها الى اجراء عمليات قلب لمواقع الحروف أو تبديل لها أو التلاعب بتركيب الأسماء وجذورها. كما أنها قائمة تكشف عن تشابهات طبوغرافية مثالية، تتقابل فيها المدينة بالمدينة والقرية بالبلدة ويتقابل الوادي بالوادي أو النهر، والهضبة بالهضبة والجبل بالجبل، فضلاً عن أن التكرار نفسه لبعض الأسماء قد يقع مرتين فنجده يتكرر في إقليم كردستان العراق مرة، ومرة أخرى في إقليم كردستان تركيا أو إيران.

لنمعن النظر ولنندهش قدر ما نشاء من ذلك التشابه بين الأسماء ومعالم سطح بعض الأماكن الجغرافية في اليمن وكردستان، كما في الجدول أدناه:

---

[١]. صالح السعيدي: هل الأكراد يمنيون قدماء؟، صحيفة القبس الكويتية العدد (١٢٠٠٨)، ٧ نوفمبر ٢٠٠٦، متاح على الرابط الالكتروني:

https://alqabas.com/288765/– 20 Nov 2017.

[٢]. الطبوغرافيا، مصطلح جغرافي يشير الى وصف سطح الأرض من كافة النواحي الطبيعية، والبشرية أيضاً، فيصف التضاريس وملامح المكان الجغرافي الطبيعي من حيث سطحه ومكوناته وموقعه وعلاقته بالأماكن المحيطة به. (الباحث)

[٣]. صالح السعيدي: هل الأكراد يمنيون قدماء؟، المرجع السابق، (موقع الكتروني).

جدول (١): الأماكن الجغرافية المتشابهة أسمائها وطوبوغرافيتها في اليمن وكردستان		
اليمن		**كردستان**
اسم المكان	البيان الطبوغرافي للمكان	اسم المكان وبيانه الطبوغرافي
أولاً: أسماء المدن والقرى والبلدات والأقاليم		
أبين	مدينة كبيرة تقع جنوب اليمن بالقرب من عدن	**ابين**: مدينة تقع شرق كردستان التركية
مدورة	موقع في أبين جنوب اليمن	مدورا (mdora): بلدة تقع شرق كردستان التركية
أرضين	أرضين: واد تقع عليه قرى في حضر موت	**أرضين**: والنطق الكردي أردين نهر يمر في مدينة ماردين بكردستان التركية.
شزن	بلدة تطل على وادي دوعن في حضرموت	**شزن**: بلدة في كردستان التركية.
سدبه	قرية في حضرموت	**سدبة**: قرية في كردستان التركية.
تريم	من كبريات مدن حضرموت	**تريم**: مدينة في الاجزاء الشرقية لكردستان التركية.
تريس	مدينة في حضرموت	**تريس**: بلدة تقع على الحدود العراقية التركية.
دمون	موضع في حضر موت	**دمون**: موضع شرق كردستان التركية.
خودون	موقع في حضرموت بالقرب من دمون.	خودون: موضع في شرق كردستان التركية بالقرب من دمون.
هدون	موضع في حضرموت بالقرب من دمون وخودون	**هدون**: موضع شرق كردستان التركية بالقرب من دمون وخودون.
جيشان	بلدة قديمة تقع جنوب اليمن ١٥ كم شمال مدينة قعطبة	**جيشان- جيجان**: موقع بكردستان التركية.
حمرة	قرية في يافع جنوب اليمن	**حمرة**: بلدة في كردستان التركية (على الحدود السورية).
جربتين	قرية في يافع جنوب اليمن	**جربتين**: قرية في كردستان التركية (على الحدود السورية).
زوف	قرية في يافع جنوب اليمن	**زوف**: قرية في كردستان التركية (على الحدود السورية)

أدمة	ذكر الهمداني أنها قرية لبني صنابح في بلاد السوارية جنوب اليمن	**أدما**: قرية في كردستان التركية
أفار	قرية في بلاد السوارية جنوب اليمن.	**أفار**: قرية كبيرة في كردستان التركية.
مدس	قرية في بلاد السوارية جنوب اليمن.	**مدس**: مدينة في كردستان التركية
بينون	موقع يقع شمال شرق مدينة ذمار.	**بينون**: موقع موضع في كردستان التركية
عكوان	موضع بلد شمال شرق صعده	**عكوان**: موضع في كردستان واسم عشيرة تركية
بوصان	موقع في نواحي صعدة	**بوصان**: موضع في كردستان التركية
نسرين	موضع في نواحي صعدة	**نسرين**: موضع في كردستان التركية.
هكر	ارض تقع شمال شرق ذمار ورد ذكرها في شعر امرئ القيس	**هكر**: اقليم كبير في كردستان التركية
سمكر	قرية كبيرة جنوب اقليم الخير اليمني	**سمكر**: منطقة بكردستان التركية وسمكر عشيرة كردية تستوطن سوريا
جبجب	بلدة تطل على جبل الشرق بإقليم تهامة غرب اليمن	**جبجب**: بلدة في كردستان التركية
كومان	مقاطعة في ارض عنس (وسط اليمن)	**كومان**: موضع في كردستان العراق
سويق	موضع باليمن في ارض عنس تشرف عليه جبال	**سويق**: موضع في كردستان العراق تشرف عليه جبال
الخائس	قرية في شمال رواع محافظة ذمار	**الخايس**: بلدة في كردستان العراق
ماور	قرية في رواع محافظة ذمار	**ماور**: مدينة في كردستان العراق
رحابة	موضع في محافظة مأرب	**رحابة**: موضع في كردستان العراق
سامان	سهل في بلاد همدان (محافظة الجوف) وسط اليمن.	**سامان**: سهل ونهر في الجزء الكردي العراقي من جبال زاجروس وسامان عشيرة كردية متنقلة.
يعموم	موضع في بلد همدان (الجوف) وسط اليمن.	**يعموم/ ياموم**: منطقة في كردستان العراق
ورور	موضع في همدان (الجوف).	**ورور**: منطقة في كردستان العراق
بقلان	موضع في مخلاف بعدان (الجوف).	**بقلان**: قرية في كردستان العراق واسم قرية بأطراف الجزيرة السورية

اعشار	موضع في مخلاف بعدان (الجوف).	**اعشار**: قرية في كردستان العراق، واسم قرية بأطراف الجزيرة السورية.
جوب	منطقة في محافظة عمران شمال صنعاء	**جوب**: موضع على الحدود العراقية التركية
خلقه	موضع في حضرموت	**خلقة (كلقا) (Xelka)**: منطقة في كردستان العراق واسم عشيرة كردية
مسيب	موضع في حضرموت	**مسيب**: مدينة في كردستان العراق توجد فيها اديرة تاريخية
صلحلح	قرية في اقليم السر اليمني	**صلحلح: سلالا**: مدينة في كردستان العراق
العارة	قرية في اقليم الجند	**العارة (ARA)**: منطقة في كردستان العراقية
مرهبة	موضع في بلاد همدان (محافظة الجوف)	**مرهبة (Merhabat)**: مدينة في كردستان الايرانية
طبوة	موضع في همدان (الجوف)	**طبوة**: مدينة في كردستان الايرانية
غيمان	اقليم شهير في همدان بالجوف	**غيمان (Geman)**: مدينة اثرية في كردستان الايرانية
مدر	موضع في بلاد همدان (الجوف)	**مدار**: موضع في كردستان الايرانية
جهران	موضع في مأرب باليمن	**جهران**: مدينة في كردستان الايرانية
هران	موضع في مأرب باليمن.	**هران**: مدينة في كردستان الايرانية
جاش	موضع في مأرب باليمن.	**جاش**: موضع في كردستان الايرانية
سلفة	موضع قرب ابين	**سلفا (selva)**: مدينة بكردستان الايرانية
مسور	موقع في خولان العالية	**مسور**: موضع في كردستان الايرانية
العارة	قرية في اقليم الجند	**العارة (ARA)**: منطقة في كردستان الايرانية
ثانياً: الأودية والأنهار		
تنين	واد في ذمار وسط اليمن	**تنين**: واد (نهر) في كردستان العراق
سعوان	واد خصب شرق مدينة شعوب	**سعوان/سيوان**: واد بكردستان العراق
ضلع	واد يقع الى القرب من صنعاء	**ضلع/دالأ**: واد بكردستان العراق
سامك	واد وبلدة في سنحان شرق صنعاء	**سامك**: واد بكردستان العراق
شرجان	واد في اليمن ذكره المؤرخ الهمداني	**شرجان**: واد بكردستان العراق.
نعوه	واد في يافع جنوب اليمن	**نعوه**: النطق الكردي (ناوه) واد بكردستان العراق
الرباحة	واد يقع الى الشرق من مدينة البيضاء.	**الرباحة**: واد يقع على الشرق من مدينة الموصل.

ذي بين	واد في بلاد همدان (محافظة الجوف)	**ذيبين:** منطقة اودية بكردستان العراق
خيوان	واد ببلاد همدان (الجوف)	**خيوان:** نهر بكردستان العراق
هرات	مضيق ببلاد همدان (الجوف)	**هرات:** واد ومدينة بكردستان العراق.
صولان	واد في بلاد همدان (الجوف)	**صولان (سولان):** منطقة اودية بكردستان العراق.
سرار	واد بصنعاء القديمة	**سرار:** واد بكردستان العراق
يسنم	واد في نجران على الحدود السعودية اليمنية	**ينسم:** واد وفرع من فروع الفرات بكردستان العراق
جيجان	واد في يافع جنوب اليمن	**جيجان:** اسم نهر كبير في كردستان على الحدود العراقي التركية
شوكان	واد كبير في سرو حمير (ابين)	**شوكان:** من روافد دجلة في كردستان التركية ويطلق على جزء من الجبل المطل عليه وتوجد مدينة بهذا الاسم
نخلان	واد في محافظة البيضاء وسط اليمن	**نخلان:** واد في شرق كردستان التركية وقرية في كردستان العراق.
بخال	واد في منطقة شعيب باين جنوب اليمن	**بخال:** واد من الفروع الصغيرة الملحقة بنهر دجلة ومنبعه بكردستان التركية.
دوعن	الوادي الرئيسي في حضرموت وعليه تقع الكثير من القرى والبلدات.	**دوعن: دوأن (Dawan):** واد يقع بكردستان التركية وأحد تفرعات دجلة يمر بالأراضي السورية
مذاب	واد في صعدة شمال اليمن.	**مذاب:** واد بكردستان التركية
شراد	واد وقرية غرب ذمار	**شراد:** واد بكردستان التركية
حمم	واد يقع في شرق مدينة المكلا باقليم حضرموت	**حمم (اومام):** واد يقع شرق كردستان التركية
سردد	واد يقع في تهامة	**سردد:** واد بكردستان التركية
جردان	واد مشهور بالعسل الطيب يقع في حضرموت له شهرة يتناقلها العامة وقد ورد ذكره بالمساند الأوسانية 'يمينية قديمة'.	**جردان:** واد بكردستان الايرانية يشتهر بالعسل الطيب، وهناك ماركة عسل ايرانية شهيرة باسم "عسل جردان"
يوحج	واد في ذمار	**يوحج:** واد بكردستان الايرانية

سردد	واد في تهامة غرب اليمن.	**سردد:** واد بكردستان الايرانية
سهام	واد في تهامة غرب اليمن.	**زيهام:** واد بكردستان الايرانية
أخله	واد في منطقة يحوي الكثير من الينابيع يقع في يافع السفلى جنوب اليمن.	**أخله (EXLA):** واد بكردستان الايرانية فيه الكثير من الينابيع
الخارد	واد كبير بالجوف.	**الخارد (Xared):** جنوب كردستان الايرانية
ثالثاً: الجبال والهضاب والمرتفعات		
حبانين	جبل يقع في نواحي سد مأرب القديم	**حبانين (Ebanin):** مدينة جبلية في جبال زاجروس بكردستان التركية تقع خلف سد اثري
الكور	سلسلة جبال بإقليم الجند	**كور:** جبل من سلسلة جبل الجودي بكردستان التركية
حرير	جبل يقع في ابين جنوب اليمن	**حرير:** هرير جبل بكردستان التركية
تومان	جبل من اعمال ذي السفال باليمن	**تومان:** جبل بكردستان التركية
الهان	جبل في منطقة أنس	**الهان:** جبل بكردستان التركية
كهلان	جبل شرق صعدة نسبة لقبيلة كهلان	**كهلان:** احد قمم جبال زاجروس بكردستان التركية
خفاش	جبل يقع بمحافظة المحويت يبعد عن صنعاء ١٤٢ كم	**خفاش:** مرتفعات جبلية بكردستان التركية.
يام	جبل نسبة لقبيلة يام الهمدانية	**يام:** جبل بكردستان التركية واسم عشيرة كردية
هليل	مرتفعات جبلية في بلاد السوارية	**هليل:** شعاب جبلية بكردستان التركية
كداد	جبل في ارض عنس وسط اليمن	**كداد:** جبل بكردستان العراق وأحد العشائر المترحلة
ورور	جبل اسفل وادي شواية شرق صنعاء	**ورور:** مرتفعات بكردستان العراق
كنن	جبل في سنحان شرق صنعاء	**كنن:** جبل بكردستان العراقية
الكار	مرتفع يقع شرق مدينة المكلا على ساحل بحر العرب وهي اعلى قمة في حضرموت	**الكار:** مرتفعات تقع في كردستان الايرانية
خولان	هضبة كبيرة وسط اليمن	**خولان (Xouliolan):** سلسلة هضاب بكردستان الايرانية

المصدر: صالح السعيدي: هل الأكراد يمنيون قدماء؟، المرجع السابق، (موقع الكتروني).
"الجدول من تصميم الباحث"

جدير بالذكر أن الباحث الكويتي "صالح السعيدي" قدم في بحثه أيضاً قائمة طويلة نسبياً ضمت العديد من أسماء القبائل والسلالات القبلية اليمنية التي وجد لها مماثلات لفظية – وربما فعلية– في كردستان، لم نشأ التعرض لها نظراً لتحقق الكفاية فيما أوردناه.

إن هذا ***[التشابه في الأسماء والسمات الطبوغرافية]*** بين ***[٩١]*** منطقة في اليمن ومثلها في كردستان، لا نجده البتة بهذا الشكل الدقيق والمطابق في قوائم المقابلات اللفظية التي سردها لنا رواد نظرية جغرافية التوراة، فجل ما قدموه لنا لا يعدو أكثر من مقابلات تعسفية في أغلب الأحوال، أخضعت فيها أسماء الأماكن الجغرافية بشكل قسري لعمليات القلب والإبدال وغيرها لكي تكون مطابقة للأسماء التوراتية، وعلى الرغم من أنهم فعلوا ذلك فإنهم لم يأخذوا بعين الاعتبار في كثير من الأحوال مطابقة الخصائص الطبوغرافية للأماكن، حتى وأن فعلوا ذلك في بعض الأحوال فإن تعسفهم جعل نتائجهم طلسمية وتفتقر الى أبسط درجات التناغم والانسجام، خاصة إذا ما درسناها على الخرائط.

في حين أن الأسماء التي وجدناها في دراسة "السعيدي" حملت تشابهاً لفظياً سليماً لا يحتاج الى تعسف ولا ابدال أو قلب أو شعوذة لغوية، واتمنى فعلاً أن يتأمل القارئ العزيز الفرق الكبير بينها وبين الشعوذات اللغوية التي قدمها لنا أصحاب النيافة الحاخامات العرب.

على كل حال، فقد قدمنا دليلاً تطبيقياً على أن تشابه أسماء المناطق يمكن أن يتخذ طابعاً تراكمياً بين بلدين أو اقليمين جغرافيين غير متجاورين إطلاقاً، وأن الأمر ليس مستحيلاً. ***فهذا النموذج التطبيقي الحي يُسقط بالفعل مقولة أن تشابه الأسماء الجغرافية يمكن أن يكون دليلاً لتصديق نظرية جاءت لتقلب كل أفكارنا ومعارفنا التاريخية رأساً على عقب.***

والآن، هل يمكن أن نفسر تشابه أسماء المواقع الجغرافية بين اليمن وكردستان، على أنه دليل قاطع على أن أحداث التوراة الكوردية لم تجري في كردستان بل جرت في اليمن؟!

للأسف، كردستان وشعب كردستان لا علاقة لهما بأحداث التوراة وإلا لكان للأمر طابعاً سينمائياً ودرامياً في أعمال رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب.

لكن، لماذا نذهب بعيداً الى كردستان ولدينا نموذج آخر في لبنان؟!- فقد قدم الباحث اللبناني "فرج الله صالح ديب"- وهو أحد رواد هذه النظرية بالفعل- نموذجاً معجمياً كاملاً أكد فيه على أن أسماء الكثير من المواقع والمناطق والقرى والمعالم الجغرافية في بلده ***[لبنان]*** تتشابه مع مثيلات لها في اليمن. أما ما لم يقع فيه التشابه بشكل واضح، فقد أثبت "ديب" أن جذوره اللغوية يمنية، وهذا ما دفعه الى جعل عنوان عمله هذا: ***[اليمن هي الأصل]***[١].

تتطابق رؤية "فرج الله صالح ديب" هذه مع الرؤية التي تبناها الباحث الكويتي "صالح السعيدي"، والذي انطلق في دراسته باحثاً عما إذا كان الأكراد من أصول يمنية أم لا؟! فجعل عنوان بحثه: ***[هل الأكراد يمنيون قدماء؟]***، متبنياً هذه الفرضية ومضيفاً إياها الى جانب الفرضيات الأخرى المطروحة بشأن أصول الأكراد، انطلاقاً من بعض الاشارات التي أوردها بعض المؤرخين والجغرافيين العرب والمسلمين في العصور الوسطى، كالمسعودي صاحب "مروج الذهب" الذي أشار الى أن هناك من نسب الأكراد الى قبيلة الأزد اليمنية، وغيرها من الاشارات التي تجاهلها الباحثون وأهملها المؤرخون لعدم اقتناعهم بجديتها وصحتها[٢].

كما تبنى رائد آخر لنظرية جغرافية التوراة في اليمن، وهو الباحث الفلسطيني "أحمد الدبش" نفس هذه الرؤية، التي تًعيد أصول ومنبع الشعوب والأمم القديمة التي عاشت في المنطقة ما بين الخليج العربي والمحيط الأطلسي الى اليمن، وذلك في كتاب كامل خصصه لذلك[٣].

على سبيل الاستخلاص، يمكن القول بأن اكتشاف تشابه الأسماء الجغرافية التي أقام عليها الصليبي نظريته لم يكن مصادفة على الإطلاق، الأمر نفسه الذي ينسحب على مصادفة الربيعي، لأن الموضوع برمته شائع في الدراسات العربية القديمة، وهذا ما يؤكده أيضاً اعتماد رواد النظرية على العديد من الأعمال المعجمية العربية – التراثية، كالهمداني والحموي، وأيضاً

[١]. فرج الله صالح ديب: اليمن هي الأصل، مرجع سابق.

[٢]. صالح السعيدي: هل الأكراد يمنيون قدماء؟، المرجع السابق، (موقع الكتروني).

[٣]. أحمد الدبش: اليمن الحضارة والانسان- بحثاً عن الجذور، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣.

بعض المصنفات المماثلة الحديثة والمعاصرة كالمعجم الذي أعده السعودي "حمد الجاسر"، ومعجم القبائل والبلدان اليمنية للمقحفي وغيرها. فالأمر ناتج عن استقصاء مقصود منذ البداية، وبالتالي فإن التعليل بأن الاكتشاف أو الملاحظة حدثت بالصدفة يبدو مثيراً للشفقة من حيث لا يمكن تصديقه بالأساس.

ثم أن الصليبي والربيعي ربطا تلك الصدفة باهتمامات عبَّرا عنها بطرق متباينة بتاريخ ما يعرف بـ "العرب البائدة"، فقاما بإدراج بني اسرائيل ضمن هذا التوصيف لاحقاً في دراساتهما- وهذا ما فعله أيضاً أحمد داوود، وفرج الله صالح ديب- وهو الربط الذي جرى بشكل مخالف تماماً لما هو سائد ومعروف في كتب الأخبار العربية القديمة وأعمال المؤرخين الحديثة والمعاصرة، التي لم تشر أو تلمح اطلاقاً الى كون بني اسرائيل قد أُعتبروا يوماً من العرب البائدة، أو أن لهم صلة بهم، علماً بأن البحث التاريخي والأثري المعاصر حول العرب البائدة يختلف تماماً من حيث نتائجه عن البحوث المتعلقة بالقصص التوراتية الكبرى التي لم يتم التوصل الى أي دليل تاريخي أو أثري عليها. فقد أثبتت العديد من الأدلة الأثرية وجود بعض أقوام العرب البائدة، كعاد وثمود وطسم وجديس والعماليق وغيرها. فهناك الأدلة الأثرية على حضارة ثمود، كما وردت أسماء عاد وثمود في السجلات التاريخية والجغرافية الكلاسيكية اليونانية، فضلاً عن ورود أسماء هذه الأقوام في النقوش المسمارية التي عثر عليها في مكتبة "ابلا"- موقع حضارة ابلا السورية القديمة والمعاصرة للأكديين والبابليين والآشوريين، ولكن بني اسرائيل لم يكونوا يوماً- وعلى الإطلاق- من ضمن الشعوب التي عُرفت بالعرب البائدة.

فلماذا اليوم إذن، يُصّر رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب دوناً عن سائر خلق الله على أن بني اسرائيل أو أسلافهم كانوا من العرب البائدة؟!

إن هذا الإصرار على رد أصول بني اسرائيل الى العرب البائدة، وعلى أن جغرافية التوراة لابد وأن تكون هي اليمن أو أجزاء من جغرافيتها الطبيعية-عسير وغامد- يجعل من هذه النظرية وكأنها جاءت لتقدم حلولاً ومعالجات لما يوصف من وجهة نظر علماء التاريخ التوراتي بأنها ***إخفاقات في التوصل الى أدلة أثرية بشأن حقيقة أصول بني اسرائيل من جهة، وأصول الديانة اليهودية من جهة أخرى،*** أو أنها جاءت بالفعل لتسد بشكل أو بآخر ثغرات معينة أو ما

شابه في هذا الشأن، خاصة إذا عرفنا وعلى نحو وثيق بأن قضية أصول بني اسرائيل واليهود والديانة اليهودية تعد من أصعب المشكلات والعوائق التي مازالت بمعزل عن أي معالجة نظرية، وبعيدة كلياً عن أي استدلال أثري مادي، وهذا ما يؤرق الكثير من علماء التاريخ والآثار التوراتيين، بل أن مشكلة الأصول هذه تحل في صدارة المشكلات التي تعنى بها كل البحوث التاريخية والأثرية اليهودية والاسرائيلية المعاصرة.

اعتقد أننا لو نظرنا الى المسألة من هذه الناحية، فسوف نتمكن من تبيان العديد من الأمور التي ربما ماتزال غائبة عن الإدراك بسبب انفصالها عن أولويات ما نفكر به بشأن هذه النظرية، وإن صدق مثل هذا الطرح فسيكون من المتوقع بلا شك أن يتكشف لنا الهدف الذي رمت الى تحقيقه نظرية الصليبي، من خلال اعتماده على ظاهرة تشابه الأسماء الجغرافية والانطلاق منها في بناء استدلالات تدعم صحة ما ذهب إليه، على نحو ما يتناقض مع ما يشير إليه الواقع، من أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال اعتبار هذه الظاهرة دليلاً تاريخياً أو جغرافياً يمكن الركون إليه.- وهذا ما سيكون لنا معه وقفة مفصلة في مكان لاحق من الدراسة.

[3]

كيف تكشف أسماء الأماكن عن موطنها؟

من المهم جداً أن نتفق على ما الذي نعنيه بالضبط بقولنا ***[جغرافية التوراة]***، وكيف تشكلت هذه الجغرافية على متن النص التوراتي، لأن هذا سيخدم بشكل مباشر كل ما سيأتي منذ هذه اللحظة، مع التأكيد على أني سأتعامل مع هذه المسألة إجرائياً بما يتناسب وأغراض هذه الدراسة.

تضع التوراة أحداثها في نطاق جغرافي يشمل كافة مناطق الشرق الأدنى القديم: العراق، سوريا، فلسطين، مصر، لذا يجب أن نضع في الاعتبار دائماً أن جغرافية التوراة بحسب نصوص أسفارها لا تقتصر على فلسطين وحسب، لأن فلسطين ما هي إلا الحلقة الأخيرة من حلقات التاريخ التوراتي. إذ تشكلت الجغرافية التوراتية بناءً على مجموعة من القصص عن أصول بني اسرائيل ومنشأهم الأول، وكيف تكونوا وتطوروا، والى أين انتقلوا ورحلوا، وأين استقروا وأقاموا، حتى انتهوا الى "فلسطين" أو ما يطلقون عليه اسم "أرض الميعاد"– أو أرض اسرائيل، وتتمثل هذه القصص بشكل رئيسي بما يلي:

القصة الأولى: قصة العبور الإبراهيمي – عبور النبي والجد الأول للعبرانيين ***[ابراهيم]*** لنهر الفرات، وانتقاله من مدينة ***[أور الكلدانية]*** في بلاد الرافدين الى مدينة ***[حاران]*** السورية، كما تشمل هذه القصة القصص المتعلقة بزوجاته وأبنائه وانتقاله الى مصر، وما الى ذلك، بالإضافة الى استقرار يعقوب بن ابراهيم في فلسطين، وتحول اسمه الى ***[اسرائيل]*** ليصبح المؤسس الأول لقبيلة بني اسرائيل أو ما يعرف بـ ***[الأسباط الإثني عشرة اليهودية]*** وهذا القصة ترتبط بـ ***[الوعد الإلهي لإبراهيم بأن تكون له ولنسله من بعده الأرض من الفرات الى النيل]***.

القصة الثانية: قصة ***[يوسف بن يعقوب]*** الذي ساقته الأقدار الى مصر على أيدي الهكسوس أو ما شابه، ليحظى بتربية الفرعون وعنايته به كابن له، ومن ثم ارتقاءه الى سدة الحكم في أرض النيل، ودعوته لأبيه وأشقائه واستقرارهم فيها لعدة قرون، حتى يأتي ***[موسى]***

ويدخل في صراع مع فرعون آخر يقرر فيه هذا الأخير ابادة بني اسرائيل عن بكرة أبيهم، أو طردهم من مصر. ***[هذه الفترة- فترة الوجود الاسرائيلي في مصر لا تغطيها التوراة أبداً ولا تقول عنها شيئاً]***، إلا أنها ترتبط بقصة الخروج من مصر وما يعرف بـ ***[الوعد الإلهي لموسى بأن تكون فلسطين هي أرض الميعاد له ولقومه]***.

القصة الثالثة: قصة ***[الخروج الاسرائيلي من مصر]*** بقيادة موسى، والتيه لعدة عقود في الصحراء، قبل أن يصلوا الى تخوم نهر الأردن من جهته الشرقية، بقيادة خليفة موسى ***[يشوع بن نون]***، والذي يقود بني اسرائيل في معارك عديدة يتمكن فيها من اسقاط المدن الكنعانية والفلسطينية الواحدة تلو الأخرى، وتكوين مملكة اسرائيل في طورها الأول.

القصة الرابعة: قصة ***[الملك داوود وابنه سليمان وانقسام المملكة]***، حيث تسرد التوراة قصة وصول ملك اسرائيل الى داوود، وتأسيس امبراطورية ضخمة مهولة، ثم مجيئ سليمان بن داوود خلفاً لأبيه وبناء الهيكل وقدس الأقداس وما الى ذلك، وبعد سليمان تنقسم مملكة اسرائيل الى شطرين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب من فلسطين.

القصة الخامسة: ***[الصراع بين المملكتين]***، وصولاً الى الصراع مع الآشوريين والبابليين والذي انتهي بالسبي البابلي لبني اسرائيل ودخولهم ***[مرحلة المنفى]***. وانتقالاً مع أحداث الصراع بين الفرس وآشور والذي انتهى بانتصار الفرس، الذين ساعدوا بني اسرائيل في العودة الى فلسطين، وتمكنهم من اقامة دولة لهم هناك، استمرت حتى جاء الرومان ودمروا عاصمتهم اورشليم وطرودا بني اسرائيل واليهود منها فيما عرف بـ ***[مرحلة الشتات]***[١].

في متون النص التوراتي الذي تسرد جميع هذه القصص، يرد ذكر المئات إن لم يكن الآلاف من أسماء المدن والقرى والجبال والتلال والقلاع والمعالم الجغرافية، لاسيما منذ بداية قصة الخروج من مصر وحروب يشوع بن نون في فلسطين، بحيث يمكن تصنيف هذه المواقع الى مجموعتين، كما يأتي:

---

[١]. استمرت مرحلة الشتات اليهودي منذ ذلك الوقت وحتى اعلان قيام دولة اسرائيل في العصر الراهن عام ١٩٤٨، والفرق بين مرحلتي المنفى والشتات، أن الأولى اجبر عليها اليهود أما الثانية فكانت باختيارهم. (الباحث).

المجموعة الأولى: المدن والمواقع الرئيسية: وهي المدن والمواقع المشهورة في التاريخ والثابتة مواقعها الجغرافية في السجلات التاريخية والأدلة الأثرية، مثل: غزة، نهر الأردن، أريحا، يافا، حيفا، شكيم، اورشليم، عسقلان، اشدود، بيت لحم، صيدا، صور، دمشق، حماة، حلب، عمّان (عمون)، لبنان، فضلاً عن أسماء الدول القديمة الكبرى ومدنها مثل مصر وآشور وبابل وكوش وسبأ وغيرها.

المجموعة الثانية: المواقع والقرى والمعالم الثانوية: والتي يفترض أنها تنتمي الى حيز جغرافي واحد في فلسطين بالتحديد، مثل: عاي، جبل عيبال، جبعون، حبرون، عقرون، بيتيل، بيت شان، تمنة، تعنك، جبعة، مخماس، حاصور، دان، جلعد، لخيش، يزرعيل، النقب، جت، جبع، رامة، ربة، عربة... والمئات الأخرى من أسماء التلال والجبع والخرب والآبار والعيون والوديان والجبال والقفار والقرى والبلدات مما لا يمكن حصره. وهذه الفئة هي التي تثير المشكلة من حيث صعب لأسباب متعددة ايجاد مواقع البعض منها في فلسطين، وغالباً ما جرى تعيين مواقعها الافتراضية على نحو غير قاطع.

تتضح اشكالية المجموعة الثانية، من خلال مضمون واتجاه المعالجات التي قدمها رواد نظرية جغرافية التوراة لتحديد مواقع المدن والمناطق التوراتية خارج أرض فلسطين. مع التأكيد على أن أغلب تلك المواقع الثانوية هي ما جرى الانشغال به بشكل رئيسي، حيث انحصرت أغلب معالجات رواد النظرية بدرجة أساسية في المرحلة التي تبدأ من حادثة الخروج الاسرائيلي من مصر، وانطلاقة حروب يشوع، وحتى عصر السبي البابلي، بل أن عناوين موضوعاتهم الرئيسية جاءت على نحو: ***جغرافية معارك يشوع، جغرافية سفر صموئيل، جغرافية السبي البابلي، جغرافية مملكة داود وسليمان.. وهكذا.***

لقد أخضع رواد النظرية المدن والمواقع الرئيسية الثابتة تاريخياً وجغرافياً لحكم المجموعة الثانية وكأنها مجهولة أو في غير مكانها الصحيح بالنسبة للتحديد التوراتي. ثم قاموا بتوظيف مسألة تشابه الأسماء التوراتية مع مناطق عسير وغامد، وهي المسألة التي فتحت الأبواب على مصاريعها لكل من هب ودب أن يبحث عن مسرح أحداث التوراة في جزيرة العرب.

أكد رواد النظرية على اتباعهم ***[منهج دراسة التحولات اللغوية للأسماء]***، إلا أنهم في الحقيقة لم يطبقوا من هذا المنهج إلا قشرته السطحية من حيث اعتمدوا على التشابه بين الأسماء دون أي اعتبار آخر غيره، بالإضافة الى بعض التقنيات اللغوية البسيطة من إبدال وقلب واشتقاق وما الى ذلك.

بطريقة ما ومن خلال مقولاتهم الثلاث الرئيسية، وأيضاً من خلال صنعهم لسلاسل طويلة جداً من المغالطات المنطقية، تمكنوا من تشويش الكثير من الأفكار على نحو بدت معه استدلالاتهم بالأسماء المتشابهة مقنعة بالفعل، معتمدين في ذلك بشكل رئيسي على جهل الغالبية من الناس بحقائق الجغرافيا العامة وعلم الخرائط وعلم الطبوغرافيا وعلم الجغرافية التاريخية بالأساس وفقه اللغات وغيرها من العلوم التخصصية الدقيقة، فضلاً عن قصور معرفة الناس بالكثير من الحقائق التاريخية والأسس والقواعد المنهجية، وعلى رأسها قواعد ***علم أصول الأسماء [الايتمولوجي (Etymologic)]*** أو ما يعرف بـ ***[علم الإثالة، أو علم التأثيل، وأحياناً يعرف بـ علم التأصيل]***، وهو العلم الذي بالكاد يعرف عنه القلة القليلة من الباحثين المتخصصين، أو ممن حظوا بدرجة ما من المعرفة الموسوعية.

لقد تهّرب رواد هذه النظرية بالفعل من تطبيق القواعد المنهجية الأساسية لعلم الإثالة، وهذا ما اعترف به رائدهم الأول الدكتور كمال الصليبي، وصرَّح به حرفياً عندما:

> ***"لفت نظر القارئ الى أن دراسته "التوراة جاءت من جزيرة العرب" لا تتطرق الى أصول أسماء الأماكن المشار إليها في دراسته، كما لن تتطرق الى معاني هذه الأسماء إلا في حالات قليلة. وأن من هذه الأسماء ما هو كنعاني أو آرامي في صيغته، ومنها ما هو عربي، ومنها ما هو [سامي] قديم يعود الى ما قبل الكنعانية والآرامية والعربية[1].***

بيد أن اعتراف الصليبي هذا لم يخلو من المغالطة أيضاً، ذلك أن ما تجاهله وهرب منه لا يقتصر فحسب على ***[أصول أسماء الأماكن ومعانيها]***، بل شمل الجوانب الرئيسية التي

[١]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٦.

يفترض أن يأخذ بها ***[الباحث الايتمولوجي- الجغرافي]*** في بحثه عن حقائق الأسماء التاريخية للمواقع الجغرافية المختلفة في أي مكان، والتي تتمثل بما يلي:

- **الأصل اللغوي للاسم، وبنيته الصرفية، والجذور الصوتية والدلالية له.**
- **أثر التغيرات الصوتية التاريخية الناتجة عن ظواهر القلب والإبدال على الدلالة الأصلية للاسم، وعلاقة الدلالات الناتجة بالمعنى الأصلي.**
- **السياق الثقافي والحضاري الذي ينتمي إليه الاسم من حيث معالمه اللغوية والصوتية والدلالية متصلة بالجغرافيا والطبوغرافيا، والذي لا تخلو التعبيرات السائدة في مجتمع ما من الإشارة إليه من خلال عبارات وصف الحركة والانتقال في النطاق المكاني، وأسماء الطرق والجسور والمعابر والممرات ودلالات الصعود والهبوط وغير ذلك.**
- **الدلالة الطبوغرافية التي يحملها الاسم أو التوصيف الطبوغرافي الذي يأتي مرتبطاً به، فالأسماء الجغرافية غالباً ما تصاحبها مفردات ذات دلالة طبوغرافية، على نحو: جبل، تل، سهل، قرية، وادي، نهر، خربة، عين، نبع.. الخ.**
- **الإسقاطات الإحداثية الطبوغرافية والجغرافية للمكان الذي يشير إليه الاسم، من حيث طبيعة سطحه وتناغمها مع سطوح الأماكن المسماة بجواره، بالإضافة الى موقع المكان بالنسبة لغيره في الجهات الأربع أو الجهات الثمان.**
- **تاريخ المكان والأحداث المرتبطة به، ومدى تناغمها مع الاسم ودلالاته الجغرافية والطبوغرافية، مقارنة بالأماكن الأخرى التي ترتبط بنفس الاسم أو بأسماء مشابهة له.**
- **تاريخ وطبيعة السجلات والوثائق المرتبطة بالبحث الاتيمولوجي- الجغرافي عن الاسم والمكان أو الموقع، وسمات تلك الوثائق التي يمكن أن تؤثر على مصداقية النتائج.**

هذه هي القواعد التي لا يمكن لأي باحث ***[ايتمولوجي- جغرافي وتاريخي]*** أن يتجاهلها، لأن تجاهلها وعدم الالتزام بها يفضي الى نتائج فوضوية لا أساس لها من الناحية العلمية، فضلاً عن التوهم الذي يقود إليه ذلك. وهذا بالضبط ما قام به جميع رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، فلم يلتزموا بأي من هذه القواعد، بما فيهم الأستاذ "فرج الله صالح ديب" وهو اللغوي والجغرافي المعجمي الخبير والضليع في هذا المجال. فقد رموا بكل ثقلهم البحثي والمعرفي على مسألة تشابه الأسماء وبنوا عليها استدلالاتهم التعسفية، والتي فرشت بالوهم جغرافية جزيرة العرب للتاريخ التوراتي وجعلته منطبقاً عليها كرهاً وحتم أنفها، فقط لتبدو نظريتهم مقنعة ومقبولة.

الثابت علمياً، أن ***"دراسة هذه المدن والمواقع نفسها تحظى بالأهمية القصوى في أوساط الباحثين المعنيين بالجغرافية التاريخية، وهي الأهمية التي تتأتى أصلاً من أهمية دورها في تحديد المسرح الجغرافي للعديد من الوقائع والحوادث التاريخية، فضلا عن رسم وتحديد المسار الصحيح والمنطقي لمحطات القوافل والحملات والرحلات عبر العصور التاريخية[١]***.

وهذا مفاده، أنه يجب قبل أن نحيل مسألة تاريخية – جغرافية ما الى اسمائها المرتبطة بها أو اثبات عدم ارتباطها بها، أن نقوم بدراسة المكان نفسه وألا نقفز عليه ونبحث في الأسماء المعنية به في مكان آخر، قبل أن يثبت لدينا بما لا ينزع بنا الى الشك مرة أخرى بأن هذا المكان مرتبط بالفعل بالأحداث والأسماء المعنية، فإذا لم يثبت هذا الارتباط يمكن بعد ذلك الحديث عن امكانية البحث في نطاق جغرافي آخر. وبالمثل فإنه يجب قبل أن نحيل البحث عن الخصائص اللغوية واللفظية للأسماء الجغرافية الى منطقة أخرى، أن نتحقق من مدى مطابقة أو عدم مطابقة تلك الأسماء بخصائصها القائمة مع المنطقة المفترض أساساً أنها مرتبطة بها.

[١]. عامر عبد الله الجميلي: أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، مرجع سابق، (موقع الكتروني).

بصيغة أخرى أكثر وضوحاً، فقد كان من المفترض أن يقوم رواد نظرية جغرافية التوراة العرب بالخطوة المنهجية الأولى، وهي التحقق من مطابقة أو عدم مطابقة الأسماء التوراتية مع الجغرافية الفلسطينية، وأن يبنوا على نتائج هذه الخطوة مسار خطوتهم التالية إذا ثبت لديهم عدم التطابق فعلاً، لكن هذا أيضاً لم يقوموا به، حتى أنهم لم يقدموا لنا أي استدلالات بالسلب عن الجغرافية الفلسطينية.

فقط، أقاموا مقولاتهم الرئيسية الثلاث ونقلوا بموجبها جغرافية الحدث التوراتي من فلسطين ومناطق الشرق الأدنى الأخرى الى جزيرة العرب، على نحو أفرغ فلسطين من تاريخها كلياً، فلم يعد فيها لا كنعانيين (فينيقيين) ولا فلسطينيين، ولا آموريين ولا آراميين ولا مصريين ولا آشوريين، كلها جميعاً تبخرت وتلاشت واصبحت في اليمن، وهذا كله من أجل سواد عيون كتبة التوراة واليهود وبني اسرائيل، الذين جاءوا الى فلسطين أصلاً بعد آلاف السنين من الوجود الحضاري الآموري والفينيقي والفلسطيني، لكن هذا كله سيختفي بلمح العين ولن يعود له أي أثر في فلسطين، بمجرد أن سعى هؤلاء الحاخامات العرب الى اثبات مصداقية التاريخ التوراتي على حساب تاريخ وجغرافية المنطقة العربية كلها، وليس على حساب تاريخ وجغرافية فلسطين وحدها.

من الثابت أيضاً، أن التوراة كتبت ما بين القرن الثالث والقرن الثاني قبل الميلاد، وهي الفترة التي كانت فيها حضارة كاملة ومستقلة في جنوب جزيرة العرب، لها لغتها وقوميتها وثقافتها، وكتابتها، ونقوشها، وأعرافها، وأسمائها، وجنها وانسها، وأساطيرها، التي مازالت حية وتنبض بالحياة حتى اليوم، لكن هذا كله اختفى أيضاً وذاب ذوبان الجليد في ابريل المكسيكي، فلا حقيقة إلا ما تقوله التوراة، ولا جغرافية للحدث التوراتي إلا ما يحددها له أصحاب النيافة حكماء التوراة العرب: الصليبي ومنى وديب وداوود والدبش وعيد والجثام والربيعي..؟!

وحينما صرخنا وقلنا: ***ليس كل التاريخ توراتياً يا سادة، وليست كل الجغرافيا معنية بهذه الاسرائيل البضعة التي نسيناها قبل ألفين سنة من اليوم، فماذا تفعلون؟!- جاءنا الجواب سريعاً: نحن نصحح التاريخ ونحرره من الزيف الاستشراقي.. يالله..!!***

ختاماً، نكون بهذا قد وصلنا الى نهاية تأسيسنا النظري والمنهجي لهذه الدراسة، ودخلنا فعلياً في مرحلة النقد التطبيقي، فإذا كنا نتكلم عن حقائق الأسماء الجغرافية فعلينا أن ننصت للجغرافيا نفسها، والى الحقائق اللغوية والتاريخية والثقافية والحضارية التي لا يمكن فصلها اطلاقاً عن بيئتها الجغرافية، مهما حاول الخراصون أو اجتهد المشعوذون.

سنحتكم الى الجغرافيا والى الخرائط، والى الحقائق الطبوغرافية واللغوية والتاريخية التي تنطق بها أسماء المناطق في فلسطين- وليس أسماء المناطق في التوراة- فإذا قالت خرائط فلسطين التفصيلية الموثوقة والمعتمدة من قبل الفلسطينيين أنفسهم لما قبل عام ١٩٤٨، أن الأسماء التي ترد في التوراة تنتمي إليها، فقد حكمت ولابد أن نرضخ لحكمها، وإن أنكرت ذلك فقد صدقت ولابد أن نصدقها أيضاً.

في المقابل، سنرسم الخرائط اليمنية وفق الوصف الذي حدده رواد النظرية ونقابلها بالنص التوراتي نفسه، وبالحقائق الجغرافية والتاريخية والأثرية اليمنية في الزمان والمكان نفسه، والأمر نفسه بالنسبة لمصر وآشور وغيرها.

بهذه الطريقة وبهذا المنهج، سنكتشف الحقيقة، ونعرف على وجه اليقين من هو الذي يقوم بتزييف التاريخ والجغرافيا ومن هو الذي يقوم فعلاً بتحريرهما..؟!!

وعلى هذا يكون الرهان من بعد..؟!

والآن، الى نشيد أنشاد الجغرافيا وصلوات الخرائط.. والقسم الثاني من هذه الدراسة..

القسم الثاني

نشيد أنشاد الجغرافيا وصلوات الخرائط

مدخل:

تضج أعمال ومؤلفات رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب بمحتوى تأليفي لا يتوقف عند تقديم الحجج والأدلة التي توصلوا إليها فحسب، بل ويتضمن سرد التاريخ التوراتي من خلال اسقاطه على جغرافية اليمن الطبيعي.

أؤكد هنا على عبارة (تأليف) كوصف دقيق للطريقة التي أعدت بها تلك الأعمال، من حيث أنها بالأساس لا تقدم تاريخاً أو علماً أو حقائق، بل إنها لا تعدو أكثر من مجرد مؤلفات ينطبق عليها حرفياً وصفها بأنها "معارف خاصة"- معارف خاصة بمؤلفيها، تماماً كما وصفها بذلك رائد النظرية الأول كمال الصليبي. في حين أن التاريخ ليس مجالاً للتأليف يسلك فيه المؤلف كما يشاء، بل هو علم له أسسه وقواعده ومناهجه وأدواته العلمية وأساليبه الموضوعية التي لا ينبغي أن يحيد عنها الباحث في التاريخ، وهذا أمر لا يخفى على أحد.

عند النظر المباشر في أعمال هؤلاء الرواد، نجد أنهم قدموا لنا القصة التاريخية التوراتية التقليدية نفسها بفارق جوهري هو أنهم أسقطوها في نطاقات جغرافية أخرى، ***وبالتالي فما يصفونه بأنه تحرير للتاريخ من هيمنة للقصة التوراتية عليه، لا يعدو أكثر من مغالطة صورية واضحة ومكشوفة، إذ أن نقل أحداث التوراة حرفياً وإسباغ صفة المصداقية الكاملة عليها الى مسرح جغرافي آخر ليس إلا تثبيت وتكريس لتلك الهيمنة التوراتية التي صنعها المستشرقون وعلماء التوراة من قبل.***

ومع ذلك، فإن البعض من المثقفين والدارسين ممن وقفوا على هذه النظرية وانبهروا بها وتفاعلوا بإعجاب شديد معها، يرفضون دائماً النظر الى هذه الحقيقة الواضحة، ويدعون أن هذه النظرية فتحت آفاقاً رحبة في مجال نقد التوراة..!!

منذ البداية، سعت هذه الدراسة الى بحث وتفكيك الجوانب الإجرائية في أعمال رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، وبقدر ما أن هذا السعي لا ولن يسعف الكثير من القراء ممن ينتظرون- أو يتوقعون على الأقل- أن تقدم هذه الدراسة ردوداً على ما تضج به كتبهم

ومؤلفاتهم من استدلالات وشواهد، بحيث نكون مضطرين هنا للوقوف أمام كل مسألة من المسائل التي أثاروها، والوقوف على كل اسم من أسماء المناطق الجغرافية التي نزعوها من جغرافيتها الأصلية- أقصد جغرافية فلسطين وحواليها وليس جغرافية التوراة كما يدعون، فليس للتوراة جغرافية يمكن الحديث عنها- وهي الأسماء نفسها التي اجتهدوا بشكل متعسف للغاية في اسقاطها على كامل المساحة الجغرافية لما هو ثابت ويعرف بـ "اليمن الطبيعي". فهذا الخيار لن يؤدي إلا الى إثارة الجدل العقيم الذي يخدم النظرية أكثر ما أنه يخدم أهداف نقدها وإثبات أخطائها وانحرافاتها.

لذا، فإننا لا نريد أن يأمل القارئ العزيز أن تتجه هذه الدراسة نحو تقديم نقد سطحي مساير لاستدلالات هذه النظرية. كما لا نريد أن يشعر القارئ بخيبة أمل من حيث يعتقد أو يتصور بأن هذه الدراسة جاءت وخالفت كل توقعاته، بل نرغب فعلاً أن يدرك القارئ أهمية وقوة هذا الاتجاه الذي نسلكه في دراستنا هذه، من حيث أنه مسلك منهجي مبتكر ومطور بشكل خاص، ويهدف الى وضع نظرية جغرافية التوراة وروادها في مخنق شديد الوطأة، بحيث لن يكون بوسعهم أو بوسع نظريتهم النجاة منه بسهولة، وهذا بالضبط ما سعينا إليه أولاً من خلال خلخلة بنيان هذه النظرية، وإثبات مدى هشاشتها وارتخاء مفاصلها وعجزها عن الصمود أمام كل نتيجة من النتائج التي توصلنا إليها من قبل، والتأكيد على أنها لن تصمد أبداً أمام الأدلة والاثباتات القاطعة التي نسعى لعرضها في المرحلة الحالية من الدراسة.

عندما نقول أننا هنا نعنى بدراسة وتفكيك الإجراءات التي قام بها رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، فإننا نقصد بذلك أن نتحقق بالفعل مما قاموا به في بناء وتقديم نظريتهم. وكما هو ثابت فإن القاعدة العامة في كل ما يمكن أن يقوم به الإنسان، هي أن الإجراء إذا كان صحيحاً فلابد من أن تكون النتائج صحيحة أو على الأقل أكثر قرباً من الواقع وأكثر قدرة على التعبير عنه بأقصى درجة ممكنة، والعكس صحيح أيضاً إذا كانت تلك الإجراءات خاطئة أو غير صحيحة، فالنتائج ستكون خاطئة وغير صحيحة.

كان القسم الأول من هذه الدراسة قد اتجه نحو تفكيك البناء المنطقي والمنهجي للنظرية، وهو ما ساعد في صياغة وتكوين العديد من التساؤلات والملاحظات والنتائج القيّمة التي وإن لم

تحطم هذه النظرية وتجهز عليها تماماً، إلا أنها بلا شك وضعتها في دائرة الشكوك، وهزت بشكل أو بآخر الكثير من القناعات حولها.

أما الآن، وبعد أن تبين لنا من خلال اختبار مقولات النظرية وفروضها ومنطلقاتها، مدى هشاشة تلك المقولات وتناقضات تلك الفروض والمنطلقات، فإننا في القسم الثاني من هذه الدراسة، نسعى الى التوغل أكثر في عمق البناء الإجرائي للنظرية، من خلال التعرف على الطرق والآليات التي اتبعها روادها في التعامل مع المصادر التي اعتمدوها في إسناد نظريتهم، وبناء منظوماتهم الاستدلالية المتباينة شكلاً، والمتشابهة منطقاً ومنطلقاً ومسلكاً وغاية وهدفاً، والتعرف على الأساليب الإجرائية التي اتبعوها في تكوين وتقديم أدلتهم، وتقييم مدى رسوخها المنهجي وصدقها الموضوعي وثباتها الإجرائي، ناهيك عن نقض النظرية وإثبات عدم صحتها والكشف عن التضليل والتلفيق والتزوير المتعمد الذي مارسه روادها من الباحثين العرب بدرجات متفاوتة وبأشكال مقصودة وأخرى غير مقصودة.

السؤال الرئيسي الذي ننطلق منه في هذا القسم، هو سؤال عن المصادر التي اعتمد عليها رواد نظرية جغرافية التوراة من الباحثين العرب، والكيفيات التي تعاملوا بها معها، بحيث يمكن صياغة هذا السؤال على نحو ما تعبر عنه الصيغة الآتية:

ما هي المصادر التي اعتمد عليها رواد نظرية جغرافية التوراة في اليمن وعسير؟- وكيف تعاملوا مع هذه المصادر في بناء وتكوين أدلتهم؟

إن الغاية من طرح هذا السؤال هي الكشف عن تلك الآليات التي طبقها رواد النظرية في جمع وتقديم المادة المعرفية التي ضمنوها صفحات كتبهم ومؤلفاتهم، من مختلف النواحي التاريخية واللغوية والجغرافية، وهذا بدوره سوف يمهد لنا الطريق للقيام بنقلات ضرورية تهدف الى دراسة وتحليل نماذج الأدلة التي قدموها لنا لإثبات صحة نظريتهم.

بصيغة عامة يمكن تصنيف المصادر التي اعتمد عليها رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، الى ثلاث مجموعات أو ثلاث فئات رئيسية، تتمثل بما يلي:

الفئة الأولى، المصادر الكتابية، وفي مقدمتها طبعاً العهد القديم من الكتاب المقدس (التوراة) والتي تتمثل بالأسفار الخمسة الرئيسية، بالإضافة الى الأسفار والنصوص المدراشية والتناخية الأخرى، وكذلك التلمود. وحول هذه الفئة يمكن استحضار العديد من المسائل والاشكاليات المتعلقة بتاريخ النص التوراتي، ولغته وترجماته الى اللغات الأخرى، وعلاقته بالنصوص المماثلة، ومدى توافقه أو تعارضه معها، وغير ذلك.

الفئة الثانية، يدخل ضمنها السجلات التاريخية واللغوية والجغرافية، ويراد بها الكتب والمؤلفات التاريخية والجغرافية القديمة، بما فيها المؤلفات التاريخية والجغرافية الكلاسيكية التي قام بها اليونانيين، بالإضافة الى كتب الأخبار العربية ومروياتهم، بالإضافة الى المصنفات التاريخية واللغوية والجغرافية العربية. وحول هذه المصادر يمكن إثارة وبحث العديد من الاشكاليات، وما إذا كانت هذه المصادر قد عنت بشكل أو بآخر بما أطلق عليه هؤلاء الباحثين "جغرافية التوراة" أم لا.

الفئة الثالثة، النقوش والأدلة الأثرية، حيث تعامل بعض رواد النظرية مع النقوش المصرية والعراقية واليمنية القديمة، وكيفوها لتدعم نظريتهم.

ولما كانت نظرية جغرافية التوراة التي قدمها روادها العرب ليست نظرية واحدة – كما يعتقد البعض– بل هي عدة نظريات تدور حول محور واحد وهو النص التوراتي، ومن حيث أن لكل من روادها رؤيته وطريقته وأدواته وتعييناته الجغرافية، فإن مهمتنا الحالية هي التعرف على الطرق والآليات التي اتبعوها في التعامل مع هذه المصادر والمرجعيات التي استندوا إليها، وطرقهم في بناء وتكوين الأدلة التي قدموها في أعمالهم، ***وذلك من خلال دراسة وتحليل واحد من أهم النماذج التي قدمها هؤلاء الرواد، وهو نموذج المفكر العربي فاضل الربيعي، مع الإشارة المقارنة الى مضامين أعمال الرواد الآخرين كلما سنحت الفرصة وناسب المقام.***

واختيارنا للنموذج الذي قدمه المفكر العربي فاضل الربيعي لنظرية جغرافية التوراة لم يكن عشوائياً، بل هو اختيار قائم على مجموعة متكاملة ومتناغمة من الأسباب والدوافع التي يمكن إبراز أهمها، في أن الربيعي يمثل آخر العنقود في سلسلة رواد نظرية جغرافية التوراة، وأكثرهم

نشاطاً من حيث أنه مازال مستمراً في رفد نظريته بالعديد من الأعمال والمؤلفات، في الوقت الذي تراجع فيه الرواد الآخرون قليلاً مكتفين بما قدموه من قبل، وتاركين المسألة للباحثين الآخرين ليكملوا الرحلة بجهود وآراء وتوجهات جديدة. هذا بالإضافة الى أن الربيعي جعل من كامل الأرض اليمنية مسرحاً لأحداث التوراة، وهو بذلك يلتقي مع بعض الرواد في هذا الاتجاه، في حين أن طرحه يستوعب النطاق الجغرافي الضيق الذي اختاره البعض الآخر ممن حصروا أرض التوراة بمنطقتي عسير والسراة، وهذه المناطق تعد جزءً لا يتجزأ من جغرافية اليمن الطبيعي، وبالتالي فإن نموذج الربيعي يستوعب جميع التحديدات الجغرافية التي اختارها بقية رواد النظرية، فضلاً عن أنه الوحيد الذي ادعى بالتطابق الكامل بين أسماء الأماكن التوراتية والأسماء المقابلة لها في جغرافية اليمن، وهو الوحيد أيضاً الذي ادعى أنه قام بإعادة ترجمة النص التوراتي وأثبت ذلك التطابق الموهوم.

وهناك أسباب أخرى لا داعي للإطالة في ذكرها.

على كل حال، فإن استراتيجيتنا في هذا القسم تعتمد على البحث الجغرافي والأدوات والوسائل الجغرافية التي من شأنها أن تكشف عن الحقائق الثابتة التي يقدمها علم الجغرافيا، تؤازرنا في ذلك الأدوات اللغوية والتاريخية والأثرية، في السياق الذي نحرص فيه على اتباع منهج علمي رصين من مناهج النقد التاريخي الحديثة والمعاصرة، وهو منهج قلب الدليل- أو منهج عكس الدليل- والذي قمنا باختباره وتطويره على مدى عامين كاملين لأغراض هذه الدراسة.

الفصل الأول

فاضل الربيعي بين المطرقة والسندان

تقوم أطروحة المفكر العربي فاضل الربيعي على إدعاء صريح مفاده أن الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب قدَّم وصفاً مطابقاً للأماكن الجغرافية التي ذكرتها التوراة والتي دارت فيها مجمل أحداثها، وأكد مراراً وتكراراً على أن هذا التطابق هو الأساس الذي يستند إليه في تقديم كل استدلالاته التي ضمَّنها كتابه "فلسطين المتخيلة"، والتي أثبت بها – على حد قوله– بأن جغرافية التوراة لم تكن يوماً في فلسطين، وإنما كانت في اليمن.

كما أكد الربيعي بصورة ضمنية على أن وصف الهمداني لجغرافية التوراة قد ساعده كثيراً في اكتشاف التحريف والتزييف الذي صنعته القراءات والتفسيرات الاستشراقية المضللة للنص التوراتي، وبالتالي فقد أوحى إليه ذلك بإعادة ترجمة النص التوراتي العبري بناءً على الصورة الصحيحة التي اكتشفها هو في كتاب الهمداني. وبعد سنوات طويلة اعتكف فيها لتعلم اللغة العبرية والإلمام بكافة أبعادها، قام بإعادة ترجمة التوراة العبرية ومطابقة ترجمته تلك مع ما جاء في كتاب الهمداني، فكانت النتائج مذهلة ورهيبة للغاية، إذ وجد ذلك التطابق المدهش بين أسماء الأماكن التي ذكرها الهمداني وتلك التي وردت في التوراة، ومن ثم فقد تحصل على إثباتات قاطعة – حسب وصفه– على أن جغرافية الحدث التوراتي كانت في اليمن، وهذا هو العنوان العريض لأطروحته.

في هذا الاتجاه، ألقى فاضل الربيعي بكل حمولات نظريته في كتابه "فلسطين المتخيلة"، وهو كتاب كبير الحجم يتألف من ثلاثة أجزاء تقع في مجلدين يزيد عدد صفحاتهما عن (١٣٠٠) صفحة، وأكثر من (٦٠٠) ألف كلمة، قدم فيه استدلالاته اللغوية ومقارباته اللفظية ومطابقاته الإسمية بين التوراة وكتاب الهمداني، وكل ما جاء به في كتبه التالية ليس إلا تكراراً أو تخصيصاً بشروح موسعة لنقاط فرعية تناولها في كتابه الأول الآنف الذكر. ومن أجل ذلك،

فإن كتاب "فلسطين المتخيلة" كتاب لا ينفع معه التلخيص أو الإيجاز نظراً لتشعباته وتداخلاته وانتقالاته العشوائية غير المنتظمة، والتي لم يحكمها منهج أو تضبطها خطة مسبقة، كونه بالأساس عمل تأليفي وانطباعي بحت ولا يستند الى منهجية علمية رصينة.

بفضل الطابع التأليفي والانطباعي الذي اتخذه الربيعي لنظريته، تمكن مفكرنا الفذّ من اختلاق مساحة واسعة للقيام بمقارباته ومقارناته اللفظية بين أسماء الأماكن التوراتية وأسماء الأماكن التي ذكرها الهمداني، من خلال حصر تلك المقاربات في النطاق الذي كرسه الهمداني على نحو خاص لوصف جغرافية اليمن الخضراء باعتبارها جزءً من جزيرة العرب، بحيث ضمن مفكرنا العربي بذلك ألا يحدث أي تقاطع أو تصادم بين تحليلاته فيما لو أنه قارن الأسماء التوراتية بالأسماء التي تدخل في النطاق العام لكامل جزيرة العرب كما وصفها الهمداني، وتعذر بحجة واهية في تبرير قيامه بذلك، مفادها أن الهمداني وصف جغرافية اليمن بناءً على معايناته ومشاهداته الميدانية، أما وصفه لبقية أجزاء جزيرة العرب فقد استمدها الهمداني من غيره، وبالأخص من الجغرافي الإغريقي "بطليموس".

بيد أن الربيعي واجه مشكلة عويصة في كتاب الهمداني، كما أنه وقع في مأزق خطير لم يتمكن من الخروج منه، نتيجة محاولاته البائسة لإيجاد حل أو مخرج من تلك المشكلة، تماماً كما نقول في المثل الشعبي: ***"جاء يكحلها عماها"*** ..!!

تتعلق المشكلة هذه بفقرة أوردها الهمداني في كتابه. فقرة لا تزيد عن بضعة سطور، إلا أنها فقرة جوهرية بالنسبة لموضوعة الربيعي وغاياته، ونظراً لأني كثيراً ما سوف أشير الى هذه الفقرة في هذا القسم، فسوف نتفق اجرائياً على أن نسميها "فقرة الهمداني"، ومفادها كما وردت حرفياً في كتاب صفة جزيرة العرب، وكما أوردها مؤلف كتاب "فلسطين المتخيلة" أيضاً، ما يلي:

"وأما سائر أجزاء هذا الربع الذي يلي وسط جميع الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منها مثل (إيدوما) (وأرض سورية) (وأرض فلسطين) (وبلاد اليهود العتيقة من إيليا وتسمى بالعبرانيّة يرشلم، وتعربها العرب فتقول أوراشلم)....... فمن

كان منهم في بلاد سورية وهي أرض بني إسرائيل وبلاد إيدوما وبلاد اليهود العتيقة فهم يشاكلون الحمل والمريخ خاصة..." [١].

عاش أبو محمد الحسن الهمداني في الفترة (٢٨٠- ٣٣٦هـ/ ٨٩٣- ٩٤٥م)، أي في القرن العاشر الميلادي-أي قبل عشرة قرون من عصرنا الراهن-، وعلى طول هذه المدة كان كتابه هذا موضع اهتمام وبحث واطلاع من آلاف القراء الذين ينتمون الى أماكن وعصور زمنية متباينة، جميعهم قرأوا هذه الفقرة الهمدانية، ولم ينتابهم أدنى شك أو يخالطهم ارتياب في أن الهمداني كان يشير فيها الى سوريا وفلسطين وايدوما واورشليم التي هي إيليا، باعتبار أن هذه الأسماء تقع في الأجزاء الشمالية من جزيرة العرب، والتي تعرف بـ "بلاد الشام".

فقط الربيعي..؟!- وفقط فقط مفكرنا العربي فاضل الربيعي هو الذي جاء بعد ألف سنة من زمن الهمداني، واكتشف أن لهذه الفقرة الهمدانية تفسيراً آخر يتناقض جملة وتفصيلاً مع ما أدركه وألفه وعرفه وتثبَّت منه الآلاف من الجغرافيين والرحالة والبلدانيين والمؤرخين والمعجميين والقراء والباحثين..!!

ومن أجل ذلك، أقول بأن الربيعي قد وقع وأوقع نفسه هنا في مشكلة عويصة لا حل لها أبداً. فالأصل أن هذه الفقرة في سياقها الذي وردت فيه، وبمضمونها الذي عبرت عنه تنقض نظرية جغرافية التوراة في اليمن وتنسفها من أساسها. ولأنها كذلك.. ولأنها أيضاً مما لم يكن بإمكانه أن يتجاهله أو يتغافل عنه، فقد حاول أن يقدم لها تفسيراً آخر يتفق مع نظريته، ولكنه فشل فشلاً ذريعاً في ذلك، فتعمد إخفاء فشله وحجب انتباه القارئ عن مدلول تلك الفقرة.

كيف تعامل الربيعي مع تلك الفقرة الهمدانية؟! وهل نجح في تقديم تفسير لها يتسق ويتفق مع ما تقوله وتدعيه نظريته؟!

وما هي طبيعة المأزق الذي وقع فيه وما هي دلالاته؟

---

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠. ص ٧٣.

هذا ما سنجيب عليه في هذا الفصل، بالإضافة الى أجوبة مماثلة سنقدمها على تساؤلات أخرى، وسيكون لها جميعاً دوراً بالغ الأهمية في الكشف عن حقيقة ما هي عليه نظرية جغرافية التوراة في عسير أو في اليمن كما قدمها إلينا روادها من الباحثين العرب على سبيل العموم، وعلى نحو ما قدمها لنا فاضل الربيعي على وجه الخصوص.

[1]

هكذا تحدث فاضل الربيعي

لا بأس.. هذا ما نقوله دائماً..

فقد تطرق المفكر العربي فاضل الربيعي بشكل مباشر الى فقرة الهمداني المشار إليها آنفاً في ثلاثة مواضع متفرقة من كتابه "فلسطين المتخيلة". موضعان منها يقعان في المجلد الأول، والموضع الثالث يرد في المجلد الثاني من نفس الكتاب: الموضع الأول يقع في نهاية مقدمة الكتاب من المجلد الأول في الصفحة (٤٤)، ثم على القارئ أن يقطع مسافة قدرها (٣٦٤) صفحة حتى يصل الى الموضع الثاني الذي تطرق فيه لفقرة الهمداني تلك في الصفحة (٤٠٨) من المجلد الأول أيضاً، ثم على القارئ مرة أخرى أن يتجاوز قرابة (٧١٢) صفحة متجاوزاً المجلد الأول حتى يصل الى الموضع الثالث الذي تطرق فيه للفقرة الهمدانية في الصفحة رقم (٥٦٠) من المجلد الثاني...!!

إزاء ذلك التقطيع والتفريق المتعمد، يخطر على البال سؤال عجيب وغريب، وهو:

لماذا كل هذه الرحلة الشاقة إزاء فكرة جوهرية كان من الأفضل ومن المنطقي ومن المفروض أن يعالجها الربيعي في نسق واحد؟!

قبل المضي في تفسير طريقة الربيعي في التعامل مع فقرة الهمداني، عليَّ أن أورد ما قاله وكتبه بشأن الفقرة الهمدانية في مواضعه الثلاثة، وأن أضع القراء الأعزاء في الصورة كاملة، التي يتبين من خلالها الطريقة التي تعامل بها مفكرنا العبقري الفذّ مع تلك الفقرة، والتفسير الذي خرج به علينا.. فلنبدأ الأمر.

[١]

الموضع الأول: صفحة رقم (٤٤) من كتاب "فلسطين المتخيلة"- المجلد الأول:

يقول فيه الربيعي:

"إن شهادة الهمداني (٢٨٠- ٣٣٤هـ) الثمينة، ووصفه الميداني لمنازل القبائل والتي سجلها في كتابه الشهير "صفة جزيرة العرب"، ستعرض على متلقيها من القراء العرب، كما على القراء في الغرب، صورة موازية ومتناظرة للأماكن والمواضع التي وردت في العهد القديم. وقد تصيب – هذه الشهادة – الكثيرين بالذهول والحيرة والارتباك وربما الصدمة وعدم التصديق. ينقل الهمداني تصور بطليموس لجغرافية جزيرة العرب القديمة في الصفحة (٧٣) من كتابه، مميزاً بين فلسطين التاريخية وبلاد اليهودية القديمة، وراسماً حدوداً فاصلة بينهما:

"وأما سائر أجزاء هذا الربع الذي يلي وسط جميع الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منها مثل (إيدوما) (وأرض سورية) (وأرض فلسطين) (وبلاد اليهود العتيقة من إيليا وتسمى بالعبرانيّة يرشلم، وتعربها العرب فتقول أوراشلم)".

فلماذا ميز الهمداني- بدعم من بطليموس- أرض فلسطين عن بلاد اليهود العتيقة من إيلياء؟! وأية إيلياء هذه التي عناها بطليموس؟ وما صلتها بحاضرة البحر اليهودية التي أشار إليها القرآن الكريم بوصفه قرية عربية؟- هذه الأسئلة وسواها كثير، ستكون هي الإطار العمومي في البحث عن الجغرافية الحقيقة للتوراة. إن إيلياء (إيله) كما سوف نبرهن هي في الامتداد الطبيعي لأرض نجران القديمة، التي تشمل إيلة الجبل والقرية (حاضرة البحر)، التي اندثرت وكفت عن الوجود، حيث انتقل اسمها مع هجرات القبائل الى العقبة الأردنية.

إن شهادة الهمداني التي نعيد اكتشافها وتقديمها للقراء تتطلب تأملاً علمياً عميقاً.. لا مجرد حماسات مفرطة في الرفض الاعتباطي أو القبول المجرد من الفهم الصحيح..".

[٢]

الموضع الثاني: صفحة رقم (٤٠٨) من كتاب "فلسطين المتخيلة"- المجلد الأول:

يقول فيه الربيعي:

"إن ما يدعى في التوراة بجبال اليهودية – أو مملكة يهوذا في التراث الكتابي- لا يقصد به شمال فلسطين، ولا يوجد دليل لغوي أو جغرافي على ذلك، بل يقصد به سرو حمير (ونجران هي في آخر هذا السرو الممتد من صنعاء). لهذا السبب ميز الهمداني كما ميز الجغرافيون اليونان القدماء بين فلسطين واليهودية. يقول الهمداني في كتابه (صفة: ٧٣)، في سياق نص يعلق فيه على أقوال بطليموس: (يورد الربيعي الفقرة الهمدانية مرة أخرى هنا)

إذا كان المقصود ببلاد اليهودية القديمة، التي تعرف باسم إيليا عند بطليموس والهمداني، هو فلسطين على وجه التحديد وليس أي مكان آخر، فلماذا تم تمييزها عن أرض فلسطين وأرض سورية؟- لا ريب أن التقسيم الفلكي الذي يعرضه الهمداني استناداً الى معارف اليونانيين، يهدف الى رسم خريطة تتضمن أفضل ما يمكن من التوصيف للطباع البشرية، طبقاً لتصورات القدماء عن تأثير المناخ في تكوينها. وفي هذا التقسيم يمكن للمرء أن يلاحظ صرامة التحديد للبلدان القديمة المتجاورة. ودون الحط من قيمته، فإنه يمثل أكثر التصورات الجغرافية الفلكية رواجاً في عصر بطليموس. ما يقوله هذا الاقتباس من الهمداني وبطليموس ببساطة هو:

أن بلاد اليهودية العتيقة هي جزء من الجزيرة العربية، وأنها مكان بعينه في فضاء جغرافي محدد لا صلة له بفلسطين، ولذلك، فإن من الخطأ الشائع الذي روج له الاستشراقيون، والقائل: إن فلسطين عرفت باسم ايليا- إيلياء هو خطأ قابل بسهولة لأن يندرج في سياق التضليل. وسوف يتضح المقصود من هذا التحديد على نحو لا يحتمل أدنى لبس، عندما نقوم بتحليل سفري المكابيين الأول والثاني، حيث دارت حروب اليونانيين ثم الرومان هناك. ها هنا فلسطين وها هنا بلاد عتيقة عرفها العرب واليونانيين ببلاد اليهودية. وبالطبع لم يقصدوا من هذه التسمية البلاد التي نعرفها باسم فلسطين".

[٣]

الموضع الثالث: صفحة رقم (٥٦٠) من كتاب "فلسطين المتخيلة"- المجلد الثاني:

قبل أن أورد ما قاله الربيعي في هذا الموضع، أود أن أنوه بأني وعلى أساس ما وعدنا به هو في نهاية قوله في الموضع السابق، بأنه سيوضح لنا الأمر من خلال تحليله لسفري المكابيين الأول والثاني، قمت بعمل رحلة غوص عميق في (٣٣) صفحة من السرد المشوش والانتقالات المتقطعة والقعقعات اللغوية التي يطرحها، لأتفاجأ بعد ذلك به وهو يقدم لنا نتيجة التحليل في الصفحات (٥٦٠- ٥٦٢)، فماذا كانت النتيجة؟- تعالوا لنرى..!!

يقول الربيعي:

"إن إعادة بناء الرواية التوراتية على أساس جديد يقطع مع التخييل الاستشراقي، سيكون ممكناً ومطلوباً في الآن ذاته، وعندما تقرأ الأحداث في سياق طموح الامبراطورية الرومانية لبسط نفوذها على سواحل البحر الأحمر، فإن هذا وحده يفسر المعنى الذي ينطوي عليه تمييز الهمداني نقلاً عن بطليموس القلوذي الجغرافي اليوناني، بين فلسطين وبلاد اليهودية. لقد كانا يعرفان الفرق الشاسع بين المكانين، ويدركان أن فلسطين في العصر الروماني المبكر شيء وبلاد اليهودية شيء آخر.

إن الحدود المفهومية التي يقيمها الهمداني وبطليموس على حد سواء، بين أرض سورية: بلاد الشام وأرض فلسطين من جهة، وبين بلاد اليهودية العتيقة من إيلياء، والتي كانت تعرف قديماً بـ (يروشلم)، يجب أن يكون متضمناً لمعنى ما، وإلا فما هو مبرر التمييز بين هذه البلدان؟!- هذا المعنى – من وجنة نظرنا- يتمثل هنا: أن بلاد اليهودية العتيقة التي دارت فيها أحداث سفر المكابيين ليست أرض فلسطين، كما أنها ليست أرض سورية- بلاد الشام (أو جنوب الشام) بل هي مكان آخر.

وبكل تأكيد، فإن هذا المكان الآخر الذي تم تمييزه بأنه بلاد اليهودية العتيقة (أي البلاد التي ورثت مملكة يهوذا وتواصلت مع ديانتها حتى ظهور الملك الحميري ذي نواس الذي أعاد بعث اليهودية في سائر أرجاء اليمن في العام ٥٢٤م)، كان يعرف عند الجغرافيين اليونانيين باسم يروشليم، ولو كانت يروشليم هذه هي ذاتها مدينة القدس العربية في عصر بطليموس اليوناني، فمن غير المنطقي أن يفصلها عن فلسطين؟ بل لا مبرر لتمييزها أصلاً، ولتوجب على بطليموس اليوناني

وهو الجغرافي الحاذق أن يقول: يروشليم في فلسطين؟ بيد أن هذا سيبدو أمراً مخالفاً لمنطق الجغرافية في عصر بطليموس، فهو يعرف أن يروشليم هذه لم تكن في فلسطين ولم يكن اسمها القدس أيضاً؟

ابتداءً من (٢٠٠ ق. م) ونتيجة تدفق القبائل العربية العاربة ومنها بقايا قبيلة بني اسرائيل من يهود اليمن وسواحل البحر الأحمر وتهامة ونجد اليمن.. نحو جنوب الشام (فلسطين)، نتيجة الحملات العسكرية المدمرة التي طالتها في مواطنها الأصلية.. واستقرت هذه القبائل بعد أن تملقت الرومان ربما وتواطأت معهم هناك في جنوب بلاد الشام وهناك تركت ذكرياتها في صورة أسماء قديمة للمواضع والأوطان الأم بالتلازم مع ظهور أولى التجمعات السكنية للقبائل اليهودية اليمنية، بعد أن تصالحت مع عدوها اللدود وهو الرومان". .

هكذا تعامل الربيعي مع الفقرة الهمدانية، وهكذا حاول أن يضلل القارئ عن المأزق الذي وقع فيه، والاستمرار في الادعاء بأن فقرة الهمداني تلك بالفعل تدعم نظريته.

الآن.. تأتي مهمتنا نحن، وهي إعادة قراءة وتحليل ما طرحه مفكرنا العربي بشأن هذه الفقرة، بالأدوات التي نملكها جميعاً وهي المنطق والعقل وحقائق الجغرافيا، ومن بعد ذلك سنعتمد على حقائق علم اللغة والتاريخ وعلم الآثار، وهذا كله بالتوازي مع قراءة الربيعي للهمداني وقراءتنا المستقلة لهذا الأخير. إذ يمكن لأي باحث أن يقوم بمراجعة ما قاله وكتبه الربيعي في المواضع الثلاثة أعلاه، وأن يكتشف الى أي مدى يعِّج كلامه بالمغالطات والانزلاقات اللفظية والتعبيرية المقصودة والمتعمدة لتضليل القارئ والاستخفاف به، فضلاً عن الاسقاطات والادماجات والتكرارات الإيحائية المضللة والخادعة، وتعبيرات السلب والمصادرة والتشويش والإرباك المتعمد، ومعاملة الافتراضات وكأنها نتائج متوصل إليها وتقريرها والجزم بها دون تقديم أي دليل فعلي لإثباتها.

يجدر التنويه هنا، الى أني حاولت، وفتّشت، وبصّرت كثيراً، واستعنت بقارئات الفنجان، وضاربات الودع، وأعشاب العطارين وطلاسم سحرة الشامان في صحراء التبت، في سبيل البحث عن أي اتساق موضوعي للمعالجات والتفسيرات التي قدمها الربيعي لفقرة الهمداني تلك، إلا أن كل تلك المحاولات ذهبت هباءً مع الريح. بقدر ما اتضح لي دائماً بأن كل هذا الذي قام

به هذا المفكر العبقري قام به لغرض واحد وهو إخفاء حقيقة هروبه الواضح من مواجهة ما قاله الهمداني عن موقع بلاد اليهود وأرض بني اسرائيل، وإخفاء فشله الذريع وعجزه المطلق عن إيجاد مخرج له ولنظريته من ذلك المأزق الشديد الذي وضعته فيه تلك الفقرة.

بشكل مبدئي يمكن للقارئ أن يتحقق من صدقه لاحقاً في هذا الفصل والفصول التي تليه، يمكن القول بأن مفكرنا العربي قد تعمد أن ينسل هارباً من مواجهة فقرة الهمداني بشأن بلاد اليهود وأرض بني اسرائيل في المواضع الثلاثة من كتابه والتي سردنا ما قاله فيها سلفاً، وذلك بإخفائها في ذيل مقدمته أولاً، من حيث يعلم هو- ونعلم نحن أيضاً بأن (٩٥%) من القراء لا يقرؤون مقدمات الكتب، ومن يقرأها منهم لا يقرأها كاملة ولا يقرأها بعناية أو يهتم كثيراً بمضمونها تاركاً إياها ومنصرفاً عنها الى فصول الكتاب أو مضامينه المباشرة.

وأخذاً بالاعتبار بأن هناك من يمكن أن يقرأ المقدمة باهتمام وعناية، لم يجد الربيعي بداً سوى أن يعطي وعداً لقرائه فيها بأنه سيقوم بمعالجة وتفسير كلام الهمداني عن بلاد اليهود بشكل موسع في بحثه، مؤكداً على أنها تعتبر شهادة ثمينة للغاية، وهذا في وقت كان يعلم فيه جيداً أنه لن يستطيع أن يفي بوعده، إذ أن هروبه واضح لكل ذي عقل وبصيرة، من حيث عمد الى إغراق القارئ على مدى (٤٠٠) صفحة بعد الموضع الأول في مقاربات لغوية واسمية وقصصية وسردية مشوشة للغاية، وبعيدة كل البعد عما جاء في فقرة الهمداني تلك.

بيد أن مفكرنا العربي يعود مضطراً ومضطرباً وقلقاً الى فقرة الهمداني في الموضع الثاني، من حيث يُفترض أن يقدم شيئاً جديداً يدل على أنه أوفى بوعده، لكنه لم يفعل ولم يأت بأي إثبات أو تحليل لها كما أوهم ووعد بذلك، بل وجدناه يهرب من مواجهتها للمرة الثانية بإحالة القارئ كما قال الى حيث سيقوم بمعالجتها وتفسيرها في سياق تحليله لسفري المكابيين الأول والثاني. غير أنه يعود ويُغرق القارئ مرة ثانية في فضاء سردي مشوش بكثافة عالية الى درجة أن أحداً لا يستطيع أن يُلِّم بمحتوى صفحة واحدة مما أدوشنا به بشكل واضح، وهذه المرة قام بمدِّ المسافة الفاصلة لتصبح زهاء (٧٠٠) صفحة أخرى، وعلى قدر اتساع هذه المساحة يتبين كم كان صاحبنا مهموماً مغموماً بما ينبغي أن يتوفر له لكي يمارس تضليله السردي

ويستمر في تقديم طرحه المشوش، والقيام بقفزاته الغريبة والغير مبررة، فقط من أجل أن يتمكن من إلهاء القارئ وتضليله عن متابعة هذه المسألة.

لاحقاً، بعد هذا الموضع، يقدم الربيعي تفسيراً وتحديداً جغرافياً لـ "إيليا" التي هي بلاد اليهود العتيقة والتي تسمى اورشليم كما ذكر الهمداني، من خلال بحثه عن مواقع أسماء أماكن جغرافية وردت في التوراة وهي "عصيون جابر، زرد"، ثم في مكان نائي آخر يعالج بشكل سطحي فجّ ومشوش اسم (إيلة) من ناحية مشكلات رسمه كتابياً، وفي كلتا الحالتين تصادفنا أكثر المعالجات الربيعية فوضوية وتشويشاً، فضلاً عن القدر البالغ الذي تنطوي عليه من الخلط المقصود والتضليل والتحريف المتعمد.

في المجلد الثاني من كتابه "فلسطين المتخيلة"، يصل الربيعي الى منطقة تحليله لسفري المكابيين الأول والثاني، فيبدأ في سرد وقائع وأحداث المعارك الرومانية التي يتوهم ويوهم القراء بأنها وقعت في اليمن. فقد جعل مفكرنا العربي من اليمن متنزهاً للجيوش المصرية والآشورية والرومانية والإغريقية التي تذهب إليها بين الحين والآخر لتقوم بمعركة أو معركتين وتعود مرة أخرى الى ثكناتها في أطراف العالم القديم، مدعياً أن ذلك كله تثبته النصوص التوراتية في السفرين ويؤيده الهمداني، ولكنه- أي الربيعي- لن يتطرق أبداً طوال صفحات تحليله المكابي لفقرة الهمداني تلك ولو بحرف واحد أو يستند الى أي نص آخر غيرها يدعم ما ذهب إليه.

يستمر الأمر كذلك، الى أن يفاجئنا الربيعي في الموضع الثالث الذي ذكر فيه تلك الفقرة، وهو نهاية المطاف بالنسبة للتحليل والتفسير الذي وعد به، حيث تبين أنه عجز بالفعل عن الوفاء بذلك الوعد وحاول مجدداً إخفاء فشله وعجزه على مدى ما يقارب (١٣٠٠) صفحة من كتابه.

ها هو المفكر العربي الدكتور والبروفسور فاضل الربيعي يوهم القارئ في مناطق نائية من كتابه بأنه قد أثبت من خلال سرده - الذي لا علاقة له اطلاقاً بفقرة الهمداني- بأن ايليا تقع في اليمن وأن اسمها بالأصل هو (ايلة) حاضرة البحر التي ذكرها القرآن الكريم، ويخبرنا بأنه يميز بين حاضرتين كلاهما تحمل الاسم نفسه (ايلة)، وكلاهما كانتا موجودتان على ساحل

البحر الأحمر ولكنهما اندثرتا واختفتا من الوجود تماماً، وأن المهاجرين من القبائل العربية ومنهم قبيلة بني اسرائيل نقلوا اسم (ايلة) هذه مع جملة ما نقلوه من الأسماء والمسميات الأخرى وأطلقوها على المناطق التي سكنوها في فلسطين لاحقاً، إذ اطلقوا اسم (ايلة) هذه على ايلة التي في خليج العقبة..!!- وهي كما أشرت سلفاً واحدة من أكثر المعالجات الربيعية تشويشاً وارتباكاً، وأكثرها تلفيقاً وتضليلاً.

وهكذا، فإن صاحبنا وضع افتراضاً واعتبره نتيجة حاسمة، دون أن يناقشه أو يقوم بتحليله والاستدلال على صحته تاريخياً أو لغوياً أو جغرافياً، بل قعقع الفرضية وأعاد تقديمها باعتبارها نتيجة في سياق معالجة مشوشة ومزرية للغاية، قام بها على نحو متصنع ومتكلف، وهو يعلم جيداً بأنه يقوم بعملية تلفيق واضحة للمسألة بقصد تضليل القارئ وإيهامه.

إن القارئ المطلع بدرجة أساسية وكافية حينما يقرأ كتاب "فلسطين المتخيلة"، ويتوقف عند هذه الفقرة التي أوردها الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب"، ويتأمل كيف تعامل معها الربيعي، لابد وأن يشعر بأن هناك بالفعل مشكلة إزاء الطريقة التي تعامل بها معها، بالرغم من أن كلام الهمداني فيها كان واضحاً وصريحاً. كما ويشعر القارئ أيضاً بأن هناك بالفعل خطأً واضحاً وتعسفاً مقصوداً في تفسيرها.

تزداد شدة هذا الشعور لدى القارئ وتزداد شكوكه أكثر وأكثر، عندما يحاول أن يلتمس سبباً وجيهاً ومنطقياً يبرر للربيعي أن يتعرض لتلك الفقرة الهمدانية في مواضع متباعدة عن بعضها البعض، دون أن يصاحب ذلك أي معالجة أو تفسير متماسك لها، وذلك بالرغم من أهمية تلك الفقرة وخطورتها على نظريته.

هذه هي استراتيجيته المفكر العربي الفاضل دائماً في التضليل والتلفيق والمراوغة والخداع والتي يمكن التماسها في كل كتبه. إذ يتعمد دائماً أن يجعل القارئ يشك بنفسه إزاء أي شعور يراوده بأن هناك خطأً ما في كتابه وتفسيره، أو حين يكتشف القارئ بأن تفسير مفكرنا قد تناقض بشكل واضح في هذه المسألة أو تلك. فغالباً ما يقوم القارئ بتفسير تلك المشكلة بأنها ناتجة عن عدم استيعابه للطرح، بدلاً من أن يوجه أصابع الشك والريبة صوب مؤلف الكتاب، خاصة وأن

ذلك يتم في ذهن القارئ بشكل عفوي وتلقائي، بحيث يندفع فيه نحو تكوين انطباع ضمني مضمر وغير معلن بأنه هو من لم يستوعب الطرح، وكأنه يقول لنفسه وفي نفسه:

"أووه.. لقد طرح الربيعي طرحاً مفصلاً وقدم تفسيراً مقنعاً، ولكني أنا من لم استوعبه جيداً.. حسناً، يا له من تفسير مقنع"..!!

هكذا يكون حال القارئ المُدجَّن.

أما القارئ اليقظ، والقارئ الكيِّس الفطن، فلابد أن يكون له موقف آخر.

بكل بساطة، فإن كل من يعود الى كتاب الهمداني ويقابل بينه وبين ما أورده الربيعي، سيجد أن هذا الأخير قد وقع فعلاً في مأزق صعب، إذ يكفي أن تكون لدى القارئ خلفية لغوية وتاريخية وجغرافية مناسبة، ليتأكد فعلاً من أن فقرة الهمداني تلك جاءت دقيقة بما يكفي لتكشف عن مدلولها الصريح، ومن ثم عن ذلك المأزق الفاضح الذي وقع فيه صاحبنا ولم يتمكن أبداً من الخروج منه، وسرعان ما يبدأ القارئ الحصيف في اكتشاف الدجل والتحريف الذي قام به صاحب فلسطين المتخيلة عن سبق اصرار وترصد.

من أجل أن نشترك معاً في الكشف عن حقيقة التلفيق والتحريف والتضليل المتعمد والمقصود من قبل مفكرنا العبقري العظيم فاضل الربيعي، سنغض الطرف مؤقتاً في السياق التالي عن كثير من التعبيرات الخادعة والعبارات المضللة التي استخدمها في المواضع الآنفة الذكر من كتابه، ونجعل تركيزنا منصباً على موقفه من صريح تلك الفقرة التي أوردها الهمداني، والتي أكد لنا الربيعي في نهاية مقدمة كتابه بأنها فقرة محورية وجوهرية وأنها شهادة من الهمداني تؤكد ما ذهب إليه، وهذا كله في السياق الذي نتحقق فيه من مدى صدق وواقعية وموضوعية التفسير الذي قدمه لنا، ناهيك وأن لفقرة الهمداني هذه أهمية بالغة في اختبار مدى صدقية وموضوعية وعلمية نظرية جغرافية التوراة برمتها.

ومن أجل ذلك أيضاً، لابد من أن نتخذ للأمر تدرجاً مناسباً يمكننا جميعاً من ادراك المشكلة التي واجهها الربيعي مع ما أثبته الهمداني في تلك الفقرة المحورية من كتابه، والمأزق

الذي أوقع نفسه فيه، وكيف فشل وعجز تماماً عن معالجة تلك المشكلة والخروج من مأزق محاولة التعسف في تفسيرها.

وبلا شك، فإن من شأن هذا المسار الذي اتخذناه تمكين القراء الأعزاء من إدراك مدى موضوعية وقوة وصلابة وثبات الأدلة التي سنعرضها في هذا الاتجاه، ومدى تكاملها وتناغمها جميعاً في كشف حقيقة الخداع والتضليل الذي مارسه الربيعي بصورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

[2]

هكذا تحدث الهمداني

يمكن توضيح المأزق الذي وقع فيه الربيعي نتيجة تعامله التعسفي وغير المنطقي مع فقرة الهمداني من عدة جوانب متصلة، من السهل جداً اكتشافها والتحقق منها في كتاب الهمداني نفسه، وفي غيره من كتب البلدانيات والجغرافيا والمعاجم الجغرافية التي صنفها العلماء العرب طوال (٧٠٠) سنة من عصور النهضة العربية، عندما كانت أوروبا ترقد في أوحال جهلها ومستنقعات تخلفها، وهي العصور التي سادت فيها الثقافة والعلوم العربية على العالم بأسره، وخلَّف فيها العلماء العرب والمسلمون المئات من المصنفات والأعمال الجغرافية التي مازال علماء الشرق والغرب الى اليوم يشيدون بها، وبدورها في صعود الغرب ونهضته. فما الهمداني إلا اسم واحد من سلسلة طويلة من قائمة أسماء الجغرافيين العرب الذين قاموا بتحقيق طفرة علمية مجيدة في حقل الدراسات الجغرافية في تلك الفترة الممتدة من القرن التاسع الى القرن الرابع عشر الميلادي، والتي كان لها الدور الأكبر في التأسيس للكشوفات الجغرافية التي نقلت أوروبا من العصر الوسيط الى عصر النهضة ومنها الى عصر التنوير ثم الى العصر الحديث.

تُجِّسد فقرة الهمداني تلك واحدة من أهم وأشهر الحقائق الجغرافية الثابتة منذ عصر بطليموس القلوذي وحتى عصر الهمداني نفسه، والى ما بعد عصر الهمداني بقرون طويلة بل وحتى اليوم الذي يحاول فيه البعض تشويش الحقائق وتزييفها. فالربيعي لم يقفز على مجرد فقرة صغيرة أوردها الهمداني في سطر أو سطرين من كتابه، بل قفز على حقائق جغرافية ثابتة وراسخة ولا يمكن لأحد طمرها أبداً، كما عمد أيضاً الى تحريف تلك الحقائق وتزييفها، ولهذا نقول أن الرجل وضع نفسه في مأزق حرج للغاية ومأزق ليس له حل أبداً، من حيث أنه استخف وألغى وقلل من شأن نتائج ومخرجات ما يزيد عن (٧٠٠) سنة من المعرفة الجغرافية التي أنتجها العرب المسلمون وقاموا بتطويرها في نسق عالمي شمولي، ومن حيث تعمد أيضاً

الاستخفاف بعقول القراء وتشويش وعيهم التاريخي والجغرافي، لصالح أن يقال عنه أنه جاء بنظرية راديكالية/ ثورية تفند ادعاءات المستشرقين.

وهكذا، فإن على المفكر والبروفسور فاضل الربيعي أن يواجه الهمداني أولاً، إزاء ما عبرت عنه فقرته تلك، وأن يواجه من بعد ذلك كل ما يوازيها ويعبر عن مضمونها في كتب الجغرافيين والبلدانيين والرحالة والمؤرخين والإخباريين العرب والمسلمين، الذين عاشوا في عصر السيادة العربية الكاملة على الثقافة العالمية والعلوم البشرية كلها.

والآن، لابد من اعطاء فكرة واضحة عن خطة كتاب صفة جزيرة العرب وهيكله الموضوعي، نظراً لأهمية ذلك في توضيح الأمر الذي نحن بصدده الآن. إذ يتألف كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني بصورة عامة من قسمين، قسم عام وقسم خاص، كالآتي:

القسم الأول العام، بعنوان "صفة جزيرة العرب"، واستعرض الهمداني فيه وصفه للجزيرة العربية على سبيل العموم، من خلال بيان موقعها الجغرافي بالنسبة للأقاليم الجغرافية والمناخية التي قسمها الجغرافيون الإغريق للأرض، والمعروفة باسم "الأقاليم السبعة"، وهو التقسيم الذي يعتمد على خطوط العرض لكل أجزاء الأرض المعروفة في العصور القديمة والوسيطة، بمعنى أن هذا التقسيم يفترض أنه يشمل الأرض المأهولة كلها بحسب المعارف الجغرافية التي كانت متوفرة آنذاك، بالإضافة الى وصف حدود جزيرة العرب، والقياسات المتعلقة بمساحتها وطولها وعرضها، والمسافات الفاصلة بين أجزائها وأشهر المدن الواقعة داخل حدودها، والتأثيرات المناخية على طباع سكان كل جزء من أجزائها.

يبدأ القسم العام من عند الباب الذي عنوانه "معرفة أفضل البلاد المعمورة"، وينتهي بالباب الذي عنوانه "معرفة تفصيل الجزيرة عند أهل اليمن".

القسم الثاني الخاص، وعنوانه "صفة اليمن الخضراء"، وفيه يقدم الهمداني وصفاً جغرافياً لليمن الطبيعي باعتباره من أهم أجزاء جزيرة العرب، شمل هذا الوصف تحديد الحدود الشمالية لليمن والتي تفصلها عن نجد والحجاز. كما وصف الجزر والمدن والأماكن والوديان .. وغير ذلك مما يقع في نطاق الجغرافية اليمنية بتفصيل عميق ونادر لم يتكرر.

وعليه، يمكن أن نستهل بيان المأزق العويص الذي وقع فيه الربيعي، بطرح سؤال مفاده:

هل قال الهمداني بأن الشام وسوريا وفلسطين ولبنان تدخل ضمن جزيرة العرب؟

الجواب المختصر هو: نعم، لقد قال وأكد وبيَّن لنا ذلك في عدة مواضع من كتابه. وهذا ما يقع عليه مناط التأكيد في بيان المأزق الذي وقع فيه مفكرنا العبقري.

وصف الهمداني حدود جزيرة العرب، كما يلي:

"وإنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرارها، وصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر، وذلك أن الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنَّسرين ثم انحطَّ على الجزيرة وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبَّادان وأخذ البحر من ذلك الموضع مغرِّبا ببلاد العرب منعطفاً عليها فأتى منها على سفوان وكاظمة ونفذ إلى القطيف وهجر وأسياف البحرين وقطر وعُمان والشِّحر ومال منه عنق إلى حضرموت وناحية أبين وعدن ودهلك، واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعكٍّ ومضى إلى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة وساحل الطور وخليج أيلة وساحل راية - كورة من كور مصر البحرية - حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادها وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلاً معارضاً للبحر معه حتى دفع في بحر مصر والشام - ثم اقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها وأتى على صور ساحل الأردنّ وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق، ثم نفذ إلى سواحل حمص وسواحل قنَّسرين، حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف قنَّسرين والجزيرة إلى سواد العراق"[١].

كان هذا وصفاً جغرافياً لحدود جزيرة العرب من نقطة بدأ بها الهمداني من ***(نهر الفرات القافل الراجع من بلاد الروم يظهر بناحية قنَّسرين)***، متخذاً دورة كاملة حتى عاد الى نفس النقطة ***(التي أقبل منها الفرات منحطاً على أطراف قنَّسرين والجزيرة إلى سواد العراق)***.

---

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص ٨٤.

في هذا الشأن، لا أنسى التوجه بالشكر الجزيل الى كل من (سفير جاسم حسين وهدى عيدان الربيعي) الباحثان في الجغرافيا الطبيعية من العراق الحبيبة، واللذان وفرا علينا عناء تصميم خريطة توضيحية دقيقة لحدود جزيرة العرب كما حددها الهمداني.

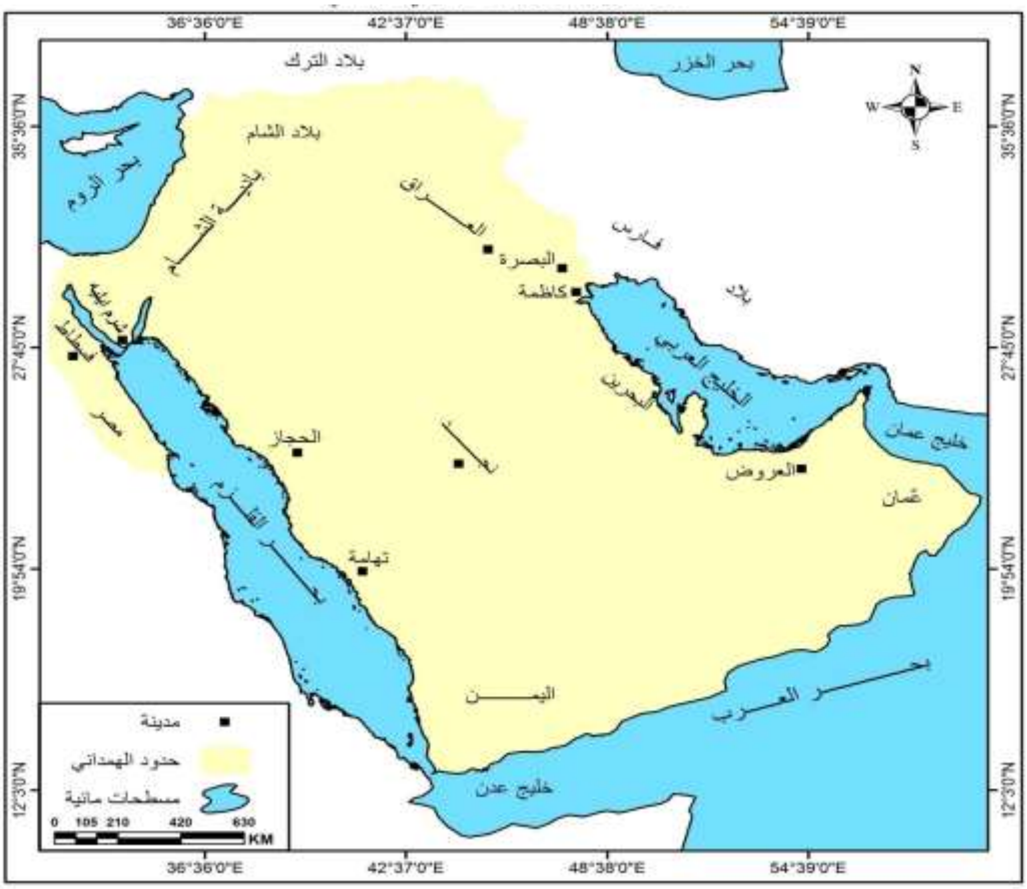

خريطة رقم (١): حدود جزيرة العرب كما وصفها الهمداني[١].

وفق خريطة حدود جزيرة العرب للهمداني، فإن جزيرة العرب جزيرة وليست كما يهرف الكثيرون اليوم بأنها شبه جزيرة لا تدخل في نطاقها لا بلاد الشام ولا بلاد العراق.

إن جزيرة العرب كما يصفها لنا الهمداني يحدها من الشمال الشط الأعلى لنهر الفرات كحد فاصل بينها وبين بلاد الترك، ومعروف أن تلك المناطق كانت تُعرف ومازالت بأنها ديار

[١]. سفير جاسم حسين وهدى عيدان جبار الربيعي: الملامح الجغرافية الطبيعية في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، العراق، المجلد (٩)، العدد (٤)، ٢٠١٦. ص ص ٩٠- ١٠٧. ص ٩٢.

ومنازل القبائل العربية الشمالية التي تنسب نفسها الى الفرع الهاجري- الاسماعيلي من السلالة الابراهيمية- نسبة الى إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، ومنها قبائل بكر وتغلب وربيعة وإياد والتي ثبت عنها قديماً وحديثاً أنها سكنت وتسكن في مناطق الفرات والجزيرة الفراتية وبادية الشام، وجميعها هذه القبائل التي ذكرناها وغيرها أيضاً تمثل بنو عمومة الفرع الساري- نسبة الى سارة- من السلالة الابراهيمية، وهو الفرع المشهور عبر التاريخ وفي التوراة باسم "بني اسرائيل".

خريطة رقم (٢): منازل القبائل العربية في القرن السابع الميلادي على كامل جزيرة العرب كما بيّن الهمداني حدودها الجغرافية.

في ضوء ذلك، علينا أن نتوقع وجود تفسير جغرافي وتاريخي مقنع بالفعل كان لدى الهمداني ولدى سائر الجغرافيين والمؤرخين في عصره، تفسير يعلل ويفسر لنا لماذا وصفت سوريا بأنها أرض بني اسرائيل، مع التنويه الى أن استخدام الهمداني لتسمية (سوريا) يكشف عن دقة موضوعية وجغرافية بالغة، من حيث أنه لم يستخدم بالأساس تسمية (بلاد الشام) التي استخدمها في (٢٢) موضعٍ من كتابه، لكنه في هذه الفقرة بالذات استخدم اسم (سوريا)، ومن ثم، فإن اشارة الهمداني الفريدة الى أن سوريا هي أرض بني اسرائيل تستحق الاهتمام والبحث والتحري العميق.

نستنتج مما سبق، أن أي رابطة وضعها الهمداني تشير الى ارتباط بلاد اليهود من إيليا التي هي أورشليم بجزيرة العرب، هي بالأساس رابطة أصيلة وقائمة بأصالتها جغرافياً من حيث أن أرض سوريا وايدوما وأرض فلسطين وبلاد اليهود تقع بالأساس جميعاً داخل حدود جزيرة العرب، وليس كما هو الاعتقاد السائد بأن حدود جزيرة العرب هي حدود بلاد الشام وسوريا وفلسطين والعراق. وبالتالي فإن هذه الرابطة تُسقط أي اعتبار لأي تفسير يضع إيليا التي تسمى أورشليم في نطاق جغرافية اليمن كما يدعي ويتوهم مفكرنا الفاضل.

لقد تعمد فاضل الربيعي التضليل والتلفيق في تفسيره ومعالجته لما جاء في تلك الفقرة من كتاب الهمداني، معتمداً على الفكرة الرائجة التي تقول بأن بلاد العراق والشام لا تدخلان ضمن جزيرة العرب، الأمر الذي يتبين معه تجاهله الصارخ لحدود جزيرة العرب كما حددها الهمداني، وتعسفه في تفسير تلك الفقرة بقوله أن الهمداني ومن قبله بطليموس إنما قصدا أن بلاد اليهود كانت في اليمن.

ولسوف نثبت بعد قليل وبالدليل القاطع أن هذا هراء لا أكثر.

نعود الى الهمداني وكتابه، ونستكمل عرض البينات الجغرافية التي تدحض وتثبت زيف ما يدعيه الربيعي، وذلك في ضوء ما تضمنه القسم الثاني من كتاب صفة جزيرة العرب، والذي خصصه صاحبه لوصف جغرافية اليمن الطبيعية. فمن المنطقي أن يحدد لنا الهمداني حدود اليمن من الجهة الشمالية بالنسبة لبقية أجزاء جزيرة العرب، إذ يقول:

"وصار ما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طيّ إلى المدينة وراجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية فيد، حجاز، فالعرب تسميه نجداً وجلساً وحجازاً والحجاز يجمع ذلك كله. وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاها العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحار وانخفاض مواضع منها، ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله. وصار ما خلف تثليث وما قاربها إلى صنعاء وما والاها إلى حضرموت والشِّحر وعُمان وما يليها اليمن، وفيها التهائم والنجد واليمن تجمع ذلك كله" [١].

إزاء حدود جغرافية اليمن الشمالية، تكفل الباحث الجغرافي الأستاذ عبد الله محمد ظافر" من اليمن، بتزويدنا بخريطة توضيحية دقيقة لحدود اليمن كما وصفها الهمداني:

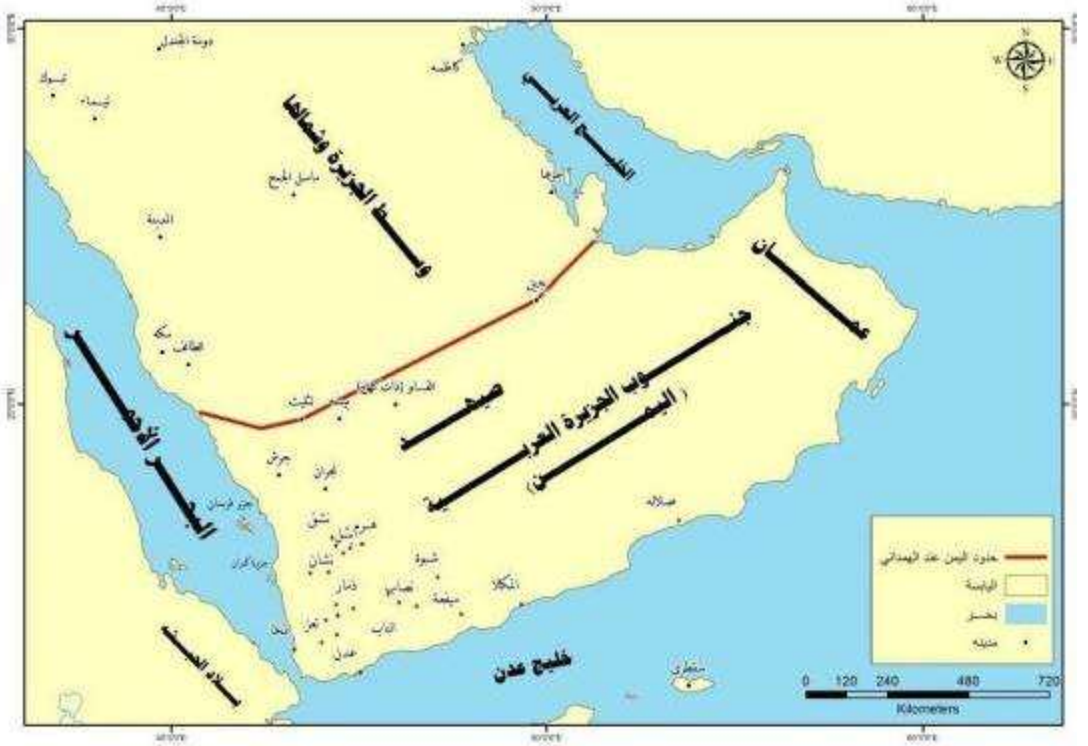

خريطة رقم (٣): الحدود الشمالية لليمن الطبيعي حسب وصف الهمداني[٢].

---

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٨٥.

[٢]. عبد الله محمد ظافر: نزهة المشتاق لليمن– حدود وخرائط وشؤون اليمن في البلدانيات من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، الطبعة الأولى، مكتبة خالد بن الوليد– دار الكتب اليمنية، صنعاء، ٢٠١٧. ص ٦١.

إن المغزى من عرض هذه الخرائط، يتعلق في كونها تبيِّن بشكل واضح جغرافياً الى أي مدى بلغت دقة الهمداني وموضوعيته ومعرفته الجغرافية العميقة بتفاصيل وأبعاد ومكونات وطبيعة جزيرة العرب عموماً واليمن على وجه الخصوص. فعندما وصف الهمداني جغرافية اليمن، نجده وقد قام بسرد أسماء مدنها وقراها، وأوديتها، وجبالها، وهضابها، وصحاريها، وجزرها البحرية، وأمطارها، وطقسها.. وغير ذلك من التفاصيل الدقيقة التي حرص على ألاَّ يفوته شيئاً مما كان قد شاهده وعاينه على أرض الواقع منها أو تثبت منه بطريق آخر غير المشاهدة المباشرة، فأبدع في ذلك على نحو لم يسبقه إليه أحد من قبله، ولم يقم به أحد من بعده.

وفي الوقت الذي يصمم فيه الربيعي على أن الهمداني ومن قبله بطليموس قد أشارا من خلال ذلك الفصل والتمييز الذي اظهراه بين بلاد اليهود وفلسطين، بأنهما إنما قصدا أن بلاد اليهود لا تجاور فلسطين بل تقع في فضاء جغرافي آخر ضمن جغرافية اليمن، نجد أن الهمداني في وصفه الدقيق لجغرافية اليمن الطبيعي لم يذكر أو يُشر بحرف واحد الى أرض أو بلد أو قرية أو جبل أو صخرة أو حصاة صغيرة اسمها "بلاد اليهودية التي من إيليا والتي اسمها اورشلم، وتعربها العرب أورشليم" بأنها موجودة في نطاق جغرافية اليمن.

فأين ضاعت ايليا هذه التي كانت بلاد اليهود على الهمداني بحيث لم يراها ولم يذكرها ولم يلتفت إليها؟ وأين اختفت اورشليم؟ وكيف يعقل أن يفوت على الهمداني ذكر مكان في اليمن اسمه هكذا.. أو صفته كتلك التي تدعيها التوراة ويدعيها صاحبنا الربيعي؟!

إن هذا بحد ذاته يدحض مثل هذا الإدعاء ويؤكد بما لا يدع مجالاً للشك بأن تفسيره الذي قدمه في معرض البحث العلمي والجغرافي والتاريخي ليس إلا تفسيراً تلفيقياً خادعاً ومضللاً، بل وتحريفاً متعمداً للحقائق، وتعسفاً واضحاً في التعامل مع النصوص التاريخية والجغرافية، وهذا ما سيتأكد لنا بوضوح شديد للغاية في المبحث التالي.

[3]

هكذا تحدث بطليموس

على نفس المسار، يتبين المأزق الذي وقع فيه الربيعي مع الهمداني من جانب آخر لا يتعلق فحسب بحدود جزيرة العرب وجغرافية اليمن الطبيعية وحدودها كما بينها لنا الهمداني، بل وبالأساس الجغرافي الذي استند إليه بطليموس ونقله عنه الهمداني وسائر الجغرافيين العرب، في تقسيم الأرض المأهولة أو المعمورة في تلك العصور الى أقاليم جغرافية محددة.

ما حصل هو أن مفكرنا الفاضل تجاهل تماماً البنية الموضوعية والهيكلية لكتاب الهمداني، والأساس الابستمولوجي (المعرفي) للجغرافية البطلمية التي استند إليها، فمضى في تقديم تفسيره لفقرة الهمداني المشار إليها سلفاً دون أن يأخذ بالاعتبار السياق الذي وردت فيه، أو الأساس الذي قامت عليه. فاعتبر وأكد – بل وقطع وأجزم- بأن الهمداني إنما أراد أن يقول لنا بأن بلاد اليهود "إيليا" والتي منها أورشليم تقع في اليمن وليس في فلسطين، وأن هذا هو ما قصده الهمداني عندما ميّز بشكل صريح – وبدعم من بطليموس- بينها وبين فلسطين.

يرى الربيعي أن فلسطين المقصودة عند الهمداني هي تلك التي تقع بجنوب الشام، أما بلاد اليهود إيليا التي منها اورشليم، فتقع في جبال السراة اليمنية تارة، وتارة أخرى يقول بأنها تقع على سواحل البحر الأحمر.

على كل حال، سنناقش التحديدات الجغرافية التي قدمها في هذا الشأن بتفصيل كافي في فصول قادمة.

بالعودة الى كتاب الهمداني، نجد أن فقرته تلك جاءت في القسم العام من كتابه، والذي كان يصف فيه جزيرة العرب على سبيل العموم، وبالتحديد في السياق الذي كان فيه يتحدث عن موقع جزيرة العرب وموقع كل جزء منها بالنسبة للأقاليم المناخية السبعة، وتأثير اختلاف المناخ على طبائع سكان كل جزء من أجزاء جزيرة العرب.

لكي يتضح الأمر، أرى ضرورة في إعطاء فكرة واضحة وموجزة عن جغرافية بطليموس وتقسيمه الأرض المعمورة الى سبعة أقاليم على أساس نظرية المناخ التي كانت سائدة في عصره، والتي أخذ بها الجغرافيين العرب والمسلمين ومنهم أبو الحسن الهمداني.

كان بطليموس (Ptolemaeus) (٧٥- ١٧٣م) قد قسم العالم المعروف في عهده إلى سبعة أقاليم على أساس طبيعي بصفة عامة، ومناخي بصفة خاصة هو درجة الحرارة، ويعرف الواحد منها باسم (اقليم) (Klimata)[١]. ومن ثم، فقد رسمت الأقاليم السبعة لبطليموس على هيئة أحزمة عريضة تمتد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب فوق خط الاستواء، ويختلف كل إقليم عن الآخر بعد ساعات النهار فيه[٢].

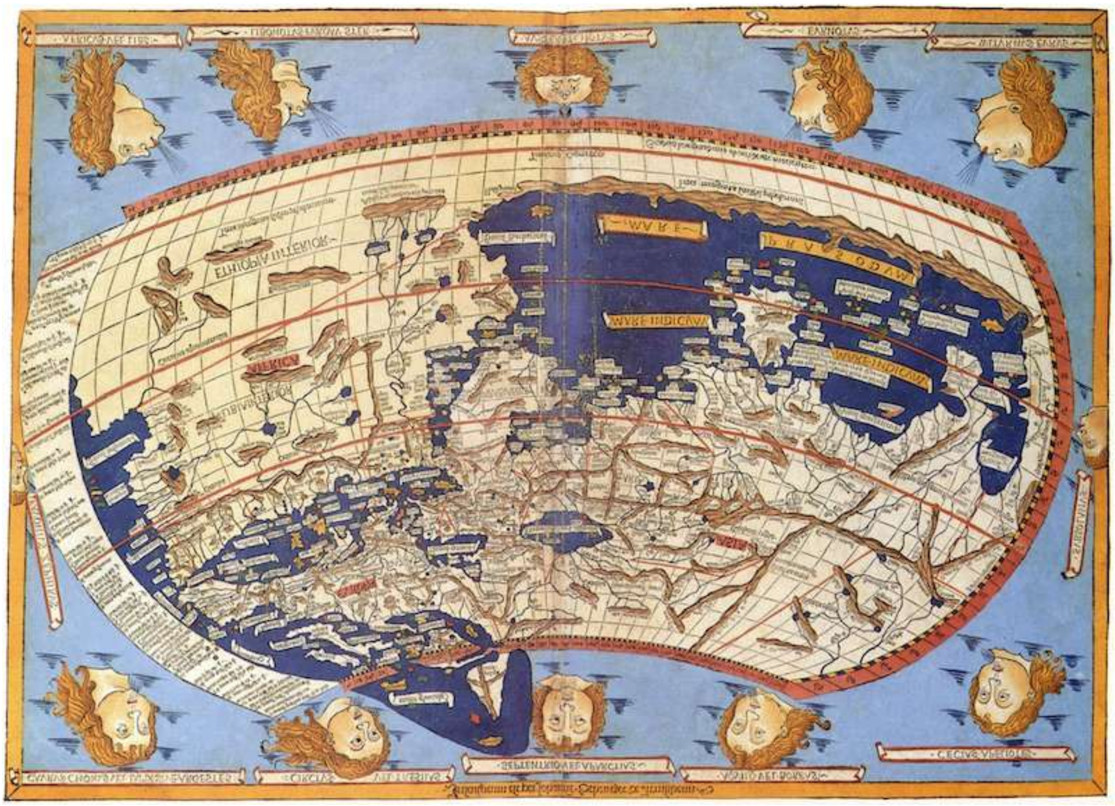

خريطة رقم (٤): خريطة العالم لبطليموس موضح فيها تقسيمه للأقاليم السبعة

[١]. أحمد محمد عبد العال: دراسات في الفكر الجغرافي، بدون بيانات الطبعة والناشر ومكان النشر، ٢٠٠٦. ص ٥.

[٢]. شاكر خصباك: التراث الجغرافي عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون تاريخ النشر. ص ٥٤.

تنويه:

جرت عادة الجغرافيين القدماء أن يرسموا الخرائط مقلوبة، بحيث تظهر مناطق الجهات الجنوبية في الأعلى والجهات الشمالية في الأسفل، مع الاحتفاظ بكون الجنوب جنوباً والشمال شمالاً، وهذا ما يجب مراعاته عند التعامل مع معظم الخرائط القديمة.

ظلت خريطة العالم (Imago Mundi) لبطليموس أكمل خريطة الى أن جاء الجغرافيون العرب المسلمون وصححوا الكثير من أخطاءها[١]. ولهذا أخذ الجغرافيون العرب والمسلمون عن بطليموس تقسيمه لما عرف بالأرض المعمورة أو المأهولة الى سبعة أقاليم في مؤلَّفاتهم، فقد وضع أبو زيد أحمد بن سهل البلخي (ت: ٣٢٢هـ) كتاب "صور الأقاليم" ذكر فيه أقاليم الأرض البطلمية، كما وضع أبو إسحق إبراهيم بن محمد الاصطخري (ت: ٣٤٦هـ) مؤلفين مهمين هما "كتاب الأقاليم" و"المسالك والممالك" قسم فيهما العالم الإسلامي إلى عشرين إقليماً تمثّلُ مناطق جغرافيةً واسعةً، ويعد محمد بن أحمد المقدسي (ت: ٣٨٠ هـ) صاحب كتاب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" رائداً في هذا المجال[٢].

وبناءً على بطليموس، قسّم العرب المعمور من الأرض الى سبعة أقاليم ابتداءً من خط الاستواء، ولكنهم اختلفوا في مدى الحد الذي تنتهي عنده أقصى الشمال (سهراب °٥٠ شمالاً وابن خلدون °٦٤ شمالاً، والإدريسي °٦٣ شمالاً ..الخ). وكل هذا مستمدٌّ لديهم من كتاب بطليموس (الجغرافيا) وهي سبعة أقاليم أضاف إليها الإدريسي إقليماً ثامناً يمتد جنوب خط الاستواء، وهو الذي ينبع منه النيل (حتى الدرجة °١٦ ج). الإدريسي جعل الإقليم الأول يبدأ من خط عرض صفر حتى (٢٣) شمالاً ومن بعده خمسة أقاليم عرض كل منها (٦) درجات أما

[١]. محمد محمود محمدين: الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، الطبعة الثانية، دار الخريجي، الرياض، ١٩٩٦. ص ١٢٦.

[٢]. علي محمد دياب: مفهوما الإقليم وعلم الأقاليم من منظورٍ جغرافي بشري، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٨)، العدد (٢)، ٢٠١٢. ص ص ٤٥٧– ٥٠٨. ص ٤٦٠.

الإقليم السابع بين (٥٤ْ، ٦٣ْ) وقسّم الإدريسي كل إقليم إلى (١٠) أقسام متساوية من الغرب إلى الشرق، ووضع لكل من الأقسام السبعين خريطة[١].

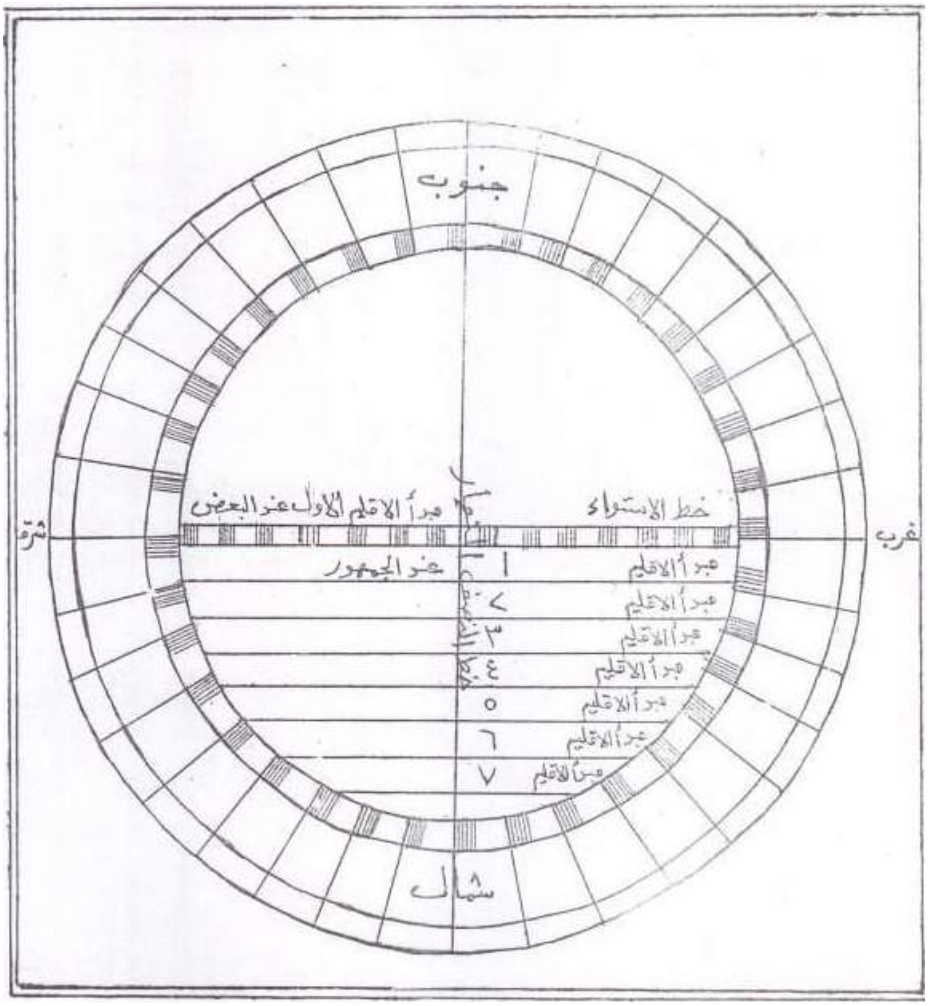

خريطة رقم (٥): توزيع الأقاليم الجغرافية السبعة كما رسمها ابن خلدون[٢]

استمر الجغرافيون العرب المسلمين في الأخذ بنظرية الأقاليم السبعة وتطويرها في القرون التالية للقرن العاشر الميلادي. فقد قسم محمد بن محمد الإدريسي (ت: ٥٦٠هـ) العالم إلى سبعة أقاليم يضم كل منها عشرة أقسام متساوية من الشرق إلى الغرب في كتابه الشهير "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، ويعده كثيرون أفضل مؤلف تلتقي فيه الجغرافيةُ القديمةُ الحديثة،

[١]. ابن الفقيه أبو بكر احمد بن إبراهيم الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، مطبعة لندن، ١٨٨٥. ص ٨.

[٢]. عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الطباعة، بولاق– مصر، (ب. ت). ص ٥٦.

كذلك ورد عند زكريا بن محمد القزويني (ت: ٦٨٢هـ)، وتحدث عنه عبد الرحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ) في مقدمته الشهيرة التي قسم فيها العالم إلى سبعة أقاليم[١].

هذا هو الأساس الابستمولوجي الذي استند إليه الهمداني في توصيفه الجغرافي، وبالنظر الى أن مجمل أجزاء جزيرة العرب لا تقع جميعاً في اقليم مناخي واحد، بل تتوزع بين أربعة أقاليم، ***نجد أن الفقرة التي نشير إليها هنا دائماً قد أوردها الهمداني في السياق الذي كان يصف فيه طباع سكان المناطق التي تقع في الإقليم المناخي الثالث من الأقاليم السبعة.***

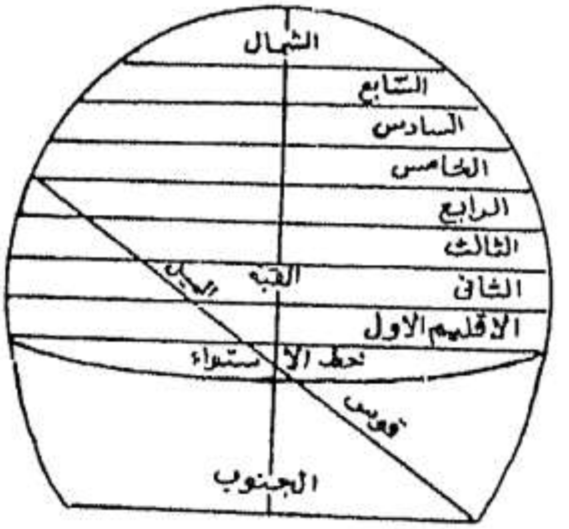

خريطة رقم (٦): توزيع الأقاليم الجغرافية السبعة كما رسمها الهمداني[٢]

بشأن موقع جزيرة العرب، يقول الهمداني– معلقاً على ما قاله بالأصل بطليموس:

"أفضل البلاد المعمورة من شق الأرض الشمالي إلى الجزيرة الكبرى، وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس (ما روي) تقطع على أربعة أقاليم، من عمران الشمال إلى الخامس، فجنوبيها: اليمن، وشماليها: الشأم، وغربيها: شرم أيلة وما طردته من السواحل إلى أُلقلزم وفسطاط مصر،

[١]. علي محمد دياب: مفهوما الإقليم وعلم الأقاليم من منظورٍ جغرافي بشري، مرجع سابق، ص ٤٦٠.

[٢]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص ٤٣.

وشرقيها: عُمان والبحرين وكاظمة والبصرة، وموسطها: الحجاز وأرض نجد والعروض، وتسمى جزيرة العرب، لأن اللسان العربي في كلها شائع وأن تفاضل" [١].

إذن، فجزيرة العرب تقع على أربعة أقاليم، وذلك لأنه وبالإضافة الى أن أغلب أراضي الشام ونجد والعروض والحجاز تقع في الإقليم المناخي الثالث، فإن جزء محدود وهو أقصى شمال الشام وسوريا يدخل في نطاق الإقليم المناخي الرابع، تماماً كما أن اليمن يقع أغلبها في الإقليم الثاني وجزء يسير في أقصى الجنوب منها يقع في الإقليم الأول.

في سياق آخر لا يبتعد كثيراً عن جادة ما نحن فيه الآن، يذكر الهمداني أسماء المناطق التي تدخل في نطاق الربع الثالث أو ما سماه بـ "قسم ما بين المشرق والجنوب" من الإقليم المناخي الرئيسي الثالث من الأقاليم السبعة، والذي يمتد– بحسب وصفه ونقلاً عن بطليموس– ***من بلاد آسيا العظمى– أي من أقصى الصين شرقاً– ويحوي من البلاد: أرمينية العليا والسفلى والسغد ومدينتها سمرقند، وطبرستان وجرجان وموقان وأذربيجان، والخزر وجيلان واللان وياجوج وماجوج، وخراسان، وتُبت، وأرض الترك وأرض التغزغز وسوروماطقا.. الخ*** [٢].

وبحسب وصف الهمداني أيضاً ونقلاً عن بطليموس، فإن "هذا التدبير– أي القسم– يفترق على ثلاثة أوجه تأتي على عدد من البروج المثلثة وأربابها، كالآتي[٣]:

البرج الأول: *ينفرد فيه الثور والزهرة بـ (همذان وفارس والماهين والصين من المشرق).*

البرج الثاني: *وينفرد فيه عطارد بـ (بابل وما حولها من العراق وملتقى النهرين الجزيرة والشام وبلاد أثور).*

البرج الثالث: *وينفرد بسائر أجزاء هذا الربع الذي يلي وسط جميع الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منها مثل إيدوما وأرض سورية وأرض فلسطين وبلاد*

[١]. المرجع السابق، ص ٣٩.

[٢]. المرجع السابق، ص ٧١.

[٣]. المرجع السابق، ص ٧٢– ٧٣.

اليهود العتيقة من إيليا وتسمى بالعبرانيّة يرشلم، وتعربها العرب فتقول أوراشلم، وبلاد الأعراب الخصيبية يريد فلاة العرب من نجد والحجاز والعروض وبلاد فونيقا يريد اليمن وما والى هذه البلدان.

يكرر الهمداني ذكر هذه البلدان بنفس الترتيب في سياق آخر، قائلاً:

".. والذي يشاكله من البلدان التي تلي الوسط بلاد سوريا العتيقة وفلسطين وإيدوما وبلاد اليهود.." [١].

وبلا شك، فإن هذا التكرار يؤكد بأن هذه البلدان تقع في جوار بعضها البعض بهذا الترتيب من الشرق الى الغرب، تبعاً لتقسيم بطليموس للأقاليم السبعة، كخطوط عرضية تمتد من أقصى الشرق الى أقصى الغرب.

يتأكد لنا ذلك، من حيث نلاحظ أن الهمداني قد ذكر (اليمن) بشكل صريح في ذيل حديثه عما يدخل من البلاد في نطاق البرج الثالث من الإقليم الثالث. فيا ترى، ما هي علاقة اليمن بالتسلسل الجغرافي المحدد هنا في سياق كان يتحدث فيه الهمداني عن طباع سكان الأجزاء من جزيرة العرب التي تقع في الإقليم المناخي الثالث، والذي يسير فيه الهمداني وبطليموس ابتداءً من أقصى الشرق في بلاد الصين وباتجاه الغرب بين خطيّ عرض يفترض أن تقع بينهما أرض سورية وايدوم وبلاد اليهود العتيقة؟!

لابد أولاً من التأكيد بشكل جلي وواضح بأن اليمن لا يمكن أن تكون أو أن تقع ضمن مناطق الإقليم المناخي الثالث الذي توجد فيه سوريا وايدوما وبلاد اليهود من ايليا التي هي أورشليم، وذلك لأن أساس تقسيم بطليموس للأقاليم المناخية كما تبين قائم على رسم خطوط عرض تمتد من الشرق الى الغرب أفقياً، بحيث يقع بين كل خطين منها اقليم واحد من الأقاليم السبعة، وبالتالي فإن من الطبيعي ألاّ تكون اليمن واقعة على نفس خط العرض الذي يمر

[١]. المرجع السابق، ص ٧٩.

بفلسطين وسوريا والعراق وفارس وأرمينيا والتبت. وهذا أمر لا يحتاج أساساً الى إثبات، طالما وأن قاعدة تقسيم الأقاليم السبعة هي خطوط العرض صعوداً من جهة الجنوب الى الشمال.

قد لا يستوعب البعض قوة المنطق الجغرافي، لكن وبما إننا نتعامل هنا مع حقائق الجغرافيا، فلابد من أن نستخدم ليس فقط لغتها بل كل أدواتها، ولنتأمل ملياً خريطة العالم للإدريسي أدناه- مع مراعاة أنها مقلوبة كما سبق التنويه الى سبب كون الخرائط القديمة قد رسمت مقلوبة.

في الخريطة أدناه يتبين جغرافياً أن الخطوط الحمراء هي خطوط العرض وأن كل خطان منها يحصران فيما بينهما إقليماً مناخياً من الأقاليم السبعة. فالإقليم المناخي الأول يكون من جهة الجنوب ويقع ما بين خط العرض الأول وخط العرض الثاني، وواضح جداً أن أجزاءً قليلة ومحدودة من جنوب اليمن واقعة فيه، أما أغلب أجزاء اليمن الأخرى فتقع ضمن الإقليم الثاني بين خطي العرض الثاني الثالث، في حين أن الإقليم المناخي الثالث الذي وصفه الهمداني بأنه يمتد من أقصى الصين الى ما يلي وسط الأرض المسكونة والذي يشمل بلاد العرب الخصيبة وسوريا وفلسطين وبلاد اليهود (إيليا) التي تسمى أورشليم، فيقع بين خطي العرض الثالث والرابع.

هذا هو المقصود بالضبط من قول الهمداني بأن جزيرة العرب تقع في موقع يقطع أربعة أقاليم من الأقاليم المناخية السبعة التي رسمها بطليموس تبعاً لنظريته في تأثير درجة الحرارة والمواقع الفلكية على طباع البشر، وهو التأثير الذي يتفاوت بدرجات نسبية تبعاً لاختلاف درجات الحرارة والمناخ بين المناطق الواقعة بين كل خطين من خطوط العرض التي رسمها، مع التنويه الى أننا نستخدم هنا تعبير خطوط العرض لبيان الفكرة، وليس لأن هذا المصطلح كان قائماً أو مستخدماً عند بطليموس أو الهمداني، بل لأن تقسيم بطليموس للأقاليم يستند الى توزيع يشبه كثيراً ما نعرفه اليوم في الجغرافيا الحديثة والمعاصرة بخطوط العرض.

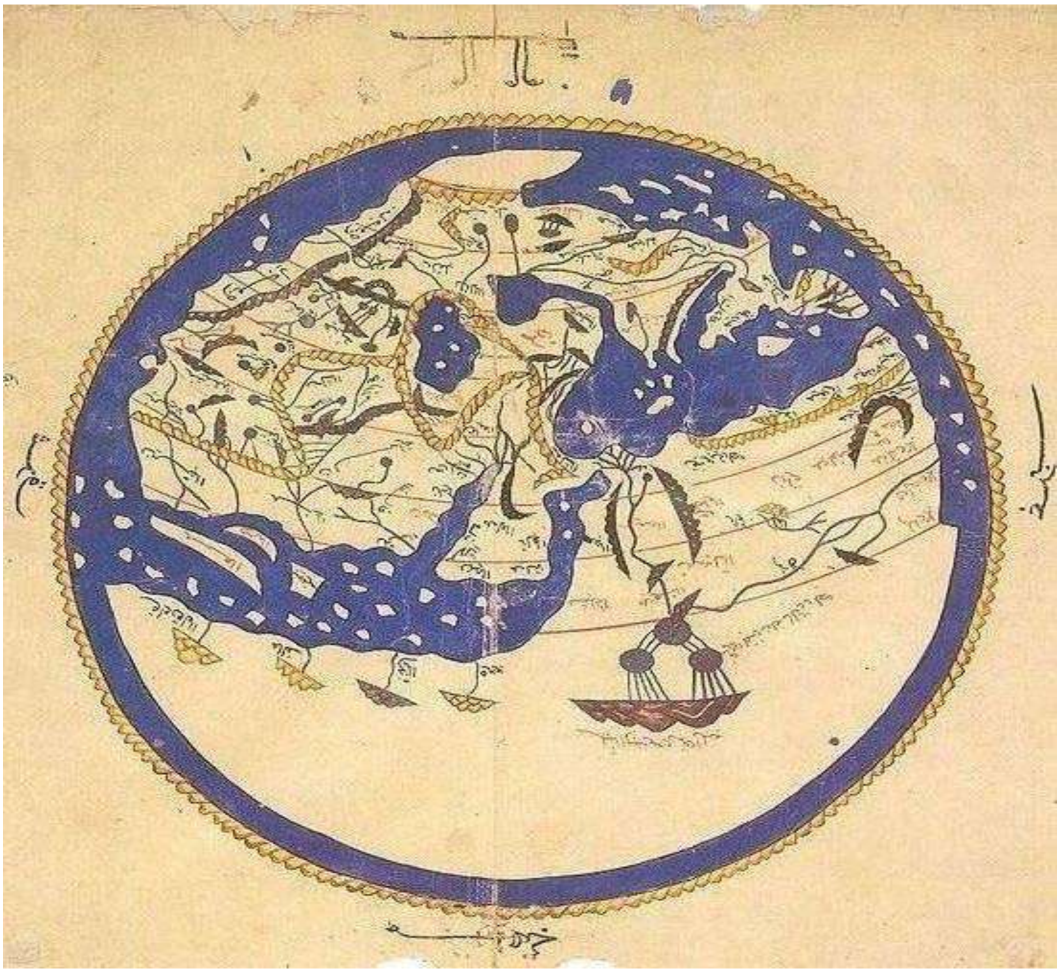

خريطة رقم (٧): خارطة العالم للإدريسي موضحاً فيها موقع جزيرة العرب بالنسبة للأقاليم السبعة من الأرض المعمورة[١]

والآن، نأتي الى بحث مغزى ذكر الهمداني لليمن في سياق تلك الفقرة التي أوردها بقوله:

"بلاد الأعراب الخصيبة والتي يعني بها فلاة العرب من نجد والحجاز والعروض وبلاد فونيقا يريد اليمن وما والى هذه البلدان"[٢].

[١]. رائد راكان قاسم الجواري: العناصر الأساسية للخارطة عند الشريف الإدريسي (٤٩٣- ٥٦٠هـ/ ١١٠٠-١١٦٦م)، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد (١٩)، العدد (٥)، ٢٠١٢. ص ص ٣٥٤- ٣٦٩. ص ٣٥٧.

[٢]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، المرجع السابق، ص ٧٣.

يوضح الهمداني لنا المقصود بـ "بلاد الأعراب الخصيبة"، بأن بطليموس إنما قصد بهذا التعبير أرض نجد والحجاز وتهائمها". ففي هذا يقول:

".. وأما الذين في أرض نجد والحجاز وتهائمها فيشكلون القوس والمشتري، فأهلها لذلك حسنة أخلاقهم، جميلة هيئتهم سهل عيشهم يريد أنهم يجتزون بالدّر من أنعامهم ولهم نفاذ في التجارة والأخذ والأعطاء وملاءمة للمذاهب الجميلة والمعالي والرياسات وبلدهم خصب كثير الأفاويه. وإنما سماها بطليموس أرض الأعراب لأجل أن أكثر العرب بادية، وسماها خصبة لأنها أكثر البلاد كلا دون المزارع، ولذلك اعتمد أهلها على المال السارح وحموه بالخيل، إذ لا يحصون لهم، ويريد أنها كثيرة الأفاويه بزهور الرمال مثل الأقحوان والخزامى وغير ذلك، واليمن يجمع الورد وكثيراً من الأفاويه.."[١].

هذا يعني أن الهمداني قد ذكر اليمن في هذا السياق باعتبارها جهة وباعتبارها جزء آخر من جزيرة العرب تقع خلف الحدود الجنوبية لتلك الأراضي من جزيرة العرب التي تقع في الإقليم المناخي الثالث، فكل ما خرج عن حدود أرض الشام ونجد والحجاز جنوباً فهو يمن، وهذا ما تعنيه بالضبط عبارة الهمداني (يريد اليمن وما والى هذه من البلدان) والتي تعني باتجاه الحدود مع اليمن وما والاها من البلدان، ومن ثم، فإن حدود ما يقع من جزيرة العرب في الإقليم الثالث يمتد من الشمال من حدود الأرض الخصيبة ويمتد غرباً الى بلاد فونيقا (لبنان)، وجنوباً الى حدود نجد والحجاز والعروض وما الى ذلك من جهة اليمن، وهذا التحديد الجغرافي واضح ودقيق للغاية بحيث لا يمكن انكاره أو تجاوزه.

فكيف بحق الله تكون اليمن حداً لأرض هي بالأساس واقعة فيها؟!

يا لها من سقطة مريعة سقطها مفكرنا العبقري..!!

ولأن الهمداني كان يتحدث عن سائر أجزاء ذلك الربع وحدوده، فإنه سيعود ويستدرك في وصف طباع سكانه، قائلاً:

---

[١]. المرجع السابق، ص ٧٣- ٧٤.

".. فمن كان منهم في بلاد سورية وهي أرض بني إسرائيل وبلاد إيدوما وبلاد اليهود العتيقة فهم يشاكون الحمل والمريخ خاصة.."[١].

وهذا يعني أن سكان هذه المناطق يشتركون في بعض الطباع التي حددها الهمداني، وذلك نتيجة وقوع مناطقهم في إقليم مناخي واحد هو الإقليم الثالث الذي يقع تحت تأثير مجالات فلكية معينة مرتبطة به على وجه الخصوص. بل أن الهمداني يضرب المثل ببني اسرائيل في هذا السياق، مستشهداً بما عرف عن طباعهم واتفاق ذلك مع التقسيم الجغرافي للأقاليم الذي يربطهم بمواطنهم في سوريا وبلاد اليهود ايليا التي تسمى أورشليم، فيقول ناسباً القول الى نفسه:

"قال أبو محمد: مصداق ذلك مسألة بني إسرائيل موسى عليه السلام أن يريهم الله جهرة، وأن يجعل لهم إلاهاً يعبدونه لما رأوا أصحاب الأوثان في كثير من هذا قال بطليموس: وهم غاشون ذو خفة وطيش..[٢].

لا شك أن البعض من المدجنين والموهومين المغرمين بالركض وراء الخرافات الربيعية، قد لا يقتنعون بمجرد القول بأن من الطبيعي ألاّ تكون اليمن في اقليم مناخي أو على خط عرض واحد مع سوريا والعراق ولبنان... الخ، بما يعني أن بلاد اليهود التي ذكرها الهمداني لا يمكن أن تكون أبداً جزءً من اليمن. وقد يقول البعض منهم بأننا ربما أسأنا تفسير كلام الهمداني، وربما يقول البعض من هؤلاء أيضاً بأننا فعلاً قد تعمدنا ذلك تحاملاً على بروفسورهم العملاق فاضل الربيعي.

حسناً يا قوم، لا مشكلة.. طالما وأننا نتفق أولاً على أن الأقاليم السبعة هي تقسيم بطليموس بناءً على خطوط العرض. فلنذهب من بعد الى جغرافيّ عربي آخر أخذ هو أيضاً بهذا التقسيم عن بطليموس، وليكن الجغرافي العربي الشهير شهاب الدين النويري[١].

---

[١]. المرجع السابق، ص ٧٣.

[٢]. المرجع السابق، ص ٧٣.

قد يتساءل البعض، لماذا شهاب الدين النويري؟!- والجواب: لأن النويري هذا نقل عن بطليموس حرفياً، وجاء بعد الهمداني بثلاثة قرون أي بعد أن تقدّم علم الجغرافيا العربي وتطّور وبلغ قمة نضوجه في القرن الثامن الهجري= الرابع عشر الميلادي، وصار مؤهلاً لأن يساهم في صنع أكبر نهضة علمية في تاريخ البشر، وهي النهضة التي انتشلت أوروبا من المستنقعات الضحلة ورفعتها الى مصاف الأمم المتقدمة لتبقى كذلك حتى اليوم، وبحسب من ترجموا للنويري فإن وفاته كانت في سنة (٧٣٣هـ)، فضلاً عن أن النويري قدم مصنفاً جغرافياً ومعجمياً ولغوياً ضخماً وشاملاً، جمع فيه علوم عصره كلها، حتى أعتبر مصنفه هذا بمثابة دائرة معارف شاملة لكل علوم العصر الذي عاش فيه النويري.

سوف نكتفي باقتباس ما قاله النويري عن الإقليمين المناخيين الثاني والثالث، ووصفه لهما كما جاء في كتابه "نهاية الأرب في فنون الأدب" حرفياً، وهو ما يلي:

"أما الإقليم الثاني. فيبتدئ من بلاد الصين، ويمر على بعض بلاد الهند الساحلية مثل تانة، وصيمور، وسندان؛ ومن بلاد السند على المنصورة وديبل، ثم يبلغ عمان. ويكون فيه من أرض العرب: نجران، وهجر، وجنابة، ومهرة، وسبأ، وتبالة، والطائف، وجدة، ومكة، والمدينة، ومملكة الحبشة، وأرض البجة، وأسوان، وقوص، والصعيد الأعلى، وجنوب بلاد المغرب حتى ينتهي إلى البحر المحيط؛ وعرضه من غاية الإقليم الأول إلى سبعة وعشرين درجة واثنتي عشرة دقيقة. وزعم (بطليموس) أن فيه أربعمائة وخمسين مدينة. وأهله بين السمرة والسواد، وهو كثير الذهب.

أما الإقليم الثالث. فمبدؤه من شرق أرض الصين، وفيه مدينة مملكتها، حمدان؛ وفيه من بلاد الهند تانش والقندهار، ومن بلاد السند المولتان وقزدار. ثم يمر ببلاد سجستان، وكرمان، وفارس، وأصبهان، والأهواز، والبصرة، والكوفة، وأرض بابل، وبلاد الجزيرة، والشام، وفلسطين، وبيت المقدس، والقلزم، والتيه، وأرض مصر، والإسكندرية، وبلاد برقة، وإفريقية، وتاهرت، وبلاد طنجة، والسومن،

---

[١]. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (٦٧٧- ٧٣٣ هـ = ١٢٧٨ - ١٣٣٣م)، عالم وبحاثة غزير الاطلاع، ينتسب إلى نويرة (من قرى بني سويف بمصر) ومولده ومنشأه بقوص. اتصل بالسلطان الملك الناصر ووكله السلطان في بعض أموره، وتقلب في الخدم الديوانية، وباشر نظر الجيش في طرابلس، وتولى نظر الديوان بالدقهلية والمرتاحية. اشتهر النويري بمصنفه الجغرافي واللغوي والمعجمي المشهور (نهاية الأرب في فنون الأدب)، وهو مصنف كبير جدا وأشبه بدائرة معارف جمع فيه كل ما وصل إليه العلم عند العرب في عصره، وقد توفي النويري في القاهرة.

وينتهي إلى البحر المحيط. وعرضه من غاية الإقليم الثاني في العرض إلى تمام ثلاث وثلاثين درجة وتسع وأربعين دقيقة. وزعم بطليموس أن فيه تسعا وخمسين مدينة. وأهله سمر" [١].

من المؤكد أن التطابق بين ما قاله الهمداني وما قاله النويري واضح تماماً. فقد أشار النويري -بصيغة صريحة لا يمكن إساءة فهمها- الى أن اليمن (نجران، مهرة، سبأ) تقع في الإقليم الثاني، وأن العراق والشام وفلسطين تقع في الإقليم الثالث.

ليس ذلك فحسب، بل أن النويري يقول: ***[.. والشام، وفلسطين، وبيت المقدس، والقلزم، والتيه..]***. بمطابقة ترتيب النويري هذا مع ما كان من ترتيب الهمداني وهو: ***[.. إيدوما وأرض سورية وأرض فلسطين وبلاد اليهود العتيقة من إيليا وتسمى بالعبرانيّة يرشلم]***، يتضح جلياً وجلياً جداً أن النويري أيضاً فصل وميَّز بين فلسطين وبيت المقدس، كما فصل الهمداني بين فلسطين وايليا التي هي اورشليم. ***وبأبسط قواعد المنطق، فإن إيليا التي هي اورشليم عند الهمداني، هي نفسها بيت المقدس عند النويري، وهذا ما سنثبته بالأدلة الجغرافية والتاريخية واللغوية القاطعة في سياق لاحق.***

إن كلام الهمداني ومن بعده النويري واضح للغاية، دون أن يكون فيما بيَّناه لنا أي شبهة لغوية أو تعبيرية أو سياقية تبرر أن يذهب المرء في تفسيره ذلك المذهب السخيف الذي ذهب إليه مفكرنا العبقري الفذ فاضل الربيعي. فأين هو هذا المفكر العربي العظيم، ليكشف لنا عن سر ومعنى ومبرر التمييز الذي أشار إليه النويري بين فلسطين وبيت المقدس؟!- وهل سيكون بوسع مفكرنا لو أنه كان يتعامل مع النويري وليس مع الهمداني أن ينقل بيت المقدس أيضاً الى نجران؟!- أو أن يقول بأن النويري كان يتحدث عن فلسطين أخرى غير فلسطين التي تقع بجوار بيت المقدس؟!

[١]. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٤. ص ١٩٨.

وهكذا، فإن نموذج بطليموس المناخي قائم على تقسيم الأقاليم السبعة بوضعها بين خطوط عرض أفقية تمتد من الشرق الى الغرب بدرجات وقياسات عينها بطليموس بأقصى دقة أمكن التوصل إليها بأدوات وامكانيات عصره، ووفق هذا التقسيم تحدث الهمداني عن أرض سوريا وايدوما وأرض فلسطين وبلاد اليهود من ايليا التي تسمى أورشليم باعتبارها مناطق متجاورة ومتلاصقة تقع في نطاق الإقليم المناخي الثالث، ووفق هذا التقسيم البطلمي أيضاً تقع أغلب أجزاء اليمن في نطاق الإقليم المناخي الثاني، ولا يقع أي جزء منها في الإقليم الثالث، بل أن حدود الإقليم الثالث تقترب كثيراً من تحديد الهمداني لحدود اليمن الطبيعية من الجهة الشمالية، كما تفصل بين اليمن وأرض سوريا وايدوما وأرض فلسطين وبلاد اليهود أجزاءً أخرى من جزيرة العرب تقع في وسطها وهي الحجاز ونجد والعروض.

وبناءً على ذلك، فإن الهمداني كان يشير بوضوح وبقصد ثابت وراسخ الى أن ايليا التي هي أورشليم هي أرض مجاورة لأرض سوريا التي هي أرض بني اسرائيل، ومجاورة أيضاً لأيدوما (شرق نهر الأردن حالياً- موآب في التوراة)، ومجاورة لأرض فلسطين، ومن خلال مطابقة ما جاء على لسان الهمداني وما أثبته النويري وغيره من الجغرافيين العرب والاغريق، فإن إيليا هذه اسمها أيضاً أورشليم، وبحسب النويري فإنها صارت في عصر السيادة العربية والاسلامية تسمى "القدس" وتسمى أيضاً "بيت المقدس".

إذا لم يبدو ما تقدم مقنعاً للبعض وماحقاً بالفعل لادعاءات الربيعي وغيره، فإنه ما يزال لدينا الكثير مما ينبغي التدرج في عرضه وتقديمه من الأدلة الجغرافية والتاريخية واللغوية التي تدحض هذه النظرية وتصيبها في مقتل محتم، ولسوف نستمر في عرضها حتى نصل الى ما يتعلق منها بتفسير ذلك التمييز الذي قال به كل من بطليموس أولاً، ثم قال به الهمداني ومن بعده النويري بين إيلياء التي هي أورشليم من جهة، وبين فلسطين من جهة أخرى، فضلاً عن تفسير التمييز الآخر الذي قال به الهمداني بين أرض بني اسرائيل التي هي سوريا وبلاد اليهود، وهذا التمييز الأخير هو نفسه الذي تجاهله الربيعي تماماً وتحاشى ذكره كلياً.

خلاصة الأمر حتى هذه النقطة نقولها وبكل ثقة ويقين، هي أن تفسير الربيعي لفقرة الهمداني ومن ثم تفسيره لكل ما جاء في كتاب الهمداني، ليس إلا تفسيراً مختلقاً ومضللاً ولا أساس له، بل ولا يستند الى أدنى درجات المنطق، وهذا فضلاً عن كونه يتعارض تعارضاً صارخاً وفاضحاً ومروعاً مع الحقائق الجغرافية، وسأكون صريحاً ومغالياً في الصراحة وأقول بأن ذلك التفسير ليس إلا نوعاً من الاستخفاف بعقول القراء، ونموذجاً رديئاً من التلفيق والتزييف وقلب الحقائق وتشويشها بنيّة مسبقة وارادة قاصدة ومتعمدة، وإلا فكيف تجاهل صاحبه كل هذه الحقائق التي عرضناها حتى الآن؟!

إني بحق لغير آسف على ما سوف يؤول إليه حال مفكرنا الربيعي عندما يعلم تماماً بأن هذه الحقائق الثابتة والراسخة والتي تقف بكل قوة في وجه نظريته العجفاء ستكون في معرض انتباه وتفكير جميع القراء منذ الآن، خاصة وأن لا أحد من النقاد قد تطرق إليها من قبلنا، ومن حيث أنه لن يكون بوسعه أو أحداً سواه أبداً –وأبداً أبداً– أن يجد له مخرجاً من هذه الورطة العنيفة والمستحيلة الحل.

السؤال الأهم، كيف يكون ذلك كله الذي وصفه الهمداني شهادة تاريخية بأن اليمن هي أرض التوراة؟!

لن نترك بعد اليوم سؤالاً نطرحه بدون اجابة، فالجواب هنا هو أن لا شهادة في كتاب الهمداني كما يتوهم الربيعي ويوهم بذلك قراءه، ولا هم يحزنون. فأوهام الربيعي بلغت مبلغاً صعباً بحيث لا يصدقها إلا المغفلون، وإلا فكتاب الهمداني في متناول أيدي الجميع، وليتهم وحسب يقرأون..!!

إن كل كلام الربيعي عن ايليا أو اورشليم أو بلاد اليهود بأنها تقع في اليمن وأن ذلك هو ما قاله الهمداني ومن قبله بطليموس، هو محض افتراء مقصود، ومحاولة فاشلة وسيئة لتحريف الحقائق. فكما تبين آنفاً بالدليل الجغرافي الثابت والواضح، فقد جاء ذكر الهمداني لفلسطين وايليا بعد ذكره لسوريا وايدوما وكل ذلك في ترتيب جغرافي دقيق قائم على التجاور الحتمي والقطعي، فسوريا تقع في جوار ايدوما، كما أن سوريا أيضاً تقع في جوار فلسطين وايليا، وهن

جميعاً على ذلك متجاورات وكل منها تحد الأخرى جغرافياً وفق تقسيم الأقاليم السبعة لبطليموس التي تمتد على شاكلة خطوط العرض المعروفة في الجغرافيا الحديثة، وهو التقسيم الجغرافي الذي أخذ به الجغرافيون العرب وطبقوه في مصنفاتهم الجغرافية على مدى أكثر من (٧٠٠) سنة، فضلاً عن أن هذا هو نفسه ما أكد عليه كل الإخباريون واللغويون المعجميون والمؤرخون والبلدانيون والرحالة العرب والمسلمون في كتبهم التي تعد بالمئات.

ترى، كيف سيواجه الربيعي كل تلك المصنفات اللغوية والإخبارية والمعجمية والتاريخية والجغرافية التي تركها العرب القدماء وتشكل رصيداً معرفياً هاماً لكل البشرية؟!- وهل ستنفع معها حيلته الدفاعية المسبقة عن هجرة القبائل وانتقالها ونقلها لأسماء أماكنها الأصلية واطلاقها على المناطق التي هاجروا إليها؟!

الفصل الثاني

بين شهادة الهمداني وحديث إفك الربيعي

جينا اهجدوا..!!

قبل كل شيء، ينبغي أن نتوقف عند المصطلح الرئيسي الذي صاغه الربيعي إزاء ما جاء في كتاب صفة جزيرة العرب، وهو مصطلح *(شهادة الهمداني)*، وكيف يمكن أن نفهم دلالته ومغزاه من حيث ما عبر عنه مفكرنا من جهة، ومن حيث ما هو عليه بالأصل مضمون كتاب الهمداني من جهة أخرى.

ما معنى (شهادة الهمداني) وفق تعبيرات المفكر العربي الفاضل؟!

من أجل الإجابة على هذا التساؤل، لابد من إعادة تجميع وتقديم خلاصة آراء الربيعي ومقولاته في المواضع الثلاثة التي أوردناها – بصيغ حرفية– في الفصل السابق، إزاء ما عبرت عنه فقرة الهمداني ودلّ عليه مجمل ما تضمنه كتابه، وذلك بإيجاز ووضوح على النحو الآتي:

"لقد قدّم الهمداني شهادة تتطلب تأملاً علمياً عميقاً، من حيث تفيد هذه الشهادة بأن ما يدعى في التوراة بجبال اليهودية– أو مملكة يهوذا في التراث الكتابي– لا يقصد به شمال فلسطين، إذ لا يوجد دليل لغوي أو جغرافي على ذلك، بل أن بلاد اليهودية هي سرو حمير (ونجران هي في آخر هذا السرو الممتد من صنعاء). فقد ميز الهمداني بدعم من بطليموس بين فلسطين وبلاد اليهودية، لأن كل منهما تقع في حيز جغرافي مغاير، إذ تقع فلسطين في الشام، وبلاد اليهودية في نجران في اليمن، وأن المستشرقين هم من روجوا بأن فلسطين عُرفت باسم إيليا بهدف التضليل، وبناءً على ذلك فإن أحداث سفري المكابين–كما شرحها الربيعي في كتابه– قد وقعت في اليمن في سياق طموح الامبراطورية الرومانية لبسط نفوذها على سواحل البحر الأحمر، وهذا يعني في المقابل بأن تلك الغزوات والحروب لم تحدث في فلسطين (الشام)، وهذا بالضبط هو المعنى العميق والمتضمن في تمييز الهمداني بين فلسطين وبلاد اليهودية. فالهمداني وبطليموس كانا يعرفان الفرق الشاسع ويدركان أن فلسطين في العصر الروماني المبكر شيء وبلاد اليهودية شيء آخر، ويعرفان أيضاً أن

بلاد اليهودية العتيقة التي دارت فيها أحداث سفر المكابين ليست أرض فلسطين، كما أنها ليست أرض سورية- بلاد الشام (أو جنوب الشام) بل هي مكان آخر، ومن ثم، فإن إيلياء- التي أشارت إليها فقرة الهمداني- لم تكن في فلسطين ولم يكن اسمها القدس أيضاً، وأن وجود اسم ايلة- التي هي ايليا كما يدعي الربيعي- في فلسطين، ناتج عن هجرة القبائل العربية بما فيها قبيلة بني اسرائيل إلى الشام، حيث طبعت هذه القبيلة على مواطنها الجديدة ذكرياتها القديمة في صورة أسماء قديمة على غرار ما كانت عليه أسماء المواضع والأوطان الأم[١].

إذن، فكلام الربيعي هذا يضعنا أمام احتمالين:

الاحتمال الأول، أن تكون شهادة الهمداني بخصوص ما يدعيه مفكرنا العربي صريحة وواضحة، ويمكن إدراكها بدون لبس أو غموض. وهذا غير صحيح، من حيث أثبتنا في الفصل السابق أن هذا الاحتمال غير متحقق البتة، ولا وجود له على الإطلاق حتى في حرف واحد مما كتبه الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب، أو في كتبه الأخرى التي وصلت إلينا.

الاحتمال الثاني، أن يكون قصد الربيعي أن الهمداني قد أدلى بشهادته تلك من حيث لم يكن يعلم بأنه يصف في حقيقة الأمر جغرافية بلاد التوراة. وبصيغة أخرى أن عبقري الجغرافيا والتاريخ والفلسفة والفكر العربي في القرن العاشر الميلادي ولسان اليمن الهمداني عندما وصف جغرافية اليمن لم يكن يعلم بالفعل أنها هي نفسها جغرافية أحداث التوراة، ولم يكن لديه أدنى علم بأن وصفه جاء مطابقاً لما ورد في التوراة.. ***فهل هذا ما يجب أن نصدقه؟!***

في واقع الحال، فإن الاحتمال الأخير يجعلنا نقف أمام تأويل صاغه مفكرنا الربيعي لكلام الهمداني، وليس أنه بالفعل ما صرَّح به هذا الأخير، بل ويمكن القول أن الأمر قد تجاوز مجرد التأويل وتعداه الى ما يمكن وصفه بـ***"حديث إفك"*** اختلقه مفكرنا ولا أساس له.

نعم، إنه حديث إفك ربيعي لا أكثر، خاصة وقد كشفنا في الفصل السابق عن واحد من أهم وأكبر الأخطاء الفادحة التي ارتكبها مفكرنا قاصداً ومتعمداً، وأثبتنا بما لا يدع مجالاً للشك

[١]. هذه الفقرة تلخيص حرفي للمقولات التي صاغها الربيعي في المواضع الثلاثة التي أوردناها حرفياً في الفصل السابق من: فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، مرجع سابق، (١/٤٤، ١/ ٤٠٨، ٢/ ٥٦٠).

وبلغة الجغرافيا وأدواتها العلمية والمنهجية بأنه قد وقع في مشكلة عويصة، وأوقع نفسه في مأزق مستحيل الحل بسبب هذا التفسير الذي قدمه. فإيليا التي هي أورشليم بحسب الأساس الابستمولوجي الذي وضعه بطليموس في تقسيمه الجغرافي للأقاليم المناخية السبعة–الذي نقله عنه الجغرافيون العرب والمسلمون ومنهم الهمداني– لابد وأن تقع بالفعل في الاقليم المناخي الثالث بجوار سوريا وايدوما، ويستحيل على الإطلاق وفق هذا الأساس وهذا التقسيم أن تقع في اليمن، لأن اليمن تقع في الاقليم المناخي الثاني.

كما أثبتنا أيضاً، أن وصف الهمداني الدقيق لجغرافية اليمن الطبيعية لم يتضمن أو يُشر أبداً إلى أي وجود لأي إيليا تسمى أورشليم فيها، وهذا كله يعد بمثابة دليل جغرافي وتاريخي قاطع على عدم صحة تفسير صاحبنا الربيعي، ودليل كاف لإثبات أن كل مقارباته بين أسماء الأماكن الواردة في النص التوراتي وأسماء الأماكن التي ذكرها الهمداني لا أساس لها من الصحة أبداً من كافة النواحي اللغوية والجغرافية والتاريخية، وبالتالي فإن تلك المقاربات والمقارنات جميعاً لابد وأن تسقط وتتهاوى وتنهار بشكل كلي في ضوء تلك الأدلة، والتي عززناها بشهادة أحد أقطاب الجغرافية العربية في العصر الوسيط وهو شهاب الدين النويري.

ولعل القارئ العزيز قد لاحظ أيضاً أننا لم نأتِ بأدلة من خارج منظومة المصادر التي اعتمد عليها الربيعي، بل استخدمنا المصادر والأدلة نفسها التي عرضها هو لتدعيم ادعاءاته. فما قمنا به لا يعدو أكثر من إعادة أدلته إلى وضعها الصحيح وفق منهجية قلب الدليل، والتي قمنا بتطويرها واختبارها طوال عامين كاملين فقط لأغراض هذه الدراسة، إذ قمنا بتصميم هذه المنهجية بهدف تقييم مستوى الموضوعية والدقة والصدق العلمي والمنطقي لأطروحات من هذا النوع من جهة، والكشف عن حجم ونوع التضليل والتزييف الذي يمكن أن يكون قد مورس فيها من جهة أخرى. فالدليل العلمي على سبيل العموم والتاريخي على وجه الخصوص لا يمكن أن يثبت مقولتان متناقضتان ومتصادمتان تسيران في اتجاهين متقاطعين، وإنما يثبت مقولتان متوازيتان تسيران في نفس الاتجاه من حيث أن الإثبات يحتمل وجهان، هما: ***(الإيجاب والنفيّ)***.

هذا ما ينطبق على ما قمنا به إزاء فقرة الهمداني التي اعتبرناها مركزاً مشتركاً بيننا وبين الربيعي، من حيث أنها في سياقها العام الذي وردت فيه ومنطوقها الصريح الواضح الذي لا يحتاج إلى تأويل ولا ينطوي على أي لبس أو خلط أو اشتباه، لا يمكن أن تثبت أن بلاد اليهود من إيليا التي تسمى أورشليم تقع في اليمن في الوقت نفسه الذي تثبت فيه أنها تقع بجوار سوريا وايدوما. فهذان الاستنتاجان يسيران في اتجاهين متصادمين، ومن ثم، إذا كان هناك ما تثبته تلك الفقرة فهو إما أن تكون بلاد اليهود واقعة في نطاق جغرافية اليمن كما ادعى ذلك الربيعي، وبالتالي فهي تنفي أن تكون بلاد اليهود تلك واقعة بجوار سوريا وايدوما، أو أن تثبت العكس من ذلك وهو أن بلاد اليهود تقع بالفعل بجوار سوريا وايدوما، من جهة، وتنفي أن تكون واقعة في نطاق جغرافية اليمن من جهة أخرى، وعلى غرار ذلك تكون سائر النتائج التي نتوصل إليها باتباع هذا المنهج.

إن دافع التركيز على فقرة الهمداني والانطلاق منها بالنسبة لتقييم مدى موضوعية ومصداقية التفسير الذي قدمه فاضل الربيعي، ينبع من أهمية ما عبّرت عنه وجاء فيها في الوقت الذي اعتبرها الربيعي شهادة جغرافية وتاريخية تدعم وتؤكد نظريته بشأن موقع بلاد اليهود العتيقة من إيليا التي تسمى أورشليم، غير أننا أثبتنا وبكل ثقة ورسوخ أن الأمر في حقيقته على العكس من ذلك تماماً، وهو أن فقرة الهمداني وسائر ما جاء في كتابه تؤكد على أنه وبطليموس كانا يقصدان بشكل راسخ أن بلاد اليهود تقع بالجوار من سوريا وايدوما، وهو ما أثبت بدوره أن تحليل الربيعي وتفسيره غير صحيح على الإطلاق، وأنه ليس إلا محض تلفيق وتحريف متعمد للحقائق.

أما الدافع إلى الاستمرار في تقديم الأدلة من جهتنا، فيأتي من كون المفكر الفاضل ظلَّ يؤكد مستمراً وطوال الوقت على ما يصفه دائماً بـ"***شهادة الهمداني***"، التي كشفت عن حقيقة أن موطن أحداث التوراة وشخصياتها والجماعات التاريخية التي ورد ذكرها فيها حسب زعمه. فبحسب تصريحات له من هذا النوع، فإننا "***مع الهمداني لا نحتاج إلا لقليل من التبصر ورؤية التوصيفات الجغرافية الدقيقة للجماعات نفسها، ولمنازلها التاريخية وبالصيغ والتراكيب اللغوية***

ذاتها من دون أدنى تلاعب" [١]. ***"وأورشليم التي سقطت في يد الملك داوود في التوراة ليست القدس العربية، وليست في فلسطين التاريخية، بل هي أورشليم (أورسلم) السراة اليمنية كما وصفها الهمداني."*** [٢]. ومن ثم، فإن ***"تصورات الهمداني المتطابقة كلياً وحرفاً بحرف مع ما جاء في سفر صموئيل- وغيره من أسفار التوراة- تكشف عن حقيقة أن الرواية الاستشراقية لأحداث التوراة ليست إلا اختلاقاً"*** [٣].

وعلى هذا المنوال ترددت تأكيدات مفكرنا بلا توقف.

في الحقيقة، أن مثل هذه التصريحات والادعاءات الانشائية الجازمة تُضاعف من حدة المأزق الذي وقع فيه مفكرنا، لاسيما وأنه من السهل جداً على أي أحدٍ أن يعود إلى كتاب الهمداني ويتحقق مما جاء فيه، ومن صدق وموضوعية هذه التصريحات والمقولات العبقرية التي صاغها مفكرنا الفذّ، ولكن هذا لا يمنع من إعادة النظر والأخذ باحتمال أن يكون هذا المفكر قد وضعنا بالفعل أمام قراءة جديدة وصحيحة تقدم لنا حقائقاً ربما كانت محجوبة عن أبصارنا وإدراكنا لسبب أو لآخر، يتبين معها أن كتاب الهمداني قد تضمن شهادة مفادها أن أحداث التوراة قد جرت في اليمن وليس في فلسطين.

تدفعنا تلك التصريحات إلى الاستمرار في دراسة وتحليل طرح الربيعي إزاء فكرة محورية واحدة نقف عليها من أول كتابه إلى نهايته، إذ أن تعامله مع فكرة من هذا النوع على مدى كتابه كاملاً لابد وأن يكشف عن كافة الإجراءات والأساليب التي استخدمها في بناء استدلالاته وتقديمها، وهذا بدوره يغني عن الوقوف على محتوى كتابه كله، وذلك في إطار ما يُعرَف منهجياً بـ ***"التحليل الموضوعي"***.

وفق هذه المنهجية سنرى من بعد إلى أين يمكن أن نصل مع تلك المعالجات والتفسيرات التي قدمها مفكرنا العبقري.

---

[١]. المرجع السابق، ١/ ٣٢٤.
[٢]. المرجع السابق، ١/ ٢٤٩.
[٣]. المرجع السابق، ١/ ٣٤٤.

[1]

أوهام وقعقعات مُتخيّلة

لاستئناف بحثنا، لابد من العودة إلى فقرة الهمداني نفسها، ولننطلق هذه المرة من حيث أشارت إلى أن بلاد اليهود العتيقة قد عُرفت وأُشتُهرت باسمين، الاسم الأول: إيليا أو إيلياء، أما الاسم الثاني فهو (يرشلم) وتعربه العرب وتقول (أوراشلم)، أو كما جاءت في عبارة أخرى صريحة يوردها الهمداني، قائلاً: "*.. وإيليا هي أوري شلم*"[١]– مكتوبة هكذا في هذه الفقرة من كتابه.

الجدير بالذكر والتنويه إليه، بل والجدير بالتأكيد عليه هنا هو أن عبارة "***بلاد اليهود العتيقة***" تُعّدُّ في حقيقة الأمر تسمية اصطلاحية كانت سائدة في عصر بطليموس وليست كما قد يتصور البعض بأنها تعبير وصفي استخدمه الهمداني، وهو المصطلح نفسه الذي يرد في بعض الأسفار التوراتية مرتبطاً بمرحلة معينة من مراحل التاريخ المروي فيها على غرار: "***بلاد اليهود، بلاد اليهودية، جبال اليهودية، اليهودية***".

من المؤكد أن الهمداني قد أدرك في عصره حقيقة ما قام بنقلها كما هي عن بطليموس، وتثبَّت منها بما يكفي ليُصرِّح بها، نقصد بذلك حقيقة أن لبلاد اليهود العتيقة اثنين من الأسماء قد أطلقا عليها أو على حاضرتها أو مدينتها أو قصبتها، وهما: ***(إيليا أورشليم)***. وكما هو معلوم، فإن تعدد أسماء المكان الواحد أمر شائع في مجال الأعلام والأسماء الجغرافية. فكثيراً ما يحدث أن يُطلق على المكان أو الموضع الواحد أكثر من اسم، ويحدث أيضاً أن يسود أحد تلك الأسماء على البقية الأخرى في عصر ما أو على مدى عصور طويلة، في الوقت الذي تبقى فيه بقية الأسماء محفوظة في الذاكرة الجمعية لسكان المكان نفسه والمنتمين إليه، ولربما يأخذها عنهم وينقلها الغير من خارج نطاقهم الجغرافي أيضاً.

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٣٤٣.

وعلاوة على إن تعدد أسماء الأماكن الجغرافية يعتبر حقيقة ثابتة لا مجال لإنكارها أو تجاهلها، فإن هذه الظاهرة نفسها غالباً ما تحتمل أبعاداً ودلالات لغوية وحقائق ومعارف تاريخية متعددة ومتنوعة. فعلى سبيل المثال احتفظت صنعاء اليمن باسمها الشهير هذا، في الوقت الذي تذكر فيه المصادر القديمة أن من أسمائها أيضاً: مدينة سام، أزال/ أوزال[١]. وكذلك، فإن من أسماء دمشق: جيرون، الشام، بلاد آرام[٢]. وبالمثل أيضاً، نجد أن بغداد قد أطلق عليها اسم (دار السلام)- وهي تسمية رأى البعض أنها قديمة وتم احيائها من قبل الخليفة العباسي الذي اختارها عاصمة لدولته، لاسيما أنها تحتمل نفس المعنى الذي يشير إليه اسم أورشليم[٣].

لذا، لا ينبغي أن تكون مفاجئة لنا إشارة الهمداني إلى ظاهرة تعدد أسماء الأماكن الجغرافية بشكل قصدي مباشر في فقرته تلك، ناهيك وأن استحضارها من قبله جاء مرتبطاً بأهم وأبرز الأماكن والمواضع التي تحتفي بها نصوص التوراة وسائر أسفارها الأخرى وأدبياتها.

لقد خلعت النصوص الكتابية للتوراة على (اورشليم) العديد من الأسماء. إذ أطلقت عليها اسم (مدينة شاليم) في (سفر التكوين، ١٤: ١٨): ***"وَمَلْكِي صَادِقُ، مَلِكُ شَالِيمَ"***. وسُمِّيت أيضاً (ساليم) و(صهيون) في (المزمور، ٧٦: ١- ٢): ***"اسمه عظيم في إسرائيل. كانت في ساليم مظلته، ومسكنه في صهيون"***، ويرد ذكرها باسم (حصن صهيون) في (سفر صموئيل الثاني، ٥: ٨): ***"لكنَّ داوُدَ احتَلَ حِصنَ صِهيونَ وهوَ مدينةُ داوُدَ"***. وقبل أن تكون أورشليم قد حملت اسمها هذا يرد في التوراة أنها كانت تسمى (يبوس أو مدينة اليبوسيين) كما في (سفر القضاة، ١٩: ١٠- ١١): ***".. بَلْ قَامَ وَذَهَبَ وَجَاءَ إِلى مُقَابِلِ [يَبُوسَ]، هِيَ [أُورُشَلِيمُ]... قَالَ الْغُلاَمُ لِسَيِّدِهِ: تَعَالَ نَمِيلُ إِلى [مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ] هذِهِ وَنَبِيتُ فِيهَا"***، وأطلق عليها كذلك اسم (اريئيل)

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٨٢. وكذلك: أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازي الصنعاني (ت: ٤٦٠هـ): تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين بن عبد الله العمرى، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩. ص ٧٠.

[٢]. حول أسماء دمشق وتاريخها، راجع: أحمد الأيبش وقتيبة الشهابي: معالم دمشق التاريخية، مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٨.

[٣]. سهيل زكار: التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، الطبعة الأولى، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ٢٠٠٧. ص ٥٢.

في (سفر أشعيا، ٢٩: ١): ***"وَيْلٌ لـ [أَرِيئِيلَ]، لـ [أَرِيئِيلَ] قَرْيَةٍ نَزَلَ عَلَيْهَا دَاوُدُ"***. كما يرد ذكر أورشليم أيضاً باسم (مدينة القدس) في (أشعيا، ٤٨: ٢): **"لأَنَّ مِنْ [مَدِينَةِ الْقُدْسِ] دُعُوا"**.

بيد أننا لا نجد في النصوص التوراتية أن (أورشليم) قد أطلق عليها اسم (إيليا)، بل يرد هذا الاسم الأخير في التوراة باعتباره اسم علم لنبيّ من أنبياء بني اسرائيل يدعى ***(إيليا التشبي)*** وشهرته في الغالب ***(إيليا النبي)***، كان قد أُرسل إلى اليهود بعد أن تحولوا إلى الوثنية أو خرجوا عن جادة العقيدة الموسوية الأصلية، أو شيء من هذا القبيل، في عصر انقسام المملكة كون إيليا هذا يُعد من أنبياء المملكة الشمالية، وذلك على نحو ما ورد ذكره لعدة مرات في (سفر الملوك الأول، ١٧: ١): ***"قال [إيليا التشبي] من سكان جلعاد لآخاب.."***.

نخلص من ذلك، إلى أن التوراة لم تُشر صراحة أو ضمناً إلى أن اسم (إيليا) قد أُطلق على بلاد اليهود العتيقة التي عرفت كذلك بالاسم التوراتي الصريح (أورشليم)، وعلى الرغم من أن الاسم (إيليا) ليس غريباً عن النص التوراتي وعن بيئته الجغرافية والتاريخية، إلا إن هذا لا يلغي واقع أننا من خلال الشواهد التوراتية من جهة، وما تضمنته أيضاً فقرة الهمداني من جهة أخرى، نقف أمام تسميتان أطلقتا على مكان واحد- مكان واحد بالضبط وبالتحديد- اصطلح على وصفه بـ "بلاد اليهود العتيقة"، وأنه أينما استخدمتا ووردتا أياً من هاتين التسميتين بمفردها أو كلاهما معاً، فإنهما تشيران إلى نفس ذلك المكان.

يدعونا هذا الاستخلاص إلى طرح سؤال عمّا إذا كان اسم (إيليا) قد أطلق على بلاد اليهود العتيقة نسبة إلى ذلك النبي المذكور في التوراة في عصور لاحقة على الانتهاء من كتابة وتدوين أسفار التوراة بحيث يكون هذا سبباً في عدم وروده في العهد القديم كاسم لتلك البلاد التي كانت تسمى أيضاً يرشلم وتعربه العرب وتقول أوراشلم أو أوري شلم؟!- أم أن هناك أسباباً وعوامل أخرى كانت وراء اطلاق هذه التسمية (إيليا) عليها؟!

هذا سؤال ذو مغزى بالغ الأهمية، من حيث ينبغي التأكيد على أن ظاهرة تعدد أسماء بلاد اليهود العتيقة وحاضرتها اورشليم، وكذا اطلاق اسم آخر عليها لم يرد في النص التوراتي- أي أنه اسم غير توراتي- لابد وأن يفيدنا كثيراً في تقصي الحقائق التاريخية والجغرافية لموقع

هذه البلاد، خاصة وأن ذلك يضعنا أمام اشتراطات جوهرية ينبغي توفرها وانطباقها على أي مكان أو موضع يُحتمل أو يُتوقع أنه هو الموقع الجغرافي لبلاد اليهود العتيقة من إيليا والتي كانت تسمى أيضاً أورشليم.

على هذا الأساس، يكتسب اسم (إيليا) أهمية شديدة في سياق هذا البحث وأهدافه، خاصة وأنه يساعدنا في تبيان حقيقة ما أشار إليه الهمداني وعبَّر عنه بدقة متناهية في تلك الفقرة وفي عموم ما جاء في كتابه، علاوة على أنه اسمٌ غريب وغير موجود البتة في نطاق الجغرافية اليمنية سواء في ضوء الوصف الدقيق والمفصل الذي قدمه الهمداني، أو في ضوء ما تقدمه لنا سائر المصادر الجغرافية والتاريخية العربية القديمة الأخرى، وهذا ليس افتراضاً بل حقيقة قدَّمها لنا مفكرنا الفاضل على طبق من ذهب وبشكل غير مباشر، ومن حيث لم يكن ذلك في مراميه أو في نطاق ادراكه البتة.

هذا بالضبط، ما سيتبين لنا بقدر كبير من الوضوح من خلال دراسة وتحليل المعالجة التي تضمنها كتاب "فلسطين المتُخَيَّلة" حول (إيليا)، من حيث حاول مؤلف الكتاب متعسفاً إثبات أن بلاد اليهود العتيقة تقع في نطاق جغرافية اليمن، ومدعياً بصيغ صريحة وواضحة أن ذلك هو ما شهد به الحسن بن أحمد الهمداني، لولا أن محاولته التعسفية وغير الموضوعية تلك قد باءت بالفشل الذريع، وهو الفشل الذي لم يردعه أو يثنيه عن الاستمرار في تزييف وتشويه حقائق التاريخ والجغرافيا، وتلفيق الادعاءات الباطلة، والتضليل عن الحقائق بإرادة عالمة وقصد عمديّ.

لقد أخبرنا الهمداني بنفس ما عبّر عنه في فقرته تلك من كتابه "صفة جزيرة العرب" في الجزء الثامن من كتابه (الإكليل)، ومن الأفضل أن نورد ذلك بسياقه الكامل. فعن ***[قبر في حراء]***، يقول الهمداني[١]:

---

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: الإكليل- الجزء الثامن، حرره وعلق عليه: نبيه أمين فارس، دار الكلمة، صنعاء، دار العودة، بيروت، (ب. ت). ص ١٦٩- ١٧٠.

"وروى ابن لهيعة قال: لما أصاب داود عليه السلام الخطيئة أعمل الاختلاف الى غيران العبَّاد حتى وقع على حراء، جبل العبّاد، فأوحي إليه أن يدخل غار بالقرب منه فهبط إليه داود فإذا فيه [ميّت مسجي]، وإذا عند رأسه صفيحة من نحاس مكتوب فيها: "أنا ذو شلَّم الملك ملكت ألف سنة ونكحت ألف عاتق ثم صرت الى الأرض فراشي التراب ووسادي الحجر وجيراني الدود فمن رآني فلا يغتر بالدنيا بعدي".

وهذا الملك لم يشتهر خبره عند العلماء. ويروى أنه يريد في خبره بُعد داود عليه السلام.

قال الهمداني: إني لا أرى في هذه الأشياء المستنكرة في الزبر القبورية إنما يكون من الذين يكتبونها فيزيدون في الشيء ما ليس فيه ليعظم ذلك عند من بعدهم فيزهدوا في الدنيا ويعلمون أنهم من دون من فرطهم.

شَلَّمُ هي إيلياء وقد تعربها العرب فتقول (سَلِم) قال الأعشى:

وقد طفت للمال آفاقه * عمَّان فحمص فأوري سَلِم**

وقال العبرانيون وهي يورَشَلِم".

نلاحظ أن الهمداني يستنكر وجود ملك اسمه (ذو شلم)، ويعتبر ما جاء عنه في الصحيفة المكتوبة التي تتحدث عنها الرواية بأنها من الزيادات والتحريفات التي يضيفها كُتَّاب الزبوريات لتعظيم الأمور والمبالغة في شأنها للعظة والعبرة، بل ويستنكر الهمداني أيضاً أن يكون شيئاً من ذلك قد وجد في حراء– بالقرب من مكة–، مؤكداً على أن ***شَلَّمُ هي إيلياء وقد تعربها العرب فتقول (سَلِم)***، مستشهداً ببيت شهير للأعشى وضع أورشليم بجوار (عمَّان وحمص)، وإلا فما قيمة استدراكه بذكر موقع شلم والتأكيد على أن المقصود بها هو (إيلياء)، وما قيمة استشهاده بشعر الأعشى..؟!!

وفي موضع سابق من نفس الكتاب– الإكليل الجزء الثامن– يقول الهمداني[١]:

"فاجتمعت جرهم وعدنان وطسم وجديس والعمالقة وجميع العرب والتقوا ببني اسرائيل لقتالهم فهزموهم الى (بيت المقدس) وأخذوا التابوت على بني اسرائيل..".

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٦٣.

هذه شهادة واضحة من الهمداني تسير في اتجاه معاكس وعلى النقيض تماماً لما يدعيه الربيعي، خصوصاً إذا ما أخذنا بالاعتبار أن هذا بالضبط هو ما تنطق به فقرة الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب التي جاءت في سياق تحديد جغرافي دقيق وفق تقسيم بطليموس للأقاليم السبعة، وأن إيليا هي أورشليم وهي أيضاً بيت المقدس، وأن حرباً جرت بين العرب شمولاً وبني اسرائيل، هُزم فيها هؤلاء الاسرائيليين ودُحروا الى مواطنهم في بيت المقدس.

فعن أي شهادة يتحدث الربيعي؟!

لقد حاول رائد النظرية الأول كمال الصليبي أن يستخدم رواية الهمداني التي أوردناها آنفاً عن قبر بحراء بطريقة ما لتدعم نظريته بأن جغرافية أحداث التوراة تقع في عسير وغرب جزيرة العرب، إذ قال[١]:

".. وقد أرشدني مؤخّرًا صديقي الباحث فرج الله صالح ذيب إلى ما يقوله... الهمداني، صاحب "كتاب الإكليل"... بهذا الشأن، نقلًا عن قدامى رواة الأخبار من أهل اليمن. ومن ذلك خبر هروب داود في وقت من الأوقات، ودخوله إلى الغار في جبل حراء، خارج مكّة".

كانت هذه واحدة من الاستشهادات الانتقائية التي فشل الصليبي في استخدامها لإيهام القراء وتضليلهم، بأن ثمة مرويات عن قدماء أهل اليمن تشي بأن بلاد اليهودية كانت في اليمن، وكما تبين لنا من سياق الرواية كما أوردها الهمداني، فإن مثل هذا الإيهام لا يعدو أكثر من حديث إفك لا أكثر، وهذا ما ينطبق حرفياً على أوهام الربيعي وادعاءاته.

بالعودة إلى كتاب الربيعي "فلسطين المتُخَيَّلة"، والبحث عن مواقع المعالجات التي قدمها بشأن ما ورد في فقرة الهمداني، وبالأخص ما يتعلق منها بتفسيره لاسم (إيليا)، نجد أنه وعدا عن المواضع الثلاثة التي بينًّاها في الفصل السابق، قدم ثلاث معالجات في ثلاث مناطق نائية

---

[١]. كمال الصليبي: حرب داود: الأجزاء الملحميَّة من سِفر صموئيل الثاني مترجمة عن الأصل العبري، دار الشروق، عمان– الأردن، ١٩٩١. ص ١٩.

وجرداء ومنفصلة عن بعضها البعض: موضع واحد في المجلد الأول، وموضعان اثنان في المجلد الثاني.

نبدأ بالموضع الأول، حيث نمضي مع الربيعي في سياق رحلة جغرافية بحثاً عن إيليا التي ذكرها الهمداني. ففي منطقة نائية من المجلد الأول من كتابه توقف فيها عند النص التوراتي من (سفر التثنية، ٢: ١: ١٣): ***"فعبرنا بعيداً عن اخوتنا بني عيسو المقيمين في سعير من طريق العربة من أيلة ومن عصيون جابر وتحولنا وعبرنا طريق برية موآب".***

يفسر الربيعي هذا النص التوراتي، قائلاً[١]:

"ظن الكثيرون خطأ أن (إيله) في هذا النص هي ذاتها (مدينة وميناء العقبة الأردنية)، فيما هي (أيله) المدينة الساحلية القديمة المندثرة، التي عرفتها القبائل العربية باسم (إيليا- إيلياء).

إن أيله- إيليا هذه هي المدينة القديمة التي وصفها القرآن بـ (حاضرة البحر)، وأشار إلى كونها مدينة يهودية بآية صريحة. ونحن نميز بينها وبين (إيله الجبل)، وهما معاً من المواضع الساحلية على البحر الأحمر. وسوف نلاحظ في ضوء المرويات والأشعار أن المتأخرين من اللغويين والجغرافيين العرب والمسلمين، لم يعرفوا (إيلياء) هذه، ولم يميزوا أو يحددوا مكانها. ولذلك اختلطت صورتها باسم الجبل أو بـ (خليج أيله)، حتى ظن الكثيرون أن (إيلياء) في المرويات العتيقة ليست سوى (عقبة الأردن) البلد العربي. بينما نرى أن أيله القديمة التوراتية هي التي تحولت مع الوقت إلى (إيلياء) وأعطت اسمها، مع هجرات القبائل نحو بلاد الشام إلى خليج أيله- خليج العقبة.

ولذلك، فالمقصود من هذا الموضع التوراتي إنما هو (إيلون) المدينة المندثرة، التي ذكرتها التوراة والقرآن بوصفها (عاصمة البحر الأحمر). وبكلام آخر إن النص التوراتي يشير إلى المدينة القديمة على البحر الأحمر قرب (عصيون جابر) وليس إلى العقبة الأردنية. وبطبيعة الحال لا يوجد قرب خليج (إيله) الأردني موضع يدعى عصيون جابر، كما لا توجد (عربه) على طريق (سعير). وهذا يؤكد صحة وضرورة التمييز بين الاسمين المتشابهين.

ما يقوله النص الآنف من التوراة، هو أن بني اسرائيل عبروا من مكان ما على الساحل، مبتعدين عن جبل سعير الذي يقطن فيه بنو عيسو، ومتجهين صوب وادي عربه من أيله على مقربة

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٥١٣- ٥١٤.

من عصيون جابر. هذه الأسماء لا وجود لها في جغرافية خليج العقبة الأردني المعروف بخليج أيله. يعني هذا أن هناك أيله أخرى ساحلية قديمة عبرت منها القبيلة في طريقها إلى برية موآب– مآب".

يتابع الربيعي[١]:

"وبقطع النظر عن تاريخية الحدث التوراتي المروي.. فإن التوصيف المقبول يتطلب ويستلزم رفض المطابقات العشوائية، كما يتطلب وضع إيله في جغرافيتها الصحيحة عند ساحل مكة إنها (إيلة القديمة الزائلة التي وصفها القرآن بأنها حاضرة البحر). وإليكم وصف الهمداني لـ عصيون جابر"..!!

من يقرأ هذا التفسير الذي قدمه الربيعي– أعلاه– من المؤكد أنه لن يفهم منه شيئاً ولن يخرج منه بنتيجة حاسمة. فهو بحق– وعلى نحو ظاهر للغاية– تفسير مشوش جداً، ومرتبك ومضطرب بشدة، يعكس بطبيعة الحال الوضع الذهني والنفسي الذي كان مفكرنا العبقري يعيش فيه تحت تأثير الشعور الشديد بوطأة المشكلة التي وقع فيها أمام فقرة الهمداني الواضحة والدقيقة، فضلاً عن أنه يكشف عن نمط المحاولات البائسة التي قام بها في سبيل الخروج من تلك المشكلة التي تتمثل أساساً في أن فقرة الهمداني– كما وضحنا في الفصل السابق– تُصرِّح وتثبت حقيقة أخرى هي على العكس تماماً مما أراد مفكرنا أن يوهمنا به.

في هذا الوضع النفسي والذهني المأزوم الذي عاشه هذا المفكر لم يكن أمامه إلا طريقان اثنان، إما أن يعترف بالحقيقة كما أوردها الهمداني ويعود أدراجه ويتخلى عن نظريته العجفاء لعدم وجود ما يسندها فعلاً– وهذا ما يكون عليه بالعادة موقف الباحث الجاد الذي يحترم أخلاقيات العلم ومبادئ البحث العلمي وموضوعيته–، أو أن يلجأ إلى الطريق الثانية وهي طريق التلفيق والتزييف، وهذه للأسف هي الطريق التي اختارها الربيعي لنفسه. ولهذا نقول أنه وبسبب محاولاته تلك قد أوقع نفسه في مأزق أشد وأنكى ومستحيلٌ حلَّه، كما ويستحيل بأي حال من الأحوال تبريره أو التماس العذر لصاحبه، وهو مأزق تنم عنه تلك التصريحات الكثيرة والوفيرة التي ما برح الربيعي يكررها ويرددها ويتغنى بها في كل شاردة وواردة بأن الهمداني قدم

[١]. المرجع السابق، ص ٥١٤.

شهادة تاريخية وجغرافية مدعومة من بطليموس على أن موطن التوراة وجغرافية أحداثها هي اليمن وليست فلسطين.

ينطوي ما قاله مفكرنا وما كتبه في تفسيره لذلك النص التوراتي على قدر بالغ من الخلط والإيهام والتضليل والتزييف والتحريف المتعمد والمقصود، مع التأكيد هنا على عبارتيّ (المُتعمَّد والمقصود)، لأن الأمر كذلك بالفعل وليس أننا نقول ذلك على سبيل المبالغة أو من باب التجّني.

لكي تتضح الرؤية للقراء الأعزاء كما قدمنا لها آنفاً. فالنص التوراتي الذي تعامل معه الربيعي أعلاه يذكر موقعاً جغرافياً اسمه (**أيلة**) مقترناً بذكر مواقع جغرافية أخرى قريبة منه أو حواليه، منها موقع يدعى (سعير) كان يقيم فيه بني عيسو أنسباء بني اسرائيل، وبحسب النص فإن هؤلاء الـ بنو اسرائيل كانوا قد انصرفوا من موضع (سعير) واتجهوا عبر طريق يمر من مكان يسمى (العربه – عربه)، وهذا الطريق كان من جهة أو قريب من موقع (**أيلة**) القريب جداً هو الآخر على ما يبدو من موقع تسميه التوراة (عصيون جابر)، وكان ذلك كله في اتجاه يفضي ببني اسرائيل إلى سلوك طريق صوب مكان يسمى بـ (برية موآب– مآب).

لسنا هنا بصدد دراسة جغرافية حركة بني اسرائيل كما عبر عنها هذا النص التوراتي– ***وإن كنا سنتعرض لذلك بعض الشيء لاحقاً من هذا الفصل***– بل نحن بصدد تحليل تفسير الربيعي وتحديداته الجغرافية لموقع المكان الذي يسمى (أيلة)، وكيف أقام رابطة بينه وبين اسم (إيليا)؟ وما هو أساس الرابطة التي أقامها؟– وما مدى موضوعية تفسيره بالنسبة لما جاء في كتاب الهمداني بهذا الشأن؟!– ***هذا هو مجال بحثنا في السياق التالي.***

أكّدَّ مفكرنا الربيعي على أن المقصود بـ (أيلة) في النص التوراتي المذكور أعلاه ليس (أيلة) المشهورة والقريبة من مدينة العقبة الأردنية والتي تقع على ساحل القرن الشرقي للبحر الأحمر، بل المقصود بها هو: ***(أيله) المدينة الساحلية القديمة المندثرة، التي عرفتها القبائل العربية باسم (إيليا– إيلياء).. والتي ذكرها القرآن بأنها حاضرة البحر، والتي تقع في مكان ما على ساحل البحر الأحمر، ونتيجة هجرات القبائل العربية في مرحلة ما ومنها بني اسرائيل***

انتقل هذا الاسم إلى (أيلة) في خليج العقبة، فتوهم الناس أنها هي المقصودة، خاصة وأن (أيلة) الحقيقية كانت قد اندثرت.

كما يشير مفكرنا إلى أنه يُمّيز بين (أيلة) التي كانت (حاضرة البحر) و(أيلة) أخرى كانت تعرف بأنها (حاضرة الجبل)، وهو مع ذلك يصفهما بأنهما مكانين معاً يقعان على ساحل البحر الأحمر.. ولازلنا لا نعرف - على الأقل حتى هذه اللحظة- أين بالضبط من ساحل البحر الأحمر؟!

في الفقرة التالية من تفسيره، يعطي مفكرنا لـ (أيلة)- التي يعتبرها أيضاً (إيلياء)- يعطيها تسمية ثالثة معتمداً في ذلك على التشابه النسبي بين الأسماء، مؤكداً على أن ***المقصود بـ (أيلة) في ذلك النص التوراتي، إنما هو (إيلون) المدينة المندثرة، التي ذكرتها التوراة والقرآن بوصفها (عاصمة البحر الأحمر).***

بحسب ما تقدم، فإن *(ايلة، ايلون)* هما اسمان لذلك المكان المقصود في النص التوراتي، يقع على ساحل البحر الأحمر وهو المعني في القرآن بأنه مدينة اليهود (حاضرة البحر)، وقد انتقل اسمها مع هجرة القبائل إلى خليج العقبة، وهناك حيث انتقلت تلك القبائل أطلقت عليها اسم (إيلياء) أيضاً.

هنا، لابد من طرح سؤال ماكر وخبيث:

هل أيلة هذه التي هي إيلون التي هي تقع في مكان ما على ساحل البحر الأحمر والتي وصفها القرآن بأنها حاضرة البحر والتي اندثرت وكفت عن الوجود كما يزعم مفكرنا.. هل هي ما قصده الهمداني وأشار إليها بأنها إيلياء بلاد اليهود العتيقة التي تسمى أيضاً أورشليم؟!

لكي يتبين لنا أمر(إيلياء) التي هي أورشليم والتي هي أيضاً بلاد اليهود العتيقة، نود أن نلفت عناية القراء الأعزاء الى شهادات رواد نظرية جغرافية التوراة، أو بالأصح الى معالجاتهم

لهذه المسألة، وبالأخص رائد النظرية الأول "كمال الصليبي".. إذ يقول تحت عنوان فرعي "اليهودية في فلسطين"[١]:

"والمذهب اليهودي بدأ يبرز بشكله المميز في بلاد بابل من العراق، ثم انتشر هذا المذهب منذ وقت مبكر الى غرب الجزيرة العربية، وكذلك الى بلاد الشام، ومنها فلسطين. وسرعان ما صار لليهود في فلسطين وجود كثيف، بحيث صار الرومان ومن بعدهم يطلقون اسم (اليهودية)- باليونانية (Ioudaia)- على جزء منها. وفي هذا الجزء من أرض فلسطين أطلق اليهود وغيرهم من الطوائف الموسوية اسم (يروشلم) على بلدة كانت تدعى في الأصل (إيليا)" .

جاء ذلك في السياق الذي أورد فيه كمال الصليبي قصته المتُخَيَّلة عن تاريخ بني اسرائيل في غرب جزيرة العرب، على نحو متسلسل لمحطات تطور فيها وجودهم هناك كما ادعى، ثم سرعان ما وقع هو الآخر في مأزق أجبره على أن يعترف كرهاً ومضطراً بأنه كان لليهود وجود واستيطان وتاريخ ديموغرافي وسياسي في فلسطين، فاتحاً المجال للاعتراف بوطنين لبني اسرائيل واليهود معاً، الأول في عسير والثاني في فلسطين، وذلك ما أشار إليه الدكتور وعالم الآثار العربي السوري "عفيف بهنسي"، عندما انتقد نظرية الصليبي، قائلاً[٢]:

"يبدو كتاب الصليبي مغامرة خطرة في أمرين: الأمر الأول جغرافي فقد قسم التاريخ اليهودي إلى قسمين، قسم إسرائيلي وأرضه عسير، وقسم يهودي وأرضه فلسطين. وبهذا يحاول توسيع رقعة التاريخ التوراتي، معتمداً على فرضيات ألْسنية تقوم على تعديل في التسميات الكنعانية القديمة. وتعديل في التسميات الجغرافية القائمة اليوم في عسير، وهي فرضيات ضعيفة لا تدعمها المعاني المشتركة التي لم يستطع توضيح أكثرها، بل يذكر المؤلف أن هذه الدراسة لا تتطرق إلى أصول أسماء الأماكن المشار إليها ومعاني هذه الأسماء.

والأمر الثاني تاريخي. فلقد قلّص الأمم المذكورة في التوراة إلى مجرد قرى ومضارب بدو كالعموريين والكنعانيين والحثيين بل والمصريين وسكان بين النهرين، وبالتالي فقد ألغى تاريخ الشرق

---

[١]. كمال الصليبي: حرب داود: الأجزاء الملحميَّة، مرجع سابق، ص ٣٨.

[٢]. عفيف بهنسي: تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، ٢٠٠٩. ص ١٨، ٢٠.

الأوسط، أو على الأقل ألغى التسميات الحضارية في هذا التاريخ. ولكنه لم يستطع أن يقدم دليلاً لأسماء الشعوب التي شكلت حضارات ضخمة أكدتها الكشوف الأثرية".

على كل حال، فإن شهادة الصليبي هذه مهمة جداً بغض النظر عن التحريف والتلفيق الذي ضجت به نظريته، فهي تشير الى أمرين تثبت معهما دلالة فقرة الهمداني بوضوح جلي:

الأمر الأول، *أن المكان الذي أطلق عليه اسم "بلاد اليهودية" يقع في جزء محدود من أرض فلسطين، وأن إطلاق ذلك الاسم كان من قبل الرومان الذين صاروا ومن جاء من بعدهم يطلقون اسم بلاد اليهود أو بلاد اليهودية على ذلك الجزء المحدود من فلسطين.*

الأمر الثاني، *أن اليهود قد أطلقوا على ذلك الجزء من أرض فلسطين اسم (يروشلم)، وهي بلدة كانت تدعى من قبل (إيليا)".*

والأصح أن اليهود في مرحلة ما تمكنوا من إعادة التسمية القديمة لإيلياء وهي (أورشليم)، علماً بأن اسم اورشليم قد أطلق على القدس قبل أي وجود لليهود واليهودية بألف سنة على الأقل، فظلت هاتان التسميتان مرتبطتان ببلاد اليهود العتيقة في جزء من فلسطين الى عصر المسلمين.

وهذا أيضاً ما يعترف به رائد نظرية جغرافية التوراة في السراة وبلاد زهران من عسير أحمد داود، حيث وجدنا له إشارة مشوشة لا بأس من ذكرها هنا لتتضح بعض جوانب الصورة، إذ يقول[1]:

"إن أول تزوير في جغرافية الأرض المقدسة حدث في زمن قسطنطين البيزنطي- حوالي القرن الرابع الميلادي- لأسباب وأغراض سياسية واحتلالية بحتة، وبعيد مبعث النبي محمد بفترة وجيزة كان التزوير- جرياً على زمن قسطنطين- يعتبر أن بيت المقدس هو في (إيلياء)- القدس الحالية..".

كان هذا اعتراف صريح آخر من قبل رائد آخر من رواد النظرية نفسها التي تبناها الربيعي بل وهم من نقلها عنهم، يفيد بأن اسم (إيلياء) أطلق على القدس أو بيت المقدس من

[١]. أحمد داود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ٢٥١.

أرض فلسطين- ***كما في قوله القدس الحالية***- منذ القرن الرابع الميلادي، بالرغم من أن هذا الاعتراف قد أورده صاحبه في سياق محاولته كشف التزوير الذي طال جغرافية الأرض المقدسة كما يتوهم ويدعي، والصحيح أن القدس حملت اسم إيليا من قبل القرن الرابع الميلادي بزمن طويل نسبياً.

من أجل ذلك كله، نقول أن الربيعي قد تعمَّد- بشكل صريح ومباشر- اختلاق رابطة وهمية لا وجود لها إطلاقاً بين اسميّ (أيلة) و(إيليا) معتمداً بشكل واضح على التشابه النسبي بين الاسمين، إذ تعامل معهما على أنهما اسمان لمكان واحد، وهذا غير صحيح البتة. إذ أن فقرة الهمداني لا تشير لا من قريب ولا من بعيد إلى (أيلة) سواء كانت أيلة هذه في فلسطين أو في اليمن أو في جزر الواق واق. لأن الهمداني كان يتحدث صراحة عن مكان يُعرف بأنه بلاد اليهود العتيقة من أسمائه (إيليا- إيلياء) ويسمى أيضاً (يرشلم) وتعربه العرب فتقول (أوراشلم)، وفي مكان آخر يقول الهمداني (وإيليا هي أوري شلم).

كما تجاهل الربيعي متعمداً- بهدف الإيهام والتضليل- حقيقة أن اسم (إيليا) قد ارتبط بشكل مباشر في كل مؤلفات العرب القديمة الإخبارية والتاريخية واللغوية والجغرافية ببيت المقدس أو القدس، والتي عرفت قبل أن تغلب عليها هذه التسمية في العصور الاسلامية باسم (أورشليم)[١].

ولأنه يعرف ويدرك حقيقة ذلك، نجد مفكرنا وهو يكشف لنا عن أحد اضطراباته النفسية والذهنية- وهو الإسقاط-، فيقول: ***"لقد ظنَّ الكثيرون خطأً أن (إيله) في هذا النص هي ذاتها مدينة وميناء العقبة الأردنية"*** [٢].

من هم هؤلاء الكثيرون الذين ظنوا خطأً؟!

[١]. يمكن للباحث أن يجد كماً كبيراً من الشواهد التي ترد في المصنفات الاخبارية واللغوية والتاريخية والجغرافية العربية القديمة بهذا الشأن، والتي تثبت زيف ادعاءات الربيعي.

[٢]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٥١٣.

يأتي جواب مفكرنا بعد ذلك بقليل، بأنهم من يصفهم بـ: "***المتأخرين من اللغويين والجغرافيين العرب والمسلمين، الذين لم يعرفوا (إيلياء) هذه، ولم يميزوا أو يحددوا مكانها. ولذلك اختلطت صورتها باسم الجبل أو بـ (خليج أيله)، حتى ظن الكثيرون أن (إيلياء) في المرويات العتيقة ليست سوى (عقبة الأردن) البلد العربي***"[١]..!!

ولكن، متى خلط اللغويين والجغرافيين العرب والمسلمين بين إيلياء وأيلة؟!- هذا افتراء سافر وإفك مفضوح، وكذب مكشوف للغاية.

هكذا، صار لدينا فئة جديدة يجب أن نُقصي جهودها بعيداً وألاَّ نتعامل معها بالإضافة الى فئة المستشرقين. فئة أخرى يجب أن نضرب عرض الحائط بما سجلته في كتبها ووثقته في مصنفاتها طوال عدة قرون من عصور النهضة العربية من العصر الوسيط، فكل من يأتي بغير ما يدعم كلام مفكرنا يجب ألاّ يؤخذ بالاعتبار أبداً، هذا ما يريد منا المفكر الفاضل أن نفهمه ونلتزم به.

وعلى أساس أن الهمداني هو مصدر الربيعي وشاهده الرئيسي، فلابد أن يكون قصده بـ (المتأخرين) كافة اللغويين والجغرافيين العرب والمسلمين الذين جاءوا بعد عصر الهمداني، وعليه ينبغي أن نعتبر الهمداني آخر من كان يعلم بحقيقة أين تقع إيلياء المتُخَيَّلة لدى مفكرنا والتي يتوهم ويوهمنا بوجودها..!!

وبما أن مفكرنا العبقري لم يخبرنا صراحة إن كان قد عثر فعلاً على (أيلة) المندثرة التي تقع على ساحل البحر الأحمر أم لا، وبما أن كتاب الهمداني هو المصدر الأساسي الذي اعتمد عليه، فإنه سيكون من المنطقي أن نتوقع أن تكون هذه الـ (أيلة) مما قد ذكره الهمداني باعتبارها قرية أو مدينة، ومنه استدل عليها.

لا بأس، ينبغي أن نتعب قليلاً، ونبحث في كتاب الهمداني عن (أيلة) هذه التي أشار إليها الربيعي وصرَّح بكل ثقة بأنها تقع في على ساحل البحر الأحمر. فبعد تفتيش دقيق في

---

[١]. المرجع السابق، ص ٥١٣.

كتاب الهمداني، اتضح أن لسان اليمن وفيلسوف العرب الثاني الذي لا ثالث بعده إلى اليوم، وأول عالم آثار تجريبي في تاريخ البشرية، وأفضل من قدم وصفاً جغرافياً لجزيرة العرب واليمن حتى عصرنا الراهن، قد ذكر اسم (أيلة) في أربعة مواضع من كتابه الشهير، والتي نبيِّنها كما يلي:

الموضع الأول، ذكر الهمداني فيه اسم (**أيلة**) في سياق بيانه التمهيدي للحدود الغربية لجزيرة العرب بعد انقضاء الحد البحري الذي يمثله البحر الأحمر، قائلاً: ***"... وغربيها- أي غرب الجزيرة العربية-: شرم [أيلة] وما طردته من السواحل إلى القُلزم وفسطاط مصر"*** [١].

الموضع الثاني، ذكر الهمداني اسم (**أيلة**) أيضاً في سياق وصفه التفصيلي للحدود الغربية للجزيرة العربية صاعداً في ذكر المناطق التي تقع في غربها من الجنوب إلى الشمال، قائلاً: ***"... ومضى إلى جدة ساحل مكة والجار ساحل المدينة وساحل الطور وخليج [أيلة] وساحل راية -كورة من كور مصر البحرية- حتى بلغ قلزم مصر"*** [٢].

الموضع الثالث، ويذكر فيه الهمداني (**أيلة**) في سياق بيانه لمنازل القبائل العربية على امتداد منطقة تهامة التي تمثل طبعاً الجزء الغربي من جزيرة العرب المجاور لسواحل البحر الأحمر صاعداً نحو الموقع نفسه المحدد في الموضعين السابقين، حيث يقول الهمداني: ***".... ثم لها ميامن البر إلى حد تبوك ثم إلى جبال الشراة ثم إلى معان راجعاً إلى [أيلة] إلى أن تقول المغار: ها أناذه، والمغار منزل للخم ثم وقعت في ديار لخم من حد المغار ثم الداروم ثم الجفار، والجفار رمال إلى حد الفرما وما خلف الفرما إلى مصر للقبط"*** [٣].

أما ***الموضع الرابع*** الذي ذكر فيه الهمداني (أيلة)، فسنؤجل بيانه والتطرق إليه إلى المبحث الثالث من هذا الفصل، نظراً لخصوصيته وأهميته لدى الربيعي ولدينا نحن أيضاً.

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٣٩.

[٢]. المرجع السابق، ص ٨٤.

[٣]. المرجع السابق، ص ٢٤٤.

واضح من كلام الهمداني في المواضع الثلاثة أعلاه بأنه يقصد بالضبط وبالتحديد (أيلة) التي تقع في خليج العقبة، والتي تُعرف حالياً بـ (إيلات) وكانت تسمى عند العرب قديماً بـ (أيلة)، كما أطلق عليها في عصور لاحقة حتى العصر الحديث باسم آخر هو (أم الرشراش- المرشش)، وهي اليوم ميناء بحري واقع تحت وطأة الاحتلال الصهيوني - الاسرائيلي.

علاوة على ذلك كله، لا نجد في كتاب الهمداني أي إشارة إلى أي علاقة بين (أيلة) و(إيليا) التي هي بلاد اليهودية العتيقة والتي تسمى أورشليم، إذ يرد ذكر (إيليا- إيلياء) في كتاب الهمداني في ثلاثة مواضع مختلفة تماماً، لا بأس من ذكرها لقطع دابر الشك لدى القراء الأعزاء، كما يلي:

الموضع الأول، في باب معرفة أفضل البلاد المعمورة، وفي سياق ذكره للمواضع والمآثر العظيمة التي استأثرت بها جزيرة العرب على سائر الأرض، وبعد أن ذكر أن فيها مكة والمدينة، حيث قال: ***".. وبها الوادي المقدس طوى، وطور سينا، ومسجد إيلياء، وآثار الأنبياء، ومنابت الأتقياء، ومحافد الأصفياء، وعرصة المحشر وجبال الرحمة***[١]***.***

الموضع الثاني، حيث وردت فيه فقرة الهمداني موضوع الدراسة، ولا داعي لإعادة ايرادها.

الموضع الثالث، في "باب فيه أبيات من الشعر"، حيث جاء فيه قول الهمداني: ***"أوري شلم هو إيلياء"***[٢]***.***

نلاحظ في الموضع الأول أن الهمداني ذكر مسجد إيلياء في سياق أسماء أخرى توحي دلالتها بشيء من القطع أن المقصود به مسجد (بيت المقدس)، فليس من ثمة أرض وصفت بأن فيها آثار الأنبياء، ومنابت الأتقياء، ومحافد الأصفياء، وعرصة المحشر وجبال الرحمة في كل المصنفات العربية الاسلامية القديمة والحديثة إلا بيت المقدس وأرض فلسطين، فضلاً عن

[١]. المرجع السابق، ص ٤١.

[٢]. المرجع السابق، ص ٣٤٣.

أن كلامه هذا جاء في سياق ترتيب جغرافي منتظم يشير إلى تجاور المواضع المذكورة بالنسبة لبعضها البعض، وهو تجاور لا يأتي على أي جزء من اليمن بذكر.

أما الموضع الثاني فقد سبق ووضحنا دلالته بالنسبة لتقسيم الأرض المعمورة وفق نموذج بطليموس الجغرافي الذي نقله عنه الجغرافيون العرب، وفي الموضع الثالث تأكيد صريح بأن أورشليم هي نفسها إيليا، وهي على ذلك بلاد اليهود العتيقة، وبالتالي فلا علاقة لها البتة بـ (أيلة أو إيلة/ إيله) كما ادعى مفكرنا العبقري، بل أن (إيليا) التي هي أورشليم مكان بعينه هو نفسه ما يوصف بـ بلاد اليهود العتيقة، في حين أن (أيلة) مكان آخر تماماً واقع في نفس الإقليم الجغرافي الذي تنتمي إليه سوريا وأيدوما وبلاد اليهود وأرض فلسطين، وهذا يعني أن للمكانين مشترك جغرافي وتاريخي يربط بينهما، إلا إن ذلك المشترك بينهما لا يفضي أبداً إلى وضع كالوضع الذي اختلقه الربيعي وتوهمه.

هذا كله واضح للغاية في كتاب الهمداني وعلى أنحاء صريحة لا لبس فيها ولا غموض أبداً، فأين هي شهادة الهمداني التي يتحدث عنها الربيعي؟!- الجواب، إنها موجودة بالفعل، **نعم موجودة في أوهامه وجغرافيته المتُخَيَّلة.**

لم ينتهي الأمر، فمازال في زنبيل الربيعي الكثير من الأوهام؟!- فلنرى ماذا تبقى في زنبيله في هذا الشأن.

(2)

زنبيل أوهام الربيعي

بعد ذلك الموضع الذي تعرضنا له آنفاً، سوف يتخلى الربيعي عن ذكر (إيليا) ويكتفي بمعالجة الأسماء المشابهة له (إيلة/ أيلة/ إيلون/ أيلون) والتي تعمد الخلط بينها من قبل لتضليل القارئ وإيهامه بأنه قد استثمر شهادة الهمداني وعالجها على نحو يتضح معه كيف أنها تدعم أوهامه. ففي موضع قصي ونائيٍ من المجلد الثاني لكتاب "فلسطين المتُخَيَّلة"، يقف مفكرنا العملاق على نص توراتي من (سفر يشوع، ١٩: ٣٢- ٣٩)، نقتبسه من الترجمة العربية للعهد القديم: ***"لِبَنِي نَفْتَالِي حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ. وَكَانَ تُخْمُهُمْ مِنْ حَالَفَ مِنَ ٱلْبَلُّوطَةِ..."***.

ترجم الربيعي هذا النص من النسخة العبرية إلى العربية- بطريقته كما قال- على هذا النحو: ***"لبني نفتلي وعشائرهم ما أقبل من -وادي- حلف، ومن إيلون..."*** [١].

الفرق بين الترجمتين التقليدية والربيعية لهذا النص، هو أن الربيعي أجرى بعض التعديلات الشكلية في رسم بعض الأسماء (نفتالي ـــ حوله إلى ـــ نفتلي) (حالف ـــ حولها إلى ـــ حلف)، وأضاف من عنده صفة طبوغرافية للمكان الذي اسمه (حالف) ليصبح (وادي حلف) وهذه الصفة الطبوغرافية ليست موجودة على الإطلاق في الأصل العبري الذي ترجمه، ***وإنما استمدها من الهمداني حيث وجد في كتابه وادياً اسمه (وادي حلف)***، ولأن صاحبنا امتهن البحث عن المتشابهات، فقد أعطى لنفسه الحق في إضافة عبارات إلى النص التوراتي نيابة عن يهوه كيفما شاء..؟!!

أما (البلوطة) المذكورة في الترجمة التقليدية فقد حولها الربيعي إلى (ايلون)، وذلك على أساس ما هو متداول في تفاسير التوراة وترجماتها من أن معنى اسم (ايلون) هو (بلوطة)، وعلى

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٣٢٨.

هذا يبدو إجراءه هنا سليماً ولا تشوبه شائبة، غير أن الحقيقة على العكس من ذلك قطعاً وقطعاً وقطعاً.

إن هذا الاجراء الذي قام به مفكرنا ليس صحيحاً أبداً، لأن اسم (البلوطة) في هذا النص بالذات لا يشير أبداً إلى ذلك الموضع الذي يرد في التوراة باسم (ايلون) والذي يعني (بلوطة). فهذا الموضع الأخير يُشار إليه دائماً في التوراة بالاسم نفسه (ايلون) وليس بمعناه، ولو كان هو المقصود في هذا النص لذكر باسمه كما جرت العادة بذلك دائماً وليس بإيراد معناه.

يرد اسم (ايلون) متكرراً- مرة بهمزة فوق ومرة أخرى بهمزة تحت بما يشير الى موقعين اثنين حملا معاً التسميتان المتشابهتان- في مواضع متفرقة من أسفار التوراة. كما في النص من (سفر يشوع، ١٩ : ٤٢)- والذي سوف يستخدمه الربيعي في الموضع الثالث من كتابه كما سيأتي بيانه. وفي نص آخر من (سفر يشوع، ٢١: ٢٤)، يرد ذكرها كأرض أعطيت لبني قهات: ***"ومن سبط دان التقى ومسرحها وجبثون ومسرحها. وايلون ومسرحها وجت رمون ومسرحها اربع مدن... كل المدن عشر مع مسارحها لعشائر بني قهات الباقين"***.

كما يصفها (سفر القضاة، ١ : ٣٥) بأنها أرض للأموريين: ***".. فعزم الأموريون على السكن في جبل حارس في ايلون وفي شعلبيم وقويت يد بيت يوسف فكانوا تحت الجزية"***. ونجدها أيضاً في سياق حروب يني اسرائيل مع الفلسطينيين في (سفر صموئيل الأول، ١٤: ٣١): ***"فَضَرَبُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ مِنْ مِخْمَاسَ إِلَى أَيَّلُونَ. وَأَعْيَا الشَّعْبُ جِدًّا"***. وفي (سفر أخبار الأيام الثاني، ٢٨ : ١٨): ***"واقْتَحَمَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ مُدُنَ السَّوَاحِلِ وَجَنُوبِيَّ يَهُوذَا، وَأَخَذُوا بَيْتَ شَمْسٍ وَأَيَّلُونَ وَجَدِيرُوتَ وَسُوكُو وَقُرَاهَا، وَتِمْنَةَ وَقُرَاهَا، وَجِمْزُو وَقُرَاهَا، وَسَكَنُوا هُنَاكَ"***. وأيضاً مرة أخرى في (سفر أخبار الأيام الثاني، ١١: ١٠) يرد ذكرها: ***".. وَصَرْعَةَ وَأَيَّلُونَ وَحَبْرُونَ الَّتِي فِي يَهُوذَا وَبَنْيَامِينَ، مُدُنًا حَصِينَةً"***.

وهذا مفاده أن (البلوطة) المذكورة في النص الذي عناه الربيعي أعلاه، لا يمكن أن يكون هو المقصود بأيلون أو إيلون، لأن هذين الموضعين وفق النصوص التوراتية موضعان لا علاقة لهما بأيلة أو إيليا على نحو ما يصفه مفكرنا ويدعيه، ***وهذا بدوره يشير الى أن الربيعي لم***

يلتزم حتى بما جاء في التوراة نفسها، فعمد الى تقديم تفسير مناقض لها تماماً، ولا نعرف ماذا تبقى من صدقية التوراة أو من صدقية مفكرنا بعد هذا كله.

كما أن اسم البلوطة في النص التوراتي أعلاه يرد مُعَرَّفاً، فلو كان المقصود به (ايلون) فعلاً لجاء ذكره بإيراد معناه هكذا (بلوطة)- أي غير مُعَرَّف بأداة التعريف سواء في الأصل العبري أو في الترجمة العربية، وهذا كله يؤكد على أن المقصود بـ (البلوطة) مكان آخر غير (ايلون).

كان هذا من ناحية اجراء الترجمة الذي ادعى الربيعي أنه قام به. أما الإجراء التفسيري الذي قام به لتحديد المقصود بهذا المكان الذي يدعى (البلوطة) والذي اعتبره هو المقصود دائماً بـ (ايلون)، فلسوف تثير اعجابنا ودهشتنا العبقرية الفذة التي كشف عنها صاحبنا في تفسيره لهذه المسألة..!!

من الأفضل أن نقرأ حرفياً ما كتبه المفكر الفاضل بهذا الشأن، إذ يقول[١]:

(بُلْطة).. الاسم في العبرية هو: (عيلون)، وقد تمت مكافأة عيلون العبرية بالكلمة العربية (بلوطة) لتصبح الجملة على النحو التالي: "ما أقبل من حلف من بُلوطة". والترجمة الصحيحة هي النحو التالي: "وما أقبل من وادي حلف ومن أيلون"، ويبدو من بعض المرويات والأشعار القديمة، أن القبائل العربية تعرف هذا المكافئ للكلمة العبرية، وهي استخدمته دون الاضطرار إلى استعمال كلمة (عيلون) المندثرة. قال امرؤ القيس:

نزلت على عمرو بن درماء بلطة *** فيا خير ما جار ويا حسن ما محل

يقول ياقوت نقلاً عن البكري: بلطة موضع في جبال طي. وقال الأصمعي: هضبة بعينها، وقال السكري" بلطة عين ماء ونخل وواد من أرض قبيلة طلح بن درماء. وقال الشاعر الطائي سلام بن درماء:

إذا ما غضبت أو تقلدت منصلي *** فلأياً لكم في بطن بلطة مشرب

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٣٣٨.

هذا هو وادي بلطة الخصب الذي تغني به الشعراء، وفيه منازل عامرة ونخيل في بلاد طي قرب نجران، ولنلاحظ وصف يشوع لمنازل سبط نفتلي، فهي تمتد من حلف فالبلوطة ثم تتجه نحو وادي عزنت (أذنة)، ومنها إلى أرض زبالة- زبولون. ها هنا مقاربة بين نصي يشوع والهمداني...!!

حسناً، ماذا نلاحظ هنا؟!

نلاحظ أولاً، أن الربيعي بحث عن البلوطة في كتاب الهمداني فلم يجدها أبداً ولم يجد لها شبهاً حتى.. فماذا فعل؟!- استنجد بـ "معجم البلدان" لـ (ياقوت الحموي) ليجد ضالته لديه، وهي (بُلْطة).. فالبُلُوطة أصبحت بقدرة قادر (بُلْطة)، هكذا أي والله..!!

أين ذهبت شهادة الهمداني هنا؟!- لا نعرف..؟!

الأمر الثاني، أن الربيعي أورد (بلوطة) في تفسيره كذا مرة غير مُعَرَّفة، وهذا يدعم ما أشرنا إليه قبل ذلك عن الخطأ المتعمد الذي قام به في اجراء ترجمته المزعومة. ومن حيث قد يظن القارئ العزيز أن مثل هذا الخطأ يسير وليس ذو أهمية، نقول لو كان كذلك لما لجأ إليه مفكرنا أولاً ثم تعامل مع ما هو مفترض أن يتعامل معه منذ البداية.. هذه أمور بالغة الأهمية في الترجمة ولا يمكن التغافل عنها أو التقليل من شأنها إطلاقاً، بل أن مفكرنا يؤكد لنا على مثل هذه القواعد الهامة في سياقات متعددة من كتابه المخيالي.

علاوة على ذلك، ينبغي أن نلفت عناية القراء الأعزاء إلى ذلك الفرق الشاسع بين اسم (البلوطة- بلوطة) واسم (بُلْطة)، إذ لا يوجد أي اعتبار منطقي أو أساس لغوي يمكن أن يجعل من هذين الاسمين- سواءً من حيث التركيب أو من حيث المعنى والدلالة- متكافئان، وهذا بحد ذاته يجعلنا نتساءل عن وجه العلاقة بين البلوطة التي ورد ذكرها في النص التوراتي وبين (بُلْطة) التي لم يجدها الربيعي عند الهمداني ووجدها عند الحموي؟!

طبعاً، لا شيء سوى التشابه اللفظي ومنهجية الانتقاء والاقتصاص التي مارسها الربيعي على مصادره طوال صفحات كتابه..!!

من أجل ذلك، لابد من التأكيد على بعض الحقائق الثابتة فيما يتعلق بالأسماء الجغرافية. إذ تنشأ الأسماء الجغرافية عادة في إطار البيئة التي تجمع بين الانسان والطبيعة من حوله. فالاسم الجغرافي ليس لفظة طفيلية تنبت دون جذور، بل هو تعبير عن انتماء المكان إلى ثقافة معينة، واحتواء لرقعة جغرافية محددة أيضا. وهو – بالإضافة إلى ذلك– تعبير له علاقة بمسألة الوجود وحب البقاء وما تشكله من خطورة في حلبة الصراع الأبدي بين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والطبيعة[١]. وعليه، فإن أسماء الأماكن الجغرافية تجسد الثقافة السائدة في محيطها وتعكس الظروف الطبيعية والبيئية والاجتماعية والتاريخية التي تساهم في تشكيل تلك الثقافة وتحويرها، بحيث يعبر الاسم عن حدثٌ ما أو تاريخ معيَّن أو معلم طبيعي محدد من نباتات وأشجار وحيوانات وتضاريس، وبهذا كله تكتمل بصورة تاريخ الموقع وجغرافيته وحضارته وبيئته في نفوس وذاكرة وضمائر الجميع.

بلا شك، فإن هذه الحقائق تنطبق تماماً وكلياً على ما نحن بصدده هنا، ومما هو معلوم وشائع أيضاً من الناحية اللغوية والجغرافية والتاريخية. فالبلوطة مفرد وجمعها البلوط وهو نوع من الأشجار التي تعرف أيضاً بـ (السنديان). وعلى مرَّ التاريخ وحتى عصرنا الراهن، اشتهرت فلسطين بغابات وأحراش أشجار البلوط في جبالها، وهي أشجار تتمتع بقدرتها العالية على مقاومة الظروف الطبيعية، وبقدرتها على النمو حتى في المناطق التي لا تنزل فيها الأمطار بغزارة، وغالباً ما ترتفع أشجار البلوط كثيراً عن سطح الأرض بحيث يصل ارتفاعها أحياناً إلى عشرين متراً في بعض المناطق، وتنمو هذه الشجرة في جميع أنواع الأتربة ولكنها تفضل التربة الحمراء العميقة وتنتشر في المناطق الجبلية والساحلية من فلسطين، بل أن ثمة نوع من هذه الأشجار اشتهر على مر التاريخ بـ "البلوط الفلسطيني". وهذا يعني أن أشجار البلوط تعد ملمحاً بيئياً وطبيعياً من الملامح المميزة للجغرافية الفلسطينية على مر العصور.

[١]. رشيد حليم: علم الإسمائية علاقته العلمية واجراءاته– دراسة طبونيمية لموقعين، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد (٣٧)، الثلاثي الثالث، ٢٠١٧. ص ص ١٢٣– ١٣٨. ص ١٢٧.

وفي فلسطين أيضاً، هناك نوعان شهيران من البلوط الفلسطيني، نوع يعرف بالبلوط أو السنديان العادي، ونوع آخر يعرف بالملول. إذ تنتشر شجرة البلوط العادي أو السنديان في جبال الخليل والقدس ونابلس وبيت لحم، وهي شجرة دائمة الخضرة، يصل ارتفاعها إلى (١٥) مترًا، تزهر في شهري آذار ونيسان، تنمو في التربة الجبلية الحمراء، تحتاج إلى أمطار أقل من ٤٠٠ ملم من مياه الأمطار سنويًا. أما شجرة البلوط "الملول"، فتنتشر في جبال شمال فلسطين، ولا تختلف خصائصها كثيراً عن النوع الأول، ولكن يميز بينهما أهل الخبرة من سكان المكان.

صورة رقم (١): لوحة تصور بلوطة سيدنا إبراهيم في الخليل الفلسطينية في بدايات القرن العشرين

لقد اشتهرت مواضع جغرافية بعينها في فلسطين بتسميتها بلوطة كذا، على غرار (بلوطة سيدنا إبراهيم) نسبة إلى النبي إبراهيم عليه السلام، الموجودة على مرتفع مطل على مدينة

الخليل، يقع في محيط مبنى كنيسة المسكوبية الروسية القائمة لليوم، والتي يقال بأن عمرها ينوف عن (٥٠٠٠) سنة، ويُشار إلى هذا المكان بأنه المكان الذي نزلت فيه العائلة الإبراهيمية لدى وصولها مدينة الخليل.

صورة رقم (٢): بلوطة سيدنا إبراهيم سنة ١٩٥٠، يظهر إلى جوارها الحاج أحمد عبد الرازق زبلح البسطامي من أهالي مدينة الخليل ومعه أطفاله شريف ووحيد وفيصل، والذين مازالوا أحياء لليوم بعد وفاة والدهم رحمه الله.

يخبرنا بعض أبناء فلسطين، إن تسمية الأماكن في فلسطين نسبة إلى أشجار البلوط عادة قديمة جداً، تعزى إلى كون البلوط من الأشجار المعمرة نسبياً، فمنها ما تتجاوز أعمارها ألف عام وربما أكثر، كما ترتبط بعض أشجار البلوط بمعتقدات قديمة، ومثال ذلك: بلوطة شهيرة ينسب إليها اليهود أفعالاً خارقة توجد في منطقة قريبة من حيفا، حيث يذهبن إليها عادة الفتيات الراغبات بالزواج، ويقمن بربط مناديلهن قرب الشجرة وعلى فروعها، كي تتحقق أمانيهن، حتى تحولت الشجرة إلى مزار.

ومن عادات الفلسطينيين القديمة والموغلة بالقدم والمستمرة لليوم، زراعة أشجار البلوط في مناطق معينة لرسم وتعليم الحدود الفاصلة بين الملكيات الخاصة، إذ أن وجود شجرة بلوط في أرض ما يمثل دائماً لملاك الأرض نقطة احداثيات هامة وعلى ضوئها يتم ترسيم الحدود بين الملكيات المتجاورة، تماماً كما يشير إلى ذلك النص التوراتي.

صورة رقم (٣): صورة حديثة لكنيسة المسكوبية في الخليل حولها أشجار البلوط الفلسطينية حيث توجد بالقرب منها بلوطة سيدنا ابراهيم العتيقة.

كما نجد أن شجر البلوط حاضر بقوة في أدب وتراث الشعب الفلسطيني منذ القدم، بما في ذلك الأمثال الشعبية على غرار: "***أجا من يعرفك يا بلوط***".. وهو مثل يُقال للشخص الذي يدعي ما ليس فيه، فيما يشبه التشفي عندما يأتي شخص آخر يعرف حقيقته.

هذه معلومات عامة لا يجهلها أي مطلع على جغرافية فلسطين، ويمستطاع أياً كان أن يتحقق منها كيفما شاء.. ولا تحتاج منا إلى إثبات نسب أو بيان مصدر لأن مصدرها هو الواقع الفعلي.

في المقابل، فإن الأجزاء الصحراوية من جزيرة العرب والأجزاء الجبلية في الغرب والجنوب منها وبالتحديد نجد والعروض والحجاز واليمن لا تعرف هذا النوع من الأشجار، نظراً لعدم توفر المناخات الملائمة لنموها في هذه المناطق، فهي من الأشجار التي تنبت في المناطق التي يسود فيها مناخ البحر المتوسط، ومناخات الأجزاء الشمالية من الكرة الأرضية، وإن وجد هذا النوع من الأشجار في بعض تلك الأجزاء من جزيرة العرب فإن ذلك يكون من النوادر، وغالباً ما يُطلق عليها أسماءً أخرى غير البلوط والسنديان.

والآن، نأتي إلى اسم (بُلْطة) –بضم ثم سكون– بحسب ما جاء في لسان العرب. فبلطة مشتقة من بلاط وأبلط وتعني الحجارة المَفْرُوشةُ في الدَّارِ.. وأَبْلَطَ لَزِقَ بالأَرض وأُبْلِطَ فهو مُبْلَطٌ على ما لم يُسَمّ فاعله افتقر وذهب مالُه وأَبْلَطَ فهو مُبْلِطٌ إِذا قلّ ماله قال أَبو الهيثم أَبْلَطَ إِذا أَفْلَس فلزِق بالبَلاط. قال امرؤُ القيس: ***نَزَلْتُ على عَمْرو بن دَرْماءَ بُلْطَةً *** فيا كَرَمَ ما جارٍ ويا كُرْمِ ما مَحَلْ.*** أَراد فيا كرم جار على التعجب. قال واختلف الناس في بُلْطة فقال بعضهم يريد به حللت على عمرو بن دَرْماءَ بُلطة أَي بُرْهة ودَهراً وقال آخرون بلطة أَراد داره أَنها مُبَلَّطةٌ مفروشة بالحجارة ويقال لها البلاط"[١]- ***انتهى كلام ابن منظور.***

نخلص من ذلك، إلى أن هناك فرقٌ شاسعٌ بين اسميّ بلوطة وبلطة، وهو فرق يؤكد على أنه إذا كان اسم بلوطة التوراتي ينتمي إلى مجال أو فضاء جغرافي ما، فهو فضاء الجغرافية الفلسطينية، وليس جغرافية اليمن أو نجد أو الحجاز أو العروض. ونخلص أيضاً الى أن البلوطة التي هي شجرة لا يمكن أن تتحول بأي حال من الأحوال إلى بلاط من الأحجار مفروش في دار عمرو بن درماء، أو أن تصبح- بين عشية وضحاها بسبب تلفيق لغوي- نخلة في واحة من واحات صحراء النفوذ والدهناء أو الربع الخالي، كما لن يفلح رسم الضمة والسكون في التقريب بين الاسمين أبداً.

---

[١]. أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ب. ت). باب (بلط)، ٧/ ٢٦٤. ترقيم (م. ش).

الأدهى من ذلك كله، أن بُلْطة التي حددها الربيعي وأحلها محل البلوطة التوراتية من الناحية الجغرافية، تعد بالفعل من المناطق التي تقع أصلاً خارج حدود جغرافية اليمن الخضراء كما حددها الهمداني، وليس فقط بلطة بل اتضح لنا من خلال البحث في كتاب "فلسطين المتُخَيَّلة" أن كثيراً من تحديدات مؤلفه واقعة بالفعل خارج نطاق جغرافية اليمن الطبيعي، وهذا أمر يثبت حقيقة الفوضى التي يضج بها الكتاب، ومن قبله الفوضى التي في عقل مؤلفه.

لننظر الى تحديد الربيعي لموقع (أيلون) التي حدد بأنها (بلطة) النجدية، إذ يقول: "***هذا هو وادي بلطة الخصب الذي تغني به الشعراء، وفيه منازل عامرة ونخيل في بلاد طي قرب نجران، ولنلاحظ وصف يشوع لمنازل سبط نفتلي، فهي تمتد من حلف فالبلوطة ثم تتجه نحو وادي عزنت (أذنة)، ومنها إلى أرض زبالة- زبولون***[1].

تقع (عين بلطة) التي قصدها امرؤ القيس وغيره من الشعراء والتي اشتهرت بأنها أرض عمرو بن درماء في الجاهلية بالقرب من جبال (أجا) من أرض قبيلة طي الشهيرة في منطقة حائل النجدية، في الاحداثيات (٢٧,٢٨,٣٠عرض) (٤١,٢٩,١٩ طول)، وبالقرب من سد حديث يعرف بـ "سد السلف"، أما وادي أذنة، فهو الوادي الشهير الذي يقع فيه سد مأرب القديم.

نلاحظ من الخريطة أدناه، أن (بلطة) التي حدد الربيعي بأنها هي المقصودة بالبلوطة في النص التوراتي، والتي هي أيضاً (أيلون)- لا ندري إن كانت حاضرة البحر عنده أم حاضرة الجبل- تقع خارج نطاق جغرافية اليمن الطبيعي كما حددها الهمداني. ثم نلاحظ أن المسافة بينها وبين نجران تبلغ حوالي (١٦٠٩) كم، والمسافة بينها وبين وادي أذنة لابد وأن تكون أكثر من ذلك، فهل يعقل أن تكون كل هذه المساحة الشاسعة قد أعطيت لسبط نفتلي؟ ثم، ماذا عن بقية المواقع الأخرى التي ذكرها النص التوراتي ضمن منازل هذا السبط؟! ثم، ماذا تبقى للأسباط الآخرين من الأرض حتى توزع بينها؟!- وياترى بعقل من من البشر يمكن أن يصدق على هذه المسافات الشاسعة تعبير الربيعي بأنها بالـ"***قرب من نجران***" بينما تخبرنا التوراة عن أرض وزعت بين الأسباط كانت تقاس مساحاتها بـ (الذراع)؟!

[1]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٣٣٨.

خريطة رقم (١): موقع (بلطة) بالنسبة لنجران ووادي أذنة في مأرب

وعندما ننظر الى الخريطة التي قدمها لنا الربيعي والتي توضح نطاق أراضي سبط نفتلي كما رسمها هو، فإننا نتساءل: أين هي بلطة التي أخبرنا عنها بأنها تقع ضمن منازل سبط نفتلي، فالخريطة التي قدمها لنا تظهر لنا أن منازل هذا السبط بالكاد اقتربت من نجران، ولم تشمل وادي أذنة في مأرب، فلماذا لم يدرج الربيعي بلطة ضمن مساحة أرض هذا السبط في خريطته؟!

الجواب واضح وبسيط، وهو لأنها تقع بعيداً عن حدود اليمن الطبيعية، ولأن الربيعي يعتمد على جهل القراء بالجغرافيا، وعلى انقيادهم الأعمى وراء ادعاءاته وأوهامه الملفقة.

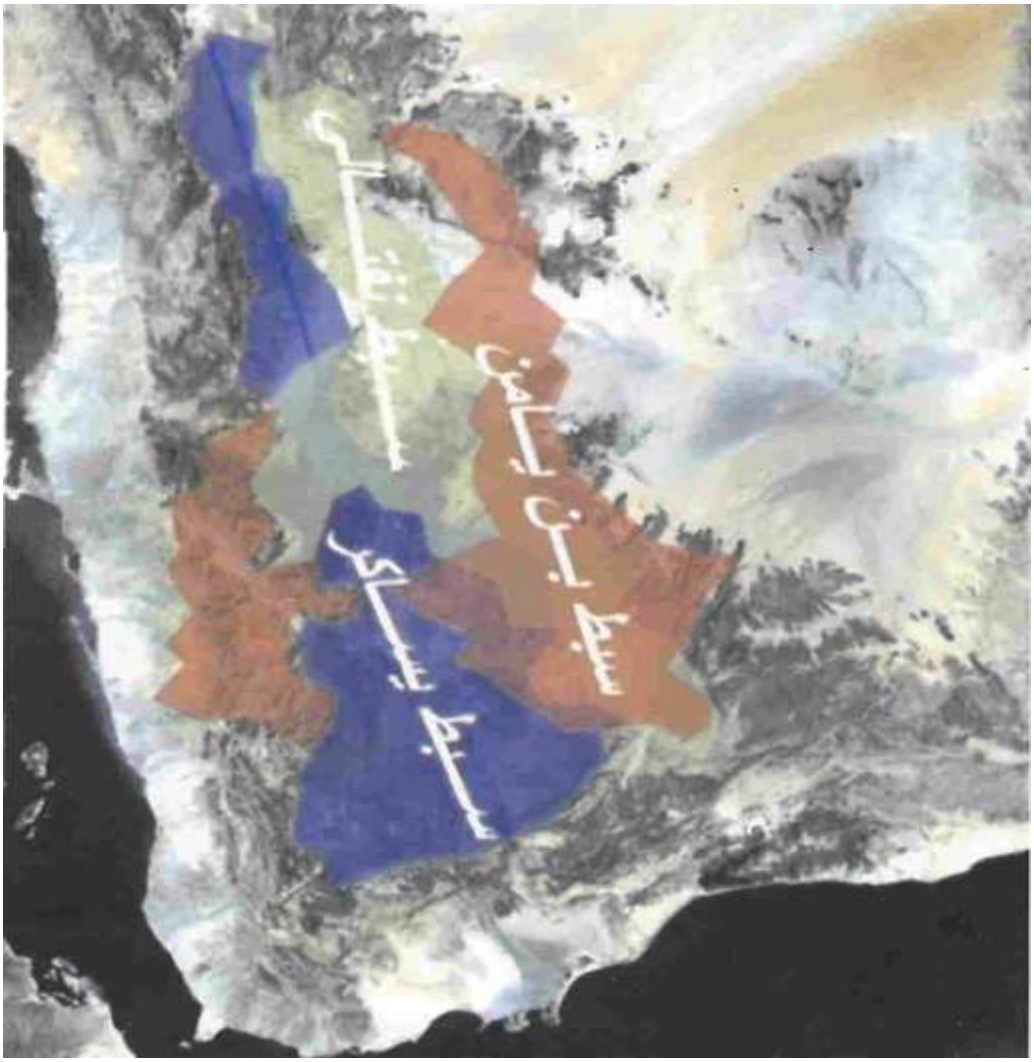

خريطة رقم (٢): حدود أرض سبط نفتلي كما حددها ورسمها فاضل الربيعي[١]

الأمر نفسه نجده في التحديدات الجغرافية الأخرى للربيعي، مثل تحديده لموضع (نهر زارد) التوراتي بأنه (وادي زرود) الذي يقع هو الآخر في منطقة حائل خارج جغرافية اليمن الطبيعي- بالقرب فعلاً من موقع بلطة الذي حدده-، والذي يصفه بأنه بـ ***(القرب من جبل الرما من بلاد القبيطة- محافظة لحج، جنوب غرب اليمن)***، فيما الموقعان تفصل بينهما مسافة شاسعة تبلغ أكثر من (١٦٠٠) كم..!!

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، في ملحق الخرائط، ص ٥٦٠.

خريطة رقم (٣): موقع وادي زرود في حائل بالنسبة لجبل الرما في بلاد القبيطة

بلا شك، فإننا وفق هذه التحديدات سنتصور الجزء الأخير فقط من رحلة الخروج التي قام بها بني اسرائيل بقيادة النبي موسى من موقع عصيون جابر قرب أيلة الى موآب، على نحو تبدو فيه بحق رحلة فوضوية ومستحيلة الحدوث..!!

وهكذا، فإن هذه الممارسات الإجرائية الانتقائية والاعتباطية التي لا تستند إلى منهج ولا إلى قاعدة علمية أو أساس موضوعي، أمر شائع جداً في كتاب الربيعي من حيث أقام جميع مقارباته على التشابه اللفظي أساساً، ثم على الشعوذات التأويلية والقعقعات الفوضوية التي لا تُحيل إلا إلى أوهام تكونت في مخيلته وسعى على نحو مفرط إلى إيهام القراء بأنها أدلة تدعم نظريته، ولا علاقة لها بعلم الجغرافيا وحقائقه لا من قريب ولا من بعيد.

[3]

فوضى الجغرافية المتُخَيَّلة

فضلاً عما سبق، يمكن التماس المزيد من تلك الممارسات الإجرائية المضللة والخادعة بوضوح أكثر من خلال التحول إلى الموضع الثالث والأخير من المواضع الثلاثة النائية والقاحلة التي يفترض أن مفكرنا قد عالج وفسر لنا فيها ما حملته لنا فقرة الهمداني بشأن موقع بلاد اليهود من إيليا والتي تسمى أورشليم.

لقد رأينا أن نسير على هدي إيقاع الربيعي وأن نتبعه في ذلك من البداية إلى النهاية، لنكون قادرين على معرفة إلى أي مدى قدم معالجة مقنعة تستند إلى أسس منطقية ومنهجية، وتتضمن قراءة علمية وموضوعية، وسوف نتعرف في السياق التالي على تحديداته اللغوية والجغرافية لمنازل سبط دان كما جاء سفر يشوع بن نون من جهة، وفي ضوء المقابلات الإسمية التي وجدها في كتاب الهمداني من جهة أخرى.

ففي إطار البحث عن منازل سبط دان، يطالعنا الربيعي بتفسيره للاسمين المتشابهين الواردين في النص التوراتي من (سفر يشوع، ١٩: ٤١– ٤٨): ***"لِسِبْطِ بَنِي دَانَ حَسَبَ عَشَائِرِهِمْ خَرَجَتِ ٱلْقُرْعَةُ ٱلسَّابِعَةُ. وَكَانَ تُخْمُ نَصِيبِهِمْ صَرْعَةَ وَأَشْتَأُولَ وَعِيرَ شَمْسٍ، وَشَعَلَبِّينَ وَأَيَّلُونَ وَيِتْلَةَ، وَإِيلُونَ وَتِمْنَةَ وَعَقْرُونَ.."***، تحت عنوان فرعي: ***(إيْلِهَ وأيْلِه)***، ويقدم آخر معالجاته بشأن ما يفترض أنه تفسير متصل بشكل أو بآخر بما جاء في فقرة الهمداني.

يترجم مفكرنا هذا النص ليشوع، هكذا: ***"ولسبط دان وعشائرهم يخرج سهمهم السابع، مرتفعاتهم وأغوارهم: ضرعة وعشتعل، وقرى شمس، وثعلبين و(إيله) ويثلث و(أيلة)، وتمنة وعقرون.."*** [١].

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٣٦٩.

وبعد أن استعرض وحدد مواقع الأسماء السابقة في النص على اسمي (إيلون، أيلون)، نجده يقول[١]:

"كل ما تبقى من منازل هذا السبط – سبط دان- هو (عيلون) و(عيالون) وهما اسمان يُحيلان قارئ النص التوراتي إلى اسم ورد في منازل سبط نفتلي ويكافئه المترجمون بكلمة (البلوطة). إن تكرار مثل هذه الأسماء في قوائم يشوع، هو الذي أثار الحيرة والفوضى في أشكال رسمها، فهل نحن أمام موضع واحد أم ثلاثة مواضع يحمل كل منهما الاسم نفسه؟ أم أننا حيال موضعين حقيقيين يحملان اسم (عيلون وعيالون) بالمد؟

لقد آثرنا ترك هذين الاسمين لمعالجتهما في هذا الحيز من الفصل لأسباب تقنية، تتصل بالرغبة في عرض مقاربة جديدة بين نصوص يشوع والهمداني، ومن أجل إزالة الالتباس الناجم عن القراءة الاستشراقية. وهي قراءة فاقمت من غرائبية أسماء المواضع في فلسطين المتُخَيَّلة. إن فلسطين الحقيقية لا تعرف قط، موضعاً يحمل مثل هذا الاسم، وليس ثمة أثر لغوي أو جغرافي أو ثقافي دال عليه. وعلى الضد من ذلك نستطيع الوصول إلى هذين الموضعين إذا ما تتبعنا وصف يشوع والهمداني لتهامة اليمن، أي في المكان نفسه الذي وجدت فيه سائر المنازل السابقة. إليكم الملاحظات التالية:

طبقاً للقاعدة اللغوية المستنبطة من فهم القدماء لوظائف الحروف اللاحقة واللاصقة في الأسماء اليمنية (مثل الياء المثناة من تحت في أول الاسم: يعرم، يعرب، يكرب، وهي: عرم، عرب، كرب، ومثل يهوذه- هوذه) بوصفها طريقة نطق تدخل في نطاق العادات الصوتية القديمة، وكذلك النون التي يسميها اليمنيون (النون الكلاعية في صعدة وسواها من المخاليف) والتي تلحق بأواخر الأسماء، فإن اسم الموضع الأول- أي عيلون- هو (إيله)- بهمزة من تحت- أما اسم الموضع الثاني فهو (أيله)- بهمزة من فوق- والفرق واضح بينهما.

هذا التمييز بين الاسمين ينسجم كل الانسجام مع الرسم العبري لهما. ولأجل توضيح ذلك هنا بيت من قصيدة لحسان بين ثابت:

*ملكاً من جبل الثلج إلى ** جانبي إيله من عبد وحر*

بينما يقول كثير:

---

[١]. المرجع السابق، ص ٣٩٩- ٤٠٠.

رأيت وأصحابي بأيلة موهناً *** وقد غار نجم الفرقد المتصوب

فلماذا اختلف شعراء الاسلام المبكر ثم الأموي وقبلهما الجاهلي في رسم الهمزة؟ تماماً كما اختلف الرسم العبري في رسم الاسم بالقصر والمد (عيلون، عيالون)؟ هل نعد هذا التفاوت الطفيف جوهرياً من حيث دلالته؟ وهل يتضمن إشارة قوية على معرفة مبكرة ومباشرة بمكانين حقيقيين؟ لقد عرف الشعراء العرب في واقع الأمر جبلاً بعينه من جبال تهامة يدعى (أيلة) هو شعبة من جبل رضوى، في سلسلة جبال ينبع على البحر الأحمر، وفيه عيون ماء عذبة كما يقول الهمداني: "ومجالخ من أودية تهامة الحجاز، الرّسيسان ضاس جبل إلى جنب رضوى، و(أيلة) أيضاً جبل".

هذا هو الجبل (أيله- عيلون) الذي عناه كثير في قصيدته، ضمن سلسلة جبال ينبع.

أما (إيله- عيالون) في قصيدة حسان فهو اسم المدينة القديمة والمندثرة التي ارتبطت بأسطورة (إيله بنت مدين- مدين في التوراة عاصمة ساحل البحر الأحمر على مقربة من حلي، وقد ذكرها القرآن لشهرتها في سورة الأعراف كمدينة يهودية. وهذه بالضبط هي التي عناها حسان بن ثابت في قصيدته.

وإيله المدينة هذه لا علاقة لها باسم خليج العقبة (أيله) كما يتوهم الاستشراقيون، بل هي المدينة الدارسة التي ظهرت ذات يوم في سواحل البحر الأحمر، ثم نقلت القبائل اسمها إبان الهجرة الكبرى إلى بلاد الشام وظلت مرتبطة بأساطيرهم عن مدين القديمة وقوم مدين ونبيهم شعيب.

إننا لا نعرف من التاريخ الغابر اسم مدينة يهودية، كانت عاصمة (حاضرة البحر) في فلسطين. لكننا نعلم من تمييزات الشعراء والمرويات القبلية والقرآن أن حاضرة من حواضر البحر الأحمر ظهرت بالفعل ذات يوم على الساحل، ارتباطاً بمروية اسطورية عن إيلة بنت مدين (في ساحل تهامة غير بعيد من جبل أيله).

وإذا كانت (عيلون) تعني في العبرية بلوطة، وهو ما فهمه المترجمون من جملة (من حلف من عيلون- في سبط نفتلي- فإن المقصود بهذا الموضع في قائمة نفتلي وليس في قائمة سبط يهوذا، وإنما هو جبل أيله حيث وادي حلف. وبالطبع ليس ثمة وادي حلف قرب العقبة في الأردن، كما لا يوجد جبل يدعى أيله هناك.

الفارق بين الاسمين أن أحدهما يشير إلى مدينة زائلة وآخر إلى جبل".

هكذا أوصلنا الربيعي في معالجته هذه الى الموضع الرابع من كتاب الهمداني الذي ذكر فيه (أيلة) أخرى غير (أيلة) التي في العقبة الأردنية، والتي أجّلنا التعرض لها من قبل حتى نصل الى هذا المكان، حيث أشار الهمداني الى أن: ***"من أودية تهامة الحجاز، الرّسيسان ضاس جبل إلى جنب رضوى، و(أيلة) أيضاً جبل"***[١]. ولكن دون أن يذكر شيئاً عن حاضرة البحر أو حاضرة الجبل.

هنا يجب أن نوضح ما يلي:

أولاً، لا علاقة لهذا كله بـ ببلاد اليهود العتيقة (إيلياء) التي هي أورشليم المقصودة في فقرة الهمداني. أما حديث الربيعي عن الزوائد واللواصق من الحروف فلا يمت الى حقيقة ما أشار إليه بصلة الى الإطلاق. فالنون الكلاعية تسمية مبسترة يستخدمها الربيعي ولا أصل لها في ثقافة اليمنيين القدماء لأن وجود هذه النون لديهم أقدم بكثير جداً من تاريخ القيالة الكلاعية، بل هي نون سبئية عرفتها كل كتابات ولهجات سبأ القديمة، وهي ترد نوناً مفردة لا يسبقها واو أبداً، بل أن الزائدة (ون) معروف عنها أنها شائعة في أسماء الأعلام والمناطق الواقعة في جغرافية بلاد الشام القديمة وفي مقدمتها أرض فلسطين.

أما ياء التأليف التي تنوب عن الألف في بدايات الأسماء، فقد جرت عادة اليمنيين القدماء أن يستخدموها في أسماء الأعلام البشرية تنزيهاً للألف المقدسة عن أن تكون أداة تعريف لأسماء البشر فيما هي بالأساس اسم وأداة تعريف إلهية حسب معتقداتهم آنذاك، وذلك على غرار (أحمد= يحمد، علي= يعلي، اخضب= يخضب.. الخ)، ومن ثم فهذه القاعدة لم تطبق أبداً على أسماء الأماكن الجغرافية ما لم تُسمى بأسماء رجال أو أعلام قبلية، ويمكن لمن شاء أن يتحقق من ذلك بمراجعة جميع التسميات اليمنية القديمة.

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٩٨.

ثانياً، أيلة الوحيدة التي وجدها مفكرنا في كتاب الهمداني، ليست إلا جبلاً مقفراً من جبال ينبع بين المدينة ومكة لم تكن أبداً مدينة أو قرية.. ولنقرأ بإمعان ما قاله ياقوت الحموي بشأنه[١]:

"أيلة، موضع برضوى وهو جبل، قال ابن حبيب: أيلة من رضوى وهو جبل ينبع بين مكة والمدينة، (وهو غير المدينة المذكورة)- هذا لفظه، وأنشد غيره يقول: من وحش أيلة موشي أكارعه.. (والوحش لا ينسب إلى المدن)".

كان ياقوت واضحاً للغاية من حيث قال ***(وهو غير المدينة المذكورة)***. فمن يراجع معجم البلدان سيجد أن عبارة ياقوت هذه قد جاءت على سبيل الاستدراك الذي قصد منه أن جبل أيلة من رضوى في ينبع ليس هو المدينة المذكورة في القرآن بحاضرة البحر، ولو كان هناك كما يقول الربيعي بجواره أو بالقرب منه مكان يسمى (أيلة) على الساحل، لكان الأولى بياقوت أن يشير إليه وأن يشير إلى أنها ليست المقصودة في الآية القرآنية أو أنها هي، ولكنه يعرف حق المعرفة أنه ما من شيء سوى جبل أيلة القافر والذي أشتهر بأنه من البقاع المسكونة بالوحش، ولأن مكاناً هذه صفته، فإنه لا يمكن أن يكون حاضرة أو عاصمة أو مكاناً مأهولاً بالبشر، وهذا معنى قول ياقوت .. ***(والوحش لا ينسب إلى المدن)***، إذ جاء قوله هذا تأكيداً على أن (أيلة) في العقبة الأردنية هي المقصودة بالقرآن الكريم بأنها حاضرة البحر وليس هذا الجبل في ينبع.

ثم أن الربيعي يؤكد لنا أن (أيلة/ عيلون، إيله/ عيالون) مكانان حقيقيان وليس ثلاثة أماكن، وقد اهتدينا من خلاله الى جبل أيلة وإيله حاضرة البحر المندثرة واللذان يقعان معاً على سواحل البحر الأحمر، ***فماذا عن بُلْطة النجدية التي هي (أيلون) كما قال؟!***

لا ندري، إنها فوضى وحسب..؟!

ثالثاً، إن اسماء (أيلة وإيليا وايلون) لا تنتمي إلى جغرافية اليمن إطلاقاً، والدليل على ذلك أن الربيعي لم يجد أياً منها أو ما يشابهها في نطاق جغرافية اليمن أبداً، ولو أنه وجد شيئاً من

[١]. ياقوت بن عبد الله الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، (ب. ت). ١/ ٢٩٣. ترقيم (م. ش).

ذلك لما تردد للحظة في توظيفه وقعقعة تفسير إيهامي له بحيث يجعله يبدو متطابقاً مع جغرافية أوهامه المتُخَيَّلة.

كما أن موقع جبل أيلة هذا والحاضرة المندثرة التي يزعمها الربيعي وتقع بالقرب من ذاك الجبل، هما ما يقع خارج نطاق جغرافية اليمن الطبيعي، الأمر الذي يسقط معه جملة وتفصيلاً العنوان العريض الذي صاغه مفكرنا لنظريته بأن جغرافية أحداث التوراة جرت في اليمن، وأن الهمداني قدم شهادة قوية تؤكد ذلك.

ويقول الربيعي أيضاً، أن أيلة الجبل يقع بالقرب من وادي حلف الذي حدد موقعه الهمداني بأنه يقع بين نجران والجوف، في حين أن المسافة بين الموقعين تنوف على أكثر من (١٢٠٠) كم، ***فهل يصدق بحق الله على هذه المسافة عبارة (بالقرب)؟!***

خريطة رقم (٤): موقع جبل أيلة– بالنسبة لـ وادي حلف بين نجران والجوف

وبالتالي، *فإنه سواء كانت (أيلة) هذه أو (أيلون) تقع في سبط نفتلي أو سبط دان بالنسبة للنص التوراتي، فهذا يعني في كل الأحوال أن امتداد أرض الميعاد كما ورد تقسيمها بين الأسباط في سفر يشوع لا يتوقف عند حدود اليمن الطبيعي كما حددها الهمداني، بل يتجاوزها إلى أراضي نجد والحجاز...!!- **بالله عليكم، هل هذا منطقي؟!***

رابعاً، *أين هي أيلة حاضرة البحر المذكورة في القرآن، والتي تقع بالقرب من جبل أيلة على ساحل الأحمر، والتي هي نفسها إيليا التي ذكرها الهمداني كما يدعي الربيعي، طالما وهو يعرف يقيناً أنه ما من مكان هناك في على الساحل الغربي للبحر الأحمر المحاذي للحجاز- ناهيك عن اليمن الطبيعي كله- اسمه (أيلة) كان مدينة أو حاضرة لا في الماضي العتيق ولا في الماضي القريب ولا اليوم يوجد هذا المكان؟!*

إزاء هذا السؤال، يدهشنا الربيعي كالعادة ويفاجئنا بالجواب السحري الرهيب الذي يقطع كل الشكوك، ويلقي بكل صنوف الريبة التي تختال في نفوسنا كبراً وتحاملاً عليه في ملاقي الهلاك. فقد أطل الربيعي علينا من نافذة جغرافيته الموهومة المعشعشة في رأسه وحده من دون خلق الله، وأخبرنا بأن (أيلة) هذه: ***"اندثرت وكفت عن الوجود، حيث انتقل اسمها مع هجرات القبائل إلى العقبة الأردنية"***[١]*..!!*

يا الله..!!

يا الله..!!!

كم أنت مدهش وبارع يا مفكرنا العظيم..!!

بالطبع، لن نسأل البروفسور، عن متى وبأي زمن وجدت أيلة هذه التي اخترعها كما اخترع الصهاينة أوهام حقهم المقدس في اغتصاب أرض فلسطين؟ ولن نسأله إلى متى بقيت؟ وكيف زالت وكفت عن الوجود واندثرت؟ ولا كيف اهتدى هو إليها؟!

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٤٤.

لن نسأله عن ذلك كله، ليس لأنه لم ولن يجيب أبداً على تساؤلاتنا الماكرة والخبيثة، بل لأنه يكفي أن يعلم هو، وأن يصدقه الإمعات ويتبعونه في ذلك.

خامساً، تأتي الطامة الكبرى والفجيعة الأدهى، من حيث حدد مفكرنا جغرافياً موقع أورشليم التوراتية بأنها ***(بيت بوس)***- بالقرب من العاصمة اليمنية ***(صنعاء)***، ما يعني أنه قد تجاهل قاصداً ومتعمداً الرابطة الوثيقة التي عبَّرت عنها فقرة الهمداني وعبارته الأخرى الصريحة بأن ***(إيليا هي أورشليم)***، فأسقط ذلك الارتباط الوثيق بينهما في تعيين مكان واحد ارتبطا به وهو بلاد اليهود العتيقة.

في الحقيقة، أنه فعل ذلك من حيث لم يكن أمامه أي خيار تلفيقي آخر.

خريطة رقم (٥): موقع بيت بوس في صنعاء بالنسبة لموقعي جبل أيلة في ينبع وعين بلطة في حائل

وإذن، كيف بحق الله تكون أورشليم في بيت بوس بالقرب من صنعاء، بينما تكون (إيليا) في مكان ما على ساحل البحر الأحمر تفصل بينهما مسافة تزيد عن (١٤٠٠) كم، وإذا كانت بلطة النجدية هي إيلون التي هي إيله- ايلياء كما يتوهم الربيعي، فإنها بذلك لن تكون أبداً حاضرة البحر القرآنية، كما وأن المسافة التي تفصل بينها وبين بيت بوس تزيد عن (١٦٠٠) كم..؟!

كيف لنا- بحق الله-أن نتصور أن هذه الفوضى التي اختلقها مفكرنا وتوهمها يمكن أن تفسر لنا المقصود في فقرة الهمداني وكل ما جاء في كتابه بشأن إيليا بلاد اليهود التي تسمى أورشليم، في الوقت نفسه الذي نعلم فيه تماماً أن الهمداني قد ربط الاسمين بمكان واحد عناه بأنه بلاد اليهود العتيقة، فضلاً عن أن هذه العلاقة قد أكدها كبار الأساتذة الذين انتحل الربيعي نظريتهم كالصليبي وأحمد داود، وأكدها من قبلهم العشرات من المؤرخين واللغويين والجغرافيين العرب والمسلمين ممن جاءوا قبل الهمداني وممن جاءوا من بعده؟!

ثم، ما علاقة ذلك كله بـ نجران التي ظل الربيعي يستحضرها وكأنها أيقونته المقدسة؟!

لا جواب على مثل هذه التساؤلات سوى أن هناك بونٌ شاسعٌ للغاية بين الحقائق الجغرافية التي أثبتها الهمداني في كتابه وتؤيدها كافة المؤلفات اللغوية والتاريخية والجغرافية العربية القديمة، وبين الأوهام والقعقعات المتُخَيَّلة، التي لا أصل لها ولا سند سوى إرادة التزييف والتحريف، ونزعة التلفيق والتضليل التي مارسها مفكرنا الفذّ بصور مُعيبة ومثيرة للخجل.

سادساً، يختتم مفكرنا معالجته الرهيبة، قائلاً[١]:

"هذه هي منازل سبط دان القبيلة اليمنية البائدة التي أقامت في مخلاف مملكة اليهودية. لقد عادت هذه المملكة الى الظهور مع العصر الروماني المتأخر مع صعود سلالة جديدة في منطقة اليمامة، وكان آخر ملوكها عشية الاسلام يدعى هوذة بن علي الحنفي السحيمي".

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني مرجع سابق، ص ٤٠٠.

ترى، ما هي علاقة ***(هوذة بن علي السحيمي الحنفي)***[١] بما كان يتحدث عنه الربيعي؟!– إذ ينتسب (هوذة بن علي السحيمي) الى بني حنيفة من قبيلة بكر بن وائل العدنانية العربية الصريحة عروبتها، ومساكنها في وادي بني حنيفة باليمامة، وقبيلته بني سحيم. فهو هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرة بن الدول بن حنيفة كما في جمهرة النسب لابن الكلبي، وكان من زعماء بنو حنيفة، وكان يجيز الثياب الى كسرى حتى تصل الى نجران، ووفد على كسرى وأعطاه قلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم، وكان معاصراً لأعشى قيس ومدحه الأعشى بأربع قصائد. وكان على النصرانية وأدرك الاسلام ولم يسلم[٢].

وهكذا، فإن هوذة السحيمي زعيم قبلي عربي صريح العروبة ينتمي الى إحدى القبائل العدنانية العربية وهي قبيلة بكر بن وائل، ولم يكن يهودياً أبداً بل نصرانياً – أي من العرب المتنصرة– ولم يكن له أي علاقة بالرومان لا من قريب ولا من بعيد. ***فمتى كانت قبيلة بكر سلالة جديدة لبني اسرائيل أو لليهود ومتى أقام بنو حنيفة مملكة يهودية في اليمامة، ومتى كان هوذة هذا ملكاً من ملوك اليهودية؟!***

ما علاقة الرجل باليهود واليهودية يا مفكرنا العبقري؟!

لا شيء، سوى أن الرجل اسمه (هوذة)، وأن الربيعي يتوهم أن ياءً زائدة ولاصقة في بداية هذا الاسم قد اندثرت وكفت عن الوجود هي الأخرى، وأن الأصل من هذا الاسم هو (يهوذة)..!!.

---

[١]. جاء في حواشي محقق كتاب صفة جزيرة العرب عن هوذة بن علي السّحيمي الحنفي، أنه الملقب بذي التاج، قال أبو عمرو معدي: قط وإنما كانت التيجان لليمن، وقيل له: فهوذة بن علي، فقال: إنما كانت خرزات تنظم له وقد كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة يدعوه كما كتب الى الملوك ولم يسلم لأنه عاجله الموت. أنظر: الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٥٢.

[٢]. حمد بن ناصر الدخيل: يحيى بن طالب الحنفي (١٢٠– ١٨٠هـ/ ٧٣٨– ٧٩٦م) شعره وحياته، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٠٠٠. ص ١٩، هـ (٥).

على كل حال، يالها من خاتمة تلفيقية غبية ورعناء، لا يصدقها إلا المغفلون من القراء.. وما أكثرهم في هذا الزمن. ومن يدري، لعلنا نقف أمام مشروع ربيعي جديد لإضافة نجد والحجاز واليمامة والعراق وتركيا والصين الى جغرافية التوراة؟!

ختاماً، كانت تلك نماذج محدودة من السقطات والأوهام والتلفيقات الكثيرة التي تركها لنا مفكرنا الربيعي في ركام سرديته المشوشة والمضطربة والرخوة وغير المتماسكة. فعن هذه السقطات الربيعية الكارثية، حدثوا منذ اليوم ولا حرج.. لأننا مقبلون على اكتشاف ما هو أمرُّ وأدهى، ومقبلون على الكشف عما لم يسبقنا إليه أي ناقد لهذه النظرية العجفاء السخيفة التي جاء يبشرنا بها مفكرنا العبقري.

وإنه لمن المؤسف والمخجل أكثر أن نجد من المثقفين والأكاديميين العرب، من يُطَبِّل للربيعي ويُشيد بجرأته ومغامرته المعرفية والتاريخية والجغرافية، ويصفها بكل سذاجة بأنها فتحت آفاقاً واسعة في معرض نقد التوراة..!!- فيما هي في الحقيقة فتحت آفاقاً رحبة للتزوير والتدليس.

الفصل الثالث

هورشلم حوتس لآرتس؟!

لطالما كان صنع التاريخ من قبل الشعوب منذ أقدم الأزمان وأقدم الحضارات رهيناً بالموقع والرقعة الجغرافية التي تستوطنها وتسكنها، سواءً باختيارها أو رغماً عنها تحت قهر الطبيعة أو قهر الحروب البشرية، لتصبح الجغرافيا (الأرض) على رأس الحقائق الثابتة التي يكاد يكون مستحيلاً أن يطالها التغيير، نظراً لارتباطها الوثيق والعميق بالجذور اللغوية والثقافية لسكانها، والتي لا تُمحى أبداً من الذاكرة لأنها تمثل جزءً جوهرياً من كينونة وجودها الانساني ومن تاريخها وأعلامها[١].

إن العلاقة بين الانسان والجغرافيا، هي نفسها العلاقة بين التاريخ والجغرافيا، والتي يوجزها ويعبر عنها ذلك الحدث الذي يصنعه الفرد المبدع والجماعة المتطلعة الى النهوض والتقدم، والذي يؤرخ له بالزمان وفي المكان الذي انتموا دوماً إليه، وإذا كانت معركة الشعوب الرئيسية انطلاقاً من كونها صانعة تاريخها وحضاراتها تتمثل في حفظ وحماية نتاج ذلك التاريخ مرتبطاً بالأرض وبالجغرافيا، فإن أعداء الحقيقة وصُنَّاع الزيف أبدعوا الكثير من الطرق لتزييف التاريخ وتشويه معالمه والتضليل عن حقائقه، ليبقى السؤال في مضمار هذا الصراع:

هل يمكن تزييف الجغرافيا أيضاً؟!

تتناقض الأسفار التوراتية في تقديم معطياتها وتحديداتها الجغرافية إزاء ما تعبر عنه العديد من الاصطلاحات المقرائية، على غرار: الوعد المقدس، أرض الميعاد، أرض اسرائيل، وغيرها من الاصطلاحات التي تراتبت دلالاتها الجغرافية بين ادعاءات الحق الإلهي وشعارات

---

[١]. أحمد زرير: علم الأعلام الجغرافية الطبونيميا في رصد بعض الحقائق التاريخية في منطقة أيت سدرات ن إغيل، ١١ مايو ٢٠١٧، متاح على الرابط الالكتروني:
http://www.dades-infos.com/?p=42925- 30 May 2018.

الحق التاريخي، في الوقت الذي كشفت فيه نتائج علم الآثار وغيره من العلوم المساعدة عن استحالة القبول بمثل هذه الادعاءات لعدم وجود ما يسندها على أية حال، وهذا ما دفع البعض من الباحثين العرب - ***تأثراً ببعض المقولات والافتراضات التي طُرحت من قبل مفسري التوراة والمستشرقين كما تبين لنا من قبل***- الى افتراض أن ثمة خطأ وقع في تحديد جغرافية النص التوراتي، والذي أفضى بدوره الى اختلاق نظرية جغرافية التوراة في اليمن وجزيرة العرب.

تنطلق هذه الدراسة من رؤية نتبناها ولابد من توضيحها، وهي رؤية تتمثل في رفضنا التام لمصطلح "جغرافية التوراة" بكل مدلولاته وحمولاته وتفسيراته، إذ أننا نراه مصطلحاً خادعاً ومضللاً من حيث يُعطي مشروعية أو مصداقية زائفة لفكرة أن النص التوراتي بحد ذاته له هوية جغرافية تستتبعها هوية تاريخية. والحقيقة أنه لا يمكن أن تكون هناك جغرافية أو أرض موهوبة لنص أو معطاة بموجب نص أو مستدل عليها بموجب نص. فالأرض والجغرافية لسكانها ولشعوبها تتسمى بأسمائهم وتعبر عن هوياتهم، فنقول جغرافية اليمن وسكانها اليمنيين، وجغرافية فلسطين وسكانها الفلسطينيين، إذ أن هوية الأرض بالأساس نتاج طبعي وطبيعي لهوية سكانها كما سموها ورسموها وصنعوها ودافعوا عنها، وأي اصطناع قائم على غير ذلك ما هو إلا خداع وتحريف.

ولكي تتضح رؤيتنا أكثر للقراء الأعزاء، نقول أن وقع مصطلح جغرافية التوراة على نفوس الناس يختلف تماماً عن وقع مصطلحات أخرى لو أنها استخدمت، مثل: "جغرافية العبرانيين أو جغرافية اليهود، أو جغرافية بني اسرائيل"، وهذا بالضبط ما تفاداه أصحاب هذه النظرية، من حيث أدركوا الدور الوظيفي الذي يمكن أن يلعبه مصطلح جغرافية التوراة في خداع الناس وتضليلهم عن كونه في الحقيقة بديلاً لتلك المصطلحات التي تعبر عن الحقيقة الكامنة وراء ما تسعى نظريتهم الى تلفيقه، وبالتالي فإن مصطلح (جغرافية اليهود) هو ما يجب أن يوضع في الاعتبار عندما نتعاطى مع مصطلح جغرافية التوراة، لأن من الصعب اليوم الحديث عن (جغرافية أرض بني اسرائيل) من حيث لم يعد يوجد بالأساس شعب أو جماعة أو قومية يمكن أن نقول بأنها بني اسرائيل، ولهذا يحرص رواد هذه النظرية على الإمعان في الخداع والتضليل من خلال تأكيداتهم المستمرة على ضرورة الفصل والتمييز بين اليهود وبني اسرائيل.

ونظراً لاستحالة القبول اليوم بالمدلول الصريح لمصطلح جغرافية أرض اليهود أو جغرافية أرض بني اسرائيل، جرى استخدام وتوظيف مصطلح جغرافية التوراة لإيهامنا بأن الأمر لا يعدو أكثر من طروحات تفسيرية تاريخية وجغرافية ذات طابع معرفي بحت للنص التوراتي، وأن الأمر ليس له أي ارتباطات سياسية أو وظائف أيديولوجية تخدم فئة ما أو نظرية ما أو مشروع ما. فيما الأمر واضح جداً، والخداع واضح جداً، والتضليل واضح جداً، وإلا لماذا لا يُسمي أصحاب هذه النظرية الأشياء بمسمياتها، على الأقل كما وردت في النصوص التوراتية طالما وهي مرجعهم الجوهري؟!

لماذا لا يقولون جغرافية أرض الميعاد، أو جغرافية أرض اسرائيل تماماً كما تنطق بذلك التوراة..؟!- على القراء ألاّ تفوتهم مثل هذه الملاحظات البالغة الأهمية.

يبرز هذا الاتجاه الخادع والمضلل في رسم أطر وحدود هذه النظرية بكامل ملامحه وسماته في النموذج الذي قدمه المفكر العربي فاضل الربيعي، الذي نهض على افتراضات غرائبية تمحل صاحبها بجهد بالغ في وضع الكثير من الحقائق الجغرافية- فضلاً عن الحقائق اللغوية والتاريخية- على محك الشك والارتياب، إذ تعامل على الدوام مع افتراضاته وكأنها حقائق راسخة، الأمر الذي أثار الكثير من الدوافع لوضع نموذجه تحت مجهر الفحص العلمي والنقد المنهجي والموضوعي.

وهكذا، مادام الأمر يتعلق بالجغرافيا، فلابد من أن تكون الأسس والمفاهيم والأدوات التي يحددها علم الجغرافيا هي المعيار الذي ينبغي الاحتكام إليه، ومن ثم يتم تدعيم هذا المعيار بالمعايير اللغوية والتاريخية الأخرى المؤازرة له.

[1]

هل ترجم الربيعي التوراة حقاً؟!

ادعى مفكرنا الربيعي وكرر ادعاءاته دائماً في مواقع مختلفة من كتابه "***فلسطين المتخيلة***"، بأن وصف الهمداني لجغرافية جزيرة العرب واليمن على وجه الخصوص، قد جاء متطابقاً مع ما ورد في النص التوراتي، وأن هذا التطابق يتضح من خلال المقابلات الاسمية للأماكن الجغرافية بين الوصفين الهمداني والتوراتي، ***الأمر الذي تركز بشكل أكثر في تحليلاته على ما جاء في سفر يشوع بشأن أرض الميعاد- أرض كنعان- وتقسيمها بين الأسباط.*** وبحسب ادعاءاته أيضاً، فإن الهمداني قد حدد الفضاء الجغرافي للأماكن والمنازل التي ورد ذكرها في سفر يشوع وغيره من أسفار التوراة[١].

بيد أن النص التوراتي يُعطينا الكثير من المقومات التي تدعم مسار التحقق من صحة وموضوعية تفسير كهذا، من حيث أعطانا هذا النص توصيفات جغرافية هامة لحدود الأرض الموعودة وحدود أرض كنعان مثلاً. كما أمَّدنا ببيانات وصفية عن المساحة والتضاريس والمعالم والسكان والطبيعة والطقس والمناخ وغير ذلك من البيانات التي تدخل بلا أدنى شك في لحمة وسدى البحث الجغرافي، ***رغم ما يشوبها من التناقضات والتضاد والتشوش، إلا أنها تبقى متاحة للبحث والتحليل النقدي.***

ولأن الأمر بالنسبة لهذه النظرية- نظرية جغرافية التوراة- قائمٌ – كما أكدنا مراراً – على البحث عن المتشابهات من الأسماء الجغرافية، وقائمٌ أيضاً على اختلاق ذلك التشابه والتطابق المزعوم، أكثر ما إنه قائم فعلاً على الأسس العلمية والموضوعية التي لابد وأن يستند إليها أي بحث في الجغرافيا التاريخية، بل ولأن الأسس والمعايير العلمية الجغرافية ظلت منذ البداية معزولة، ومقصاة، وممنوعة من الحضور بشكل فعلي على طول النسق الذي سلك فيه مفكرنا

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٨٥.

العبقري مسالكه المختلفة في وضع اجتهاداته وطرح معالجاته، نقول أنه لهذا السبب ولغيره من الأسباب تجاهل هذا المفكر عمداً وقصداً تلك التفاصيل والمعطيات التوراتية المتعلقة بجغرافية الأرض المعنية في أسفارها واصحاحاتها.

من أجل ذلك، سوف نتعامل بالقدر الكافي مع بعض تلك التفاصيل والمعطيات الكتابية التي وردت في النص التوراتي، نظراً لما تنطوي عليه من أبعاد ودلالات هامة تتقاطع وتتناقض مع نظرية مفكرنا الموهومة وتفسيره المختلق والملفق لجغرافية أحداث التوراة.

ولكي يتبين بالضبط ما نقصده، فإن تلك التفاصيل والمعطيات الجغرافية التي وردت في الأسفار التوراتية والتي نشير إليها هنا، تتمثل بما يلي:

أولاً: التفاصيل المتعلقة بـ "حدود أرض الميعاد"، والتي يمكن أن تعطينا فكرة لا بأس بها عن حدود الأرض المعنية دائماً في النص التوراتي، وربما تساعدنا بدرجة أو بأخرى في تحديد موقعها الجغرافي.

ثانياً: التفاصيل المتعلقة بـ "مساحة أرض الميعاد"، وهي تفاصيل بالغة الأهمية من حيث طبيعتها الكمية والقياسية كيفما وردت في النص التوراتي، ومن شأنها أن تعطينا فكرة واضحة عن مساحة الأرض المعنية في التوراة.

ثالثاً: التفاصيل المتعلقة بـ "تقسيم الأرض بين الأسباط"، وهذا هو الجزء الذي تعامل معه الربيعي متسرعاً، وجعل مرتكزاً أساسياً في تكوين نظريته واستدلالاته.

رابعاً: المعطيات المتعلقة بجوانب جغرافية أخرى، وهي معطيات متفاوتة الكم والمضمون إزاء جوانب جغرافية لا يمكن التغافل عنها، كالطقس والمناخ ومواسم الأمطار والأشجار والنباتات والمنتجات الزراعية والحيوانات.. الخ.

لا شك في أن توفر مثل هذه المعطيات والتفاصيل في النص التوراتي وبشكل واضح وصريح في أغلب الأحوال، ينبغي أن يكون مدخلاً جوهرياً لبناء أي أطروحة علمية ومنهجية

بشأن ما يصفه الربيعي وغيره بـ "جغرافية التوراة" أو "مسرح أحداث التوراة". لكن هذا لم يحدث ولم يقم به مفكرنا أو يُعيره أي انتباه، في مقابل أن هناك من رواد هذه النظرية من حاول الاقتراب من تلك التفاصيل بحذر شديد، ومنهم من تعامل معها بشكل مجتزئ ومنقوص لخدمة أهدافه الضيقة، الأمر الذي يدفعنا الى تحري الأسباب والدوافع الكامنة وراء تجاهل وتغييب تلك المعطيات رغم أهميتها الشديدة في الكشف بدقة عن حقيقة مسرح أحداث النص التوراتي.

على هذا الأساس، سوف نتعامل في هذا الفصل مع معطيات النص التوراتي المتعلقة بحدود أرض الميعاد، وذلك في ضوء النصوص التوراتية المتعددة التي تستند إليها عقيدة ***(أرض الميعاد أو أرض الموعد أو الأرض الموعودة)*** الكتابية لما يُعرف بـ ***(الوعد الإلهي)***. فقد صدر هذا الوعد أولاً للنبي إبراهيم في (سفر التكوين، ١٥: ١٨– ٢١)، كما صدر وعداً آخر ليعقوب نجده أيضاً في (سفر التكوين، ٢٨: ١٠– ١٥)، ثم صدر وعداً مماثلاً للنبي موسى في (سفر الخروج، ٢٣: ٣١)، وهو الوعد الذي جرى تفصيله جغرافياً في (سفر العدد، ٣٤: ١– ١٣)، ومن بعد ذلك نجد نصان رابعاً وخامساً يحملان في جديلتيهما الوعد نفسه وكلاهما في سفر التثنية، الرابع منهما في مطلع (سفر التثنية، ١: ٧– ٨)، والخامس في نهاية السفر نفسه (٣٤: ١– ٤)، ثم يرد ذلك الوعد الإلهي مجدداً بصيغ مغايرة في عدة مواضع من سفر يشوع: (١: ٤)، (١: ١٢– ١٥)، (١٠: ٤٠– ٤٢)، (١١: ١– ٢٢)، (١٢: ١– ٢٤)، (١٣: ١– ٦).

غير أن كل تلك الوعود الإلهية بمنح بني اسرائيل/ اليهود أرضهم الموعودة والتي اقترنت بالدعوة الى إجلاء سكانها وقتلهم بل وإبادتهم عن بكرة أبيهم، لم تدخل حيز التنفيذ إلا في سفر يشوع الذي انطوى على وصف الإجراءات التي قام بها "يشوع بن نون" في غزو بلاد كنعان– والتي سيجري تسميتها لاحقاً بـ ***"أرض اسرائيل"*** ثم ***"بلاد اليهود"*** –، ومن ثم تقسيمها بين الأسباط الاثني عشرة من بني اسرائيل، وفق أسس ومعايير لم يغفل النص التوراتي عن تبيانها لنا.

المثير للاهتمام هنا، هو أن النصوص التوراتية المشار إليها آنفاً، لم تكتف بإطلاق ذلك الوعد الإلهي وتسمية الأرض الموعودة فحسب، بل اقترنت بنصوص متصلة بها بيَّنت حدود تلك الأرض الموعودة، وبالتالي فإننا نجد أمامنا كماً كبيراً من النصوص التي تصف لنا حدود

أرض الميعاد، ونظراً لتعدد صيغ ذلك الوعد والأشخاص الذين وعدوا بها، والمراحل الزمنية المتباينة التي عاش فيها كل منهم، فإننا لا نجد تلك الحدود وهي معينة على نحو واحد، بل إنها تختلف فيما بينها من نص أو وعد الى آخر، فضلاً عن أنها جميعاً تختلف عن حدود ما تمكن "يشوع بن نون" بعد ذلك من تحصيله بالفعل. ***"كما أن حدود الأرض التي سكنها بنو إسرائيل ومن بعدهم اليهود في إطارها تختلف من مملكة إلى مملكة"***[١]. فالحدود التاريخية الفعلية لأرض الميعاد أو أرض إسرائيل في التوراة كانت دائماً حدوداً غير ثابتة، متنقلة، تغيرت، وتنقلت، وتوسعت، وتقلصت في فترات مختلفة. ومع ذلك، يرى جانب كبير من مفسري وشارحي ونقاد النص التوراتي والباحثين في شؤونه، "أن التحديد الدقيق لأرض إسرائيل كان في زمن القضاة، وعلى وجه التحديد فترة يشوع والأسباط"[٢].

ومن أجل البقاء في مسار بحثنا، سوف نبتعد عن الكثير من القضايا التي تدخل في لحمة وسدى هذا الأصل الاعتقادي الذي حملته التوراة، والذي أثار الكثير من المشكلات التاريخية والدينية والجغرافية والفكرية، بحيث نتمكن من الولوج الى صميم موضوع هذا البحث ومجاله، والذي يتمثل في التعرف على بعض ملامح جغرافية أرض اسرائيل وبلاد اليهود كما وردت في التوراة، مما تجاهله مفكرنا الربيعي وغيره من الرواد العرب لنظرية جغرافية التوراة.

يمضي اتجاهنا في السياق التالي نحو استقراء ودراسة بعض تلك الملامح الجغرافية التي قدمتها لنا التوراة عن الأرض المقصودة فيها، ***دون التدخل في أو الاعتماد على التفسير التقليدي الذي يضع هذه الأرض دائماً في نطاق جغرافية بلاد الشام- الجزء الجنوبي الغربي من بلاد الشام: فلسطين***. فالهدف الجوهري من بحثنا هنا هو التحقق من مدى انطباق الوصف التوراتي لأرض اسرائيل على جغرافية اليمن كما وصفها الهمداني، على نحو يبدو فيه الأمر وكأننا نقوم بالخطوة التي كان يفترض بمفكرنا الربيعي أن يقوم بها، والتحقق من مدى قدرتها على تدعيم نظريته وادعاءاته.

[١]. عمر أمين مصالحة: حدود ارض إسرائيل في المكرا (التوراة)- دراسة توثيقية، مجلة قضايا اسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، العدد (٤٦)، يوليو ٢٠١٢. ص ص ٨٩- ٩٨.

[٢]. المرجع السابق، ص ٨٩.

وهذا يعني أننا سنتبنى افتراضه بأن موطن وجغرافية أحداث التوراة هو اليمن، ثم نتحقق من مدى صحة هذا الافتراض من خلال مطابقة التحديدات الجغرافية التي أقامها في كتابه "فلسطين المتخيلة" للمناطق والمواقع التوراتية والمتعلقة بحدود أرض الميعاد أو أرض اسرائيل، كما أسقطها على الجغرافية اليمنية.

وبهذا تتكامل معنا حلقة البحث بين النص التوراتي والهمداني والمعالجة التي قدمها مفكرنا الفاضل.

بيد أن ثمة أمران لهما أهمية بالغة في الكشف والتعرف على الأسس التي انطلق منها الربيعي في بناء معالجته الجغرافية واستدلالاته التي قدمها في كتابه "فلسطين المتخيلة"، نرى أن نتطرق لهما هنا من حيث لم يتسنى لنا ذلك من قبل، وهما:

الأمر الأول، ما أكد عليه الربيعي من أنه قام بإعادة ترجمة النص التوراتي من أصله العبري، كإجراء قام فيه بإعادة ضبط الأسماء الجغرافية، ولأنه لم يبين لنا أسس ترجمته أو يعرضها لنا، فنحن مضطرون لتحري حقيقة هذه الترجمة، والبحث قدر المستطاع عن الفروق التي أحدثتها ودورها في تصحيح الرؤية الجغرافية لمسرح أحداث التوراة.

الأمر الثاني، وهو ما يتعلق بالطريقة التي تعامل بها الربيعي مع نصوص الهمداني الوصفية والجغرافية والأسماء الواردة فيها، والى أي مدى كان تعامله علمياً وموضوعياً. فمن المؤكد أن التعرف على ملامح ترجمته للنص التوراتي شرط ضروري للتحقق من موضوعية ذلك التطابق بين الأسماء الجغرافية التي أكد عليه بين التوراة والهمداني.

من أجل ذلك، رأينا أن نعقد مقارنة سريعة بشأن الأساس الذي أقام عليه الربيعي نظريته، بين نموذجه من جهة ونموذج أستاذه مهندس النظرية الأول الدكتور كمال الصليبي من جهة أخرى. فالأساس الذي اعتمده الصليبي في بناء نظريته هو ملاحظة وجود تشابه بين أسماء الأماكن التي ترد في النص التوراتي، وأسماء الأماكن القائمة اليوم في منطقة عسير غرب الجزيرة العربية، ولكي يثبت الصليبي هذه الظاهرة بنى منهجه على مقابلة الأسماء التوراتية في النص الماسوري منها مع أسماء الأماكن في عسير، ومن ثم قام بتطبيق قواعد التحولات اللغوية

من تقليب وابدال وغيرها على أسماء القرى والتلال والوديان في عسير لتصبح مشابهة فعلاً للأسماء التوراتية التي حرص على الاحتفاظ بها سليمة دون خدش، وهذا ما جعل الصليبي يقع في مأزق تفسيري، جعله يتعسف في المطابقة بين الأسماء الجغرافية، إذ عمد الى اجبار أسماء المناطق في عسير على أن تصبح مشابهة لأسماء أماكن التوراة، وهذا ما أفقد استدلالاته الكثير من المنطق وأخرجها من دائرة المنهجية العلمية.

كان الربيعي قد انتقد اجراءات الصليبي تلك في أكثر من مناسبة، ففي حوار معه طرح عليه سؤال عن مواطن الاتفاق والاختلاف بينه وبين الصليبي، أجاب مفكرنا قائلاً[١]:

"الدكتور كمال صليبي عالم جليل قام بفتح عظيم في الثقافة العربية وكتابه (التوراة جاءت من الجزيرة العربية) هام للغاية، ومن حيث الجوهر لا خلاف بيني وبينه في فهم النص التوراتي، ونحن نتفق في القواعد العامة للبحث وفي المنطلقات الأساسية في قراءة هذا التاريخ ونختلف في الأدوات، هو لجأ الى الـ (فونيطيقا) أي لعبة المقاربات اللغوية التفكيك والتركيب (البنى الصوتية) للأسماء، معتقدا من خلاله أن المتغيرات التي حدثت في أسماء الأماكن والمواضع في منطقة عسير يمكن أن تكون مفتاحا لإعادة فهم وتركيب النص التوراتي، وانا على العكس من ذلك لم أسقط في فخ اللعبة اللغوية".

نفس هذه الفكرة، عبَّر عنها الربيعي في عدة مواضع من كتابه "فلسطين المتخيلة"[٢]، حيث كشف عن عيوب منهج الصليبي، واصفاً إياه بـ ***(لعبة المقاربات اللغوية)*** ، ومؤكداً بصيغ مباشرة على أنه استفاد من خطأ الصليبي (ولم يسقط في الفخ الذي وقع فيه)، وهذا بدوره يدفعنا الى التعرف على طبيعة المنهج والأدوات التي استخدمها الربيعي لإثبات تشابه أسماء الأماكن

[١]. الباحث العراقي فاضل الربيعي: فلسطين لم تكن يوما أرض الميعاد اليهودي ولا علاقة لها باليهودية، حوار مع فاضل الربيعي، صحيفة الوطن، متاح على الرابط الالكتروني:
http://www.alwatan.com/graphics/2011/01Jan/18.1/dailyhtml/ashreea.html- 26 May 2018.

[٢]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٧.

في التوراة مع أسماء الأماكن التي مازالت قائمة في اليمن، وأن نعرف بالضبط كيف تجّنب حقاً الوقوع في مأزق الصليبي؟!

في نفس الحوار المشار إليه آنفاً- وأيضاً في مقدمة كتابه "فلسطين المتخيلة"- يصف الربيعي منهجه وأدواته التي نأى بنفسه من خلالها عن الوقوع في ذلك الفخ، قائلاً[١]:

"ذهبت مباشرة الى المحاور الثلاثة الآتية: إعادة ترجمة النص العبري ومقارنته مع نص الهمداني والتطابق المذهل في أسماء المواقع والأماكن وفي نفس الفضاء الجغرافي، ثم الشعر الجاهلي".

نفهم من هذا، أنه استند في بناء نظريته على منهج ثلاثي- أي قائم على ثلاث خطوات- كالآتي:

الخطوة الأولى، قام فيها بدراسة اللغة العبرية لعدة سنوات- كما صرح لنا- حتى تمكن منها ومن فك أسرارها وكل طلاسمها، وبالتالي فقد أصبح قادراً على قراءة التوراة في نصها العبري الأصلي.

الخطوة الثانية، قام فيها بتعيين النص التوراتي العبري الأصلي وإعادة ضبط أسماء الأماكن الجغرافية الواردة فيه.

الخطوة الثالثة، قام بمطابقة ومقارنة أسماء الأماكن التوراتية وأسماء المناطق الواردة في كتاب الهمداني وقصائد الشعر الجاهلي.

كما يؤكد مفكرنا على أنه ومن خلال هذه الإجراءات، توصل الى نتائج مدهشة للغاية، حيث أن اكتشف أن الأمر ليس مجرد تشابه بين الأسماء بل هو تطابق تام، بحيث لا يحتاج معه الى تطبيق التلاعبات اللغوية كما فعل الصليبي.

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٨- ١٩.

لكننا وحتى هذه اللحظة، وبرغم مرور ما يزيد عن عشر سنوات منذ صدور كتابه فلسطين المتخيلة لا نعلم إن كان مفكرنا قد قام بالفعل بترجمة النص العبري أم لا، ولا نعرف ما هي الأسس المنهجية والعلمية واللغوية التي اعتمدها في ترجمته، ولا نملك أيضاً نسخة من تلك الترجمة التي قام بها، ولا هو أخبرنا عنها أو شرحها لنا كما يفعل المترجمون عادة في مقدمات أعمالهم. فكل ما عرضه الربيعي في كتبه ومؤلفاته ليس إلا نتائجه التي دبلجها ولقلقها وقعقعها لتبدو بمثابة أدلة مقنعة على تطابق أسماء التوراة مع أسماء الأماكن في الجغرافية اليمنية.

وبعد دراسة وتحليل لإجراءات مفكرنا المشار إليها سلفاً، تبيَّن أن ما قاله ووصفه بشأن منهجه الثلاثي المزعوم، لا يعدو أكثر من ادعاء، إذ لا يوجد دليل واحد قدمه صاحبه يثبت أنه قام بالفعل بترجمة النص العبري للتوراة، بل أننا ومن خلال فحص دقيق أجريناه على عينة عشوائية من الأسماء التوراتية التي أعاد تعيينها جغرافياً على الخارطة اليمنية في كتابه، ومن حيث يفترض أن نجد تغايراً بينها وبين صيغها أو مقابلاتها التي تظهر في الترجمة التقليدية للتوراة، تبيَّن لنا أنه لم يقم بأي ترجمة على الإطلاق، بل قام بتلاعب لا يختلف كثيراً عن الذي قام به الصليبي.

وعليه، يمكن إعادة توصيف حقيقة المنهج الثلاثي المزعوم من قبل مفكرنا الفاضل، على النحو التالي:

الخطوة الأولى، قام فيها بتفتيش النص التوراتي العربي وإعداد قائمة بالأسماء الجغرافية الواردة فيه والتي ادعى أنه يحفظها عن ظهر قلب.

الخطوة الثانية، قام بتفتيش كتاب الهمداني وجمع المتشابهات اللفظية من الأسماء الجغرافية التي وردت فيه مع قائمة الأسماء التوراتية التي أعدها في الخطوة الأولى.

الخطوة الثالثة، قام فيها مفكرنا بانتقاء الأسماء الأكثر تشابهاً والتي يمكن إيهام القراء بأنها متحصلة نتيجة اجراءات طبقت فيها قواعد لغوية، كقلب الصاد ضاد، فضلاً عن جمع بعض المفاهيم اللغوية عن الزوائد واللواصق وغيرها، ثم بدأ عملية القعقعة سارداً لنا بعبقريته الفذة جغرافية التوراة وتاريخها اليمني العريق المتخيل في أوهامه.

ما حصل هو أنه وبينما قام الصليبي بالإبقاء على أسماء الأماكن التوراتية سليمة كما هي، وأجرى تلاعباته اللغوية فقط على أسماء المناطق التي عينها في المقابل في منطقة عسير اليمنية، قام الربيعي بالعكس من ذلك، إذ تلاعب بالأسماء التوراتية وقام بإعادة ضبطها بطريقة ما معتمداً في ذلك على التسميات المشابهة لها في كتاب الهمداني، فكل الأسماء التوراتية التي ادعي ترجمتها ليست إلا الأسماء الواردة أصلاً في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، في الوقت الذي أوهم مفكرنا نفسه وأوهم قرائه بأنه تحصل على تلك الأسماء المضبوطة من خلال إعادة ترجمة نص التوراة العبري، بل أنه تعمد اقتباس ألفاظ ومصطلحات سياقية وتعبيرية من كتاب الهمداني واستخدامها في معالجاته التلفيقية للنصوص التوراتية، على غرار تعبيرات مثل: ***أقبل، مقبلاً، مغرباً، يصالي، يشاكل... الخ***، وأعطى نفسه الحق في إضافة عبارات وأسماء وتوصيفات طبوغرافية للأماكن الى النص التوراتي نيابة عن يهوه، وهو إذا قام بذلك كله ظل معتقداً أنه أخفاه خلف حجاب معتم لن يتمكن أحد من النفاذ منه واكتشاف سر تلاعباته اللفظية والتحريفية، وما ذلك الحجاب إلا حجاب ادعاءه بترجمة التوراة ترجمة سليمة وصحيحة.

بكل بساطة، هذه هي العملية الملفقة والمضللة التي قام بها مفكرنا على الدوام، والتي جعلت الأسماء التوراتية التي عرضها في كتابه تبدو مطابقة لأسماء المناطق اليمنية، التي أبقى عليها سليمة دون تغيير، وبهذا أوهم نفسه أنه ترجم التوراة. ***ولسوف نثبت في كثير من السياقات التالية من هذه الدراسة، مدى صحة تحليلنا السابق، بل ومدى دقته في توصيف حقيقة ما قام به مفكرنا العبقري، بأدلة واضحة للغاية مستمدة من النماذج الفعلية التي يضج بها كتابه فلسطين المتخيلة.***

ومن أجل كشف هذا التلاعب وإثباته، سنأخذ في الاعتبار من الآن وصاعداً أربعة مكونات جوهرية، نظل نعمل على المطابقة والمقارنة بينها، وذلك للتحقق عن كثب وعلى نحو أكثر دقة ورسوخاً من حقيقة الترجمة التي يدعي مفكرنا الربيعي أنه قام بها للنص العبري من التوراة.

يمكن تمثيل تلك المكونات الأربعة المشار إليها آنفاً، كما يلي:

المكون الأول	المكون الثاني	المكون الثالث	المكون الرابع
النص العبري للتوراة	الترجمة التقليدية	ترجمة الربيعي	نص الهمداني

على أية حال، يمكن القول بأن الانتقائية التي استخدمها مفكرنا الفاضل في ابتداع نظريته الموهومة والمنتحلة أصلاً من نظريات غيره من الباحثين العرب– فشلوا من قبله في أن يؤسسوا لنظرية جديدة بالنظر إليها من زوايا العلم والمنهج العلمي وأخلاقياته الموضوعية والمعرفية– هي بيت الداء وهي الإفك الأكبر الذي أقيمت عليه هذه النظرية الخارجة على كل الحقائق والثوابت المعرفية والعلمية التي تكونت لدى البشرية عبر آلاف السنين، من حيث تعمدوا مصادرتها وتعطيلها وتحييدها لصالح القبول بادعاءاتهم وأوهامهم المختلقة. وهذا يدفعنا الى تعرية انتقائيتهم والكشف عن خبثها وكذبها وتلفيقها.. وإنها لمهمة جديرة بأن نقوم بها وتستحق منا أن نبذل لها من عزيز أوقاتنا وجليل جهودنا في سبيل كشف حقيقة هذه الانتقائية المستمدة أصلاً من أساليب المستشرقين، والتي ستفضح سوءات نظريتهم وتهتك ستر الزيف والتضليل الذي نتج عنها.

وعليه، فإن ما سنقوم به وما سنقدمه في السياق التالي، ليس إلا اختباراً تجريبياً عملياً وتطبيقياً جديداً يضاف الى قائمة الاختبارات التطبيقية التي أجريناها في الفصلين السابقين، والتي قامت جميعها على أسس علمية وموضوعية دقيقة، يمكن لأي باحث أن يطبقها في إجراء اختبارات مماثلة كثيرة ومتعددة من مختلف الجهات والزوايا، لاكتشاف حجم الخداع والتضليل والتزييف والتحريف، الذي ارتكبه مفكرنا العبقري وأمثاله من خلال تبنيهم هذه النظرية العجفاء والسقيمة، وإننا لنثق كل الثقة بكل خطوة قمنا بها، ونثق كل الثقة بقوة وثبات ومنعة النتائج التي سنتوصل إليها في هذا الفصل وما سيأتي من بعده، كأدلة راسخة لا يمكن الالتواء عليها أو انكارها أو تجاهلها.

فلنبدأ.. ولنرى الى أين يمكن أن نصل..!!

[2]

أورشليم آرتس أم حوتس لآرتس[١]؟!

تعرض الربيعي لمسألة حدود أرض اسرائيل بصيغة انشائية وحيدة ويتيمة، فضفاضة ومطاطة، لا تسمن ولا تغني من جوع، من حيث لم تضف شيئاً الى أطروحته، باستثناء المزيد من الادعاءات الواهية والملفقة التي أطلقها. فقد أشار مفكرنا العتيد الى أن "***التوراة لم تتضمن أي وعد إلهي بأرض من النيل (المصري) الى الفرات (العراقي)، بل أن هذا تفسير مخيالي استشراقي جرى الترويج له حديثاً***[٢]– وهذا قول لا نختلف فيه معه، ولو أن صاحبه اكتفى به لكان أسلم له، ولكنه لم يفعل.

إن ما يقع عليه مناط التأكيد هنا هو استخدام مفكرنا لتوصيفات قطرية واضحة: ***(النيل المصري والفرات العراقي)***، فلماذا يا ترى توجب عليه استخدام مثل التوصيفات الهوياتية المخاتلة والمراوغة؟!

عندما نقرأ ما كتبه بعد ذلك ستتضح الفكرة ويتكشف السر والسبب. فعلى أساس أن الترجمة التقليدية للنص العبري للتوراة مطعون بها وغير موثوقة، ومن حيث لم يبقى أمامنا إلا ترجمة الربيعي المدعاة، يقول مفكرنا[٣]:

---

[١]. ***آرتس وحوتس لآرتس***، كلمتان عبريتان، تشير الأولى (آرتس) الى أرض اسرائيل فيما تشير الثانية (حوتس لآرتس) الى كل الأراضي التي تسكنها الشعوب الأجنبية– أي البلدان الأجنبية، والعنوان بهذه الصيغة ينطوي على تساؤل: **هل أورشليم من أرض اسرائيل أم أنها من الأراضي الأجنبية؟**– يفترض أن يكون الجواب هو أن أورشليم هي عاصمة أرض اسرائيل، أي أنها قلب الـ (آرتس)، ولكن السير خلف نظرية الربيعي سوف يوصلنا الى نتيجة عكسية، كما سنرى في هذا المبحث، الأمر الذي يكشف عن مدى فساد نظريته وبطلانها وعدم انطباقها ولو بنسبة ١% على جغرافية اليمن..!!

[٢]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ١٦٧.

[٣]. المرجع السابق، ص ١٦٧– ١٦٨.

"العودة الى النص العبري كفيلة بالكشف عن ذلك التزوير. إن النص وعلى الضد من هاتين الفكرتين الزائفتين- فكرتي الوعد الإلهي وحدود الأرض الموعودة من النيل الى الفرات- يشير الى جماعات وقبائل، لا وجود لها أصلاً فوق هذه المساحة من الأرض- أي العراق ومصر- بل هي موجوداً [حصراً] في جغرافية اليمن القديم".

ليتأمل القراء الأعزاء ملياً هذه القفزة الربيعية المذهلة والمعجزة. فالرجل كان يتحدث تحت عنوان صريح صاغه هو واستوحاه من أدبيات التوراة (من النيل الى الفرات)، عن الوعد الإلهي والأرض الموعودة وحدود هذه الأرض، ثم أنكر تماماً ورفض قطعاً أن يكون مقصود التوراة هو نهر النيل المصري ونهر الفرات العراقي، ثم قفز على ذلك كله، وأكد وأجزم قطعاً وحصراً بأن الأرض المقصودة موجودة في جغرافية اليمن القديم.

عجيبة هذه القفزة حقاً، من حيث بينت لنا أن الأمر عند مفكرنا لا يتعلق أساساً بأرض وحدود جغرافية بل بجماعات وقبائل، مشيراً بذلك الى الأقوام والجماعات التي ورد ذكرها في سياق النص من سفر التكوين حيث جاء الوعد الإلهي لإبراهيم بالأرض، ليقدم بعد ذلك معالجة قصيرة مبسترة وغير ناضجة حول أين كانت منازل ومواطن تلك الأقوام كما يتوهم ويتخيل.

لكن، ماذا عن حدود تلك الأرض الموعودة التي ورد الوعد الإلهي بها وماذا عن تفاصيل حدودها التي جاء ذكرها في عشرات النصوص من أسفار التوراة- كما وضحنا سلفاً؟!

في الحقيقة، لم نجد في فلسطين المتخيلة شيئاً عن ذلك، فلماذا يا ترى يقتحم مفكرنا موضوعاً جوهرياً مثل هذا بهذه الطريقة، ثم يتركه ويتخلى عنه تماماً؟!- وكيف يمكن لنصوص التوراة التي تصف حدود أرض أحداثها ألاّ تكون مهمة وضرورية في الكشف عن حقيقة موقعها الجغرافي؟!

لكي نصل الى التفسير المنطقي والعلمي لهذا الهروب الواضح من مسألة حدود أرض التوراة، علينا أن نقوم بالخطوة التي هرب منها مفكرنا بأنفسنا، وأن نحظى بمعرفة كافية عن

حدود أرض اسرائيل (أرض الميعاد) على الأقل في واحدة من أهم المحطات التاريخية والنصية التي ورد فيها ذلك الوعد الإلهي.

تتضمن أسفار التوراة – وخاصة الأسفار الثلاثة ***(التثنية، العدد، يشوع)***، نصوصاً تصف حدود أرض الميعاد من الجهات الأصلية الأربعة، ولعل أكثرها دقة ووضوحاً ومما يتيسر لنا التعامل معه ويمكن ايصاله الى عموم القراء على اختلاف وتباين مستويات اطلاعهم، التحديد الجغرافي الذي ورد في سفر العدد، والذي سنتعامل معه تجريبياً وتطبيقياً في السياق التالي، نظراً لأهميته بالنسبة لما سيأتي متصلاً بهذا الشأن مما سنخصص له مساحة مهمة من هذه الدراسة، وأقصد بذلك ما جاء في سفر يشوع بن نون.

يسرد سفر العدد حدود أرض الميعاد من الجهات الأربع، كما يلي:

١. الحدود الجنوبية: "وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: أَوصِ بني إسرائيل وقل لهم: إنكم داخلون إلى أرض كنعان. هذه هي الأرض التي تقع لكم نصيباً، أرض كنعان بتخومها، تكون لكم ناحية الجنوب من برية صين على جانب أدوم. ويكون لكم تُخم الجنوب من طرف بحر الملح إلى الشرق، ويدور لكم التخم من جنوب عقبة عَقْربيم ويعبر إلى صين وتكون مخارجه من جنوب قادش برنيع، ويخرج إلى حصر أدَّار ويعبر إلى عصمون. ثم يدور التخم من عصمون إلى وادي مصر، وتكون مخارجه عند البحر" (سفر العدد، ٣٤: ١– ٥).

٢. الحدود الغربية: "وأما تُخم الغرب فيكون البحر الكبير لكم تُخماً، هذا يكون لكم تُخم الغرب" (سفر العدد، ٣٤: ٦).

٣. الحدود الشمالية: "وهذا يكون لكم تُخم الشمال: من البحر الكبير ترسمون لكم إلى جبل هور. ومن جبل هور ترسمون إلى مدخل حماة وتكون مخارج التخم إلى صَدَد. ثم يخرج التخم إلى زفرون وتكون مخارجه عند حصر عينان. هذا يكون لكم تُخم الشمال" (سفر العدد، ٣٤: ٧–٩).

٤. الحدود الشرقية: "وترسمون لكم تُخماً إلى الشرق من حَصَر عينان إلى شفام. وينحدر التخم من شفام إلى ربلة شرقي عين. ثم ينحدر التخم ويمسُّ جانب بحر كنَّارة إلى الشرق. ثم ينحدر التخم إلى الأردن وتكون مخارجه عند بحر الملح. هذه تكون لكم الأرض بتخومها حواليها" (سفر العدد، ٣٤: ١٠-١٢).

هذه إذن هي حدود أرض بني اسرائيل التي وعد بها الله نبيه موسى، محددة من الجنوب ثم الغرب، ثم الشمال ومن بعد ذلك من الشرق. وبحسب ادعاءات الربيعي بشأن ترجمته للتوراة ومطابقته لوصف الهمداني، فإن من المفترض أن تنطبق هذه الحدود بشكل أو بآخر على خريطة اليمن. ***لذا، سنتعامل مع هذا الادعاء بحسن النية، ونفترض إمكانية أن يكون صحيحاً بالفعل.***

وعلى طريقته أيضاً، نقول: ها هنا وصف توراتي لحدود أرض الميعاد، وها هنا جغرافية اليمن الطبيعي كما وصفها الهمداني، يبقى أن نتحقق من تطابقهما وفق تفسيرات مفكرنا العبقري.

في البدء، سوف نحاول أن نطابق بين حدود اليمن الطبيعية وحدود أرض الميعاد كما وردت في النصوص أعلاه بصورة مجردة من حيث أن الحدود هي معالم جغرافية طبيعية كالجبال والوديان والأنهار والبحور وغيرها، أو حدود من صنع البشر كالمدن والقرى وغيره، ومن حيث أنها قد تكون حدوداً برية أو بحرية. فكما هو ظاهر في الخريطة أعلاه فإن اليمن تقع في الجزء الجنوبي من جزيرة العرب، محاطة بحدود بحرية من ثلاث جهات (الغرب، الجنوب، الشرق)، وبحدود برية من جهة الشمال، ***تمتد على خط أفقي من نقطة ما على ساحل الخليج العربي شرقاً الى نقطة مقابلة لها على ساحل البحر الأحمر غرباً.***

في المقابل من حدود اليمن الجغرافية، يشير وصف التوراة لحدود الأرض الموعودة الى حد بحري كامل من جهة الغرب، والى أن أجزاءً من الحدود الشرقية تقع على بحر أيضاً، لكن ليس كل الحدود الشرقية طبعاً، لأن ثمة أجزاء منها يبدو بحسب النص أنها لا تقع على ذلك البحر الشرقي بل على البر المتصل به، أما الحدود الشمالية فكلها برية، وكذا الحدود الجنوبية

التي هي خط بري يمتد من نقطة قريبة من البحر المشار إليه بأنه واقع في الجهة الشرقية الى نقطة ما على ساحل البحر في الغرب.

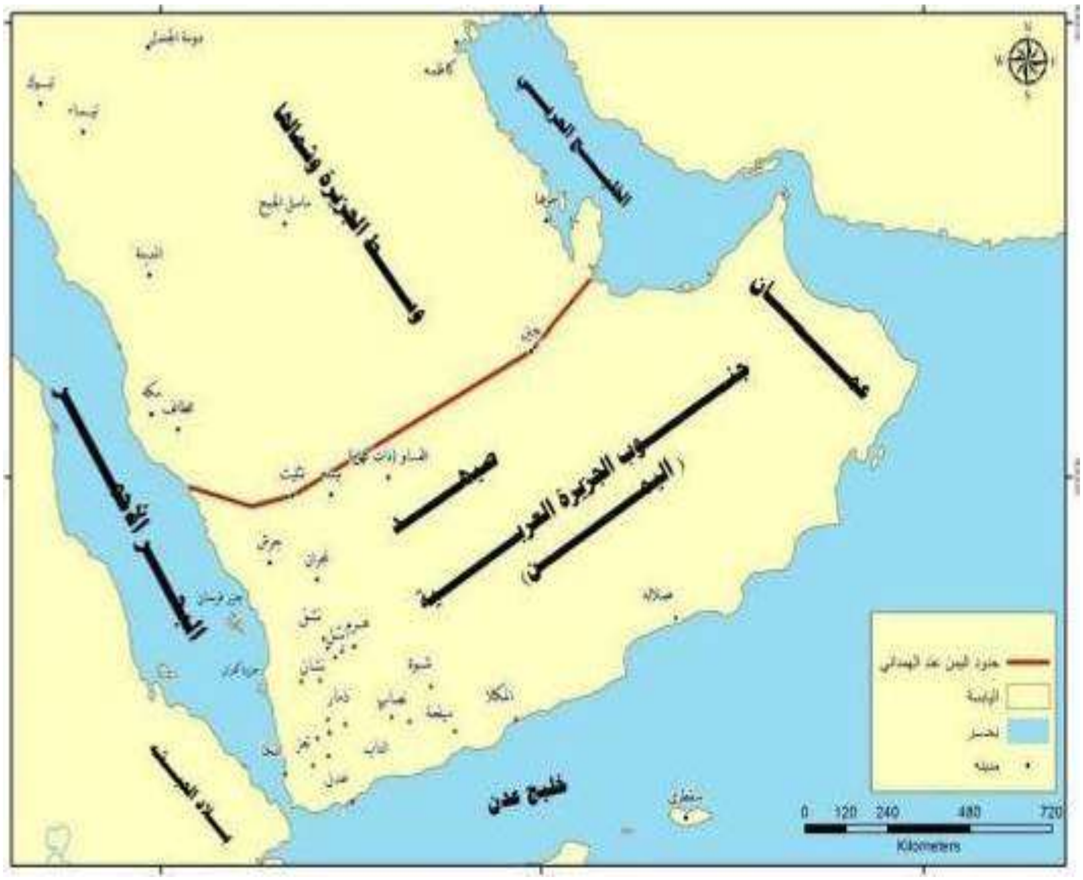

خريطة رقم (١): جغرافية اليمن الطبيعية مبينة فيها الحدود الشمالية كما حددها الهمداني[١].

التطابق الوحيد الذي يمكن القول باحتمال وجوده حتى الآن بين الوصف التوراتي والجغرافية اليمنية يتمثل في الحدود الغربية. فحدود أرض الميعاد من جهة الغرب بحرية، وهو كذلك بالنسبة الى الحد الغربي لليمن، ولو أخذنا بعين الاعتبار أن نصوص التوراة تشير الى أن جزءً من الحدود الشرقية لأرض الميعاد هو حد بحري، فيما الجزء الآخر يبدو برياً، وهذا ما يمكن ايجاد تفسير له على خريطة اليمن، باحتمال أن تبدأ حدود أرض الميعاد من جهة الشرق من نقطة برية بعيدة عن ساحل الخليج العربي، ثم تستمر هبوطاً نحو الجنوب الى أن تصل الى

[١]. عبد الله محمد ظافر: نزهة المشتاق لليمن– حدود وخرائط وشؤون اليمن في البلدانيات من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، مرجع سابق، ص ٦١.

نقطة ما على ساحل الخليج بحيث تصبح الحدود من عندها بحرية الى أن تصل الى نقطة ما في الطرف الجنوبي للخليج ينعطف من عندها خط الحدود نحو الداخل لتظهر مجدداً حدوداً برية تستمر حتى تصل الى النقطة التي تبدأ من عندها الحدود الجنوبية لأرض الميعاد من نقطتها الشرقية.

ولا مانع هنا، من إلقاء نظرة على حدود أرض الميعاد وفق التفسير التقليدي لتكتمل الصورة، وتتسهل للقارئ بعض متطلبات المقارنة- أنظر الخريطة أدناه.

خريطة رقم (٢): حدود أرض الميعاد وفق التفسير التقليدي للنص التوراتي والذي يضعها في نطاق جغرافية فلسطين وبلاد الشام

ولأن حدود أرض الميعاد الجنوبية هي حدود برية، وهذا ما يبدو واضحاً من كل نصوص التوراة التي تصف دخول بني اسرائيل أو اقترابهم من تلك الأرض قادمين من مصر بأنه كان من جهة الجنوب براً، وهذا ما حدا بالنص أن يبدأ بوصف الحدود الجنوبية، وهو أيضاً ما نفهمه من عبارة ***(إنكم داخلون الى أرض كنعان)***، فإن هذا الوصف يُسقط من اعتبارنا أن يكون لبحر العرب في جنوب اليمن أي علاقة بالأمر، بما يقضي أن نبحث عن الحدود الجنوبية لأرض الميعاد في جغرافية اليمن بين نقطتين بعيدتين عنه وترسمان حداً برياً بينهما، وبالمثل بالنسبة للحدود الشمالية كونها برية أيضاً، غير أن هذا يوجب علينا أن نستعين بعلامات وأمارات تساعدنا على الاهتداء تحديد خطي الحدود الجنوبية والشمالية لأرض الميعاد على الجغرافية اليمنية بدقة، ولن نجد أفضل من الاستعانة بأسماء المناطق ومواقعها على امتداد الحدين كما يصف النص التوراتي.

تبقى لدينا مشكلة البحر المشار إليه في النص التوراتي من الحد الشرقي، إذ لسنا على يقين بأي حال من الأحوال أن ما افترضناه قبل قليل قد يكون ممكناً، وبالتالي فإن أي تطابق جغرافي مجرد وبحت بين حدود أرض الميعاد وجغرافية اليمن يبدو من الناحية الجغرافية المجردة هشاً وضعيفاً للغاية من الجهات الجنوبية والشمالية والشرقية، في الوقت الذي يظل فيه التطابق في الجهة الغربية في موضع اختبار وتحقق حتى يثبت بثبوت الحدود على الجهات الثلاث الأخرى.

والآن، سنبحث عن التعيينات التي اختارها مفكرنا الربيعي على مساحة الجغرافية اليمنية مما يقع فعلاً على الخطوط الحدودية المذكورة في النص التوراتي، وهذا ما سيساعدنا كثيراً في التحقق من التطابق الذي لطالما أكد عليه في كتابه، وهو نفسه ما سيضعنا في سياق مباشر لاستقصاء حقيقة منهجه الذي اعتمد عليه في ترجمة ورسم أسماء تلك المواقع.

وفق هذه الرؤية، سنقوم باختبار تجريبي وتطبيقي للتحقق من مدى تطابق الحدود الجنوبية بين النص التوراتي والتفسير الربيعي محمولاً هذا الأخير بوصف الهمداني، واختيارنا للحد الجنوبي ليس قصدياً بالدرجة الأولى، بل لأنه يرد في السفر الأخير من الأسفار الخمسة

للتوراة الموسوية، ولأن وصف الحد الجنوبي هو أول ما ورد في النص التوراتي من هذا السفر، ولأن الحد الجنوبي نفسه هو المدخل الأساسي الذي نهض به مفهوم أرض اسرائيل على أرض الواقع – كما يخبرنا النص– بعد مرحلة الخروج من مصر، إذ إن عملية احتلال الأرض الموعودة من قبل اليهود قد جرت أساساً بناء على تحديد ذلك الحد الجنوبي لها، فيما ظل البحر الغربي حداً حتمياً، ومن ثم فإن توسيع نطاق الاحتلال وتحشيد أرض اليهود قد ظل يجري في الاتجاهين الشمالي والشرقي، ولهذا كله سيكون من المناسب جداً أن نجري اختبارنا على الحد الجنوبي.

لكي ينجح الأمر بالنسبة للاختبار الذي نزمع على القيام به، نحتاج في البداية وعلى الأقل لثلاثة مواقع للتحقق من مدى مطابقة جغرافية الربيعي المتخيلة مع النص التوراتي من جهة، ومطابقة تفسير الربيعي مع الهمداني من جهة أخرى، إذ يشير النص التوراتي الى أن مركز حدود أرض الميعاد من الجنوب هي **(برية صين–** التي هي الى جانب أدوم)– أي أن **(برية صين)** هذه تقع في الوسط من الحد الجنوبي، أما بداية هذا الحد فتكون من طرف **(بحر الملح)** الذي يقع في الشرق، ثم يدور هذا الحد أفقياً على عدة مواقع برية باتجاه البحر في الغرب، وهذه المواقع هي: **(عقبة عقربيم، صين،** الجنوب من **قادش برنيع، حصر أدار، عصمون، وادي مصر)**، ومن بعد ذلك ينتهي الحد الجنوبي عند مخارجه في البحر الى الغرب.

بعد بحث أرهقتنا فيه التحقيقات التي كان لابد من إجرائها للتثبت من دقة اختيارنا للأسماء التي عالجها مفكرنا في كتابه، والتأكد من أنها هي المقصودة والمتطابقة تماماً مع ما جاء ذكره منها في النص التوراتي مما يتعلق بالحد الجنوبي لأرض الميعاد، وجدنا أن الربيعي قد حدد فعلاً ثلاثة مواقع مما يدخل في تشكيل هذا الحد كاملاً من طرفه الشرقي الى وسطه، ومن ثم الى نهايته في الغرب، وهي المواقع الثلاثة: ***(برية صين، بحر الملح، وادي مصر).***

كما أشرنا سابقاً، فهذه المواقع الثلاثة كافية جداً للتحقق من مدى مطابقة ذلك على جغرافية اليمن الطبيعية، في رسم الحدود الجنوبية لـ (بلاد اليهود).

لنبدأ من عند الموقع الذي اسمه في التوراة (**برية صين**)، إذ ترجم الربيعي هذا الاسم الى ***(جبل ضين- بالضاد بدلاً من الصاد)***[١]، وبالطبع فقد توقعنا مسبقاً أن يكون مفكرنا قد وجد (ضين) هذه عند الهمداني، وليس أن تعيينه لهذا الاسم ناتج عن إجراء ترجمة قام بها أو ما شابه، إذ لا يوجد أي أساس لغوي أو منطقي أو حتى خرافي تدعو الى ترجمة اسم (صين) الى (ضين). وبالفعل، كان توقعنا صحيحاً جداً، من حيث وجدنا (ضين) في موضع واحد من كتاب الهمداني، كان يتحدث فيه عن ***(الجبال المشهورة في اليمن وسائر أجزاء جزيرة العرب)***، حيث أشار الى من تلك الجبال: ***".. ضين مدع شظب هيلان جبل ملح.."***[٢].

لا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل اتضح لنا أيضاً لماذا اختار الربيعي (ضين).

وكما أشرنا آنفاً، فإن تحويل اسم (برية صين) الى (ضين) من قبل الربيعي كان اجراءً انتقائياً لا علاقة له بأي ترجمة ممكنة أو محتملة للنص التوراتي، وهذه الإجراء الانتقائي هو النموذج العام لكل الإجراءات التي قام بها لتعيين الأسماء التوراتية كما يتوهم في الجغرافية اليمنية مدعياً أن الهمداني قد شهد بذلك.

إن كل ما أوهمنا به مفكرنا عن ترجمته للتوراة ليس إلا محض افتراء. فالترجمة المزعومة لم تحدث اطلاقاً- وإطلاقاً لم تحدث. فكل ما قام به الربيعي ليس إلا إنه بحث عن المتشابهات من الأسماء الجغرافية التي ذكرها الهمداني في كتابه مع ما ورد من الأسماء الجغرافية في التوراة، ثم قام بانتقاء الأسماء الملائمة لأغراضه من كتاب الهمداني، واعتبار أنها هي التي يجب أن تكون في النص التوراتي الذي صار ينطق بها فقط في كتابه.

هذا كل شيء..!!

حتى يتبين لنا هذا التلاعب، نقول أن السياق الذي ذكر فيه الهمداني جبل (ضين) جاء فيه ذكر جبل آخر اسمه (ملح)- وهو جبل لقبيلة (يام)- الأمر الذي يتشابه ظاهرياً مع السياق التوراتي الذي ترد فيه (برية صين) في سياق يربطها برباط حقيقي ووثيق بموقع آخر يدعى

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

[٢]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(بحر الملح). فتوهم صاحبنا وسعى الى إيهامنا- كما هي عادته- بأن هذا متطابق مع النص التوراتي الذي يربط بين بحر الملح وبرية صين باعتبارهما مما يقع عليه خط الحد الجنوبي لأرض اسرائيل، علماً بأن الربيعي لم يتطرق أبداً لمسألة حدود أرض الميعاد اطلاقاً، بل عيَّن هذه المواقع بصورة عشوائية وانتقائية بعيداً عن هذه المسألة تماماً، وهذا ما ستبين لنا أكثر عند التطرق الى معالجته لاسميّ ***(بحر الملح، وادي مصر)***.

على نفس الآلية، حوَّل الربيعي **(بحر الملح)** الى ***(يام الملح)***[١]..!!- وعندما نحاول اكتشاف الأساس اللغوي والمعجمي الذي أقام عليه مفكرنا ترجمته لهذا الاسم، لن نفلح في إيجاد أي أساس منطقي، لكننا نستطيع بسهولة اكتشاف الأساس التلفيقي الذي استند إليه، وهو أنه طابق بين كلمة (يم) العبرية التي تعني (بحر) من جهة، وبين اسم (يام) وهو اسم منطقة يمنية تنسب الى قبيلة (يام) الهمدانية الساكنة في نجران منذ القدم، ونظراً لوجود اسم (جبل ملح في منطقة يام)، فقد حوَّل مفكرنا (بحر الملح/ يم ملح) الى (يام الملح)..!!

ترى، هل هذه ترجمة أم تلاعب أم شعوذة أم استخفاف بعقولنا؟!- في الحقيقة، هذه هي كل ما سبق، بالإضافة الى كونها قعقعة لا تنطوي على أكثر من اللغو والهراء..!!

هذا هو الأساس التلفيقي الذي اعتمده الربيعي في مقاربته، الأمر الذي يؤكد على أن ترجمته للنص التوراتي العبري ليست إلا محض افتراء صار من السهل جداً اثباته مع سائر الأسماء التي عالجها في كتابه.

عدا عن ذلك، فإننا لا نرى من مفكرنا شيء سوى القعقعات التي لطالما رددها عن تحول حرف (الصاد) العبري الى حرف (الضاد) العربي، وغيرها من القعقعات التي أطنب فيها حديثاً وثرثرة عن الزوائد اللاصقة والبوادئ المنقرضة من الحروف، الأمر الذي يتناقض أساساً مع ادعائه بأنه تعامل مع الأسماء بدون إجراء أي تلاعبات لغوية، فإذا كان تحويل الصاد الى ضاد وإضافة حروف بادئة وافتراض وجود زوائد لاصقة منقرضة، لا يعد تلاعباً لغوياً.. فما الذي عساه يكون تلاعباً؟!

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

في الحقيقة، هذه واحدة من أسوأ سقطات مفكرنا العبقري التي لم يستطع أن يخفيها على الإطلاق.

لنتوقف قليلاً إزاء التحويل التلفيقي للصاد العبري الى الضاد العربي. فحتى وإن كانت هناك بالفعل قاعدة لغوية تفيد بإمكانية إجراء مثل هذا التحويل، إلا أن من الضروري أن يكون لها أساس ونطاق معين تجري عليه، إذ أن مثل هذه القواعد هي في الغالب ذات طابع خاص، بحيث يجري تطبيقها في نطاقات محدودة تتفاوت ضيقاً واتساعاً من قاعدة الى أخرى، وبالتالي، فإن قاعدة مثل هذه يستحيل أن تكون عامة وشاملة لتسري على كل الألفاظ التي يرد فيها حرف الصاد العبري، بحيث نحوله دائماً الى حرف (الضاد) عندما نقوم بتعريبها.

علاوة على ذلك، نقول إذا كان حرف الضاد بالأصل غير موجود في العبرية ولا ينطقه المتكملون بها، فكيف يتحول (صاد) العبريين الى (الضاد) العربي، في الوقت الذي يوجد فيه في العربية- أصلاً وفصلاً- شيء اسمه حرف الصاد؟!

ولو قلنا أن الأصل في الكلمة هو (ضين) اليمنية – العربية- وأنها هي التي تحولت الى (صين) في العبرية، فالأقرب الى الرجل العبري أن ينطق الضاد (دال) من حيث أن الضاد والدال يخرجان من مخرج صوتي واحد أو متقارب على الأقل، والدال موجود- مخرجاً وصوتاً وحرفاً ورسماً- في العبرية. فيقال حينئذ (دين) وليس (صين)، وإذا كان حرفي السين والصاد متقالبان سواء في العبرية أو العربية، فلماذا لا تصبح (صين) العبرية (سين) بالعربية، خاصة وأن الصيغة (سين) ومشتقاتها شائعة جداً في الأسماء التوراتية، ناهيك عن المعجم العبري؟!- كما أنها كذلك في المعجم العربي.

بيد أن المسألة عند الربيعي لا تتصل بمخارج الحروف وتحولاتها الفونيمية (الصوتية) فحسب، بل إنه دائماً ما يؤكد على كونها أيضاً مسألة متصلة بالرسم الكتابي للحروف، ولا نعرف من أين استمد مفكرنا العبقري هذا الامتداد فيما يعلم أكثرنا أن هناك فرقاً شاسعاً بين (اللغة) و(الكتابة)؟!

وهذه أيضاً، سقطة أخرى لا وصف لها إلا إنها مريعة، ومريعة جداً.

عموماً، مثل هذه الاعتراضات التي قدمناها- رغم وجاهتها وقوة منطقها وحجتها- قد تفتح لمعارضينا باباً واسعاً لجدل عقيم لا ينقصنا الآن أن نخوض فيه. ***فما نحتاج إليه بالفعل هو أدلة وبينات ثابتة وقاطعة لا يمكن الالتواء أو الاحتيال عليها، وهذا ما سنحرص على توفيره لتدعيم نقدنا وقطع الطريق على أي مكابر أو معاند أن يخوض معنا في جدل سقيم.***

نعود الى موضوعنا، من حيث يفترض بحسب النص التوراتي أن يكون الموقع المسمى بـ ***(وادي مصر)*** في طرف الحد الجنوبي من جهة الغرب لأرض الميعاد وذلك على البر وقبل أن ينتهي ذلك الحد عند مخارجه على ساحل البحر الكبير، ***فأين حدد الربيعي موقع وادي مصر هذا؟!***

يرد اسم (وادي مصر) في النص التوراتي العبري بصيغة ***(نحل مصريم/ نخل مصريم)***، بمعنى وادي مصر. وفي هذا يقول الربيعي: ***"بكل يقين أراد سارد النص مكاناً يدعى (وادي مضر- وادي المضريين)، أي من ساحل مضر.."***[١].

ومن حيث يبدو أن ***(صاد)*** العبرية لم يجد له شبيهاً إلا ***(ضاد)*** العربية التي تنفرد به العربية عن سائر لغات الأرض، ***نلاحظ أن مفكرنا لم يزد على ما أشرنا إليه بشأن ترجمة الاسم العبري، ولكنه مُصِّر على تحويل الصاد العبري الى الضاد العربي لأنه على يقين من أن هذا هو قصد سارد النص التوراتي، ولا نعرف- والله- من أين جاءه ذلك اليقين؟!***

حسناً، ماذا لدينا عن (مُضرٍ) هذه في كتاب الهمداني؟

في الحقيقة، أنه وحيثما ورد ذكر ***(مُضر)*** في صفة جزيرة العرب، ***فإننا لا نجد لهذا الاسم أي علاقة تاريخية أو جغرافية أو سكانية بجغرافية اليمن.*** فهو اسم شهير لقبيلة عربية شمالية عدنانية اسماعيلية هاجرية من بني عمومة بني اسرائيل من السلالة الابراهيمية، ومواطنها معروفة وثابتة في شمال جزيرة العرب على شط الفرات وفي الجزيرة الفراتية وبوادي الشام، وعلى هذا النحو يذكرها الهمداني في كثير من المواضع، إذ يقول في أحدها: ***"وأما باقي أجزاء هذا***

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

الربع الذي يلي وسط الأرض المسكونة وما يقع في جزيرة العرب منه أو يجاوِرها فآذربيجان وتخوم ديار ربيعة وديار مضر إلى ما يلي الجنوب" [١].

عموماً، لا يوجد عاقل يمكن أن يتصور أن أذربيجان تقع بجوار اليمن لكي يقال بأن مضر يمكن أن تقع فيها.

وهكذا، فإنه لا يوجد على الإطلاق وادياً أو جبلاً أو صخرة أو حتى بغلة في ذيل قافلة لأبي سفيان قبل ألف وخمسمائة سنة من اليوم، مرَّت على أرض اليمن واسمها (مُضر) حتى يذكرها الهمداني.

ولأن الربيعي أدرك ذلك على ما يبدو واصطدم به، نجده وقد سارع الى الاحتيال على هذه الحقيقة وإيهامنا بشيء آخر يخفي به هروبه منها، قائلاً: "***.. والذي سوف يُدعى تالياً ساحل كنانة أكبر بطون مُضر..***"[٢]– قصده أن وادي مضر أطلق عليه لاحقاً اسم وادي أو ساحل كنانة.

على خلاف (وادي مضر) الذي لم يذكره الهمداني إطلاقاً، نجد أنه قد ذكر ساحل كنانة فعلاً، بقوله: "***.. ساحل كنانة هو وحمضة واللّيث ومركوب واديان فيهما عيون..***"[٣].

وبحسب الهمداني أيضاً. فإن ساحل كنانة يقع في أرض الحجاز بعيداً عن حدود اليمن الطبيعي. إذ أن منطقة (الليث) الواقعة أساساً على ساحل البحر الأحمر تعتبر من أراضي الحجاز الواقعة بعد انتهاء حدود اليمن الشمالية من الجهة الغربية بمسافة كبيرة نسبياً.

وإذا ما أخذنا بالاعتبار ما ذكره الربيعي عن (وادي مضر بأنه هو وادي كنانة)، سنجد أن هذه المنطقة تقع فعلاً في أرض تهامة الحجازية، وهذا ما يؤكده الهمداني، بقوله: "***وأم جحدم قرية بين كنانة والأزد وهي حد اليمن***"[٤]– فأم جحدم هذه هي منتهى حدود اليمن، وبعدها يأتي

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٧٥.

[٢]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

[٣]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٣٢.

[٤]. المرجع السابق، ص ٩٠.

امتداد ساحل كنانة صعوداً نحو الشمال ومنه وادي حمضة والليث ومركوب، وهذه جميعاً أماكن تقع خارج حدود اليمن الطبيعية كما حددها الهمداني- ***أنظر الخريطة أدناه.***

خريطة رقم (٣): موقع ساحل كنانة في الحجاز خارج حدود اليمن الطبيعي كما وضحها الهمداني

إذن، فلا وادي مُضر في اليمن، ولا ساحل كنانة أيضاً يقع فيها ولا هم يحزنون..!!- كلها هذه مناطق تقع خارج نطاق حدود اليمن الخضراء والطبيعية.

ولأن الربيعي على ما يبدو قد أدرك هذا أيضاً، فقد قرر أن يحتال مرة أخرى على القارئ ويحيله الى اسم مشابه له واقع في نطاق جغرافية اليمن وهو ***(وادي مسور)***، إذ يقول: "***.. وعلى***

مقربة من هذا الوادي- أي وادي مضر أو وادي كنانة- يوجد واد آخر في مخلاف خولان يدعى – حسب رسمه العربي- (وادي مسور)[١].

بالفعل، هذا الوادي مما ذكره الهمداني، بقوله: *".. ووادي مسور، فمن أدناه ثريان وعصفان ومن أقصاه زبار والحجلة والحسف ووادي ملاحاً وملاحاً أيضاً بالجوف..."* [٢].

غير إننا لا نعرف بالضبط، كيف يفهم مفكرنا عبارات من نوع ***(بالقرب)***؟!- فالمسافة بين وادي مسور ووادي كنانة أو ساحل مضر تتوف على (١٢٠٠) كيلو متر أو أقل من ذلك بشيء يسير.

خريطة رقم (٤): موقع وادي مسور جنوبي صنعاء بالنسبة الى ساحل كنانة في الشمال الغربي من مكة في منطقة الحجاز (فيما الربيعي يصفهما بأنهما بالقرب من بعضهما..!!)

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٥٦.

[٢]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢١٥.

علاوة على ذلك، ما هي علاقة وادي مسور بوادي مضر ووادي كنانة؟!- وما علاقة هذه الأسماء بوادي مصر التوراتي؟!- لا شيء سوى التشابه اللفظي والتلفيق الفاشل الذي يقدمه لنا مفكرنا العبقري على الدوام.

ثم، أياً من هذه المواضع هو (وادي مصر) يا مفكرنا الجهبذ؟!- لا ندري، ربما علينا أن نخمن أو أن نستعين بصديق أو ما شابه..!!- لا بأس، يمكن أن نضع احتمالين.

على كل حال، فقد صار لدينا ثلاثة تحديدات للربيعي مما يمكن أن يتعين بها الحد الجنوبي لأرض الميعاد كما جاء في النص التوراتي، وهي:

أولاً، الطرف الشرقي من الحد الجنوبي لأرض الميعاد= (بحر الملح)، حدده الربيعي بأنه ***(يام الملح- جبل في بلد قبيلة يام الهمدانية اليمنية بوادي نجران)***، وهو الذي يفترض أن يبدأ من عنده الحد الجنوبي كما جاء في نص التوراة.

ثانياً، مركز أو وسط الحد الجنوبي لأرض الميعاد= برية (صين)، حدد الربيعي موقعها بأنها في ***(جبل ضين)***، وهو الذي يفترض أن يكون في مركز الحد الجنوبي كما في النص التوراتي.

ثالثاً، الطرف الغربي من الحد الجنوبي قبل مخارجه الى البحر= (وادي مصر): وقد حدد مفكرنا له موضعين: الأول، ***(وادي مضر أو ساحل مضر- أو وادي وساحل كنانة)***، والموضع الثاني هو ***(وادي مسور)***، وهذا الموضع يفترض أن يكون آخر نقطة للحد الجنوبي قبل أن ينتهي الى الساحل الغربي.

لكي يتضح الأمر للقارئ العزيز، فإن ما قمنا به بعد ذلك ليس إلا إننا قمنا بتعيين هذه المناطق بشكل فعلي على خريطة اليمن، ورسمنا خطاً بينها، وهو الخط الذي يفترض أن يكون هو الحد الجنوبي لأرض الميعاد كما في الوصف التوراتي، ولأن لدينا احتمالان إزاء الموقع الثالث، فقد تكونت لدينا خريطتان توضح كل منهما احتمال منهما.

والآن، الى أي مدى تتطابق هذه التحديدات بين ما جاء في النص التوراتي عن الحد الجنوبي لأرض اسرائيل الموعودة وما جاء في كتاب الهمداني وما هو عليه الواقع في جغرافية اليمن الفعلية؟!

للاجابة على تساؤلنا الأخير، سوف نستعرض النتائج التي توصلنا إليها كما يلي:

أولاً، أن الهمداني قد ذكر جبل ***(ضين)*** في سياق كان فيه يعدد الجبال المشهورة، وبالتالي لا يجب أن نفهم من ذلك أن هذه الجبال تقع في نسق مكاني واحد بالنسبة لبعضها البعض، بل هي جبال مشهورة في جزيرة العرب عددها الهمداني وفق نسق جهوي بدأ فيه من جنوب اليمن صعوداً نحو الشمال، فجبال: ".. ***دثينة وجرش ومن ثم صبر وتعكر وبعدان وريمان***" التي ذكرها في بداية فقرته هذه تتدرج مواقعها من الجنوب الى وسط اليمن.. لكنه في نهاية الفقرة يصل الى: "***.. جبل الحضن بأرض نجد، عارض اليمامة، وجبلا طيء أجأ وسلمى..***"[١]، وهي مما يقع في نجد خارج حدود اليمن الطبيعية، وهذا بدوره يسقط الفكرة التي يدعيها الربيعي من أن جبل ***(ضين) وجبل (ملح)*** جبلان يقعان في نسق مكاني واحد على نحو ما تصفه التوراة بالنسبة لـ ***(برية صين) و(بحر الملح)***، باعتبارهما موقعان جغرافيان يدخلان في نطاق أرض الميعاد، فضلاً عن كونهما يشكلان معاً جزءً من خط رسم الحد الجنوبي لتلك الأرض.

ثانياً، أن اسم ***(صين)*** التوراتي قد ورد مرتبطاً بصفته الطبوغرافية بأنه ***(بَرِّية)***، وليس منطقة جبلية أو أنه بحد ذاته **(جبل)**، كما أن اسم ***(الملح)*** هو الآخر يرد في التوراة بصفة طبوغرافية محددة وهو أنه (بحر)، وفي المقابل يشير الهمداني الى أن ***(ضين وملح)*** جبلان وليسا برية وبحر. ***فكيف لمكان تصفه التوراة بأنه (برية) ومكاناً آخر تصفه بأنه (بحر) أن يصبح كل منهما جبلاً؟!- وما عساه المسوغ الجغرافي أو الطبوغرافي أو التاريخي أو اللغوي أو الخنفشاري الذي يجعلنا نقبل بـ هكذا أمر؟!***

الحقيقة، إنه لمن الصعب جداً، بل ومن غير الموضوعي والعلمي أن نتجاهل في سياق بحث جغرافي عبارات الوصف الطبوغرافية التي تسبق أو تلحق أسماء المواقع الجغرافية، مثل:

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

جبل، بحر، واد، نهر، تل، قرية، مدينة، برية... الخ، لأن هذه العبارات الوصفية هي الأساس الذي نعتمد عليه في تعيين المناطق ومواقعها بدقة، أما الأسماء التالية فلها أسس أخرى سواء من حيث سبب اطلاقها أو من حيث مدلولها. فقد تتسمى الأماكن بأسماء رجال أو نساء أو قبائل أو بأسماء ذات مدلول ثقافي أو بيئي متجانس مع ثقافة المنطقة التي تنتمي إليها، فكثير ما نجد جبلاً وودياً وقرية تسمى معاً في الوقت نفسه بالاسم (ضين) وهذا أمر شائع وليس غريباً أو مجهولاً، بل أن التوراة تتحفنا بذكر موقع بذاته في نطاق برية (صين) اسمه (صين)، بما يعني أن البرية قد نسبت الى هذا الموقع أو العكس.

هذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن مفكرنا العظيم لا يفقه شيئاً في الجغرافيا أو في علم الأسماء الجغرافيا (طوبنيما)، ولا يعلم قطعاً أن هذه المسألة لا يمكن أن تعالج على أساس (اتيمولوجي) أبداً، لأنها مما يدخل في مبادئ وثوابت علم الأسماء الجغرافية، كأحد أهم فروع علم الجغرافيا المعاصر.

ثالثاً، من المثير للدهشة وللعجب، بل ومن المسبب حقاً للبلّه المنغولي ومتلازمة اوكشنج وكل الطفرات الجينية المؤدية الى الغباء الجغرافي، أن الربيعي قد حدَّد جغرافياً موقع (جبل ضين)، هكذا[١]:

> ***"يقع جبل ضين في تهامة على مقربة من الشريط الساحلي المعروف بساحل عثر، وبالطبع فالسائر من تهامة والساحل عبر السراة سوف يجتاز المواضع المذكورة في نصي يشوع والهمداني.."***.

عجباً..!!

ما هذا الهراء؟!

حياكم الله يا عبقري الجغرافيا..!!- أنظر الخريطة أدناه.

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٦١.

خريطة رقم (٥): موقع جبل ضين القريب من صنعاء بالنسبة لـ عثر على ساحل تهامة

من الخريطة أعلاه، واضح جداً أن جبل ضين الشهير يقع في الشمال القريب من مدينة صنعاء، بل وهو أحد الجبال التي أُعتمد عليها في تحديد جهة القبلة لجامع صنعاء الأول من عهد الإسلام صوب مكة، كما في بعض الروايات المنسوبة الى النبي محمد (ص)، أما عثر فتقع بالقرب من ساحل البحر الأحمر بعيداً عن هذا الجبل بمئات الكيلومترات، وإن كانت عثر تقع فعلاً ضمن مناطق تهامة، فإن جبل ضين ليس كذلك أبداً، لأنه يقع في نطاق الهضبة اليمنية الداخلية بعيداً بما لا تقل عن (٣٠٠) كيلو متر عن السواحل التهامية.

لا نظن أنه يوجد مخلوق على وجه هذا الكوكب يعتقد أو يتوهم أن صنعاء تقع في تهامة، فما بالنا وجبل ضين يقع في نطاق صنعاء نفسها..!!

رابعاً، بالنظر الى الخرائط الدقيقة والواضحة والقابلة للتحقق والتأكد من دقتها من قبل كل جغرافيي الكوكب، نتساءل: ***أين هي أدوم؟!***

نقصد ***(أدوم)*** التي هي بحسب النص التوراتي بالقرب من ***(برية صين)*** التوراتية، والتي يفترض أنها بالقرب أيضاً من ***(جبل ضين)*** بحسب التفسير الربيعي، فضلاً عن كون أدوم هذه مما يفترض أن تكون واقعة خارج نطاق حدود أرض الميعاد، أي أنها أرض أخرى ***(حوتس لآرتس)***؟!

في واقع الحال، لقد أجهدنا البحث في متخيلة الربيعي عن (أدوم) هذه، ولكننا لم نفلح في ايجادها.

خامساً، متى أطلق على البحر الأحمر اسم البحر الكبير؟!- وما هو البحر الذي أطلق عليه فعلاً البحر الكبير في المصادر التاريخية القديمة؟

هذه نقطة بالغة الأهمية، فالبحر الأحمر لم يُعرف يوماً أو يُطلق عليه أو يُشار إليه بأنه هو ***(البحر الكبير)***، بل على العكس من ذلك تماماً، فإن هذه التسمية قد أطلقت على ***البحر الأبيض المتوسط***، وهذا باتفاق جميع المصادر وعلى رأسها النقوش المسمارية الآشورية. إذ يرد هذا الاسم مشيراً بوضوح الى البحر المتوسط في إحدى حوليات الملك الآشوري ***(آشور ناصر بال الثاني)***، التي يخبرنا فيها عن الحدود الجغرافية لمملكته بفضل غزواته التي شملت مناطق واسعة من الشرق الادنى القديم- والتي لم تشمل اليمن إطلاقاً كما يتوهم الربيعي-، قائلاً، بأنه:

"***الملك الذي اخضع (الأراضي الممتدة) من الضفة المقابلة لدجلة حتى جبل لبنان والبحر الكبير..***"[١].

وفي نقش مسماري آخر، يخبرنا ***(ادد – نيرازي)*** أنه:

---

[١]. عامر عبد الله نجم الجُمَيليّ: المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٦ . ص ٧٣.

"جعل الناس تشاهد باكت (pagutu) القردة الضخمة والتمساح وثور البحر (؟) (الجاموس) ومخلوقات البحر الكبير التي كان ملك بلاد (مصر) قد ارسلها"[١].

قبل أن نعلق على ما جاء في النقشين أعلاه، لابد من التأكيد على أن مفكرنا الفاضل لطالما أدوشنا بأن (مصر) التي ترد في التوراة هي (مصر) أخرى لا يقصد بها مصر النيل قطعاً- حد تعبيره-، ولطالما أشار الى أن المقصود بـ (مصر/ مصرايم) التوراتية هو منطقة يمنية تسمت بهذا الاسم.

حسناً، إذا كانت (مصر) المقصودة في هذا النقش المسماري الأول تقع في اليمن، فهل يوجد في اليمن (جبل لبنان) بجوار (البحر الكبير)، أم أن النقش يشير الى جبل لبنان الذي نعرفه ويقع على سواحل البحر المتوسط؟!- وإذا كانت (مصر) التي ترد في النقش الثاني تقع في اليمن، فمتى عرفت اليمن (الجواميس والتماسيح)؟!- فالتماسيح بالذات لا يمكن أن تعيش في اليمن، لسبب بسيط يعرفه كل المتخصصين في الجغرافيا البيولوجية والبيئية، وهو أنه لا توجد (موائل) مناسبة لعيش التماسيح في اليمن. لكن في مصر النيل توفرت على مدى عصور طويلة وحتى اليوم ربما الكثير من الموائل المائية المناسبة لعيش التماسيح.

أشتهر نهر النيل نفسه على مر التاريخ بأنه موأل لثاني أضخم نوع من أنواع الزواحف الموجودة في العالم، والذي يعرف بـ *(تمساح النيل) (Crocodylus Niloticus)*، وتعتبر محافظة أسوان من أشهر المناطق بوجود التماسيح فيها، فضلاً عن بحيرة ناصر وغيرها من الأماكن في مصر، وتقوم الدولة المصرية حالياً بجهود كبيرة مدعومة من المنظمة الدولية المعنية بالتنوع البيئي وحماية الأنواع من الانقراض، في سبيل المحافظة على التمساح النيلي من مخاطر الاصطياد العشوائي، نظراً لشدة الطلب على جلوده وارتفاع سعرها عالمياً، حيث يواجه هذا النوع خطر الانقراض لهذا السبب.

هذه معلومات عامة، مستمدة أساساً من أصدق مصدر تاريخي وجغرافي، وهو الواقع الفعلي.

---

[١]. المرجع السابق، ص ١٣٧.

صورة رقم (١): تمساح النيل- ثاني أضخم الزواحف الموجودة في العالم

صورة رقم (٢): تمساح النيل في حديقة الفيوم بمصر

فضلاً عن ذلك، فإن البيئة الرعوية المصرية مازالت تحتفظ لليوم بفصيلة الجواميس من الأبقار الكبيرة والضخمة وأشهرها اليوم ثلاثة أنواع (البحيري والصعيدي والمنوفي)، بل أن الجاموس الذي يعيش في مصر يسمى الى اليوم بـ (الجاموس المصري)، أي أن موطنه هو مصر، ويتميز هذا النوع بلونه الرمادي أو الرصاصي الفاتح والغامق الذي يميل الى الأسود، وهو من الجواميس الضخمة ذات القرون الكبيرة والمختلفة الأشكال التي أُشتهرت بها مصر على مر التاريخ.

صورة رقم (٣): الجاموس المصري

ومنذ بداية الألف الرابع قبل الميلاد عرفت مصر الأبقار الضخمة (الجواميس)، فظهرت في المناظر والنقوش المصرية القديم بحفاوة بالغة، بل وحظيت بمكانة عالية ولربما وصلت الى مرتبة إلهية أحياناً، حيث ظهرت الثيران مرسومة أو مصنوعة من الصلصال، كما رسمت على جدران المقابر وفي أشكال ترمز إلى القوة الحربية المقاتلة كما في لوحة الثور الممثلة للملك المنتصر نعرمر[١].

[١]. للمزيد، راجع: فرانسوا دينالد، روجيه ليشتنبرج: الحيوانات والبشر تناغم مصري قديم، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم: محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢.

صورة رقم (٤): الجاموس المصري في النقوش الهيروغليفية القديمة

أما اليمن، فلم تعرف الجواميس في تاريخها الطويل أبداً، وإنما عرفت فيها فصيلة الأبقار العادية الصغيرة الحجم على مر العصور وحتى اليوم.

القصد مما سبق، أن مصر المقصودة في النقوش الآشورية والبابلية هي مصر النيل التي تقع على البحر الأبيض المتوسط، وأن ***البحر الكبير*** في التوراة والنقوش الأثرية القديمة لمختلف حضارات المنطقة، هي تسمية ثابتة للبحر الأبيض المتوسط، وهذا أمر لا يحتاج الى جدال، من حيث يمكن تقديم عشرات الأدلة الأثرية والتاريخية التي تثبت هذه الحقيقة، ولكننا نكتفي بما نراه مناسباً.

سادساً، أن المواقع الثلاثة التي تعرضنا لها ***(جبل ملح، جبل ضين، وادي مضر أو وادي مسور)***، بالإضافة الى المواقع الأخرى الداخلة معها في رسم الحد الجنوبي لأرض الميعاد، وهي: ***(عقربيم، صين، قادش برنيع، حصر أدار، عصمون)***- وفق النص التوراتي والذي يجب

أن يتوافق معه تفسير الربيعي– يُفترض أن تكون جميعها واقعة على مسار الحد الجنوبي ***في خط أفقي***، تقع الى شماله جميع أراضي ومدن أرض الميعاد.

لكن النتائج التي توصلنا إليها تعطينا شكلاً عجيباً وغريباً للحد الجنوبي لأرض الميعاد بافتراض أنها كانت في اليمن.

خريطة رقم (٦): الاحتمال الأول لخط الحد الجنوبي لأرض الميعاد في التوراة (بحر الملح، برية صين، وادي مصر) وفق التحديدات التي أسقطها الربيعي على جغرافية اليمن والحجاز.

إن النتائج التطبيقية التي توصلنا إليها من اختبار تحديدات الربيعي الجغرافية لمناطق أرض التوراة، وعلى أساس الاحتمال الأول الذي تكون فيه ***(وادي مصر)*** هو ***(وادي مضر)*** بحسب مفكرنا، نجد أن الحد الجنوبي يرسم خطاً رأسياً آخذاً مسارين عكسيين إذ يبدأ من جبل ملح في يام النجرانية منحدراً جنوباً الى ***(جبل ضين)*** في الهضبة اليمنية الداخلية، ثم يتخذ

مساره الثاني صاعداً بميل زاوية حادة نحو الشمال الغربي البعيد حتى ينتهي في ***(سواحل كنانة)*** في الشمال الغربي أرفع قليلاً من مكة الحجازية- ***أنظر الخريطة رقم (٦).***

أما إذا أخذنا بالاحتمال الربيعي الثاني، الذي تكون فيه ***(وادي مصر)*** هي ***(وادي مسور)***، فإننا سنحصل على خط حدود رأسي تماماً ينحدر من نقطة في الشمال هي ***(جبل ملح)***- الذي يفترض أن يكون بحسب النص التوراتي في الشرق من برية صين- متجهاً نحو الجنوب حتى يصل الى ***(جبل ضين)***، ثم ينكسر هذا الخط بزاوية حادة الى جهة الجنوب الشرقي حتى يستقر عند ***(وادي مسور)***- الذي يفترض أن يكون بالقرب من مخارج البحر الكبير في الغرب، ولكنها وفق تحديد الربيعي هذا أصبحت في الشرق بعيداً وبعيداً جداً عن أي بحر غربي..!!- ***أنظر الخريطة رقم (٧).***

خريطة رقم (٧): الاحتمال الثاني لخط الحد الجنوبي لأرض الميعاد في التوراة (بحر الملح، برية صين، وادي مصر) وفق التحديدات التي أسقطها الربيعي على جغرافية اليمن.

والآن، إذا كانت هذه هي الحدود الجنوبية، فأين سنجد الحدود الشمالية لموطن أحداث التوراة ومنازل جماعاتها وقبائلها؟!- ***الجواب:*** *طالما وأن الجهات تتحدد بالنسبة لبعضها البعض تناظرياً، وبما إن الحد الجنوبي لأرض الميعاد صار حداً رأسياً وليس أفقياً، فلابد أن يكون الحد الشمالي واقعاً على خط رأسي آخر يقابله، قد نجده في وسط البحر الأحمر أو ربما في شواطئ مصر النيل تبعاً لما هي عليه مساحة أرض الميعاد في تصور الربيعي..!!*

يا لها من نتائج رهيبة، من حيث لا ندري أين ذهبت كل تلك التطابقات التي شحنها مفكرنا في كتابه بين التوراة والهمداني، والتي أكد على أنها يستحيل أن تكون مصادفات..؟!- ***فيما نقول نحن، أن هذا طبيعي جداً، لأن التلفيق والتحريف والتخريف لا يصنعان حقائقاً، ولا يقودان الى حقائق.***

بيد أن الكارثة الأعنف والأدهى التي أحدثها مفكرنا العملاق في حق التوراة والتلمود والتاريخ والجغرافيا والحقيقة والأوهام، تتمثل في أن التحديدات التي اختارها هو للمواقع التوراتية الثلاثة- من حيث يفترض أساساً أن تكون بقية المواقع الأخرى التي نصت عليها التوراة بأنها تقع على امتداد خط الحدود الجنوبية لأرض الميعاد وبلاد اليهود بين النقطتين (بحر الملح في الشرق) و(وادي مصر في الغرب)، ***تجعل من بيت بوس التي هي أورشليم عند الربيعي واقعة الى الجنوب خلف هذه الحدود في حين يُفترض أن تكون أورشليم بالأساس واقعة في قلب أرض الميعاد.***

لنعد النظر مرة أخرى الى الخرائط أعلاه...!!

لقد أسفر الاختبار التجريبي والتطبيقي للحد الجنوبي لأرض الميعاد في ضوء تعيينات الربيعي لثلاثة مواقع تحدد وسط هذا الحد وطرفيه كما وصف ذلك في النص التوراتي، ومن خلال اسقاطها على الخارطة اليمنية، أسفر هذا الاختبار الى نتيجة عجيبة لم تكن على الإطلاق متوقعة، وهي:

أن (بيت بوس- بالقرب من صنعاء) التي حدد الربيعي أنها هي (أورشليم) التوراتية، أصبحت تقع خارج حدود أرض الميعاد تماماً، في حين يفترض أن يثبت التفسير الجغرافي

الذي قدمه مفكرنا العملاق بأن بيت بوس تقع داخل حدود أرض الميعاد شمال الحد الجنوبي، لأنها هي عاصمة أرض اسرائيل، وحاضرة بلاد كنعان، وقصبة بلاد اليهود وكورتها العتيدة.. فكيف أصبحت أورشليم خارج أرض اسرائيل يا مفكرنا العبقري؟!

بحق الله، كيف لأرض الميعاد التي هي الأرض التي يُفترض أن الله قد وعد بها وأعطاها لبني اسرائيل، والتي أُطلق عليها في مرحلة ما اسم (بلاد اليهودية)، أن تكون هي موطن أحداث التوراة في الوقت الذي لا نجد فيه أن عاصمتها لا تقع فيها؟!- هذا ما فاجأتنا به نظرية الربيعي وأدهشتنا وصعقتنا به، لمجرد أننا فكرنا برسم الخرائط التي يفترض أنه هو من كان يجب عليه أن يرسمها ويتحقق من خلالها من صدق تفسيراته ومعالجاته؟

والآن، هل بوسع هذا المفكر العظيم، أن يخبرنا متى لُعنت أورشليم وطُردت وأزيحت بعيداً عن أرضها وجغرافيتها..؟؟!!

وهل مازلنا نحتاج الى أدلة تثبت بطلان هذه النظرية الخرقاء أقوى من هذه الأدلة التي قدمتها لنا الخرائط الدقيقة والثابتة؟!

أعتقد أن ما قدمناه حتى الآن سيكون كافياً لقلة قليلة من أولئك المؤمنين بنظرية الربيعي وأوهامه، لكي يُلقوا بنظريته وكل كتبه وحواراته ومقالاته.. وكل شيء قاله.. وكل شيء يتعلق به الى سلة المهملات فوراً وبدون أدنى تردد..

ولكن أكثر الناس لا يعقلون..؟!

[3]

فوضى الربيعي المُتخيّلة

كما رأينا، فقد تضمن وصف الحد الجنوبي لأرض الميعاد في النص التوراتي، ذكر عدة مواقع يمر عليها هذا الحد، قمنا نحن بتعيين ثلاثة مواقع منها فقط، الموقعان اللذان يشكلان طرفي الحد من جهتي الشرق والغرب، والموقع الوسطي الذي يقع في منتصفه، على أساس أن ثلاثة مواقع تكفي لرسم خط الحدود الجنوبية لأرض اسرائيل أو بلاد اليهود.

بالرغم من كفاية الاختبار السابق في تحقيق الهدف الذي أردنا تحقيقه، وفي تقديم الحقيقة التي تعمدنا أن يراها القراء الأعزاء رأي العين، فإن البعض من المكابرين والمعاندين قد يقولون بأننا ربما قمنا بالانتقاء أو تصوير الأمر كما نحب أن نراه، وهذا ليس صحيحاً أبداً من حيث أن بمقدور أي شخص أن يقوم بما قمنا به، ونحن على ثقة بأنه سيصل الى نتائج كارثية تثبت مدى الفوضى التي تعبر عنها نظرية الربيعي وادعاءاته الخرقاء والسخيفة أكثر مما توصلنا إليه، ولكن حرصاً منا على أن نوصل الحقيقة بأقصى وضوح ممكن لجميع القراء، سوف نستمر في اختبار تحديدات الربيعي الجغرافية للمواقع التوراتية على جغرافية اليمن، مما يفترض أن يكون واقعاً على امتداد الحد الجنوبي لبلاد اليهود الموعودة.

ذكر النص التوراتي من (سفر العدد، ٣٤: ١– ٥) أن الحد الجنوبي يمر بـ ***(عقربيم، صين، قادش برنيع، حصر أدار، عصمون).***

حدد الربيعي مواقع هذه الأسماء كالآتي[١]:

ادعى الربيعي أن الأصل العبري لاسم ***(عقربيم)*** الذي يرد في الترجمة التقليدية هو ***(عقبة العقارب)***، وترجمها بأنها هي ***(معلاة العقارب– عقربيم في العبرية والعربية)***.

---

[١]. تظهر معالجات هذه الأسماء في الجدول الذي يظهر في: فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٢٥٣– ٢٥٤.

أما *(قادش برنيع)* فقد اعتبر أنها موضعين وليست موضعاً واحداً..!!- الموضع الأول هو *(قادش)* وقد حولها الى *(قَدَس)*. والموضع الثاني هو *(برنع)*، وحوله الى *(برع)*.

وأيضاً اعتبر الربيعي أن *(حصر أدار)* موضعين وليس موضع واحد: الموضع الأول *(حصر)* وقد اعتبر أن الأصل العبري منه هو *(حصرون)* وأن المكافئ العربي له هو *(حضر)*، أما الموضع الثاني *(أدار)* فاعتبر أن الأصل العبري منه *(عدر)* وأن المكافئ العربي له هو *(أدران)*.

أما *(عصمون)*، فقد حولها الى *(عصمان)*.

إزاء هذا التحليل والمعالجة العجيبة لإسمي *(قادش برنيع، حصر أدار)*، لابد من استحضار ادعاء الربيعي حرفياً، إذ يقول[١]:

"ومن غير شك أيضاً فإن وجود كل هذا العدد من الأماكن التوراتية، التي تمت مقاربتها بموضوعية مهنية، ومن دون أي تلاعب مع الشعر العربي ووصف جغرافية اليمن، لا يمكن أن يكون نتاج مصادفة لغوية أو جغرافية. وقد بينا - دون أدنى تلاعب لغوي على أصل الأسماء- قوة هذا التماثل، ومن ثم فإن المسرح الحقيقي لقصص التوراة وبيئتها الحقيقة إنما هو بلاد اليمن القديمة".

لن نعيد ما سبق لنا قوله من قبل بشأن خزعبلات الترجمة المزعومة التي يدعي الربيعي أنه قام بها للنص التوراتي، طالما وقد صار بوسعنا أن نتأكد وعلى نحو وثيق للغاية أن جميع المكافئات العربية المزعوم أنه توصل إليها نتيجة تلك الترجمة الموهومة، ليست إلا تسميات استمدها الربيعي حرفياً وبشكل انتقائي من كتاب الهمداني. ولكن مفكرنا يؤكد لنا وبكل ثقة بأنه قام بمقارباته دون أدنى تلاعب لغوي على أصل الأسماء، في حين أننا نلاحظ هنا أنه قد حول موضعين في التوراة الى أربعة مواضع، ***ولا نعرف ما هو الأساس الذي استند إليه في ذلك، ولا ما إذا كان هذا يمثل تلاعباً لغوياً أم لا؟.***

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الثاني، مرجع سابق، ص ٣١٩.

إن تفسير هذا الإجراء لا يحتاج لجهد خارق، لأننا سبق وأن أشرنا إليه في القسم الأول من هذه الدراسة، وبمراجعة ما كتبناه من قبل تبين أن الأمر الذي قام به الربيعي هنا هو محض إجراء تلاعبي وتلفيقي لا أساس منطقي أو لغوي يقوم عليه أبداً.

الأدهى من ذلك أن الربيعي الذي كان قد انتقد الصليبي واتهمه بأنه وقع في فخ المقارنات والتلاعبات اللغوية، نجده هنا وهو يقوم بهذا الإجراء الغريب مستمداً إياه من الصليبي نفسه، فمما قام به هذا الأخير، تحويلاته التالية[1]:

[كركميش] ـــــــــ حددها بموقعين هما ـــــــ [القر]، [القماشة].

[أورشليم] ـــــــــ حددها بموقعين هما ـــــــ [أروي]، [آل سلام].

هذا هو النموذج الذي قام به الصليبي، وإليكم أيها القراء الأعزاء الإجراء الذي قام به الربيعي، والنموذج الذي قدمه لنا:

[قادش برنيع] ـــــــــ حددها بموقعين هما ـــــــ [قدس]، [برع].

[حصر أدار] ـــــــــ حددها بموقعين هما ـــــــ [حضر]، [أدران].

والآن، ما الفرق بين النموذجين؟!- وكيف يعتبر اجراء الصليبي تلاعباً لغوياً ولا يعتبر إجراء الربيعي كذلك؟!- هاهو مفكرنا إذن يقوم بواحد من أسوأ الإجراءات التي قام بها الصليبي من قبل. ***فعلى أي أساس يهرف مفكرنا العبقري بأنه لم يقع في فخ التلاعبات اللغوية الذي وقع فيه الصليبي؟!- وأليس هذا تناقضاً فاضحاً ومعيباً يكشف عن المدى الذي بلغ إليه هذا المفكر في الاستخفاف بعقول القراء؟!***

عموماً، التحقيق الجغرافي هو الحكم الحاسم والفيصل الفاصل، وليس المجادلات اللغوية والخنفشارية التي يفضلها هؤلاء العباقرة من الحاخامات العرب، والسؤال هنا:

---

[١]. إزاء الإجراءات والتلاعبات اللغوية التي قام بها الصليبي في بناء نموذجه لنظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، راجع الفصل الثالث: المنهج الجهنمي وحقيقة التزوير، القسم الأول من هذه الدراسة، ص ٨٨.

أين نجد المواقع التي حددها الربيعي لتلك الأسماء التوراتية على الخريطة اليمنية؟!- وكيف سيكون خط الحد الجنوبي لأرض الميعاد لو حددنا مواقعها؟!

قبل أن نذهب الى جغرافية اليمن على الخريطة، لابد من التنويه الى بعض الملاحظات المهمة، بشأن مواقع ورود الأسماء التي قررها الربيعي كمكافئات للأسماء التوراتية في كتاب الهمداني:

أولاً، يرد ذكر ***(قدس)*** لمرة واحدة في كتاب الهمداني، في الفقرة التي عدد فيها الجبال المشهورة في جزيرة العرب، إذ قال: ***"... اقرع تعار لبن أباح شمام، من جبل طيّ، عسيب عروان يلملم، قدس، رضوى أعفر، أفرع، يسوم، آرة، الأشعر"***[1]. وكما واضح، فهذا الاسم يشير في كتاب الهمداني الى جبل يقع خارج نطاق جغرافية اليمن الطبيعي. لكن الربيعي يقصد بـ ***(قدس)*** منطقة يمنية تقع في نطاق محافظة تعز اليمنية، وما أردنا أن نلفت عناية القارئ إليه أن الهمداني لم يذكر **(قدس)** التي يشير إليها الربيعي، وهذا أمر نستغربه نحن من حيث كنا نعتقد أن المنطقة اليمنية التي عُرفت بهذا الاسم قديمة ومعروفة بذلك في عصر الهمداني، الأمر الذي يثير الشك في إمكانية أن تكون منطقة قدس اليمنية قد عرفت اسمها هذا في عصور متأخرة، وبالتالي فالاسم الذي تعرف به اليوم لم يكن اسمها في عصر الهمداني، ما لم نتحصل على تفسير آخر.

ثانياً، أن ***(برع)*** جبل شهير من جبال اليمن يقع في نطاق محافظة الحديدة الساحلية، وهو اليوم من المحميات الطبيعية المصنفة في قوائم المحميات الطبيعية العالمية. وقد ورد ذكر هذا الاسم في كتاب الهمداني ست مرات، يشير في معظمها الى هذا الجبل.

ثالثاً، ***(حضر)*** اسم وادي يقع في بلاد الحواشب من محافظة الضالع اليمنية، يبعد عن مدينة قعطبة حوالي (٣٠) كيلو[2]، ويرد ذكر هذا الاسم عند الهمداني أربع مرات.

---

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

[٢]. المرجع السابق، ص ١٧٣، هامش المحقق رقم (٣).

رابعاً، (أدران) يرد ذكر هذا الاسم (٣) مرات في كتاب الهمداني، إذ يصفه في الموضع الأول، بأنه: ".. ونمل وشرس وأرض أدران وحجَّة وعيَّان ..". ويعرفنا به محقق الكتاب بأنه يسمى اليوم ***(دوران)*** بينه وبين مدينة حجة اليمنية من الجهة الشمالية الشرقية ميل ونصف[١].

خامساً، (عصمان)، ذكره الهمداني في موضعان، الأول منهما: ***".. يتصل بهذا السرَّاة سراة عذر وهنوم وظاهر بلد الجواشة من الفائش فائش بكيل فبلد الشاكريين من أهل الدرب ونودة فالحفر من أعلى عصمان فمقتل سفران فبلد حرب بن عبد ودّ بن وادعة وهم بنو صريم.."***. وبحسب محقق الكتاب، فـ عُصمان وادي من السودة ينسب إليه البن والقشر العصماني الشهير[٢]. إلا إننا لم نجده على الخريطة فاعتمدنا أقرب منطقة إليه مما ذكره محقق كتاب الهمداني، وهو موقع (السودة)، ويبدو أن هذا الموقع قريب من وادي أدران (دوران) الذي لم نتمكن من ايجاد موقعه على الخريطة، لذا سنكتفي بإمرار خط الوصل على موقع السودة، بالإضافة الى أننا لم نجد ***(معلاة العقارب)*** التي ذكرها الربيعي لا عند الهمداني ولا في الخريطة اليمنية.

بحسب ما تبين لنا أعلاه فإن الأسماء التي اختارها الربيعي، تتوزع على مناطق مختلفة من اليمن، فمنها ما يقع في جنوب اليمن ومنها ما يقع في وسطها، ومنها ما يقع في شمالها ومنها أيضاً ما يقع في شمالها الغربي، الأمر الذي يجعل من المستحيل أن يكون الخط الذي يمر منها جميعاً مطابقاً للوصف الذي ورد في التوراة والذي يصفها بأنها تقع على امتداد الحد الجنوبي لأرض الميعاد من الشرق الى الغرب.

لتأكيد هذه النتيجة، نستعيد ترتيب النص التوراتي لتسلسل المواقع على امتداد الحد الجنوبي لأرض الميعاد، وهو كما يلي:

من الشرق= [بحر الملح ــ صين ــ قادش برنيع ــ حصر أدار ــ عصمون ــ وادي مصر]= الى الغرب

[١]. المرجع السابق، ص ١٢٥، هامش المحقق رقم (٢).

[٢]. المرجع السابق، ص ١٢٨، هامش المحقق رقم (١).

يقابلها تحديد الربيعي، كما يلي:

من الشرق= [جبل ملح (يام) ــ جبل ضين ــ قدس ــ برع ــ حضر ــ عصمان ــ وادي مسور]= الى الغرب

والآن، لننظر الى الخريطة رقم (٨) ونتأمل النتائج الرهيبة:

خريطة رقم (٨): شكل الحد الجنوبي لأرض الميعاد بحسب تحديد الربيعي للمواقع التي يمر بها على الخريطة اليمنية

كانت تلك هي النتيجة كما هي واضحة بدقة جغرافية متناهية، كما في الخريطة أعلاه..!!- فهل توجد فوضى أكثر من هذه الفوضى التي عثرنا عليها في جغرافية الربيعي المتخيلة؟!

لا، لن نجد مثل هذه الفوضى حتى في عقول الأطفال.. فما بالكم بمن يحب أن يناديه الناس بـ المفكر العربي وأحياناً البروفسور..!!

وهكذا، فإن ادعاءات مفكرنا الجهبذ وتلفيقاته وأوهامه وتخيلاته لم تعد مسألة مختلطة أو غير واضحة أو أنها نظرية تفتح آفاقاً واسعة لنقد التوراة، أو أن فيها وجهة نظر يمكن الأخذ بها. لقد صار كل شيء واضحاً من الناحية التي كان يُطلب منا فيها دائماً الدليل والحجة على بطلان هذه النظرية السخيفة، أما بعد هذا فالمسألة مسألة مبدأ أخلاقي وضمير.. فلا يكابر الحقيقة أو يعاندها إلا من تخلى عن ضميره وعن أخلاق العلم والعلماء.

وكل منا يعرف بالضبط أين يضع نفسه.

الفصل الرابع

أقواس الربيـ(.....)ـعي الفارغة

تكشف مقاربات الربيعي الملفقة والمضللة من إحدى النواحي، عن قصور وضعف شديد في المعرفة والوعي بأبسط مبادئ علم الجغرافيا مما يتعلمه الصغار في صفوف المدرسة الابتدائية، الأمر الذي يمكن اعتباره واحداً من أهم الأسباب الكامنة وراء تقديمه نظرية هشة وسخيفة الى ذلك الحد الذي اثبتناه في الفصول الثلاثة السابقة، والذي نسعى الى تجاوزه والوصول الى حد أبعد بكثير مما تقدم لدعم النتائج التي توصلنا إليها. فعندما رصدنا وتتبعنا الإجراءات التي قام بها في تعامله مع كتاب الهمداني، لاحظنا ظاهرة لا نظنها اختفت أو توارت عن أنظار أولئك الذين قرأوا كتابه "فلسطين المتخيلة"، وهي ظاهرة الاقتصاص المتعمد والمقصود لمتون كتاب صفة جزيرة العرب، وبتر الاستشهادات التي استخدمها لدعم رؤيته الموهومة من سياقها على نحو سافر، ولسوف نثبت كيف أن مثل هذه الإجراءات تكشف بعمق شديد الى أي مدى بلغت ضحالة الوعي والحس الجغرافي عند هذا المفكر بعنصر المساحة الجغرافية وغيرها من العناصر الأساسية، وكيف أنه اختزل مساحات شاسعة من الجغرافية اليمنية واستقطع مساحات أخرى وألغى مسافات ومسافات في سبيل ترقيع نظريته، وتقديم أدلة وهمية مصطنعة وملفقة تخدع القارئ وتضلله، فضلاً عن كونها في الأساس تستخف به تماماً.

بذلك الضيق الشديد في الرؤية والأفق المعرفي بأسس الجغرافيا، اقتحم مفكرنا العبقري أسفار التوراة متعجلاً ومسارعاً في وصف وتحديد أرض التوراة ومنازل الأسباط– أسباط بني اسرائيل– ومواقع المعارك والغزوات التي قام بها المصريين والآشوريين والإغريق والرومان والفرس في نطاق الجغرافية اليمنية، مستعيناً دائماً بالهمداني وجاعلاً منه شاهده الرئيسي، بالإضافة الى الأبيات المجتزأة والمقتصة من قصائد الشعراء القدماء.

بدأ مفكرنا في الفصل الثاني من الجزء الأول في المجلد الأول من كتابه "فلسطين المتخيلة" بتحديد منازل خمسة من الأسباط الاسرائيلية على مدى (١٤٤) صفحة، ومن بعدها انشغل بإعداد بقية فصول الجزء الأول وفصول الجزء الثاني وفصول الجزء الثالث، لنجده يعود مرة أخرى الى تعيين منازل سبطين آخرين، خصص لكل منهما فصل من الجزء الرابع الذي يقع بدوره في المجلد الثاني من الكتاب نفسه.

ودائماً نتساءل، لماذا يفعل الربيعي هذا؟!

لماذا لا يتعامل مع الموضوع الواحد في نسق واحد متكامل يُلِّم فيه بجميع أبعاده وتفاصيله بدلاً من التقطيع والتجزئة والفصل بمسافات شاسعة بين أجزاءه؟!

لماذا يبدأ بسفر يشوع وقبل أن ينتهي منه ينتقل الى سفر القضاة، ثم ودون أن يكون هناك سبب وجيه نجده يقفز الى سفر صموئيل، ثم الى أشعيا، ثم نجده فجأة في سفر أخبار الأيام، وبشكل مفاجئ مرة أخرى ينقلنا الى سفري المكابيين، ومن بعدها جميعاً يقفز بنا الى أشعار وقصائد أحزان اليهود ومرثياتهم؟!

وعلى أساس أن عِدّة أسباط بني اسرائيل إثنا عشر سبطاً، فإننا نتساءل أيضاً لماذا تعامل الربيعي فقط مع سبعة من الأسباط؟!- ولماذا لم يحدد منازل الأسباط الخمسة الأخرى أو على الأقل لماذا لم يسير في تعيين جميع منازل الأسباط كما وردت في سفر يشوع؟!- علاوة على الكثير من التساؤلات التي يمكن طرحها هنا.

لجميع هذه الأسئلة ولغيرها أيضاً، يأتي هذا الفصل مكملاً لما قبله. فإذا كنا قد تطرقنا الى مسألة حدود الأرض وأهمية هذا العنصر الجغرافي في أي معالجة ممكنة ومحتملة للنص التوراتي، فإننا في هذا الفصل سنتعرض لنظرية الربيعي من منظور عنصر المساحة الذي لا يقل أهمية عن سابقه، إذ أن الكشف عن الطريقة والإجراءات التي تعامل بها مع هذا العنصر في تقديم الأدلة التي استند إليها، سوف يساعدنا كثيراً في تكميل الصورة التي تكونت لدينا حتى الآن، عن حجم التضليل والتزييف والتحريف الذي مارسه.

[1]

الطفرة المخيالية

يُقدم ***أحمد داود – رائد نظرية جغرافية التوراة في غامد وبلاد زهران***– معالجة بالغة الأهمية لبعض النصوص الواردة في أحد الأسفار التاريخية الملحقة بالأسفار الخمسة للتوراة، مما يتعلق بمساحة أرض الميعاد، وذلك ضمن نموذجه الخاص لمسرح أحداث التوراة غير مبتعد عن موضع المسرح الذي حدده من قبل الصليبي وزياد منى لأحداث المقراء.

تأتي أهمية معالجة أحمد داود هذه من عدة جوانب، أهمها أنها تدلنا على نصوص مهمة من سفر حزقيال– الذي يعود زمن كتابته الى ما بعد مرحلة السبي البابلي وعودة اليهود الى أورشليم، والذي يتضمن توصيفاً جغرافياً رؤيوياً[١] لأرض الميعاد في ذلك العصر، وكيف ينبغي تقسيمها بين فئات المجتمع اليهودي، بناءً على معطيات كمية وقياسية لمساحة هذه الأرض. فقد قام أحمد داود بمعالجة هذا النص قياسياً وكمياً على نحو أعطانا فكرة تبدو واضحة عن مساحة وأبعاد الأرض، فضلاً عن أن النص التوراتي بحد ذاته ومن دون هذه المعالجة يُعطينا بيانات هامة عن وحدات قياس الطول والمسافة والأبعاد، الأمر الذي يمكن الاستفادة منه في معرض نقدنا لنظرية الربيعي– أو بالأصح للنموذج الذي قدمه في إطار هذه النظرية.

---

[١]. نقصد بعبارة ***(توصيف رؤيوي)***، ما يدل عليه بالأساس أن سفر حزقيال يتضمن ما كتبه صاحبه عن رؤى توصل إليها ونسبها الى مصدر إلهي. فمسألة الرؤى والنبوءات في ثقافة الأدب والتاريخ التوراتي مسألة شهيرة نظراً لكثرة الأنبياء الذين ادعوا أنهم عاشوا تجارب من هذا النوع، حتى أن هذه الظاهرة الكتابية قد انتقلت بعد ذلك الى المسيحية على غرار أنجيل يوحنا الذي يتضمن رؤيا من هذا النوع. وبلا شك فإنه يجب الأخذ بالاعتبار طبيعة الوصف الذي يقدمه سفر حزقيال لمساحة وأبعاد أرض الميعاد بأنه ليس ناتجاً عن معايرة واقعية قام بها كاتب السفر، بل هو ناتج عن رؤيا أو معرفة باراسيكولوجية– حلمية أو ما شابه، وهذا الأمر تجاهله أحمد داود تماماً، من حيث تعامل مع النص وكأنه توصيف معياري واقعي ومادي، ولكن هذا لا يقلل من شأن معالجته التي تستند حقيقة الى أساس سليم وصحيح.

في الحلقة الـ (١٣) من كتابه "***العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود***"، وتحت عنوان: "***أرض الميعاد وأبعادها التوراتية بالذراع***"، يقدم لنا أحمد داود معالجته لما ورد في سفر حزقيال بشأن مساحة أرض الميعاد ومقاييسها، والتي ننقلها على نحو حرفي كما يلي[١]:

"تقول التوراة: في السنة الخامسة والعشرين من جلائنا في رأس السنة في العاشر من الشهر. في ذلك اليوم نفسه كانت عليّ يد الرب وأتى بي إلى هناك أتى بي إلى أرض إسرائيل ووضعني على جبل شامخ جداً عليه كبناء مدينة من جهة الجنوب فأتى بي إلى هناك فإذا برجل كمرأى النحاس وبيده خيط كتان وقصبة قياس وهو واقف بالباب فإذا بحائط خارج البيت على محيطه وبيد الرجل قصبة القياس وهي ستة أذرع وذراعها ذراع وقبضة فقاس عرض البنيان قصبة وسمكه قصبة وأتى إلى الباب المتجه نحو طريق الشرق وبعد أن قاس غرف البيت والمذبح أتى بي إلى الهيكل وقاس الأطر ستة أذرع عرضاً من هنا وستة أذرع عرضاً من هناك وهو عرض الخباء وقال لي يا ابن البشر هذا موضع عرشي وموضع أخامص قدمي الذي أسكن فيه في وسط بني إسرائيل إلى الأبد هذه شريعة البيت الذي على رأس جبل إن جميع تخومه على محيطه هي قدس أقداس هذه هي شريعة البيت..

.. وإذا قسمتم الأرض ميراثاً تقدمون من الأرض تقدمة مقدسة للرب طولها خمسة وعشرون ألفاً وعرضها عشرة آلاف وهذه تكون مقدسة في جميع تخومها من حولها ومن ذلك القياس تقيس طول خمسة وعشرين ألفاً وعرض عشرة آلاف وهناك يكون المقدس قدس الأقداس وهذا يكون المحل المقدس من الأرض ويكون للكهنة خدام المقدس المقربين ليخدموا الرب وتجعلون للرئيس ما على جانبي التقدمة المقدسة وما يلي ملك المدينة من جهة الغرب إلى الغرب ومن جهة الشرق إلى الشرق ويكون الطول قبالة كل واحد من النصيبين من تخم الغرب إلى تخم الشرق فذلك يكون أرضه وملكه في إسرائيل فلا يظلم رؤسائي شعبي من بعد وإنما يعطون الأرض لآل إسرائيل لأسباطهم هكذا قال السيد الرب: حسبكم يا رؤساء اسرائيل كفوا عن الجور والاغتصاب وأجروا الحكم والعدل وارفعوا عن شعبي إعسافكم هكذا قال السيد الرب هذه هي التخوم التي فيها ترثون الأرض على حسب أسباط إسرائيل الاثني عشر وليوسف سهمان ترثون كل واحد مثل سهم أخيه من هذه الأرض التي رفعت يدي على أن أعطيها لآبائكم فتقع لكم ميراثاً وهذا تخم الأرض من جهة الشمال يكون التخم من البحر حصر عينون تخم دمشق وصافون نحو الشمال وتخم حماه وجهة الجنوب يميناً من تامار إلى ماء

---

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ص ٢٩٠– ٢٩٩.

الخصومة في قادش ومن النهر إلى البحر الكبير هذه جهة اليمين جنوباً وجهة الغرب البحر الكبير من التخم إلى ما قدام و أنت آتٍ إلى حماه هذه جهة الغرب فتقسمون هذه الأرض لكم على حسب أسباط إسرائيل..".

لنبدأ بدراسة هذه النصوص أولاً من الناحية الوصفية الجغرافية، حيث إن بيت المقدس في أورشليم هو على جبل شامخ جداً. وهذا القول لا ينطبق على مدينة القدس في فلسطين. ومدخل البيت متجه نحو الشرق تخرج من تحت عتبته مياه نحو الشرق تزداد غزارتها كل ألف ذراع (أي كل نصف كيلو متر تقريباً) (حسب التوراة) بفضل تجمع الينابيع والروافد حتى تتحول إلى نهر لا يعبر وهذا أيضاً لا ينطبق على مدينة القدس التي لا ينبع منها أي نهر صغيراً كان أم كبيراً.

كما إن هذه (الأرض الموعودة) أرض عشائر الكنعانيين تمتد مستطيلة على سفوح جبل غامد ونلاحظ عند توزيع الحصص على الأسباط أن التوزيع كان يحرص دائماً على القول: (من الشرق إلى الغرب) ولما كان النص قد حدد لنا عرض الأرض من الشرق إلى الغرب الذي هو عرض كل حصة من الحصص الاثنتي عشرة بعشرة آلاف ذراع وإن الذراع كما سوف نرى يعادل ٠.٤٩٥ متر فإن عرض الأرض من النهر إلى البحر الكبير الذي هو تخم الجنوب هو ١٠٠٠٠ ذراع × ٠.٤٩٥ متر يساوي ٤٩٥٠ متر. أي أقل من خمسة كيلو مترات، أي ما يعادل المسافة بين ساحة الأمويين ونهاية حي المزة في دمشق.

وهذا الكلام لا يمكن أن ينطبق على أي فرات في سوريا، بل ولا على نهر الأردن إذا ما افترضنا مع المفترضين جهلاً بأنه ربما يكون الأردن هو النهر المقصود والبحر الأبيض المتوسط هو البحر الغربي إذا ما طبق ذلك على فلسطين. إن الكلام يدور حول نهر الفرات و وادي عردة في جبل غامد.

أما دمشق و حماة المقصودتان فهما قريتا (دوماسك) الآرامية شمال غامد، و(حمت) الذي هو أحد أبناء كنعان غرب دوماسك الآرامية في شمال غامد. وكنا قد فصلنا في ذلك في حلقات سابقة.

ثانياً، معالجة النص من حيث الأبعاد والمساحة. فقد أصر كتبة الأسفار على أن يقدموا لنا وصفاً قياسياً دقيقاً بالذراع لأبعاد تلك (الأرض الموعودة) الأرض المرعى، فخلصونا بذلك من كثير من الأوهام والافتراضات وأسقطوا كل التزوير الصهيوني بضربة واحدة ولنتأمل في هذه الأبعاد التي حفظتها لنا أسفار التوراة.. فمن حيث القياس والأبعاد فإن النص يخبرنا بصراحة أن وسيلة القياس

هي القصبة وطولها ستة أذرع وأن حساب الأبعاد يتم بالذراع، ونحن إذا ما عدنا إلى القاموس الكلداني لوجدنا أن (دراعو) = ذراع؛ قياس قدره ٢٤ إصبعاً.

وفي كتاب (ميسوفوطاميا) (مابين النهرين) لمؤلفه ل. ديلابورت جدول بالمقاييس العربية البابلية التي كانت مستخدمة في ذلك الزمن، وقد وردت فيها القصبة والذراع على النحو التالي:

القصبة= ٦ أذرع = ٢.٩٧ متراً.

الذراع= ٣٠ إصبعاً = ٠.٤٩٥ متراً.

وإذا ما علمنا أن (أرض إسرائيل) قسمت إلى اثنتي عشرة حصة متساوية عرض كل منها من الشرق إلى الغرب هو عرض الأرض البالغ عشرة آلاف ذراع، وأن طول كل منها امتداداً من الشمال إلى الجنوب هو خمسة وعشرون ألف ذراع صار في إمكاننا أن نحسب عرض هذه الأرض الذي هو عرض الحصص جميعاً وطولها الذي هو مجموع أطوال هذه الحصص بالأمتار إن العرض بالأمتار هو:

١٠٠٠٠ ذراع × ٠.٤٩٥ متراً =٤٩٥٠ متراً أي ٤.٩٥ كيلو متر .

وإن طول الحصة الواحدة بالأمتار هو:

٢٥٠٠٠ ذراع × ٠.٤٩٥ = ١٢٣٧٥ متراً أي أنه يساوي ١٢,٤٧٥ كيلو متر .

ونحن إذا ما عرفنا أن هذه الأرض تتلوى بين جبال شامخة شديدة الانحدار كما هي حال جبال غامد تأكدنا من أن مسافة المئة كيلو متر قياساً تتقلص إلى خمسها في خط النظر، وهذا ما يفسر لنا إمكانية رؤيتها كلها من فوق الجبل المرتفع. فتأملوا معنا هذه (الأرض المرعى) التي كان يمكن لإبراهيم أن يراها كلها بعينيه وهو واقف أمام باب خيمته تحت البلوطة في الجبل وعرضها أقل من خمسة كيلومترات و تمتد بطول أقل من (١٥٠) كيلومتراً، وقد صارت فجأةً في التزوير الصهيوني تشمل كل الأرض التي تمتد ما بين الفرات في أقصى شمال سوريا و وادي النيل في مصر.

وإذا ما حسبنا مساحة تلك الأرض المرعى للعشيرة بالأمتار المربعة وجدنا أن مساحتها هي:

الطول ١٤٨.٥ كيلومتر × ٤.٩٥ كيلومتر (العرض) = ٧٢٧,٦٥ كيلومتر مربع، أي أقل من ألف كيلو متر مربع. فإذا ما علمنا أن مساحة فلسطين وحدها هي٢٧٠٠٠ كم مربع، ومساحة لبنان ١٠٤٠٠ كم مربع، ومساحة سوريا ١٨٥٠٠٠ كم مربع، وأن مساحة محافظة دمشق وحدها تعادل

عشرة أضعاف تلك المساحة تكشف لنا مدى فداحة التزوير الصهيوني والاستشراقي الاستعماري في تفسير أحداث التوراة و جغرافيتها".- انتهى كلام أحمد داود هنا.

حسناً، بغض النظر عن الإشكاليات الموضوعية والمآخذ التي يمكن أخذها على معالجة كهذه، سواء من حيث قراءة وتفسير النص التوراتي أو من حيث الاسقاطات الجغرافية التي وضعها صاحبها وأراد أن يخدمها في الاطار الذي اعتبر فيه أن بلاد زهران من عسير هي أرض التوراة– بغض النظر عن ذلك، فإن هذا النص وتلك المعالجة يكشفان لنا عن حقائق لا يمكن تجاهلها، بشأن ما يفترض أن تكون عليه مساحة أرض التوراة، والمقاييس التي استخدمت لقياسها، وهذان بلا شك أمران بالغا الأهمية.

واضح هنا، أن إدراك أحمد داود لأهمية مراعاة مثل هذه النصوص المتعلقة بمساحة وامتداد وحجم أرض الميعاد في النص التوراتي، قد لعب دوراً بالغ الأهمية في اختياراته الجغرافية، وفي تحديد مساحة النطاق الجغرافي الذي يمكن اسقاط نصوص التوراة عليها. فقد أكد على *أن حقيقة أحداث التوراة بأشخاصها ومواقعها، تتحدث عن عشائر بدوية آرامية، تتحرك بين مراعيها بأغنامها في بقعة ضيقة من برية شبه جزيرة العرب*[١]. وبالتحديد *في غامد من منطقة عسير غرب الجزيرة العربية*[٢].

كان كمال الصليبي قد أشار الى ما يشي بإدراك مماثل لديه لهذه المسألة في مقدمة كتابه "التوراة جاءت من جزيرة العرب". فحصر الأمر *"في منطقة بطول يصل الى حوالي ٦٠٠ كلم وبعرض يبلغ حوالي ٢٠٠ كلم، وبالتحديد في "عسير وجنوب الحجاز"*[٣]. ومع نفس هذا التحديد اتفقت أطروحة زياد منى.

لقد حرص هؤلاء على جعل مسرح أحداث التوراة في مساحة ضيقة تتناسب مع مساحة الأرض التي تصفها النصوص، وحرصوا أيضاً على أن تكون الأرض المختارة للإسقاط

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ١٤.
[٢]. المرجع السابق، ص ١٢.
[٣]. كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ٢٧.

الجغرافي الجديد على ساحل بحر يحدها من الغرب، فجعلوها في نطاق ضيق من غرب جزيرة العرب، مع تباينات دقيقة في تحديداتهم المكانية للأماكن الواردة أسمائها في التوراة، تبعاً لتباين مصادرهم، وتعدد واختلاف طرائق استخدام وتطبيق أدواتهم الاستدلالية.

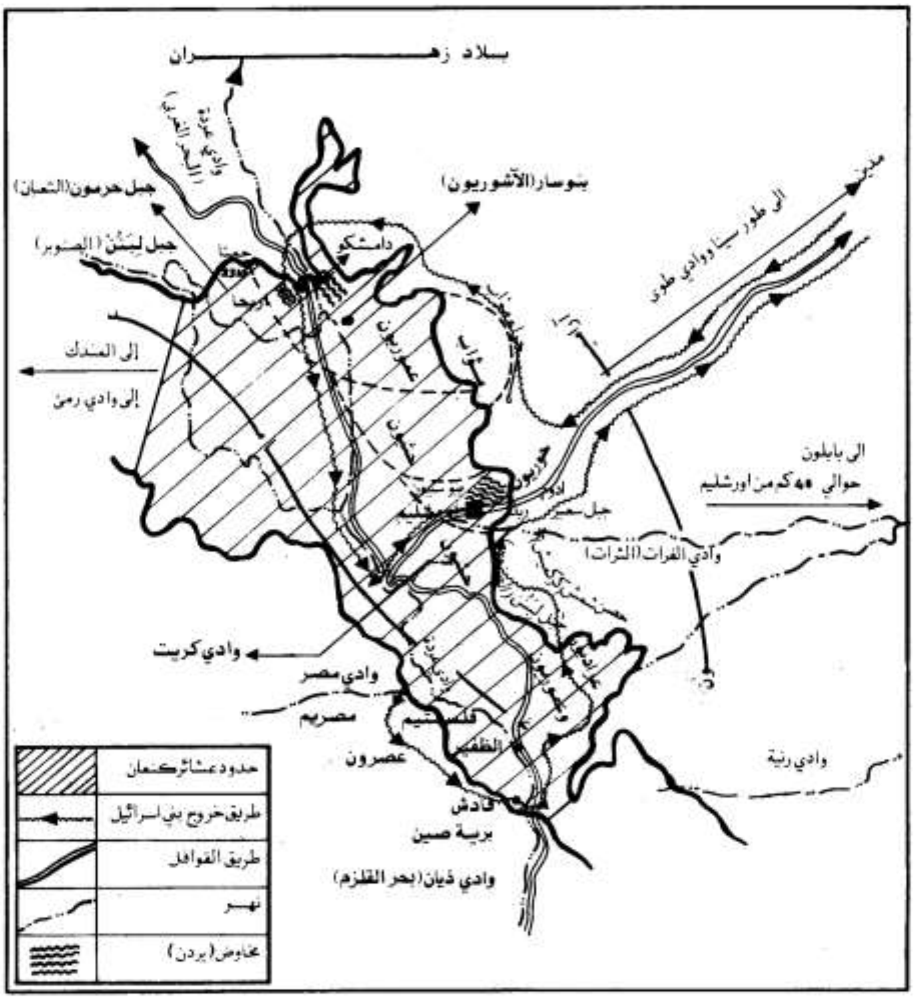

خريطة رقم (١): مسرح أحداث التوراة كما تخيله أحمد داود

إذا ما أخذنا بهذا من ناحية أخرى. فإن بوسعنا القول أن هؤلاء الثلاثة: الصليبي، منى، داود، قد حرصوا تماماً على اختيار منطقة مطابقة تماماً من حيث التوصيف الجغرافي: حدوداً ومساحة وطبوغرافيا.. الخ، مع ما هي عليه خريطة فلسطين، خاصة وإنه يمكننا بالفعل ملاحظة ذلك التشابه الكبير فعلاً. ***وهذا بالطبع، يدفع الى طرح سؤال، لماذا أخذ هؤلاء***

باعتبارهم أن تكون اسقاطاتهم الجغرافية واقعة على مناطق مشابهة فعلاً لفلسطين على الأقل من الناحية الشكلية أو من حيث يمكن تمثيل الأراضي المعينة الجديدة على الخريطة؟!

هذا سؤال مهم للغاية في حقيقة الأمر، والإجابة عليه تتمثل في كونهم اعتقدوا دائماً أن بإمكانهم اجراء مطابقات مماثلة لجغرافية فلسطين- أكثر ما هي مطابقات للنص التوراتي- في مناطق أخرى تشبه في ملامحها الجغرافية جغرافية فلسطين بالفعل، وهذا يفسر لماذا وقعت اختياراتهم الرئيسية الأولى على عسير.

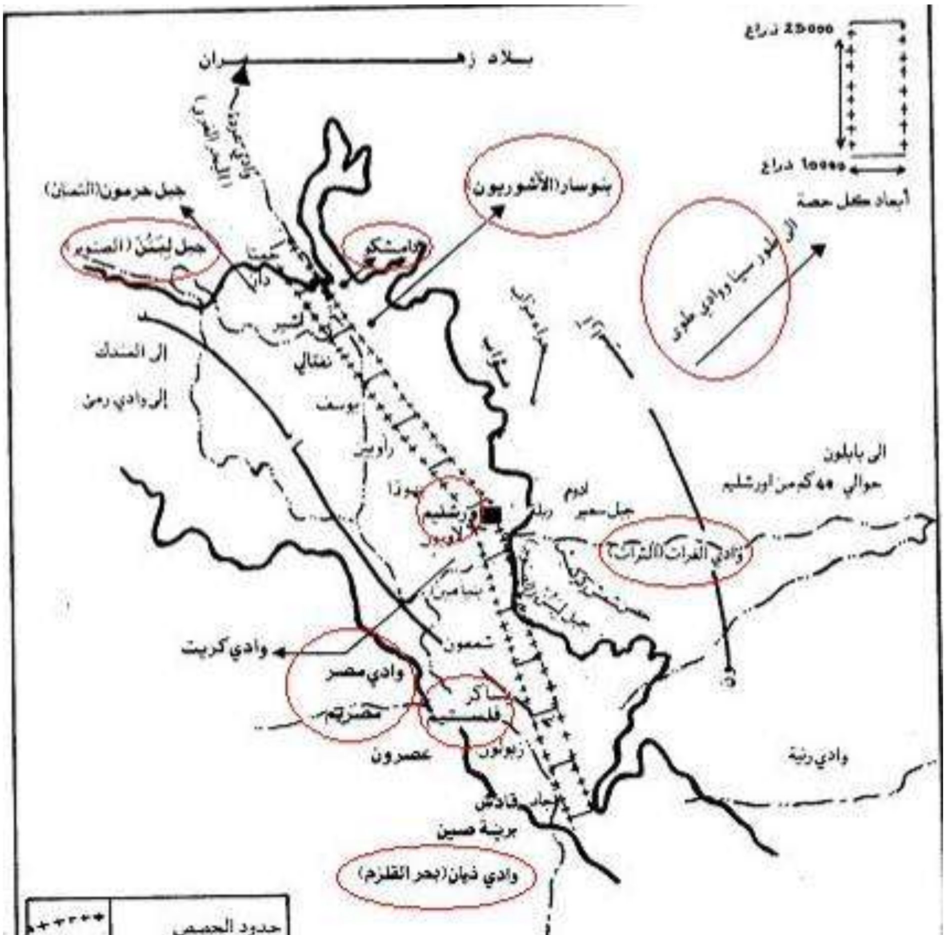

خريطة رقم (٢): تقسيم أرض الميعاد بين الأسباط وفق نموذج أحمد داود وتبدو فيه منازل الأسباط مقسمة على شكل كيتوهات منتظمة الشكل..!!

*إن نظرة واحدة الى نموذج أحمد داود- مثلاً- كما عرضه هو من خلال خرائطه الموضحة أعلاه، يكشف بالضبط عما نشير إليه هنا، فعسير تقع على الضفة الشرقية للبحر الأحمر، على نفس خط الطول الذي تقع عليه فلسطين تماماً، وعسير أيضاً من حيث يحدها من الغرب بحر، تماماً كما يحد فلسطين من الغرب بحر، وتنفتح جغرافياً على فضاء قاري واسع، يتشابه نسبياً مع ما هو قائم بالنسبة لفلسطين، وإذا ما جارينا الأمر بحثاً عن غير ذلك من التطابقات فسوف نجد الكثير، **مما يثبت أن نظريتهم هذه قامت من الناحية الإجرائية وعلى نحو سابق لأي بحوث فعلية في مدلولات النص التوراتي ومعطياته الجغرافية، على التشابه بين جغرافية فلسطين وجغرافية عسير، ثم جاءت ذريعة تشابه الأسماء التي اخترعها من قبلهم - بقرون عديدة- مفسرو التوراة من اليهود والمسيحيين لتضفي شرعية لتلك المطابقات المقصودة والمتعمدة، ومن بعدها جرى تعميد ذلك بتفسير النص التوراتي، ليتسع الأمر مجدداً بتوظيف مصادر معجمية وأدوات لغوية وما الى ذلك.***

وإذا ما أخذنا بالمعايير الجغرافية- المساحة، الحدود، التضاريس، .. الخ- في تقييم تلك الطروحات التي قدمها أولئك الرواد العرب لهذه النظرية، فسوف نجد أن النموذج الذي قدمه أحمد داود هو النموذج الأكثر نضوجاً من الناحية المعيارية التي تبدو فيها محاولته جادة بالفعل في إقامة الحد المعقول من التوازن الموضوعي والمنهجي بين ما هي عليه في الأساس والواقع حقائق الجغرافيا في الأرض المختارة لإسقاط معطيات النص التوراتي الجغرافية عليها من جهة، وبين ما يفترض أن تسعى النظرية الى اثباته من جهة أخرى.

وهذا مفاده، أننا إذا ما أردنا تقييم نموذج أحمد داود من هذه الناحية فسوف نقول بأنه الأفضل من بين سائر النماذج الأخرى.

نقول هذا، بالرغم من اختلافنا التام مع نظرية أحمد داود، بل ومع إقرارنا الأكيد بأن منهجنا وأدلتنا قادرة على دحض نظريته واثبات عدم صحتها على الإطلاق، إذ أن الغاية من هكذا تقييم ليس الموضوع بحد ذاته، بل الإجراء الذي يقع عليه مناط التأكيد دائماً في توجهنا النقدي. فتقييمنا هنا يذهب الى مدى التزام الباحث أو المفكر باحترام عقلية القراء، وحرصه على

تقديم طرح قابل لأن يوضع موضع البحث الجاد مع احترام الجهد المبذول فيه، مهما كانت أخطائه وانحرافاته، ومهما كانت مواقفنا معه أو ضده.

وفيما يتعلق بجغرافية أرض الميعاد كما تصفها التوراة أيضاً، نجد أن تلك الاعتبارات الهامة لعناصر الحدود والمساحة وغيرها من الملامح الطبوغرافية التي تشكل الأسس المعيارية لأي بحث جغرافي، كانت في موضع اهتمام جدي على مدى أزمان طويلة من قبل مفسري التوراة التقليديين- أخص بذلك التفسيرات المسيحية-، وبناءً عليها رسموا جغرافية أحداث التوراة في فلسطين، وحاولوا الى أقصى درجة ممكنة أن يروا ذلك التطابق المفترض بين النص والواقع على الأرض، ساعدهم في ذلك أن الكثير من مضمونات النص التوراتي ذات الهوية الجغرافية المجردة منقولة بشكل أكيد من واقع الجغرافية الفلسطينية، بمعنى أن النص التوراتي قد تعرض منذ بداية كتابته ودائماً لعملية تكييف هدفت الى جعل وصوفه متطابقة مع ما هو عليه الواقع على أرض فلسطين.

أبسط مثال على مثل هذا، أن يكتب روائي انجليزي نص رواية أبطالها من انكلترا واسكتلندا يصنعون أحداثها في قرى وأقاليم الصين، ثم بعد عدة قرون من الزمان يأتي من يقرأها دون أن ينظر في أي شيء آخر غير نص الرواية نفسها، فإن من المتوقع أن يعتقد هذا القارئ أن ما تصفه الرواية من الناحية الجغرافية هو بالفعل ما كانت عليه قرى وأقاليم الصين قبل ثلاثة قرون من عصره، ولكن هذا لا يعني أبداً أنه سوف يعتقد أو يتصور بناءً على مضمون الرواية أن انكلترا كانت واقعة في زمن أحداث القصة في نطاق جغرافية الصين أو على حدودها، وأن عملية هجرة قد حدثت بعد زمن الرواية قام بها أولئك الانجليز الى أوروبا حيث استقروا وصار لهم موطناً جديداً فيها، نقلوا إليه أسماء قراهم وأقاليمهم التي كانت في الصين، وكل هذا فقط لأن كاتب الرواية انجليزي وأبطالها كذلك، والرواية مكتوبة باللغة الانجليزية..!!

لا يوجد أحد على وجه الأرض يمكن أن يكون بهذه السذاجة، فكيف نتصور إذن أن هذا قد يكون ممكناً مع النص التوراتي أو أي نص آخر؟!

هذا بالضبط ما نؤكد عليه دائماً، وهو أن الأرض والجغرافيا حقائق ثابتة، وليس النص، وإذا كان هناك من يمكن أن يرتدي حقيقة الآخر فهو النص وليس الأرض، فكتبة التوراة هم من اقتبسوا جغرافية فلسطين وجعلوها في نصوصهم، وليس أنهم أخطأوا أو أن من جاءوا من بعدهم فسروا تلك النصوص وأخطأوا في تفسيرها، هذا إذا غضينا النظر عن كون التوراة بالأساس كتاب إلهي، أما إذا لم نفعل وتوخينا أعلى درجات الحيطة والحذر من أي تحريف أو تزييف يمكن أن يكون قد وقع على نصها، فإنه لن يكون بوسعنا انكار أنها تنطق بقدر من الحقيقة، إذ أن المسألة برمتها فيما يتعلق بالتوراة وفلسطين هي مسألة إيمانية، ولا يمكن تناولها أو بحثها بعيداً عن جذرها الإيماني، وذلك على نحو ما ذهب إليه أحد المؤرخين الفلسطينيين[١].

حسناً، إذا كان الصليبي وأحمد داود وزياد منى، قد حاولوا بشكل أو بآخر الأخذ بتلك الاعتبارات الجوهرية لعناصر الحدود والمساحة، فإن هذه العناصر سوف تسقط تماماً منذ اللحظة التي تبنّى فيها رواد آخرون لنظرية جغرافية التوراة نموذج أوسع، أسقط معطيات التوراة الجغرافية بتعيينات متباينة على جغرافية اليمن، أي أنهم وسعوا نطاق طروحاتهم لتشمل كامل المساحة الطبيعية لأرض اليمن بما في ذلك عسير ونجران وجازان وغيرها من الأراضي الداخلة حالياً ضمن حدود المملكة العربية السعودية، ***كان ذلك التحول قد بدأ عند فرج الله صالح ديب، وانتقل الى أحمد الدبش واستقر في النهاية لدى فاضل الربيعي.***

بلا شك، فإن هذا التحول الى نموذج الجغرافية اليمنية الشامل لم يكن جزافياً بل كانت له دوافعه وأسبابه، إذا ما نظرنا إليه باعتباره أحد الملامح المميزة لتحولات هذه النظرية وطبيعة أطوارها، فإن من المؤكد أنها أسباب ودوافع بعيدة تماماً عن الأسباب المعرفية والعلمية، لأن تغافل تلك الطروحات عن معايير واعتبارات من هذا النوع الذي نشير إليه دائماً، يفتح باباً واسعاً للتفكير مليون مرة فيما عساها تكون دوافع وأسباب تحول من هذا النوع على مسار نظرية واحدة.

[١]. عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤. ص ٨– ٩.

لكي نقترب كثيراً مما نتحدث عنه، نقول أننا لو أخذنا بشكل مبدئي ومقارن الفرق بين مساحة فلسطين ومساحة اليمن، فسنجد فرقاً مهولاً للغاية. إذ أن مساحة فلسطين بحدودها الراهنة تبلغ (٢٧٠٠٩) كم٢، وبالطبع فإن هذه المساحة قد أُجريت وأسقطت عليها كافة الأحداث التوراتية المتعلقة بأرض الميعاد منذ بداية كتابة نصوصها، فإذا كان من المستحيل – كما يدعي رواد نظريتنا الأشاوس– أن ينطبق ذلك الوصف التوراتي على أرض فلسطين الصغيرة في مقابل ما أن مساحة أرض الميعاد الموصوفة توراتياً أصغر من المساحة الفلسطينية بكثير، فإنه سيكون منطقياً وعقلانياً القول بأن من سابع– بل ومن تاسع– المستحيلات انطباق الوصف التوراتي على كامل جغرافية اليمن الطبيعي التي تربوا مساحتها على أكثر من (١.٣) مليون كم٢– وفق حدود الهمداني–، فيما مساحة اليمن بحدودها السياسية الراهنة تبلغ (٥٥٥) ألف كم٢، ومساحة ما كان يعرف بالشطر الشمالي من اليمن قبل عام ١٩٩٠ تبلغ أكثر من (١٢٨) ألف كم٢، فيما كانت مساحة ما كان يُعرف بالشطر الجنوبي أكثر من (٣٧٥) ألف كم٢، وهذه جميعاً مساحات شاسعة ومهولة أمام مساحة فلسطين من جهة، وأمام ما تصفه التوراة بأنه كان يُقاس بالإصبع والذراع من جهة إولى..!!

وعليه، إذا ما كان أحدٌ منا هنا ماضياً في اتجاه إجراء بحث استقصائي يهدف بالأساس الى تعيين جغرافية أحداث التوراة، فكيف له ألاّ يأخذ بالاعتبار مثل هكذا معطيات جادت بها وقدمتها لنا نصوص المقراء التناخية، في مقابل ما هو عليه الأمر في واقع الحال أو على الخرائط التي نمعن فيها بحثاً عن أرض ميعاد التوراة؟!

من هنا نقول، أن الرواد المتأخرين لنظرية الصليبي لم يمتلكوا بالأساس حساً ووعياً جغرافياً، ولم يكونوا يدركون حقيقة ما يقومون به من تلطيخ وتشويه فج وساذج للجغرافيا، حتى سبحوا وحلقوا وطاروا بعيداً وبعيداً جداً ليس عن المنطق والواقع الجغرافي فحسب، بل وبعيداً حتى عن المعطيات الجغرافية التي تقدمها التوراة، إذ لا يمكن تفسير مثل هذا التوجه الدوغمائي إلا باعتباره أحد أمرين: ***إما إنه ناتج بالفعل عن جهل شديد في مبادئ الجغرافيا والعلوم المساعدة لها– وهو ما نسميه هنا بالقصور في الحس والوعي الجغرافي، أو أنها بالفعل***

كانت منذ البداية توجهات تسعى نحو التضليل المتعمد والتحريف المقصود للحقائق، ولا نظن أنه قد يوجد حكم ثالث بين هذين الحكمين.

وعندما نتكلم عما هو قائم في معرض دراستنا ونقدنا، فلا ينبغي أن ينظر أحد الى مثل هكذا قول بأنه نوع من كيل الاتهامات.. فليست هذه غايتنا، ولم ولن ننصب من أنفسنا قضاة على أحد. ومع ذلك، ولكي لا تكون أقوالنا هنا في نظر البعض مجرد اتهامات أو ما شابه، فإننا سنبين بالدليل المادي القاطع والبات أن ما نقوله حقيقة فعلية، وليس أنها أقوال مبنية على ظنون أو ادعاءات في حلبة استعراض للمبادئ.

نجد هذا الانعدام الواضح للحس والوعي الجغرافي لدى مفكرنا الربيعي وهو يتجلى بكامل حذافيره. فقد أثبت هذا المفكر العبقري أنه لم يكن يوماً من أولئك الذي يفقهون شيئاً عن المنهج والمنهجية، لاسيما وقد تسبب هذا الانعدام للحس والوعي الجغرافي لديه في الكثير من السقطات المخجلة التي وقع فيها، بل واعطاه في كثير من الأحيان الحق في أن يتعاطى مع الجغرافيا بشكل أخرق وساذج للغاية.

إزاء ذلك، سبق وأن كشفنا عن مظهرين حقيقيين من مظاهر انعدام الحس والوعي الجغرافي لديه- أقصد مفكرنا العبقري- في عدة نماذج من الأدلة التي قدمناها في الفصلين السابقين، ولا بأس أن نذكر القراء الأعزاء بهما مرة أخرى على نحو من التخصيص، تمهيداً لعرض مظاهر أخرى مماثلة تؤكد ما نقوله وتثبته قطعاً، كما سيرد في السياقات التالية من هذا الفصل.

يتمثل ذينك المظهران المشار إليهما آنفاً، بما يلي:

المظهر الأول، خروج التعيينات التي حددها مفكرنا لكثير من الأسماء التوراتية عن نطاق حدود الجغرافية اليمنية كما وصفها الهمداني، إذ وجدنا له تعيينات في نجد وفي الحجاز يفترض بحسب عنوان أطروحته العريض جداً أن تكون داخل حدود اليمن وفق ما ينطق به كتاب الهمداني، فضلاً عن أنه أعطى تعيينات جغرافية خاطئة جداً، مثل تعيينه لموقع جبل (ضين)

بأنه يقع في تهامة، علماً بأن ما عرضناه لا يعدو أكثر من مجرد أمثلة، وإلا فبوسع الباحث المتمعن أن يجد الكثير من هذه الأخطاء الفادحة، ***فما عساه يعني لنا ذلك؟!***

المظهر الثاني، توصيفات الربيعي المتناقضة مع حقائق المواقع التي تحدث عنها وعينها على الخريطة، فقد وصف لنا مواقعاً عدة بأنها تقع (بالقرب) من مواقع أخرى، وعندما نظرنا في الخريطة وجدنا أن تلك المواقع متباعدة عن بعضها على نحو يستحيل معه أن نقول بأنها بالقرب من بعضها البعض. كانت مواقعاً تفصل بينها آلاف الكيلومترات وبالحد الأدنى مئات الكيلومترات، ***فما الذي يدلنا عليه ذلك؟!***

وبلا شك، فإن وضوح هذه المسألة قد ازداد الآن، بعد أن تأكد لنا ومن خلال شهادة النص التوراتي، وشهادة أحد رواد هذه النظرية، بأن مساحة الأرض الموصوفة في التوراة في أوسع ما يمكن أن تكون عليه، لم تكن تُقاس إلا بالإصبع والذراع وليس حتى بالدونم أو الهكتار.

مساحة مثل هذه، ترى كم سيكون بوسعها أن تحتمل من البشر بعد حذف جميع الكائنات الأخرى التي يمكن أن تكون فيها وتقلل من فرص البشر للعيش فيها؟!

إزاء هذا السؤال، يقدم لنا أحمد داود أيضاً معالجة بالغة الأهمية لما جادت به التوراة بشأن مستوى الكثافة السكانية التي يفترض أن بني اسرائيل واليهود كانوا عليه ذات يوم من أيام التاريخ الذي تسرده لنا أسفار كتابهم المقدس.. تعالوا لنقرأ معالجته الأخرى لمسألة السكان، ***وكيف أثبت أن عدد بني اسرائيل في الزمن الذي خرج بهم موسى لم يكن يتجاوز (٧٠٠) شخص***[1]:

> ***تقول التوراة: "هذه أسماء بني اسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب ،كل واحد مع بيته دخلوا: راوبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويساكر وزبولون وبنيامين ودان ونفتالي وجاد واشير، وكانت جملة النفوس الخارجة من صلب يعقوب سبعين نفساً، وأما يوسف فكان في مصر. ومات يوسف وجميع إخوته وسائر ذلك الجيل، ونما بنو إسرائيل وتوالدوا وكثروا وعظموا جداً.. وقام ملك جديد على مصر***

[١]. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، مرجع سابق، ص ص ١٥١– ١٥٣.

لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: إن شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا، تعالوا نحتال عليهم كي لا يكثروا، فأقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يعنتوهم بأثقالهم.. فاستخدم المصريون بني إسرائيل بقسوة ونغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر أعمال الأرض. وكلم ملك المصريين قابلتي بني إسرائيل اللتين اسم إحداهما شفرة والأخرى فوعة وقال: إذا استولدتما النساء فانظرا عند الكراسي فإن كان ذكراً فاقتلاه وإن كانت أنثى فاستبقياها، فخافت القابلتان الرب. ولم تصنعا كما قال لهما ملك مصر فاستبقيا الذكران... فأمر فرعون جميع شعبه قائلاً: كل ذكر يولد لهم فاطرحوه في النهر وكل أنثى فاستبقوها ..".

في هذا الظرف بالذات وجد موسى الطفل وكان من بين من (ألقوا في النهر). لندرس هذا النص دراسة سكانية، ابتداءً من أن عدد بني إسرائيل (يعقوب) في مصر زمن يوسف بن يعقوب الذي هو أحد الأسباط الاثني عشر، كان سبعين نفساً فقط. ثم إن الفترة الزمنية لتكاثر تلك الأسرة المقصودة في النص هي الفترة المحصورة ما بين الجيل الأول (جيل أبناء يعقوب الاثني عشر) ومرحلة البدء بقتل الأطفال من الذكور وإلقائهم في النهر، أي زمن موسى. وإذا ما علمنا أن موسى هو فرع من لاوي الذي هو أحد الأسباط الاثني عشر كما تؤكد التوراة، وأن لاوي هو الجد الرابع لموسى حسب ما تؤكده التوراة وكل المصادر التاريخية العربية. فإن هذا يعني أن الفاصل الزمني بين لاوي وموسى لن يتعدى المئة عام. إذ أننا إذا ما اعتبرنا السن الوسطي للزواج هو ٢٥ سنة فيكون الرجل الذي يبلغ سنة المائة لديه ابن في الخامسة والسبعين وحفيد في الخمسين والحفيد الثالث في الخامسة والعشرين الذي إذا ما تزوج في هذا السنن أيضاً يكون ابنه في عامه الأول.

وهذا هو الجيل الرابع. إن موسى عند كل المؤرخين العرب و في التوراة هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب. وإذا ما أجرينا تقاطعاً في أنساب فراعنة المصريين كما أوردها كل المؤرخين العرب نحصل على النتيجة نفسها، وبكلمة أخرى إذا ما حسبنا الفترة من الأجيال ما بين فرعون يوسف وفرعون موسى لرأينا أن فرعون موسى ينتمي إلى الجيل الرابع أيضاً بعد فرعون يوسف.

يقول الطبري: (وكان الملك على مصر يومئذ الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح).. (وكان الفرعون في أيام موسى قابوس بن مصعب بن معاوية.. وكانت امرأته آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول). وبالتالي، فإن آسية بنت مزاحم امرأة فرعون موسى كما هو واضح تنتمي إلى الجيل الرابع من جدها الريان بن الوليد فرعون يوسف الأول.

إن نسبة الزيادة السنوية للسكان في أقصى حدودها لا تتجاوز العشرة في المئة، وهي بالتالي، لن تجعل أية جماعة سكانية تزيد خلال مئة عام أكثر من عشرة أضعاف، وبهذا فإن عدد سكان بني يعقوب(إسرائيل) في مصر لن يتجاوز الـ ٧٠٠ نفس من زمن يوسف إلى زمن موسى. ونحن سوف نفترض تجاوزاً أن الفارق الزمني هو مائتا سنة وأن عدد النفوس تضاعف عشرين مرة وهذا مستحيل، فسيكون عدد بني يعقوب (إسرائيل) في مصر ١٤٠٠ نفس.

علاوة على ذلك، نجد إن ملك المصريين قال لشعبه (إن شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا هلمّ نحتال عليهم) فهل هذه هي حقاً مصر وادي النيل التي كان جيشها يعد عشرات الآلاف، وكان الكهنة والخدم والحراس في قصر ملكها وحدهم بضعة آلاف!!- إن أعلى نسبة من الرجال القادرين على الحرب والقتال وسط ذلك العدد من عشيرة بني إسرائيل لن يتجاوز نسبة العشرة في المائة، وبالتالي فلن يتجاوزوا السبعين شخصاً كحد أدنى، والمئة وأربعين شخصاً كحد أعلى. وهؤلاء هم الذين خرج بهم موسى إلى أرض الكنعانيين، أضف إلى ذلك أنهم جميعاً من الرعاة الذين لا يملكون في معظمهم من السلاح غير العصي والمقاليع حتى زمن داود كما تؤكد التوراة. وأن خروجهم كان خروجاً رعوياً بأغنامهم وأبقارهم وحميرهم، بنسائهم وأطفالهم، لا خروج حملة قتالية تقتصر على المحاربين.

فماذا فعل التزوير الاستشراقي الصهيوني؟!- لقد نقل عشيرة المصريين من مضارب خيامها في برية شبه جزيرة العرب إلى وادي النيل. كما نقل عشيرة بني إسرائيل من مضارب خيامهم في نفس منطقة عشيرة المصريين إلى سوريا الجنوبية. ومن ثم، فقد نفخوا جماعة موسى التي لم تكن تتجاوز الـ ٧٠٠ شخص واعتبروها شعباً يهودياً يضطهده (فراعنة) مصر ويسخرهم في نباء الأهرام وتحت هذا الاضطهاد يقوم موسى بالهجرة من مصر وادي النيل إلى فلسطين في جنوب سوريا..

إن تصحيح المواقع الجغرافية التوراتية يدحض مرة واحدة وإلى الأبد مقولة دولة بني صهيون المزعومة".

بشأن ما تقدم، لا يسعنا القول بأن المعالجة التي قدمها أحمد داود صحيحة قياساً، ولكن يمكن القول أن مبدأها صحيح وسليم، وهو أن بنو اسرائيل كما تصفهم التوراة لم يكونوا أكثر من عشيرة صغيرة الحجم، ولا يمكن أن ترقى بأي حال من الأحوال الى مستوى شعب أو أمة، وبالتالي، كيف يمكن أن نتصور أن جماعة كهذه يمكن أن تحتل مساحة جغرافية مهولة مثل مساحة اليمن الطبيعي؟!- وحتى بعد عشرة أجيال من زمن خروجهم مع موسى أو حتى بعد

عشرين جيلاً، يظل من غير الممكن أن يبلغ حجمها الديموغرافي ذلك الحجم الذي يمكن أن نتصور معه أن تحظى بأرض مساحتها أكثر من (٧٠) كم²، وإذا نمت هذه الجماعة وترعرعت فإن حجم رقعتها الجغرافية لن تزيد عن بضع مئات من الكيلومترات.

ما نؤكد عليه ونريد توصيله للقراء الأعزاء، هو أن النص التوراتي قدم لنا على الدوام معطيات جغرافية وصفية بالغة الأهمية، تشير الى أن الأرض الموعودة صغيرة جداً من حيث مساحتها، وأن بنو اسرائيل كانوا جماعة صغيرة للغاية، وتعطينا أيضاً تفاصيل أخرى حول المناخ والتضاريس والحدود وغير ذلك، وبالتالي فإن أي تجاهل لهذه المعطيات في سياق أي بحث جغرافي حول مدلول النص التوراتي، سوف يؤدي الى تكوين نتائج غير صحيحة بالمرة.

هذا بالضبط ما حصل، وهو ما قام به معظم رواد نظرية جغرافية التوراة في جزيرة العرب، وخصوصاً أولئك الذين تبنوا النموذج اليمني، تمييزاً لهم عمن تبنى منهم نموذج عسير وبلاد زهران.

وبلا شك، فإن هذه المسألة تجعلنا نتساءل: إن كان هؤلاء قد قرأوا التوراة فعلاً، فلماذا تجاهلوا تلك المعطيات كلها؟!

هناك أيضاً أسئلة أخرى أهم. ولكن قبل طرحها في هذا السياق، لننظر ولنتأمل ***بعمق بوذي وكونفوشي*** خريطة الربيعي التي توضح لنا مساحة وحدود مملكة بني اسرائيل المنقسمة بعد عصر سليمان- ***أنظر الخريطة رقم (٣) أدناه.***

خريطة رقم (٣): أرض الميعاد كما حددها الربيعي في عصر انقسام المملكة اليهودية

يالله.. ما هذا الإعجاز؟!

يمكنني التعليق على خريطة الربيعي الفادحة هذه على مدى ثلاثين أو أربعين صفحة، مُقِّل في ذلك غير مكثر..!!- لكنني لن أفعل، بل سأترك هذه المهمة لمفكرنا نفسه، من حيث أن تناقضاته كفيلة بأن تفسر نفسها بنفسها، وتكشف عن الفوضى اللانهائية التي اختلقها وتوهمها واعتقد على الدوام بأنها انجاز فكري ضخم في اتجاه تحرير التاريخ والجغرافيا من سيطرة المخيال الاستشراقي.

بغض النظر عن كون هذه الخريطة لا تتطابق ولو بنقطة مخيالية واحدة مع ما جاء في التوراة، وبغض النظر أيضاً عن كون مفكرنا قد نسي حتماً أن يُسّمي بحر العرب بحر اليهود، وأن يُطلق على البحر الأحمر اسم البحر الاسرائيلي، فإنه وبلا أدنى شك كان أكثر كرماً وأكثر جوداً وسخاءً من الإله العنصري البركاني (يهوه) الذي بالكاد اعطى شعبه المختار أرضاً تقاس بالذراع..!!

فعن أي مخيال استشراقي يتحدث هذا المفكر الفطحل، وهو والله ما أبقى للمستشرقين منه شيئاً..؟!

وإذا كان المستشرقون- بحسب تعبير أحمد داود- قد نفخوا أولئك الـ بني اسرائيل الى ذلك الحد الذي أصبح من الممكن معه تصور استيطانهم لأرض فلسطين- أو بالأصح لجزء منها كما تنطق بذلك التوراة-، فبما عسانا نصف هذه النفخة الجبارة التي قام بها مفكرنا الجهبذ فاضل الربيعي؟!- أليست هذه هي الطفرة الربيعية المخيالية التي تفوّق بها على أعتى عتاه الاستشراق أم ترانا نكيل له الاتهامات..؟!!

تعالوا قرائنا الأعزاء مرة أخرى نتابع كيف تحققت هذه الطفرة بإعجاز مذهل.. على يد مفكرنا المتخيل الخلّاق، مدعوماً كما يقول ويقول دائماً بشهادة الهمداني..!!

[2]

الأقواس الفـــارغة

على طريقة يشوع بن نون التوراتية، ومن حيث لم يغب عنه تأييد يهوه أيضاً، اقتحم الربيعي أسفار المقراء باحثاً عن أرض الأسباط.. اقتحم واقتحم وظل يقتحم حتى وجدها في اليمن، بمساعدة ما تغنى به وثرثر عنه ووصفه على الدوام بـ ***(شهادة الهمداني)***.

وبالرغم من إننا قد فضحنا حقيقة الافتراء والإفك الذي أشاعه مفكرنا عن الهمداني، وأثبتنا بطرق شتى أن ما يتحدث عنه بخصوص تلك الشهادة ليس إلا افتراء، ومحض تخيلات وأوهام اختلقها وصدقها، إلا إننا نرى ضرورة في الكشف عن مظاهر أخرى من مظاهر تعامله الخنفشاري مع كتاب الهمداني والشعر الجاهلي، نظراً لاتصالها الوثيق بما وصفناه بأنه ***(قصور في الوعي والحس الجغرافي لديه)***، ولأنها أيضاً تكشف بشكل واضح عن طرق أخرى لهذا المفكر تعمد التضليل والتزييف والتحريف من خلال ممارسته لها، ولسوف نتعرف على عينة من أبشع وأفظع أساليب التلفيق والدجل والتضليل التي مارسها من أول سطر في كتاب أوهامه وتخيلاته الى آخر سطر، وعلى تلك الانتقائية التحريفية والتلفيقية التي سبق وأن تطرقنا إليها من قبل.

ما سوف نقوم به في هذا المبحث، هو أننا سنتعرض بالدراسة والتحليل والنقد لجوانب رئيسية من النموذج الذي عالج فيه الربيعي تحديد منازل سبط بنيامين في الفصل الثاني من الجزء الأول من كتابه في المجلد الأول، واختيارنا لهذا النموذج يعود لعدة أسباب، **أولها** أنه النموذج التطبيقي الأول الذي يقدمه مفكرنا في مشروع تأسيسه لنظريته وإثباتها- انطلاقاً من كونه السبط الأول الذي يرد تحديد منازله في سفر يشوع، **وثانياً** لأن النماذج الأولى لأي باحث غالباً ما تكون الأقوى وأكثر رصانة مما يأتي بعدها، **وثالثاً** لارتباط هذا النموذج بموقع أورشليم التي هي إيليا كما جاء في فقرة الهمداني، والتي كانت ومازالت هي مدخلنا الرئيسي في هذه الدراسة، **أما رابع** أسباب هذا الاختيار فهو أنه يدفع عنا تهمة الانتقاء التي ننتقدها هنا دائماً.

من السطور الأولى في معالجته، يجد الربيعي متطابقاته الموهومة بين الأسماء التوراتية والجغرافية اليمنية، هكذا كما يقول:

(بنيامين) حسب الرسم العربي في الطبعة العربية من التوراة- ولنلاحظ هنا القرابة الحميمة بين اسم السبط الاسرائيلي والاسم التاريخي للجماعة اليمنية الأولى فهي من (بني يامن)- هذا التوزيع ينتهي بسبط دان وهو عند الهمداني كما سنرى، قبيلة (أذان) اليمنية التي انقرضت.." [١].

يكمل الربيعي فكرته في الصفحة التالية، قائلاً:

"إن اسم هذا السبط الاسرائيلي وحسب الرسم العبري هو (بن- يامن)، والاسم كما هو واضح له صلة بمكان بعينه حملته الجماعة. إننا نعلم من التاريخ القديم لمختلف القبائل أنها تحمل أسماء الأماكن التي تقيم فيها، وبالطبع ليس ثمة مكان يحمل الاسم نفسه سوى جبل يامن، هذا الجبل الذي وصفه الهمداني كما وصفه الشعر الجاهلي، هو الموطن التاريخي للجماعة اليمنية الأولى ويقع في سرو حمير قرب جبل صبر" [٢].

لنتوقف أولاً عند ما قاله الربيعي مما أوردناه آنفاً، ولنتساءل من حيث يفترض أن نجد لتساؤلاتنا إجابات في سياق معالجته الجغرافية لمنازل سبط بنيامين: ما وجه العلاقة اللغوية والكتابية (الرسم) بين (بنيامين) و(بني يامن)؟!- وما هي أيضاً العلاقة التاريخية بين الاسمين عدا عما قاله لنا؟ وما الذي يقصده الربيعي بـ (الجماعة اليمنية الأولى)؟ وهل وصف الهمداني جبل يامن؟ وماذا قال عنه؟!

بحثنا في كتاب الهمداني عن أي وصف لجبل (يامن) فلم نجد شيئاً. فالهمداني بالكاد ذكر اسم هذا الجبل في موضع واحد فقط من كتابه، وهو الموضع نفسه الذي اقتبسه الربيعي:

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٤٦.

[٢]. المرجع السابق، ص ٤٧.

"من ناحية هذا الحيز جبل صبر ومن جبلان جبل يامن -بفتح الميم- وهو على شط رمعٍ الشمالي مع عتمة" [١].

هذا كل شيء قاله الهمداني عن جبل (يامن)، أي أنه ذكر اسم الجبل فقط وفقط فقط، ولم يصفه على الإطلاق بأي وصف. بينما يخبرنا مفكرنا العبقري بأن هناك وصفاً لهذا الجبل عند الهمداني. غير أننا نجد هذا الوصف المزعوم لازماً في قصد الربيعي في الشعر الجاهلي، فلنرى ما أورده مفكرنا من الشعر في هذا الشأن.

أورد الربيعي بيت من الشعر لأمرؤ القيس- الذي يصفه دائماً بالحميري- مع أن امرؤ القيس يُلقب في كل مصادر التاريخ بـ الكندي، ولا خلاف بأن كندة يمانية وأنها شقيقة حمير وحليفها الأقوى والأعز، ولكن مفكرنا اختلق هذا اللقب لأغراض الإيهام والتلفيق، إذ يقول امرؤ القيس:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن * دوين الصفا اللائي يلين المشقّرا**

ثم يورد الربيعي بيتاً آخر لطرفة بن العبد، يقول فيه:

عَدوليةٌ، أو من سفين ابن يامن * يَجُور بها الملّاحُ طوراً ويهتَدي**

كما هو واضح من نص البيتين، فإن الداعي لإيرادهما يكمن في أنهما يشيران الى شخص ما كان يعرف بـ ***(ابن يامن)***، والذي يخلط الربيعي بينه وبين الجبل الذي ذكر الهمداني اسمه، قائلاً:

"يقع جبل (يامن) الذي تنتسب إليه الجماعة التي ستُعرف بهذا الاسم، في السراة التي تتجه نحو تهامة والمنتهية في البحر الأحمر، وهي سراة عظيمة فيها الكثير من

[١]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٥٠.

المواضع منها جبل صبر ومخلاف جُبلان، حيث يشكل جبل يامن عزلة في هذا المخلاف" [١].

إذا أخذنا الأمر على علاّته، فسوف نُصّدق الربيعي بأن تلك الاستشهادات الشعرية تدعم صحة ما ذهب إليه، ولكن إذا تفحصنا الأمر جيداً سنجد أن ما قاله محض هراء لا أكثر، وأن ما استشهد به الشعر لا علاقة له إطلاقاً بما يريد ايهامنا به.

بصيغة أوضح، إذا تمعنا فيما جاء عند الهمداني بشأن المقصود بجبل يامن من جهة، وبين المقصود به بالضبط بـ (ابن يامن) في الأبيات الشعرية من جهة أخرى، فسنجد أنه فيما عدا التشابه بين الأسماء، لا يوجد أي علاقة بين ما قاله الهمداني وما ذكره امرؤ القيس وطرفة بن العبد، فجبل يامن الذي يذكره الهمداني هو الذي يقع في السراة كما أشار الربيعي بالفعل، لكن (ابن يامن) الذي الأبيات الشعرية سواء كان شخصاً أو قبيلاً أو مكاناً فهو مما يتصل جغرافياً بمنطقة (هجر) من (الأحساء) النجدية التي تقع أصلاً خارج حدود اليمن الطبيعي.

وبعد تفتيش دقيق في مصادر الربيعي وترتيب أفكاره التي عرضها في هذا الشأن، تبين لنا بكل ثقة أن ما أورده لم يكن نتاج بحث واستقصاء فعلي قام به في دواوين الشعر، بل هو تلفيق عمدي لمادة جاهزة من معجم ياقوت الحموي، من حيث كان هذا الأخير قد ذكر ضمن معالجته لمادة معجمية وبلدانية هذه الأبيات التي اختطفها الربيعي من سياقها لديه.

نعم، لقد انتحل الربيعي اقتباساً بأكمله من الحموي، وقام بتلفيق مضمونه وتحريف مدلوله ونتيجته، ولقد فعل ذلك من حيث لم يجد شيئاً يدعمه عند الهمداني. فقد كان الحموي يتحدث عن مكان يُسمى (المشقر) أو – حصن المشقر النجدي الشهير– الذي ذكره امرؤ القيس في البيت الشعري المشار إليه سلفاً، وهو واحد من أشهر الحصون العربية الواقعة في الأحساء شمال شرق جزيرة العرب، وهي منطقة شهيرة بزراعة النخيل على مر العصور[٢].

---

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٤٨.

[٢]. ياقوت الحموي: معجم البلدان، مرجع سابق، ٥/ ١٣٤– ١٣٥. ترقيم (م. ش).

ارتبط ذكر المشقر بواحد من أهم أسواق العرب في عصر ما قبل الاسلام وفي العصر الاسلامي أيضاً، ويبدو أن ***ابن يامن*** الذي تذكره الأشعار الجاهلية كان شخصية مشهورة في عصره وعلى قدر عال من الثراء والعز والمكانة، بحيث كانت تفد إليه خواص العرب وأعيانهم ووجوههم وشعرائهم بما فيهم امرؤ القيس، فضلاً عن أن امرؤ القيس يذكر موقعاً آخر اسمه (الصفا) وهي منطقة قريبة جداً من المشقر هذا وتنتمي إليه، بل وتُسمى حتى اليوم (صفا المشقر)[١]، عدا هذا الاستنتاج لم نجد عن هذه الشخصية أي ذكر واضح في كل مصادر التاريخ القديمة.

خريطة رقم (٤): موقع حصن المشقر الذي ذكره امرؤ القيس وطرفة بن العبد في أشعارهما[٢]

---

[١]. للمزيد بشأن حصن المشقر والصفا وذكرهما عند شعراء الجاهلية، راجع: عبدالرحمن آل ملا: تاريخ هجر، مطابع الجواد، الأحساء، ١٩٩١. ١/ ١٦٢. خالد الغريب: منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، الخبر، ١٩٨٨. ص٥٢٢. عبدالله النجم: البحرين في صدر الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣. ص٦٠. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٩. ٤/ ١٦٢.

[٢]. الخريطة من: سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

وبحسب ياقوت الحموي أيضاً، فإن البيت الشعري المنسوب لأمرئ القيس يتكرر تماماً بنفس الألفاظ منسوباً لشاعر بني أسد عرفطة بن عبدالله المالكي الأسدي، إذ يقول:

أو المُكرعاتُ من نخيل ابن يامنٍ * دُوين الصّفا اللائي.. يحفّ المشقرَا**

الفارق بين البيتين هي كلمة (يلين) التي صارت عند عرفطة (يحف)، وإمعاناً منا في إيضاح الصورة، فالمكرعات هنا يراد بها النخيل التي تحيط بواحة الماء، ولأن المكان كما هي حقيقته واحة في الصحراء بالقرب من حصن المشقر وصفاه، فمن الطبيعي أن يصف طرفة بن العبد صاحب هذا المكان واسمه (ابن يامن)، بأنه صاحب سفين أي سفينة، وليس ذلك إلا أن طرفة يصف ناقة الرجل الكريم، مشبهاً إياها بالسفينة التي يجور بها الملاح طوراً ويهتدي بها طوراً آخراً.

هذه الصورة المتكاملة لمنطقة صحراوية فيها واحة ونخيل، يستحيل أن تكون موجودة في جبل يامن التهامي الذي ذكره الهمداني، وهذا ما صرح به الربيعي. فلا يمكن أن نجد الصحراء والواحة في سلسلة جبلية، كما أن جبل يامن التهامي في اليمن لا ولم يعرف زراعة النخيل إطلاقاً.

لنستعيد ما قاله الربيعي مرة أخرى– ولنخجل نيابة عنه مما قاله:

"... وبالطبع ليس ثمة مكان يحمل الاسم نفسه سوى جبل يامن، هذا الجبل الذي وصفه الهمداني كما وصفه الشعر الجاهلي، هو الموطن التاريخي للجماعة اليمنية الأولى ويقع في سرو حمير قرب جبل صبر" [١].

فأي جبل يامن هذا الذي وصفه الهمداني يا مفكرنا؟! وأي جبل يامن هذا الذي وصفه الشعراء بأنه الموطن التاريخي للجماعة اليمنية الأولى المتخيلة في خلايا دماغكم الكريم؟!

كل ما وجدناه هو جبل اسمه (يَامَن)– بالفتح ثم الفتح ثم سكون– ذكر الهمداني اسمه فحسب ولم يصفه بحرف واحد، وهناك رجل كريم وعزيز اشتهر عند عرب ما قبل الاسلام

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ٤٧.

بكنيته أو لقبه (ابن يامن) كان يسكن في المشقر من هجر بالأحساء بعيداً جداً جداً عن اليمن وعن سراتها.

فما هي علاقة الجبل بالرجل؟ وما علاقة الجبل والرجل بسبط بنيامين؟!- الجواب *كالعادة، لا شيء سوى تشابه الأسماء..!!*

كما بحثنا ودققنا فيما عساه يكون قصد الربيعي مما اخترعه وسماه (الجماعة اليمنية الأولى). وتأكد لنا بما لا مجال للشك به، بأن هذا المصطلح لا وجود له إطلاقاً إلا في عقل مفكرنا.. فالجماعة اليمنية الأولى في أقدم وجود لها يمكن أن نسميها (عاد) أو (سبأ)، حتى في كتب الأنساب اليمنية القديمة، التي يرد فيها أن (يمن) كان اسماً لـ (يعرب) بن قحطان، فإن الجماعة اليمنية الأولى قد أطلق عليها أسماء من قبيل (اليعاربة) أو (القحطانية)، أما جغرافياً فاسم اليمن حديث نسبياً، وهذا أمر ثابت ولا يحتاج الى تفصيل بشأنه، هذا إن لم يكن بالأساس من البديهيات.

علاوة على ما تقدم، سيكون من المناسب أن نبين للقراء الأعزاء هنا من أين استمد الربيعي فكرته هذه عن بنيامين السبط في التوراة وابن يامن الذي يرد ذكره في الشعر العربي القديم، وأن نُعّرف القراء بالمصدر الذي تعمد الربيعي ألا يلفت انتباهنا إليه. فهذه الفكرة انتحلها مفكرنا العبقري من محاضرة ألقاها الشاعر والأديب السوداني *"**عبد الله الطيب**"* في مقر مجمع اللغة العربية عام ١٩٩٦، وقد كان الطيب من المهتمين بتاريخ التوراة واسقاطاتها الجغرافية، حتى أنه توهم هو الآخر بأن جغرافية التوراة تقع في السودان..!!

*في تلك المحاضرة، ذهب الطيب في تفسير قول طرفة بن العبد **(عدولية أو من سفين ابن يامن)**، الى أن **المقصود بـ (عدولية) منطقة أو مدينة أو فرضة قديمة تسمى (أدوليس)- كانت على البحر في ناحية ما بين مصوع وحلايب قبل أن تندثر أو ما شابه، وأنها كانت تذكر في الخرائط القديمة أحياناً بالقرب من (مصوع)، وأحياناً بالقرب من (سواكن) على البحر الأحمر، وأشار الطيب في سياق شرحه الى أن ابن يامن هو (بنيامين) التوراة وهو تاجر يهودي ذكره امرؤ القيس بقوله: "حمته بنو الربداء من آل يامن بأسيافها حتى أقر وأوقرا"-***

*ومن ثم خلص الطيب الى أن **(بنو يامن) الذين ذكرهم طرفة وامرؤ القيس إنما يراد بهم (يهود الفلاشا الأحباش)**[١]..!!.*

بالطبع، فإن الربيعي ومن سار على نهجه من المشعوذين لن يجدوا أفضل من هذا النموذج للتفكير والتفسير، ليقدموه للقراء مساهمة منهم في الانحدار بوعيهم الفكري وتفكيرهم المنهجي. فمثل هذه التفسيرات القائمة على تأويل الأسماء المتشابهة واسقاطها جغرافيا، قد تحيلنا الى البحث عن يامن وبنيامين في إقليم (يمونا) في الهند، لما لا ويامن وبنيامين مشتقان من يمن ويمونا؟!

انتقالاً الى معالجة الربيعي لأول موقع جغرافي توراتي تعامل معه مما يدخل في نطاق منازل سبط بنيامين، وهو الموقع الذي يرد في التوراة باسم (عمق قصيص)- أي وادي قصيص، حيث سنجد الربيعي وهو يكرر نفس الآلية السابقة في معالجته لهذا الاسم- تماماً كما عالج اسم (بنيامين). فقد بحث عن (عمق قصيص) عند الهمداني فلم يجده بهذه الصورة، نظراً لاستحالة ذلك أصلاً، فماذا فعل؟!- لا شيء، سوى أنه قام بالاقتداء بمعلمه الصليبي وحوَّل اسم عمق قصيص الى اسمين: (عمق، وقصيص)، فهكذا تجري الأمور سهلة في ترجمة التوراة الربيعية، ومن ثم وقف أمام قصيص، وأيضاً لم يجدها عن الهمداني إلا في عبارة واحدة، وردت في سياق كان الهمداني يسرد فيه أسماء الوديان التي تقع في المناطق الوسطى اليمنية المعروفة بـ ***(سرو مذحج)***. ففي تلك العبارة، قال الهمداني: ***"... قصص لرها.."***[٢] - أي أن وادياً كان يسمى قصص يقع في منازل قبيلة (رها) اليمنية، وقد نسب هذا الوادي الى تلك القبيلة فقيل عنه (قصص رها).

بيد أن مفكرنا وقع إزاء هذا الاسم في مأزق وكان عليه أن يجد منه مخرجا، فلو بدأ بما قاله الهمداني، فلن تسعفه العبارة اليتيمة التي وجدها لديه في اختلاق ثرثرة تقديمية وتفسيرية مناسبة يُشغل بها عقل القارئ عما ينبغي أن يركز عليه بالأصل. فعدا عن تلك العبارة لم يجد

[١]. للمزيد بهذا الشأن، راجع: عبد الله الطيب: محاضرة البروفسور عبد الله الطيب في مقر مجمع اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد (٧٩)، نوفمبر ١٩٩٦.

[٢]. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، مرجع سابق، ص ١٨٧.

الربيعي شيئاً لدى الهمداني، وكما رأيناه كيف فعل مع بنيامين ويامن قبل قليل، فلابد أن يفعل ذلك مجدداً.. أي أن يلجأ الى الشعر الجاهلي، وأن يمارس انتحالاً وتحريفاً جديداً لمعاني وتفسيرات أشعار الأولين..!!

لنقرأ معاً معالجة مفكرنا الجهبذ كما وردت حرفياً في كتابه:

"قال امرؤ القيس:

نُصيفها حتى إذا لم يُسغ لها * حلِّي بأعلى حائل وقصيص**

يصف امرؤ القيس- وهو هنا الحميري اليمني وليس أي امرئ قيس آخر- وادي قصيص في الفضاء الجغرافي لسلسلة من الوديان والمواضع، على امتداد ساحل البحر الأحمر حيث حلي وحائل. وهذا الوصف ينسجم كل الانسجام مع تحديدات سفر يشوع للمكان، بما هو من الأودية وليس جبلاً أو بئر ماء. إن وجود وادي قصيص حسب وصف الشاعر في الطريق الى حلي، يتناغم تماماً مع وصف سفر يشوع لوادي حلي...

.. وها نحن نفعل الشيء ذاته، نبحث عن وادي قصيص في الشريط الساحلي نفسه الذي وصفه يشوع ثم عاد الى الهمداني وصفه. في وصفه لسرو مذحج يحدد الهمداني بدقة موضع قصيص الوادي ويضبط اسمه في الصورة ذاتها قصص:

"الحجلة، ومهار، وذو زوم، وذو جيشان (........) قصص لرها ولبني زائدة من أود".

لنلاحظ هنا أن الهمداني على غرار ما يفعل يشوع، يضع قصص قرب وادي حجلة، وهذا توافق مثير فالواديان في سرو مذحج وهو اليوم أنقاض وخرائب، يعرف باسم المدينة الحديثة التي قامت في المكان نفسه- مدينة البيضاء[١].

[١]. فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، مرجع سابق، ص ص ٥١- ٥٤.

نحتاج هنا الى أن نرتب أفكارنا إزاء هذا التحليل العرنفجي البديع.. فكما أسلفنا سابقاً بشأن تلقيب الربيعي لأمرئ القيس بالحميري، ها هو في عبارة مستقطعة في أول كلامه أعلاه يؤكد لنا مرة أخرى كيف أراد أن يستخدم هذه الفكرة المغلوطة التي بتسرها هو لتحسين مقدمات منتجه التلفيقي، ولا بأس من تنويه القارئ الى بديهيات مما يتعلق بأمرئ القيس، فهو سليل ملوك كندة اليمنية التي كانت تقوم مملكتهم على كافة الأراضي النجدية، باعتبارها امتداداً فيدرالياً للاتحاد السبئي في طوره الخامس والأخير السابق على عهد الاسلام، وكانت عاصمتها (قرية– الفاو) وهي منطقة أثرية في نجد مليئة بآثار ونقوش المسند والمآثر التي صنعتها وخلفتها مملكة كندة السبئية، التي بلغ امتداد ملكها تخوم البصرة في العراق وبادية الشام، ومن الطبيعي أن يصول ويجول امرؤ القيس في أرض مملكته ومملكة أبيه وأجداده، إذ كانت نجد وتخوم الشام هي فضاءه الجغرافي، وهذا ما تنطق به معظم أشعاره.

بيد أن الربيعي يريد أن يوصل للقارئ ويوهمه بأن امرؤ القيس باعتباره حميرياً فإنما يحمل هذا على أن يكون كل ما ذكره في أشعاره من المناطق في اليمن، وهذا تلفيق واضح إذا ما أخذنا بحقائق تاريخ امرؤ القيس، وحقائق ما ذكره في أشعاره، فهو وإن ذكر مناطق يمنية ثابتة ولا يوجد أي إشكال في تحديدها مثل: نجران وحضرموت ودمَّون وغيرها، إلا أن أغلب ما ذكره أمرؤ القيس في شعره كان من المناطق التي تقع في أرض مملكته وتخومها الشامية بل وفي الشام ذاتها، وبوسع أي باحث أن يتحقق من ذلك بدراسة جغرافية شعر أمرؤ القيس وشروحاتها عند قدماء العرب والمتأخرين منهم، ونحن على ثقة كاملة بأنه لن يجد خلاف ما ذكرناه أعلاه، وبالتالي، فعلى القارئ ألا تنطلي عليه مثل هذه الإيهامات الربيعية الفاشلة.

عوداً الى صلب الموضوع، نقول أن ما نحتاج الى القيام به لنخرج معاً برؤية واضحة للتلفيق الذي مارسه المفكر الفاضل في هذه القصيصة من كتابه الصحراوي، ليس أكثر من خطوتين، نحددهما ونقوم بهما على نحو ما يرد في السياق الآتي.

الخطوة الأولى، وفيها نقابل بين المقصود بـ "قصيص" التي ذكرها امرؤ القيس من جهة، وبين قصص التي ذكرها الهمداني من جهة أخرى، والتحقق من أنهما يشيران الى مكان واحد

بعينه أم لا. فكما أقر الربيعي، فإن موقع (قصص) الذي يعنيه الهمداني يقع في سرو مذحج داخل الجغرافية اليمنية حيث تنهض اليوم مدينة البيضاء ولا خلاف عندنا على ذلك، لكن (قصيص) و(أعلى حائل) التي استشهد بهما الربيعي مما جاء في شعر امرئ القيس لا علاقة لهما بـ (قصص) السرو المذحجي إطلاقاً، لأن الشاعر كان يتحدث عن مواقع معروفة ومشهورة في كل كتب البلدانيات العربية، ولم يشر إليهما أحد بأنهما مما يقع في اليمن، بل أجمعت كل تلك المصادر على أن (أعلى/ أعلا حائل) و(قصيص) تقعان- كما ينطق البيت الشعري صراحة- في بلاد طي وبالتحديد في منطقة حائل النجدية.

خريطة رقم (٥): موقع قرية القصيصة نسبة الى منهل (قصيص) الذي ذكره امرؤ القيس في شعره في جنوب غرب حائل.

بدقة جغرافية مستمدة من الواقع، بعد أن تواصلنا مع بعض من أعيان ووجهاء مديرية الغزالة في حائل، وسألناهم عن أعلى حائل وقصيص التي ذكرهما أمرؤ القيس في شعره، فأكدوا لنا بدقة متناهية، بأن هذان الموقعان هما اليوم بالقرب من قرية القصيصة على بعد (٩٠) كم

جنوب غربي منطقة حائل النجدية، وهي قرية تقع على مورد ماء قديم مازال يسمى (قصيص)، ذكرته كتب البلدانيين العرب بأنه منهل للماء يقع بالقرب من قريتي سقف وغضور، وقصيص هذا والقصيصة يتبعان إدارياً مركز الغيثة من الدغيرات من عبدة في مديرية الغزالة من منطقة حائل النجدية- ***أنظر الخريطة رقم (٥) أعلاه.***

ليس هذا فحسب، بل أكدوا لنا أهل المنطقة، بأن الوصول الى منهل قصيص قدوماً من جهة الجنوب الغربي، لا يكون إلا بالمرور من مكان يسمى (أعلى/ أعلا) وهو اليوم في وادي الأديرع الى الجنوب من جبال أجا من بلاد طي النجدية، والمسافة بين (أعلى/ أعلا حائل) وبين منهل (قصيص) لا تزيد عن (١٠) كيلومترات.

وهكذا، فإن أعلى وقصيص هما مكانان موجودان في منطقة واحدة منسوبان إليها بشكل صريح في قول امرئ القيس: "***أعلى حائل، قصيص***"، وهي منطقة (حائل) النجدية.

وبلا شك، فإن هذا كافٍ لسقوط هراء الربيعي، وإفكه السافر، ***وأرجو أن يركز القراء الأعزاء ملياً فيما سيأتي بعد هذا مباشرة.***

تدهمنا الفاجعة المعجونة بخلطات الساحرات ودجل المشعوذات المبتدئات والفاشلات، *عندما نجد الربيعي ينظر الى كلمة (حلّي) التي ترد في بداية الشطر الثاني من بيت امرؤ القيس باعتبارها اسم لمنطقة، في حين أن الكلمة في سياقها واضحة المعنى ولا تشير اطلاقاً الى أي مكان أو حتى الى ثقب في رأس إبره.*

الأصل من (حلّي) التي ترد في شعر امرؤ القيس هو حلّ من الحلّ والحلول- أي الإقامة والبقاء- والياء في آخرها ضمير متكلم يعود الى امرؤ القيس الذي يخبرنا بأنه:

يُصّيفها إذا لم يسغ لها (حِلّه) بأعلى حائل وقصيص

وهذا واضح تماماً، ولا لبس فيه.

بيد أن الربيعي بطبيعته وعادته، تعمد أن يوهم القارئ بأن كلمة (حلّي) تشير الى ذلك الموقع الذي يسمى (حَلَي) والذي يقع على ساحل تهامة الحجازية بين المدينة ومكة بالقرب من ينبع، وبالطبع فإنه لا توجد أي علاقة لغوية أو سياقية حقيقية أو مجازية بين حل امرؤ القيس وإقامته بأعلى حائل وقصيص، وقرية (حلي) التهامية الساحلية.

وفوق هذا كله، فالمناطق المذكورة هنا لا علاقة لها بجغرافية اليمن الطبيعي، كونها بالأساس واقعة خارج حدودها.

وكما نبهنا دائماً، فإن مثل هذه الإيهامات والتهويمات التي يختلقها الربيعي تعتمد بالأساس على تشابه الألفاظ والمسميات، وعلى اقتصاصه لها وبترها من سياقاتها وتحويرها وتلفيق واختلاق معاني ودلالات موهومة لا أصل لها ولا تمت الى أي حقيقة بصلة، وإن هذا المثال الذي قدمناه آنفاً- علاوة على ما سبق وأن نبهنا إليه من قبل- لهو بحق من أسوأ وأسخف التفسيرات التلفيقية التي قدمها مفكرنا العملاق عنوة استخفافاً بعقول الناس، وتهويناً من شأن قدرتهم على اكتشاف تحريفاته وتخريفاته، وكأنه عنما كان يكتب أوهامه تلك، كان يقول في قرارة نفسه:

"ومن يهتم، فأنا أعرف عقلية من يقرأون لي.. إنهم حثالة من الجهلة ممن يمكن تمرير أي شيء وكل شيء سخيف الى عقولهم".

في ختام هذه الخطوة، ثمة أمر طريف لاحظناه أيضاً، وهو أننا كلما عمدنا الى كشف تضليل الربيعي من الناحية الجغرافية، نجد (حائل) تلك أمامنا. فقد توصلنا حتى الآن الى أكثر من ستة أو سبعة مواقع جغرافية ادعى الربيعي أنها في اليمن، ثم اتضح لنا من خلال التدقيق والتحقيق أنها تقع في حائل، ومن يدري، لعلنا فتحنا بهذه الملاحظة باباً للربيعي ليعيد النظر في جغرافية التوراة مجدداً، لعله يجدها فعلاً في حائل التي يبدو أن لها علاقة وثيقة بمخياله اللاشعوري الدفين..؟!!

الخطوة الثانية، وفيها سنتحقق من موضوعية ودقة المقاربة الجغرافية التي أقامها الربيعي لموقع وادي قصيص بين ما ورد في التوراة من جهة، وما أورده الهمداني من جهة أخرى، بغية

التحقق من صحة ذلك التناغم والانسجام العجيب الذي ظل مفكرنا العتيد يتغنى به بين الهمداني ويشوع.

هنا، لابد من التنويه الى الطريقة التي استخدمها الربيعي كثيراً وكثيراً جداً في الاقتباس من الهمداني. ***فقد لاحظنا ظاهرة الـ (.....)- أي ظاهرة الأقواس الفارغة-*** في كثير من النصوص التي اقتبسها من كتاب الهمداني، الأمر الذي كشف لنا عن واحدة من أسوأ وأرعن الممارسات الانتقائية وأكثرها فجاجة وتحريفاً، هذا طبعاً، إذا ما نظرنا الى ذلك من الناحية الإجرائية.

لننظر الى نماذج من أقواس مفكرنا الفارغة، اقتبسناها بالصورة إمعاناً في التأكيد والتثبيت:

> «وكتاف يسيل الى العقيق. والعقيق يصبُّ في الغائط، ثم الغائط والحضن بنجران. (...) والذي يَلي تَيَّة من غوائر الحجر: مُرّة وادٍ يصبُّ إلى الكفيرة وَحْلي».

> الجِجْلةَ، ومَهار، وذو زوم، وذو جيشان (........) قَصِص لرهاء ولبني زائدة من أوْد.

> فأول بلاد الحجر من يمانيها وادي عبل وادٍ فيه الحبْل ساكنُه مالك بن شهر (.......) والذي يلي تَيّة من غوائر الحجر، مُرَّة وادٍ يصبُّ إلى الكفيرة وحَلْي.

صورة رقم (١): نماذج من أقواس الربيعي الفارغة
من كتابه فلسطين المتخيلة، المجلد الأول، ص (٤٦- ٥٧)

أما من الناحية العلمية والجغرافية، فإن أقواس الربيعي الفارغة تكشف لنا عن مدى ضحالة وعيه، والى أي مدى بلغ انعدام حسه الجغرافي بعنصر المساحة الذي تطرقنا إليه من قبل، فما بين تلك الأقواس هو في الغالب كمٌّ واسع من القرى والوديان والجبال والتلال التي

تحتل مساحات واسعة من الأرض اليمنية والتي تجاهلها الربيعي دائماً، واعتبر أن حجب كل ذلك والتعبير عنه بقوسين يحصران بينهما أربع نقاط ليس إلا اختصاراً أو إيجازاً سردياً، وهو يعلم أصلاً أن مثل هذا الاختصار والإيجاز ليس إلا تحريفاً وتزييفاً مقصوداً للمساحة الجغرافية ومكوناتها الطبوغرافية التي تفصل بين كل مكانين قارب بينهما.

الأدهى مما سبق، هو الخطأ الجغرافي الكارثي الذي وقع فيه الربيعي في تحديده لموقع قصيص وغيرها. فقد ثبت لدينا أن مفكرنا قد عرف أولاً بأن وادي قصص الذي تحل محله اليوم مدينة البيضاء يقع في وسط اليمن تماماً، لكننا نجده في الوقت نفسه يخبرنا استناداً الى وصف يشوع بأن هذا الوادي يقع على امتداد الساحل الغربي لليمن، أي على سواحل البحر الأحمر- ***راجع كلام الربيعي الذي اقتبسناه حرفياً قبل قليل، فهو واضح للغاية.***

إن هذا التحديد الفظيع يؤكد حقيقة واضحة جداً، وهو أن الربيعي لم يكلف نفسه عناء التحقق من موقع مدينة البيضاء اليمنية بالنسبة لساحل البحر الأحمر، وبالتالي فهو يجهل تماماً من الناحية الجغرافية أين تقع بالضبط هذه المدينة على خريطة اليمن، باعتبار أنها أقيمت على وادي قصص الذي ذكره الهمداني.

تقع مدينة البيضاء على بعد (٢٨٠) كم تقريباً إلى الجنوب الشرقي من العاصمة صنعاء، وهي مدينة قارية لا تقع على أي ساحل، والمسافة بين البيضاء/ قصص وبين ما يقابلها أفقياً على ساحل البحر الأحمر وهي مدينة (المخا) مثلاً تبلغ (٢٧٠) كم، وأقرب نقطة ساحلية من البيضاء هي مدينة (شقرة) وهي على ساحل بحر العرب- أي الساحل الجنوبي لليمن وليس الساحل الغربي- وتتبع شقرة إدارياً محافظة أبين، وبالتالي، فلا علاقة لمدينة البيضاء من الناحية الجغرافية بأي ساحل، لا أحمر ولا أبيض ولا هم يخلطون- ***أنظر الخريطة رقم (٦) أدناه.***

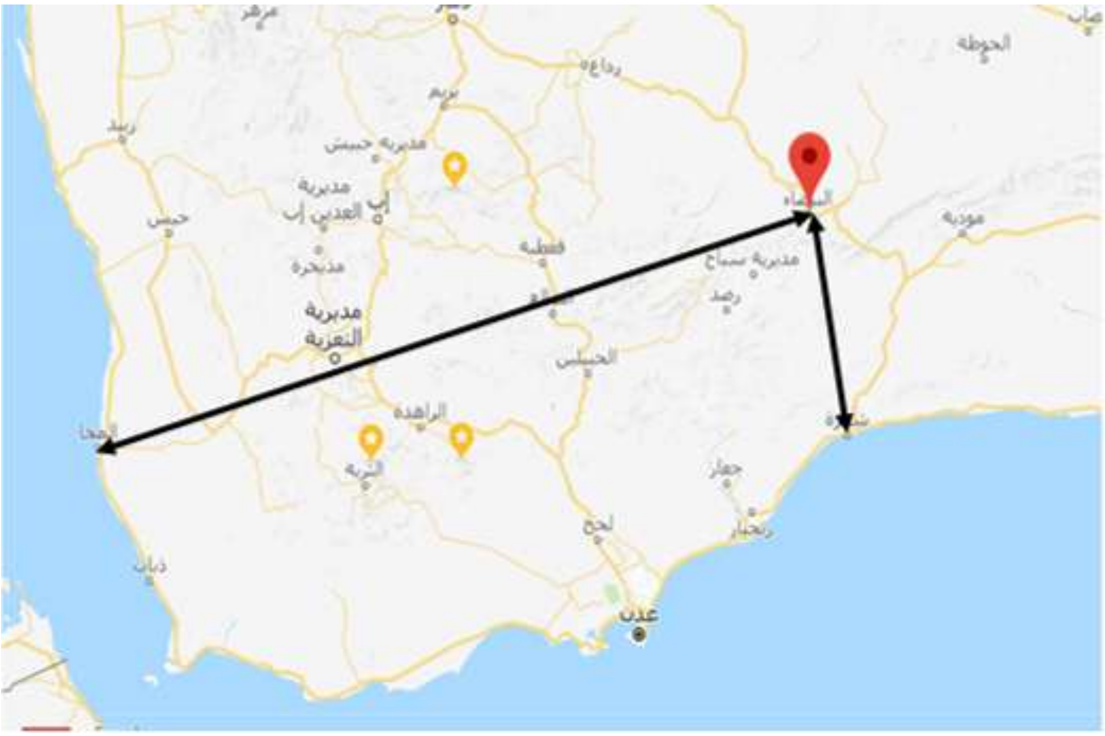

خريطة رقم (٦): موقع مدينة البيضاء اليمنية من الساحلين الغربي والجنوبي

وهكذا، فالتناغم الذي يتحدث عنه الربيعي بين الهمداني ويشوع لا يعدو أكثر من إفك وافتراء لا أساس له، ولا وجود له إلا في أوهامه وتخييلاته التي بلغت مبلغاً ينبغي الحديث معه عن مدى حاجة الرجل الى تشخيص سكسومتري وتدخل اكلينيكي، للحد من تفاقم حالته السيكوباثية الهدامة والمدمرة لكل الحقائق والثوابت.

(3)

الربيعي وخرائطه العمياء

هناك كم هائل من الكوارث الفاجعة التي قدمها لنا الربيعي في معرض تأسيسه لنظريته الخرقاء، من حيث اعتقد أن بوسعه تمريرها على عقول البشرية جمعاء دون أن يكتشف أحدٌ حقيقة ما قام به من تحريف وتزييف وتضليل متعمد ومقصود.

بيد أنه لن يسعنا الوقت لعرضها جميعاً، كما إننا نعول على هذه الدراسة أن تلهم باحثين آخرين لاستكمال ما بدأناه فيها، ولهذا رأينا اختصاراً للوقت والجهد أن بوسعنا أن ننظر الى الحصيلة النهائية من تلك الكوارث المخيالية على نحو ما تظهره وتكشف عنه خرائط الربيعي العمياء، تلك الخرائط التي أراد أن يقنع بها ذوي العقول الصغيرة من الكائنات البشرية المدجنة، فقررنا أن ننهي جهودنا في تحليل معالجته الجغرافية لمنازل الأسباط باستعراض خرائطه تلك، وتقديمها للقراء الأعزاء على النحو الذي يليق بها وبمفكرنا الجهبذ.

قبل النظر في خرائط الربيعي لابد من إعطاء فكرة عن تقسيم منازل الأسباط في فترة يشوع بن نون والتي وثقها السفر الملحق بالتوراة والموسوم باسمه، وكيف جرى تفسير ومعالجة ذلك التقسيم على الخريطة الفلسطينية من قبل مفسري العهد القديم، وذلك كي تتضح الصورة بعد ذلك كاملة، من حيث نريد أن يتعرف قرائنا الأعزاء على الفروق العامة- وليس التفصيلية- بين النموذج التقليدي الذي قدمه مفسرو العهد القديم لجغرافية أرض الأسباط والخرائط التي رسموها له من جهة، والنموذج الخنفشاري الذي قدمه لنا مفكرنا في كتاب وخرائط مخيلته وأوهامه من جهة أخرى.

جاء في (سفر العدد، ٣٤: ١٣- ١٥):

"فأمر موسى بني إسرائيل قائلاً: هذه هي الأرض التي تقتسمونها بالقُرْعة، التي أمر الرب أن تُعطَى للتسعة الأسباط ونصف السبط، لأنه قد أخذ سبط بني رأوبين حسب بيوت آبائهم وسبط بني

جاد حسب بيوت آبائهم ونصف سبط منسَّى، قد أخذوا نصيبهم. السِّبطان ونصف السِّبط قد أخذوا نصيبهم في عَبْر أردن أريحا شرقاً نحو الشروق".

يتحدث هذا النص عن تقسيم أرض كنعان بين تسعة أسباط ونصف سبط، من أصل (١٢) سبطاً، لأن السبطان والنصف الباقيان كانوا قد أخذوا نصيبهم في عبر الأردن شرقاً– أي في مناطق تقع الى الشرق من نهر الأردن، ومن ثم فقد جرى تقسيم الأرض التي تقع غرب نهر الأردن بين تسعة أسباط ونصف حددهم النص التوراتي بالاسم في (سفر العدد، ٣٤: ١٦–٢٩)، وحدد لهم الآلية التي يجرون بها القرعة، والأساس الذي ينبغي أن يقوم عليه التقسيم، فكان التقسيم على ثلاثة أسس: **الأساس الأول:** حسب عدد أسماء الذكور من كل سبط، فالكثير يُكثَّر له، والقليل يُقلَّل له، **الأساس الثاني:** يكون التقسيم بالقرعة، ليخرج لكل سبط المكان من الأرض الذي يأخذ نصيبه فيه، **الأساس الثالث:** لم يكن لسبط لاوي نصيب في الأرض، بل يعطيهم كلُّ سبطٍ مدناً من نصيبه.

وبحسب التفسير التقليدي للعهد القديم الذي يسقط النص على جغرافية فلسطين، فقد كانت نتيجة التقسيم على النحو الآتي:

١. **سبط يهوذا:** امتدت تخومه إلى بنيامين ودان وهو إقليم التلال الوسطى، وقد أحاط به الموآبيون والأدوميون والعمالقة والفلسطينيين.

٢. **سبط أفرايم:** امتلك السهول الوسطى لنهر الأردن بما فيها أرض شيلو/ سلوان، وهي أرض خصبة ومنتجة وجميلة.

٣. **سبط منسى:** امتلك نصفه في شرق الأردن بيد موسى، أما النصف الآخر فقد امتلك في غرب الأردن بيد يشوع، فامتلك الأرض التي تتاخم يساكر وزبولون وأشير بما فيها أرض شكيم، وهي أرض خصبة ومنتجة وجميلة، واتساع أملاك يوسف بأرض أفرايم ومنسى.

٤. **سبط بنيامين:** امتلك الأرض بين يهوذا وأفرايم بما فيها أورشليم، وأرضه جبلية ولا تصلح للزراعة.

٥. **سبط شمعون:** امتلك الأرض جنوب يهوذا، وأحاطت به شعوب كنعان، وكانت أرضه منبسطة ومعظمها صحراء.

٦. **سبط زبولون:** امتلك سهل مجدُّو في حدود برية يساكر، وكانت أرضه عبارة عن سهل خصب منتج، ويمثل الطريق إلى البحر.

٧. **سبط يساكر:** امتلك الأرض شرق زبولون وجنوب بحر الجليل بما فيها وادي عزازيل، وأرضه خصبة ومنتجة وجميلة.

٨. **سبط أشير:** امتلك الأرض التي تطل على البحر من جبل الكرمل إلى صيدون، فكان يُعتبر نقطة دفاعية في وجه الأعداء القادمين من الغرب، وأرضه عبارة عن سهل ساحل خصب مشهور بالزيتون.

٩. **سبط نفتالي:** امتلك الأرض شرق أشير وغرب بحر الجليل وبحيرة ميروم، واخترقت الجبال أرضه من الشمال إلى الجنوب، بينما كانت هناك أودية خصبة ومنتجة.

١٠. **سبط دان:** سكن غرب بنيامين في وسط الفلسطينيين، وكان الجزء الخصب المنتج لا يقع في أيدي الدانيين، إنما كان يقع في أيدي الفلسطينيين.

يأتي تفصيل هذا التقسيم في سفر يشوع، من حيث حدد حدود أرض كل سبط بالنسبة لأرض من يحاده من الأسباط الآخرين، ومن حيث حدد أيضاً المدن والقرى التي تدخل ضمن أرض كل واحد من الأسباط. ***ويفترض أن الخريطة رقم (٧) أدناه*** تعبر بأدق ما يمكن أن يكون عليه عن النص التوراتي من خلال تنزيله الى الواقع بالنسبة لأرض فلسطين، وبالتالي فإنها في تموضعاتها الجغرافية الجهوية النسبية تتطابق مع النص التوراتي، فعلى سبيل المثال، فإن أرض سبط بنيامين تقع غرب نهر الأردن، يحدها من الشمال منازل سبط افرايم، ومن الجنوب منازل سبط يهوذا.. وهكذا.

خريطة رقم (٧): تقسيم أرض الأسباط بحسب التفسير التقليدي للعهد القديم[١].

كما أن النص التوراتي يخبرنا بأن توزيع الأرض بين الأسباط قد جعل من نهر الأردن، حداً فاصلاً بين الأرض التي تقع الى الشرق منه والتي أعطيت لسبطين ونصف، وبين الأرض

---

[١]. الخريطة من: عبد الله ناصر القحطاني: سفر يشوع- دراسة عقدية نقدية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤.

التي تقع الى غربه وأعطيت لتسعة أسباط ونصف، لذا تتركز معظم الأسباط في الأرض التي تقع الى الجهة الغربية من نهر الأردن، كما وصف النص التوراتي ذلك.

وعليه، فإن أي مقاربة جغرافية لتعيين منازل أرض الأسباط على أي جغرافية كانت، لابد وأن تأخذ بعين الاعتبار وجود نهر فاصل جرى توزيع الأرض على ضفتيه الشرقية والغربية بمقدار (٢.٥) سبط في الضفة الشرقية الى (٩.٥) سبط في الضفة الغربية، ثم يتم تعيين موقع كل سبط بالنسبة الى النهر والى حدود أرض بقية الأسباط كما وصف ذلك سفر يشوع، وهكذا..

هذا ما يفترض أن يكون مفكرنا العملاق قد قام به، والسؤال الذي نسعى الى طرحه والإجابة عليه، هو: ***كيف قسم الربيعي أرض الأسباط على الجغرافية اليمنية؟!*** - الجواب هو انظر الخرائط الربيعية أدناه:

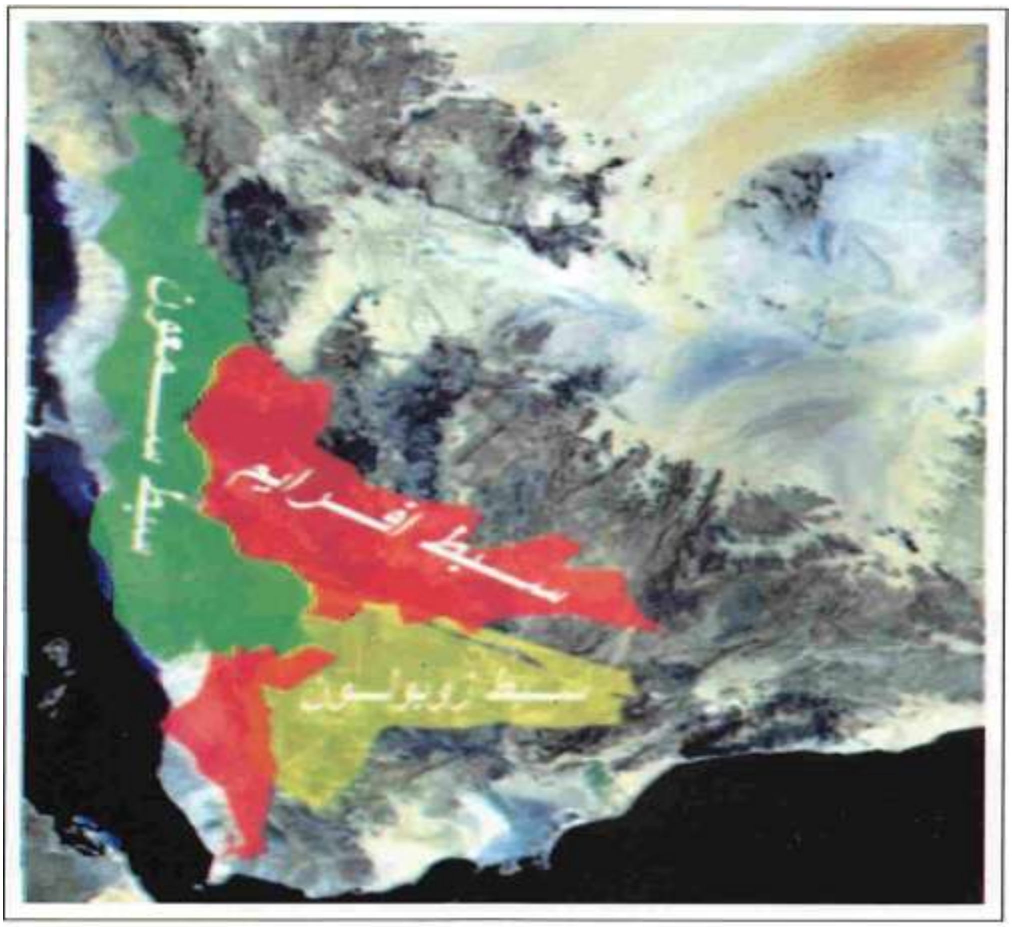

خريطة رقم (٨): أراضي الأسباط (افرايم، افرايم، زوبولون) كما حددها الربيعي على الجغرافية اليمنية

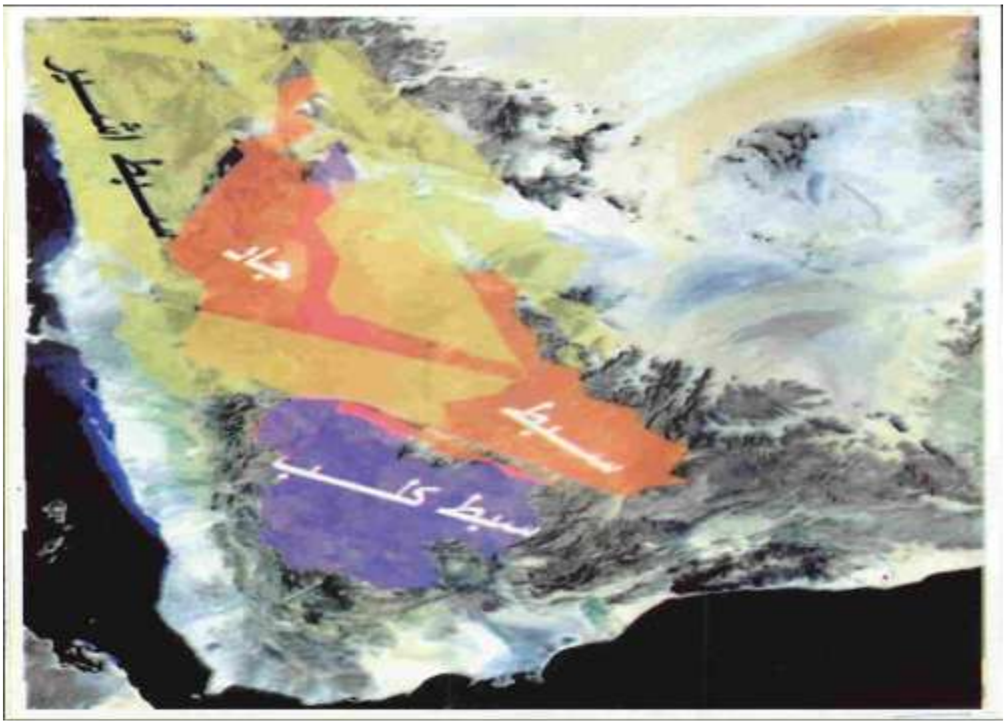

خريطة رقم (٩): أراضي الأسباط (جاد، أشير، كلب) كما حددها الربيعي على جغرافية اليمن

خريطة رقم (١٠): أراضي الأسباط (يهودا، دان، منسي) كما حددها الربيعي على جغرافية اليمن

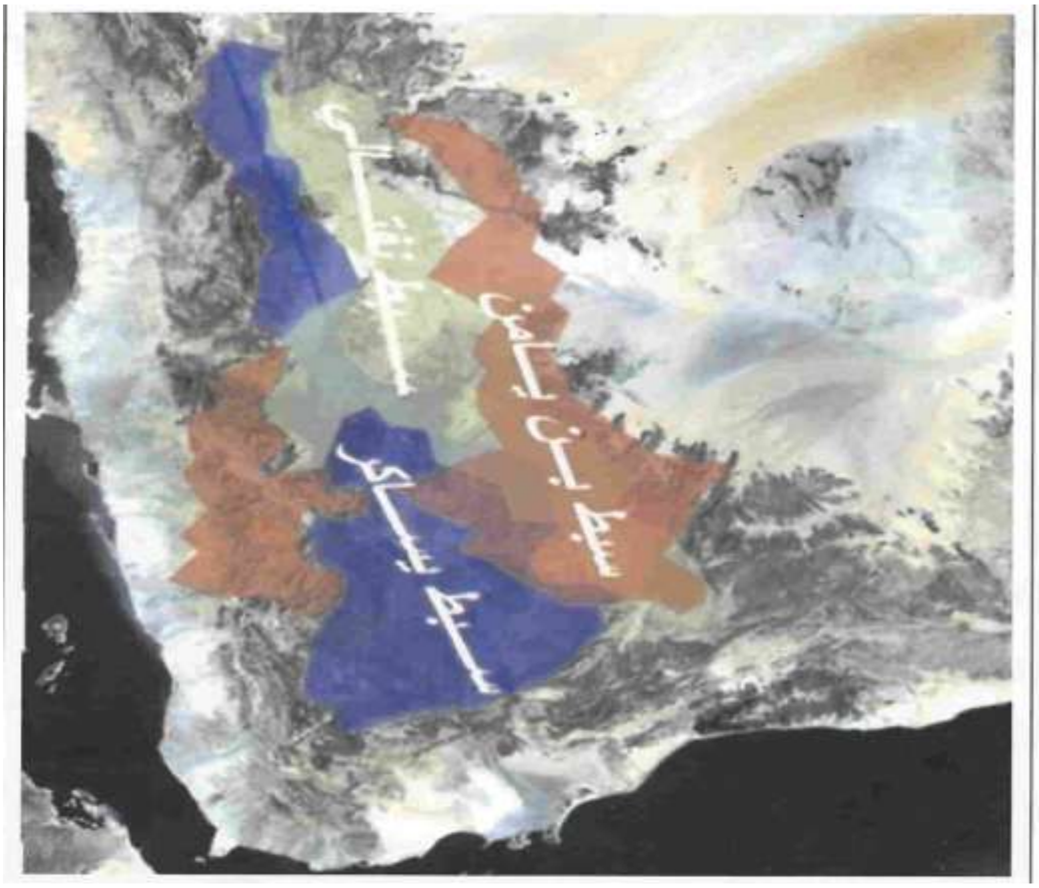

خريطة رقم (١١): أراضي الأسباط (بنيامين، يساكر، نفتالي) كما حددها الربيعي على جغرافية اليمن

حسناً، كانت تلك خرائط المفكر العملاق فاضل الربيعي التي توضح لنا مواقع منازل الأسباط الإثني عشر على الجغرافية اليمنية، فماذا نلاحظ في تلك الخرائط؟!

لن نمضي كثيراً في تفصيل هذه المسألة، لأنها واضحة لكل ذي عقل وبصيرة ليرى الفوضى المخيالية التي صنعها مفكرنا رأي العين، في أوضح ما يمكن أن يحتاج المرء منا الى الوضوح، بل سنكتفي بالتنويه الى ما يلي:

أولاً، أن الربيعي وزع منازل الأسباط حسب تفسيره الجغرافي على أرض اليمن في أربع خرائط، كل خريطة منها تتضمن تعيين منازل ثلاثة أسباط، وواضح فيها جميعاً أنه فشل فشلاً مطلقاً ولم يتمكن وفق تفسيره من أن يجمع منازل الأسباط كلها في خريطة واحدة، فمنازل الأسباط إذا ما جمعناها على خريطة واحدة، ستكون متداخلة ومتشابكة وكل منها واقعة في

أراضي الأسباط الآخرين. فأرض سبط بنيامين في الخريطة الأخيرة تقع في قلب أرض سبط يهودا كما تظهر في الخريطة التي قبلها، وهكذا كل أراضي الأسباط متداخلة مع بعضها، وجميعها تقع في منطقة واحدة، حيث نرى أن المساحة الجغرافية التي تقع فيها كل ثلاثة أسباط في خريطة من تلك الخرائط الأربع، هي نفسها المساحة التي رسم عليها بقية أراضي الأسباط التسعة في بقية الخرائط..!!- ***وهذا يعني باختصار أن الربيعي بنفسه، قد توصل الى حقيقة استحالة تطابق تفسيره الجغرافي للتوراة مع الجغرافية اليمنية.***

ثانياً، يفترض أن يكون هناك نهر الأردن فاصلاً بين أراضي الأسباط في شرقيه وأراضي بقية الأسباط في غربيه، وبالرغم من أن الربيعي أعطى في معالجته الكثير من الاهتمام بنهر الأردن، وأعاد تعيين موقعه على الجغرافية اليمنية، إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً في أن يجعل تعيينه ذاك مطابقاً ولو بنسبة (٥%) لما يرد بشأن نهر الأردن من الناحية الجغرافية في التوراة، فأين هو نهر الأردن أو (ها- يردن) كما يسميه، وأين منازل الأسباط التي تقع الى الشرق منه، وأين هي منازل الأسباط التي تقع الى الغرب منه.

يمكن للقارئ العزيز أن يعود الى خريطة التفسير التقليدي أعلاه وأن يطابق بينها وبين ما ذكره النص التوراتي من جهة، وأن يقارن بينه وبين ما جاء به الربيعي ليتحقق من الفرق بين النموذجين، كما يمكن من خلال مطابقة تعيين وتحديد الربيعي لنهر الأردن على الخريطة اليمنية، أن نرى المزيد من مظاهر هذه الفوضى الربيعية على نحو أسوأ وأفظع.

ثالثاً، أن خرائط مفكرنا العملاق كما رأيناها هي خرائط مصمتة وغير ناطقة، أي لا تحتوي على أية بيانات جغرافية، أو تسميات أو تعيينات، فقط مجرد خرائط جافة مقفرة لا صوت لها إلا صوت أوهام صاحبها ومختلقها وتخييلاته، والسبب في ذلك يعود الى أن الربيعي توصل الى حقيقة أنه لو وضع تعييناته الجغرافية للمواقع والمناطق بحسب مطابقاته الاسمية بين التوراة والهمداني، لفضح نفسه، ولقدم أكبر دليل على فشل نظريته وزيفها. فقرر أن يقدم الخرائط مصمتة غير ناطقة، معتمداً في ذلك على أمرين:

أولهما: جهل معظم القراء بالجغرافيا والحقائق الجغرافية.

والأمر الثاني: اسلوبه المشوش الذي قدم به تفسيراته والذي يُلزم القارئ المتمعن بالقيام بجهد بالغ في ملاحقة كل فكرة قدمها هو، وهذا ما لن يقوم به أغلب القراء.

فوق ذلك كله، قام الربيعي بوضع خرائطه في ذيل كتابه كملحق، دون أن يقدم عليها أية شروحات مما قلل من أهمية الرجوع إليها في نظر أغلب القراء، من حيث يبدو أنهم سيكتفون بقراءة السرد الذي قدمه، وبالتالي، فإن من القراء من تدَّجن وصدَّق الأوهام الربيعية، ومنهم من تشكك في الحقائق التي كانت ثابتة لديه دون أن يندفع في تأييد نظرية الربيعي، ومنهم من لم يصدق النظرية ولكنه لم يكلف نفسه عناء تأسيس موقفه منها بشكل علمي، ومنهم من سار يبحث عن الحقيقة متخبطاً بين الشك والحيرة، ومنهم من رفضها وسعى الى تفنيدها.

هكذا، استطاع الربيعي- وغيره من رواد هذه النظرية الموهومة والمختلقة- أن يصنع حالة خطيرة ومروعة من التشويش على الوعي التاريخي والجغرافي والمعرفي لجيل بأكمله وربما عدة أجيال خلال العقود الأربعة الماضية وحتى اليوم، من خلال تلك الصورة الفوضوية والخرافية والخنفشارية التي قدمها لنا الربيعي من خلال نظريته العجفاء، والتي كان من الصعب الكشف عنها بغير الطريق الذي سلكناه والمنهج الذي طورناه لأجل ذلك.

إنها كارثة بحق أمة بأسرها ألا تنبري المؤسسات الأكاديمية العربية لتنهر هذا السخف وتتصدى له، والكارثة الأدهى أن من الأكاديميين والأساتذة في الجامعات من خرجوا ليطبلوا ويهللوا لهذا الزيف الربيعي المبين. وإنها لجاهلية ما بعدها جاهلية، تكشف عن حقيقة البعض ممن يقومون بتعليم أجيالنا، ممن يمكن وصفهم بأنهم سرطان الجهل والفشل الذي يترقى ويتدرج في الارتقاء عبر سلالم الألقاب والكراسي الأكاديمية في كل جامعاتنا العربية من أقصى المحيط الى أدنى الخليج، إذ يكفي أن يظهر في عصرنا ربيعي واحد لكي يفضح بأثر رجعي ما هي عليه بعض النخب الأكاديمية في عصرنا وفي منطقتنا العربية الى الأبد، إلا القلة القليلة التي يمكن أن نستثنيها من هذه الفئة، ممن جاهدوا وكافحوا قدر ما أمكنهم ضد طغيان هذه النظرية المخجلة.

الخاتمة

لن تكون هذه هي النهاية، بل لابد من استمرار جهود الباحثين في الكشف عن حقيقة هذه النظرية المستمدة أصلاً من خزائن المستشرقين، ومن قبلهم المفسرين اليهود للتوراة، خاصة وقد تبين لنا أن أكثر ما يمكن أن يكون هدفاً واضحاً لهذه النظرية، هو أنها جاءت لإنقاذ التوراة من أزمة مصداقيتها التي زعزعها علم الآثار، كما تبين لنا أن المنهج اللغوي المستخدم في اطروحات رواد النظرية هو نفسه المنهج الذي استخدمه الصهاينة في تهويد أسماء المواقع الجغرافية الفلسطينية، في الوقت نفسه الذي تأكد لنا فيه أن تشابه الأسماء الجغرافية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون دليلاً علمياً وجغرافياً لتحديد مواقع الأماكن التاريخية.

لقد كان هدف الدراسة في القسم الأول هو اسقاط المقولات التي استندت إليها هذه النظرية، وعلى رأسها مقولة تشابه الأسماء.

أما في القسم الثاني، فقد قدمنا دراسة تطبيقية عملية ومنهجية لنموذج فاضل الربيعي، وكشفنا عن الكثير من الحقائق، وأهمها أن ما روج له الربيعي والآخرون عن تشابه الأسماء وعن جغرافية التوراة الحقيقية كما يزعمون في اليمن أو في عسير، هي محض تخيلات وأوهام لا أساس لها في الواقع، وهذا ما تبين بجلاء سافر من حيث واجهنا الربيعي بالهمداني من جهة، وبالتوراة من جهة أخرى، كما واجهناه بالحقائق والثوابت الجغرافية من جهة ثالثة، وواجهناه فوق ذلك كله بأساتذته الذين نقل عنهم النظرية- أو بالأصح الذين انتحلها منهم- من جهة رابعة.

كل تلك المواجهات المنطقية والمنهجية لم تعطي لرؤية الربيعي أي قدر من الموضوعية والمنطقية، ناهيك عن المصداقية، لاسيما وأن الأدلة التي رصدناها في معرض نقد نموذجه كانت ثابتة وقاطعة ولا يمكن للباحث الرصين أن ينكر ثباتها وقوة حجتها ومنعتها، ولأنها أدلة غير قابلة للنقض اطلاقاً، فقد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك بأن نظرية جغرافية التوراة على سبيل العموم، ونموذج الربيعي منها على وجه الخصوص لم تثبت على جغرافية اليمن ولو

بنسبة (١%)، وهذا ما يدل على حجم التضليل والخداع والتزييف المتعمد والمقصود الذي مارسه الربيعي ورفاقه من رواد هذه النظرية.

بالإضافة الى ما تقدم، قمنا بإجراء تطبيقات كان يفترض أن يقوم بها الربيعي لتدعيم نظريته، وتبين لنا بعد القيام بها والتحقق من نتائجها أنه لم يفعل ذلك لكونه قد أدرك أن مثل تلك التطبيقات المنهجية والعلمية لن تدعمه ولن تكون أدلة لدعم نظريته بل أنها ستساهم في نقضها ودحضها، فعمل على الالتفاف عليها وتجاهل ضروراتها العلمية والمنهجية، ناهيك عن التلاعبات اللغوية والسياقية واللفظية التي مارسها بشكل متعمد ومقصود، في الوقت الذي ادعى فيه أنه لم يقع في فخ تلك التلاعبات.

وغير ذلك من الأدلة التي انتهينا من خلال محصلتها الكلية الى حقيقة راسخة وهي بطلان النظرية، وتهافت روادها ونزولهم الى مستوى التحريف والتزييف، والتضليل عن الحقائق لا أكثر.

ختاماً، يمكن القول بأن الغاية الأساسية من هذه الدراسة قد تحققت حتى الآن، من حيث أنها قدمت للقراء والباحثين رؤية واضحة لبعض الأدوات المنهجية والوسائل والآليات النقدية التي يمكن الاستفادة منها من استكشاف علل أطروحة جغرافية التوراة في جزيرة العرب، ورصد وتتبع مواضع الخطأ فيها، ومواطن التحريف والتضليل الذي مارسه روادها، على أمل أن يستمر الباحثين في تقديم المزيد من الجهود النقدية الكاشفة، للقضاء على هذا الورم التلفيقي الذي أحدثته نظرية الصليبي ورفاقه في الوعي العربي المعاصر.

على أمل أن تكون لنا جهود مكملة في المستقبل، خاصة فيما يتعلق بالجوانب التاريخية والأثرية، وغيرها من الجوانب التي مازلنا ننظر إليها بعين الاهتمام، وندرك مدى ضرورة تبيانها لجميع القراء والباحثين.

المراجع والمصادر

أولاً: المراجع والمصادر العامة:

١. إبراهيم عبد الكريم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية– دراسة ودليل، منشورات اتحاد الكّتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.

٢. ابراهام مالمات، حييم تدمور: العبرانيون وبنو إسرائيل في العصور القديمة بين الرواية التوراتية والاكتشافات الأثرية، ترجمة وتقديم: رشاد عبد الله الشامي، سلسلة اليهود وإسرائيل– الجزء (٢)، الطبعة الأولى، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ٢٠٠١.

٣. إلياس شوفاني: الموجز في تاريخ فلسطين السياسي: منذ فجر التاريخ حتى سنة ١٩٤٩، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٨.

٤. أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الرازي الصنعاني (ت: ٤٦٠هـ): تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين بن عبد الله العمرى، الطبعة الثالثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٩.

٥. أبو الفضل ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ب. ت).

٦. أحمد الأبيش وقتيبة الشهابي: معالم دمشق التاريخية، مكتبة المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩٨.

٧. أحمد الدبش: اختطاف أورشليم، محاكاة للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١٣.

٨. أحمد الدبش: اليمن الحضارة والانسان– بحثاً عن الجذور، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٣.

٩. أحمد الدبش: عورة نوح ولعنة الفراعنة وتلفيق الأصول، الطبعة الأولى، دار خطوات للنشر، دمشق، ٢٠٠٦.

١٠. أحمد الدبش: كنعان وملوك بني إسرائيل في جزيرة العرب، الطبعة الأولى، دار خطوات للنشر، ٢٠٠٥.

١١. أحمد الدبش: موسى وفرعون في جزيرة العرب، الطبعة الثانية، دار خطوات للنشر، دمشق، ٢٠٠٤.

١٢. أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، الطبعة الأولى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٤.

١٣. أحمد داوود: العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود، الطبعة الأولى، ١٩٩١.

١٤. أحمد عيد: جغرافية التوراة في جزيرة الفراعنة، الطبعة الأولى، مركز المحروسة للبحوث والنشر والتدريب، القاهرة، ١٩٩٦.

١٥. أحمد محمد عبد العال: دراسات في الفكر الجغرافي، بدون بيانات الطبعة والناشر ومكان النشر، ٢٠٠٦.

١٦. أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، دار الحمراء للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٢.

١٧. اسرائيل فنكلشتاين، نيل إشر سيلبرمان: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها- رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، ترجمة وتعليق: سعد رستم، صفحات للدراسات والنشر، دمشق- سوريا، (ب . ت).

١٨. اسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، الطبعة الأولى، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٩.

١٩. بيير روسي: مدينة ايزيس- التاريخ الحقيقي للعرب، ترجمة: فريد جحا، الطبعة الثالثة، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٤.

٢٠. توم سيغف: الاسرائيليون الأوائل ١٩٤٩، ترجمة: خالد عايد وآخرون، الطبعة الأولى، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٦.

٢١. توماس ل. طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح على سوداح، الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

٢٢. جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية: نداء السراة: اختطاف جغرافيا الأنبياء، سلسلة عندما نطق السراة، الطبعة الثانية، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، المنامة – البحرين، ٢٠٠٦.

٢٣. حسين مؤنس (مشرفاً): أطلس تاريخ الإسلام، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦.

٢٤. حمد الجاسر: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، دار اليمامة، الرياض، ١٩٧٩. ٤/ ١٦٢.

٢٥. الحسن بن أحمد الهمداني: الإكليل- الجزء الثامن، حرره وعلق عليه: نبيه أمين فارس، دار الكلمة، صنعاء، دار العودة، بيروت، (ب. ت).

٢٦. الحسن بن أحمد الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الأولى، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ١٩٩٠.

٢٧. حمد بن ناصر الدخيل: يحيى بن طالب الحنفي (١٢٠- ١٨٠هـ/ ٧٣٨- ٧٩٦م) شعره وحياته، الطبعة الأولى، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ٢٠٠٠.

٢٨.خالد الغريب: منطقة الأحساء عبر أطوار التاريخ، الخبر، ١٩٨٨.

٢٩.خيرية قاسمية: قضية الحدود بين مصر وفلسطين قبل الحرب العالمية الأولى، مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، العدد (٥)، تشرين الثاني، ١٩٧١.

٣٠.خيرية قاسمية: نشاطات صندوق استكشاف فلسطين (١٨٦٨ – ١٩١٥) مجلة شؤون فلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، العدد (١١٢)، يوليو ١٩٨٠.

٣١.دي لاسي أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ترجمة: تمام حسان، المكتبة الثقافية، القاهرة، ١٩٥٧.

٣٢.ديفيد صمويل مرجليوث: أصول الشعر العربي، ترجمة وتعليق ودراسة: إبراهيم عوض، دار الفردوس، أسيوط– مصر، ٢٠٠٦.

٣٣.رائد راكان قاسم الجواري: العناصر الأساسية للخارطة عند الشريف الإدريسي (٤٩٣– ٥٦٠هـ/ ١١٠٠– ١١٦٦م)، مجلة التربية والعلم، جامعة الموصل، المجلد (١٩)، العدد (٥)، ٢٠١٢. ص ص ٣٥٤– ٣٦٩.

٣٤.رشيد حليم: علم الإسمائية علاقته العلمية واجراءاته– دراسة طبونيمية لموقعين، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، العدد (٣٧)، الثلاثي الثالث، ٢٠١٧. ص ص ١٢٣– ١٣٨.

٣٥.زياد منى: جغرافية التوراة مصر وبنو اسرائيل في عسير، الطبعة الأولى، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٤.

٣٦.سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والاسلام، الطبعة الرابعة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣.

٣٧. سعيد السعيد: ألويس موسيل، حياة بين العلم والسياسة، ورقة عمل مقدمة للندوة العلمية عن الرحالة التشيكي "ألويس موسيل"، جامعة تشارلز، براغ، يونيو ٢٠٠٨.

٣٨. سفير جاسم حسين وهدى عيدان جبار الربيعي: الملامح الجغرافية الطبيعية في كتاب صفة جزيرة العرب للهمداني، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، جامعة المثنى، العراق، المجلد (٩)، العدد (٤)، ٢٠١٦. ص ص ٩٠- ١٠٧.

٣٩. سهيل زكار: التوراة ترجمة عربية عمرها أكثر من ألف عام، الطبعة الأولى، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ٢٠٠٧.

٤٠. شاكر خصباك: التراث الجغرافي عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بدون تاريخ النشر.

٤١. صقر أبو فخر: التوراة العربية وأورشليم اليمنية، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد (٧)، العدد (٢٧)، صيف ١٩٩٦.

٤٢. عامر عبد الله نجم الجُمَيليّ: المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء، أطروحة دكتوراه، جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٦ .

٤٣. عبادة جمال أبو محسن: تكملة صنيع ياقوت الحموي في كتابه "المشترك وضعاً والمفترق صقعتً"- دراسة في المشترك من الأعلام الجغرافية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية- نابلس، ٢٠١٦.

٤٤. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، الطبعة الثالثة "منقحة ومزيدة"، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، ١٩٩٣.

٤٥. عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، دار الطباعة، بولاق- مصر، (ب. ت).

٤٦. عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤..

٤٧. عبد الله الحلو: تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية استناداً للجغرافيين العرب، الطبعة الأولى، بيسان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٩.

٤٨. عبد الله الطيب: محاضرة البروفسور عبد الله الطيب في مقر مجمع اللغة العربية، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد (٧٩)، نوفمبر ١٩٩٦.

٤٩. عبد الله محمد ظافر: نزهة المشتاق لليمن- حدود وخرائط وشؤون اليمن في البلدانيات من القرن التاسع وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، الطبعة الأولى، مكتبة خالد بن الوليد- دار الكتب اليمنية، صنعاء، ٢٠١٧.

٥٠. عبد الله ناصر القحطاني: سفر يشوع- دراسة عقدية نقدية، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤.

٥١. عبدالرحمن آل ملا: تاريخ هجر، مطابع الجواد، الأحساء، ١٩٩١.

٥٢. عبدالله النجم: البحرين في صدر الإسلام، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٣.

٥٣. عدنان عياش: دحض ادعاءات اليهود بأحقيتهم في أرض فلسطين، المؤتمر الدولي الثالث عشر لمركز جيل البحث العلمي "فلسطين قضية وحق"، طرابلس- لبنان ٢- ٣ ديسمبر ٢٠١٦.

٥٤. عفيف بهنسي: تاريخ فلسطين القديم من خلال علم الآثار، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، ٢٠٠٩.

٥٥. علي محمد دياب: مفهوما الإقليم وعلم الأقاليم من منظورٍ جغرافي بشري، مجلة جامعة دمشق، المجلد (٢٨)، العدد (٢)، ٢٠١٢. ص ص ٤٥٧- ٥٠٨.

٥٦. عمر أمين مصالحة: حدود ارض إسرائيل في المكرا (التوراة)- دراسة توثيقية، مجلة قضايا اسرائيلية، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، العدد (٤٦)، يوليو ٢٠١٢. ص ص ٨٩- ٩٨.

٥٧.فاضل الربيعي: حقيقة السبي البابلي- الحملات الأشورية على الجزيرة العربية واليمن، الطبعة الثانية، جداول للنشر والترجمة، الكويت، ٢٠١٣.

٥٨.فاضل الربيعي: فلسطين المتخيلة: أرض التوراة في اليمن القديم، المجلد الأول، الطبعة الأولى، دار الفكر للنشر، دمشق، ٢٠٠٨..

٥٩.فراس السواح: الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم: هل جاءت التوراة من جزيرة العرب- نظرية كمال الصليبي في ميزان النقد والحقائق العلمية، الطبعة الثالثة، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٧.

٦٠.فرانسوا دينالد، روجيه ليشتنبرج: الحيوانات والبشر تناغم مصري قديم، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم: محمود ماهر طه، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٢.

٦١.فرج الله صالح ديب: التوراة العربية واورشليم اليمنية، دار نوفل، بيروت، ١٩٩٤.

٦٢.فرج الله صالح ديب: اليمن هي الأصل- الجذور العربية للأسماء، الطبعة الأولى، دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٨.

٦٣.فرج الله صالح ديب: كذبة السامية وحقيقة الفينيقية، الطبعة الأولى، دار نوفل، بيروت، ١٩٩٨.

٦٤.فضل الجثام اليافعي: الحضور اليماني في تاريخ الشرق الأدنى- سبر في التاريخ القديم، الطبعة الأولى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٩.

٦٥.ابن الفقيه أبو بكر احمد بن إبراهيم الهمذاني: مختصر كتاب البلدان، مطبعة لندن، ١٨٨٥.

٦٦.كمال الصليبي: التوراة جاءت من جزيرة العرب، ترجمة: عفيف الرزاز، الطبعة السادسة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٧.

٦٧.كمال الصليبي: حرب داود: الأجزاء الملحميَّة من سِفر صموئيل الثاني مترجمة عن الأصل العبري، دار الشروق، عمان– الأردن، ١٩٩١.

٦٨.كيت وايتلام: اختلاق إسرائيل القديمة– اسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهنيدي، مراجعة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٤٩)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر ١٩٩٩.

٦٩.مجموعة من المؤلفين: دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠١٠.

٧٠.محمد الأسعد: مستشرقون في علم الآثار: كيف قرأوا الألواح وكتبوا التاريخ، الطبعة الأولى، دار مسعى، الدار العربية للعلوم– ناشرون، بيروت، ٢٠١٠.

٧١.محمد حسن شراب: موسوعة بيت المقدس والمسجد الأقصى، التاريخ، الآثار، الأعلام والأمكنة والرجال– الجزء الأول، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.

٧٢.محمد محمود محمدين: الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، الطبعة الثانية، دار الخريجي، الرياض، ١٩٩٦.

٧٣.مصطفى زرهار: مقاربات في دراسة النص التوراتي– سفر راعوت أنموذجاً، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠١٢.

٧٤.ناصر الدين أبو خضير: أسماء قرى القدس– دراسة لغوية دلالية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ٢٠١٦. ص ص ٣٥٥– ٣٨٢.

٧٥.هـ. ج. ويلز : معالم تاريخ الانسانية، المجلد الثاني– في تاريخ الإغريق والرومان ومن عاصروهما، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة الثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٣.

٧٦.ياقوت الحموي: المشترك وضعا والمفترق صقعاً، الطبعة الثانية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦.

٧٧.يوسف الكلام: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين اشكالية التقنين والتقديس- دراسة في التاريخ النقدي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي، الطبعة الأولى، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩.

٧٨.يوسف كفروني: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي: نقض تاريخانية التوراة، من مقدمة كتاب: توماس ل. طومسون: التاريخ القديم للشعب الإسرائيلي، ترجمة: صالح على سوداح، الطبعة الأولى، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٥.

ثانياً: المواقع الالكترونية:

١. أحمد الدبش: علامَ يُطلَق اسمُ فلسطين؟ ٤ اكتوبر ٢٠١٧، متاح على الرابط الالكتروني:

http://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/10/4/%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%8A%D8%B7%D9%84%D9%82-%D8%A7%D8%B3%D9%85-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86- 10 Nov 2017.

٢. أحمد زرير: علم الأعلام الجغرافية الطبونيميا في رصد بعض الحقائق التاريخية في منطقة أيت سدرات ن إغيل، ١١ مايو ٢٠١٧، متاح على الرابط الالكتروني:

http://www.dades-infos.com/?p=42925- 30 May 2018.

٣. أسامة محمد أبو نحل: نظرية الدكتور كمال الصليبي وتاريخ فلسطين القديم، ٨ أغسطس ٢٠١٠، متاح على الرابط الالكتروني:

https://groups.google.com/forum/#!topic/fayad61/BvVL9VVBwtM- 18 Nov 2017.

٤. صالح السعيدي: هل الأكراد يمنيون قدماء؟، صحيفة القبس الكويتية العدد (١٢٠٠٨)، ٧ نوفمبر ٢٠٠٦، متاح على الرابط الالكتروني:

https://alqabas.com/288765/- 20 Nov 2017.

٥. عامر عبد الله الجميلي: أسماء المدن والمواقع الجغرافية المتشابهة لفظاً والمختلفة موقعاً في النصوص المسمارية، ١١ مايو ٢٠١١، متاح على الرابط الالكتروني:

http://dramerart.blogspot.com/search/label/%D8%A7%D8%B3%D9%85%D8%A7%D8%A1%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AF%D9%86- 10 Nov 2017.

٦. الباحث العراقي فاضل الربيعي: فلسطين لم تكن يوما أرض الميعاد اليهودي ولا علاقة لها باليهودية، حوار مع فاضل الربيعي، صحيفة الوطن، متاح على الرابط الالكتروني:

http://www.alwatan.com/graphics/2011/01Jan/18.1/dailyhtml/ashreea.html- 26 May 2018.

٧. فاضل الربيعي: التوراة لم تذكر اسم الفلسطينيين ولا تعرف فلسطين، ١٢ يناير ٢٠١٧، متاح على الرابط الالكتروني:

http://www.aljazeera.net/news/alquds/2017/1/12/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%88%D8%B1%D8%A7%D8%A9-%D9%84%D9%85-%D8%AA%D8%B0%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D8%B3%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86-%D9%88%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%81-%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86- 10 Nov 2017.